مرسـوم

بتعديل بعض أحكام المرسوم الصادر بإنشاء

مجمع فؤاد الأول للغـة العربية

نحن فاروق الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على المرسوم الصادر فى ١٣ديسمبرسنة ١٩٣٢ بإنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية المعدل بالمرسوم الصادر فى ٢٨ مايو سنة ١٩٤٠ .

وبناء على ما عرضه علينا وزير المعارف العمومية وموافقة رأى مجلس الوزراء ؛

رسمنا بما هو آت

المادة الأولى

تعدل المادتان ٤ و ١٣ من المرسوم الصادر بإنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية على الوجه الآتى :—

مادة ٤ — يؤلف المجمع من أعضاء عاملين لا يقل عددهم عن ثلاثين ولا يزيد على أربعين عضوا يختارون من بين العلماء المعروفين بتبحرهم فى اللغة العربية وآدابها ، أو فى العلوم والفنون . ويجوز أن يكون بينهم عدد من العلماء غير المصريين لا يتجاوز العشرة . ويعين الأعضاء العاملون لأول مرة بمرسوم بناء على عرض وزير المعارف العمومية وكذلك الحال عند زيادة عدد الأعضاء حتى يبلغ العدد المقرر .

مادة ١٣ — يحدد مجلس الوزراء المكافأة التى يمنحها أعضاء المجمع لحضور جلساته وجلسات لجانه — كما يحدد للأعضاء غير المصريين المقيمين خارج المملكة المصرية مكافآتهم فى أثناء المدة التى يعقد المؤتمر خلالها .

ويجوز أن يمنح الأعضاء المراسلون مكافأة على مايعهد إليهم فيه من الأعمال. وتمنح هذه المكافأة بقرار من وزير المعارف العمومية بناء على اقتراح مجلس المجمع .

المادة الثـانية

على وزير المعارف العمومية تنفيذ هذا المرسوم ويعمل به من تاريخ نشره فى الجريدة الرسميـة .

صدر فى ١٥ شوال سنة ١٣٦٥ (١١ ديسمبر سنة ١٩٤٦) .

فاروق

بأمر حضرة صاحب الجلالة

رئيس مجلس الوزراء
(إسماعيل صدقى)

وزير المعارف العمومية
(محمد حسن العشماوى)

مرســوم
بتعيين أعضاء عاملين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

نحن فاروق الأوّل ملك مصر

بعد الاطلاع على المرسوم الصادر فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ بإنشاء مجمع فؤاد الأوّل للغة العربية المعدل بالمرسوم الصادر فى ٢٨ مايو سنة ١٩٤٠ .

وعلى المرسوم الصادر فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٦ بزيادة عدد أعضاء المجمع العاملين إلى أربعين عضواً .

وبناء على ما عرضه علينا وزير المعارف العمومية وموافقة رأى مجلس الوزراء ؛

رسمنا بما هو آت

(المـــادة الأولى)

يعـــين : —

الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى باشا	وزير الدولة
الدكتور إبراهيم بيومى مدكور	عضو مجلس الشيوخ
الدكتور عبد الوهاب عزام بك	عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول .
زكى المهندس بك	عميد كلية دار العلوم
الدكتور أحمد زكى بك	مدير عام مصلحة الكيمياء
الشيخ محمود شلتوت	عضو هيئة كبار العلماء
الدكتور محمد شرف بك	كبير أطباء مستشفى السويس
الدكتور مصطفى نظيف بك	الأستاذ بكلية الهندسة
محمد فريد أبو حديد بك	عميد معهد التربية العالى للمعلمين
الشيخ عبد الوهاب خلاف	أستاذ الشريعة بكلية الحقوق

أعضاء عاملين بمجمع فؤاد الأوّل للغة العربية .

المادة الثانيـــة

على وزير المعارف العمومية تنفيذ هذا المرسوم . ويعمل به من تاريخ نشره فى الجريدة الرسمية .

فاروق

بأمر حضرة صاحب الجلالة
رئيس مجلس الوزراء
(إسماعيل صدقى)

وزير المعارف العمومية
محمد العشماوى

جلسة استقبال الأعضاء العشرة الجدد

فى تمام الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الخميس ١٨ من المحرم سنة ١٣٦٦ هـ . الموافق ١٢ من ديسمبر سنة ١٩٤٦ م ، عقدت جلسة علنية بدار المجمع بشارع قصر العينى رقم ١١٠ بالقاهرة لاستقبال أعضائه العشرة الجدد ، شهدها أعضاء المجمع المقيمون بالقاهرة ، ولفيف من العلماء والأدباء وكبار المشرفين على التعليم ، واعتذر من عدم الحضور حضرات الأعضاء المحترمين الأستاذ عبد العزيز فهمى والدكتور على إبراهيم والأستاذ على الجارم من حضرات أعضاء المجمع ، والمهندس عبد المجيد بدر والأستاذ حسن فائق والأستاذ مصطفى شكرى من حضرات المدعوين .

وبدئت الجلسة بكلمة افتتاح للأستاذ أحمد لطفى السيد رئيس المجمع ، ثم ألقى حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد أمين عضو المجمع كلمة فى استقبال حضرات الأعضاء الجدد . وبعد الانتهاء منها ، ألقى الدكتور إبراهيم بيومى مدكور كلمته بالنيابة عن حضرات الأعضاء الجدد .

وختمت الجلسة والساعة الثانية عشرة ظهراً .

وفيما يلى نصوص الكلمات التى ألقيت :

كلمة حضرة الأستاذ أحمد لطفى السيد

رئيس المجمع

يسرنى أن أفتتح هذه الجلسة العلنية لنرحب فيها باستقبال الزملاء الجدد ، وإننا لنحمد للحكومة استجابتها إلى رغبة المجمع فى زيادة أعضائه ، وإذا كان لدينا من شئ نذكّر به الحكومة فى هذا المقام فهو أن توجد للمجمع مكاناً يتسع لاجتماع أعضائه الأربعين ، ولعقد جلسات علنية يدعى إليها كثيرون .

وسيتولى الزميل المحترم الأستاذ أحمد أمين تقديم الزملاء ، وإنهم لأهل للكريم من الترحيب ، ونحن فى حاجة إليهم ليعاونونا فى بلوغ المقاصد التى نيطت بالمجمع فى مرسوم إنشائه ، وإن لدينا من الأعمال ما يتطلب موفور الجهد ، فمن المعجم الوسيط ، إلى معجم ألفاظ القرآن ، إلى معجم الدكتور فيشر ، إلى المعجم اللغوى التاريخى ، إلى مشروع جمع كلمات الحياة العامة ، ووضع حدود لكلمات الحضارة الحديثة ، إلى غير ذلك . وهى أعمال جسام ننتظر من زملائنا الجدد عوناً على إنجازها فى أسرع الأوقات ، وحقاً أن بعض هذه الأعمال لم يفرض لإكماله وقت محدود ، غير أن الشعور بالواجب عند الناس على وجه عام ، وعند أعضاء المجمع على وجه خاص ، يقتضى أن نبذل غاية المجهود فى سبيل الغرض المنشود ، ولهذا يرحب المجمع بالأعضاء الجدد الذين يقومون بقسطهم فى هذه السبيل .

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد أمين

أيها السادة :

إن كلمة المجمع تعريب لكلمة Academy الإفرنجية ، وهذا التعريب ينطوى على جملة معان . إننا نريد مجمعاً على غرار مجامعهم يعمل مثل عملهم ، ووضعنا كلمة عربية للكلمة الإفرنجية إشعاراً بأن من أهم أغراضنا التعريب واستخدام اللفظة العربية للكلمات الإفرنجية ما أمكننا ذلك .

وقد أعجبنى تعريف كاتب إنجليزى للمجمع إذ يقول : « المجمع هو جمعية أو هيئة متعاونة منسجمة : غرضها تهذيب وترقية الأدب والعلم والفن . مجتمعة أو مقسمة إلى شعب ، يدعوها إلى ذلك العشق الخالص لغرضها من غير أن يشوبه شائبة من ربح مادى . »

وأحسن ما أعجبنى فى هـــذا التعريف « عشق الغرض » فهو حقيقة روح المجمع بل روح كل جمعية : إن وجد العشق تحقق الغرض ، وهو يتحقق بمقدار ما فيها من عشق فإن لم يكن فشكل جمعية لا حقيقة جمعية .

ولم يكن هذا العشق بعيداً عنا نحن الشرقيين فقد قام منا أفراد بما تقوم به المجامع ونجحوا لتوافر هذا العشق عندهم . فالأزهرى اللغوى صاحب التهذيب الذى ضرب فى الصحراء يأخذ اللغة من أهلها ويقع فى الأسر ويتحمل صنوف العذاب من أجل غرضه لاشك عاشق ، وابن منظور الذى يعكف على كتابة عشرين مجلداً بعد تحرير كل مادة وكل كلمة من غير أى نظرة إلى ربح هو — كذلك — عاشق ، وأمثالهما كثير . وكنت أقرأ أخيراً للكندى فصلا فى شروط الفيلسوف فجعل من أهم شروطه « عشق الحقيقة » .

* * *

ويذكر المؤرخون أن أول مجمع بهـــذا المعنى إنما كان فى مصر ، شهدته الإسكندرية فى أول القرن الثالث قبل الميلاد على يد بطليموس الأول والتى فيه جهابذة العلم من اليونان والمشرقيين يرقون ماوصل إليه العلم فى أيامهم ، وكان ذلك نواة لمدرسة الإسكندرية ومكتبة الإسكندرية . ولوأنا ورثنا هذا المجمع من هذا التاريخ وطورناه مع الزمن لكان لنا الآن خير مجمع وخير لغة وخير علم . ولكن أعاصير السياسة قطعت حبل ما بيننا وبينه فورثته أوروبا أولا ثم أخيراً جداً نقلناه من أوروبا إلينا .

وليس من غرضى أن أعرض هنا صورة لتاريخ هـــذه المجامع الأوروبية وتطوراتها ولكنى أريد أن أعرض عرضاً سريعاً لبعض ماقامت به بعض المجامع من أعمال وأقتصر على الناحية اللغوية الأدبية تاركاً ما عملته المجامع العلمية والفنية لأربابها .

فمثلا كان المجمع الفرنسى فى أيامه الأولى يجرى على سنة اجتماعه يوماً كل أسبوع وفى كل اجتماع له يقرأ أحد أعضائه موضوعاً لغوياً أو أدبياً أعده ، فإذا أتم قراءته نقده الحاضرون وأبدوا رأيهم فيه ، فكان هذا نواة لأعمال المجمع ، وتطور هذا إلى إعداد بحوث لغوية وأدبية دورية يلقيها كل عضو مرة — ثم

تبع هذا أن كانوا ينقدون التآليف الأدبية العظيمة التي نالت حظوة عند الجمهور كما فعلوا فى تآليف «كورنى» . ولكن كان من تقاليدهم ألا ينقدوا إلا إذا طلب منهم المؤلف ذلك ، ثم توجت أعمال المجمع بعمل معجم واسع كبير للغة الفرنسية .

فلما أعيد تكوينه من جديد فى آخر القرن الثامن عشر كان مما دخل عليه من تحسين نمو ماليته بما قدم إليه من هبات يصرفها فى تشجيع الإنتاج الأدبى .

ومهما وجه إليه من نقد فى اختيار أعضائه أوفى جموده ورجعيته أو قلة إنتاجه أو نحو ذلك فإنه يعد المحكمة العليا للأدب الحارس للغة من التبذل .

وحددت ألمانيا وإيطاليا الغرض من مجامعها بتنقية اللغة وتصفيتها وترقيتها ، وكذلك حددت أسبانيا غرضها ، وعمل مجمعها على اختيار الألفاظ والأساليب المهذبة التى يستعملها خاصة الأدباء واستبعاد الألفاظ والأساليب الحوشية وتدوين ذلك فى معجم .

* * *

كان عمل مجمعنا المصرى — أيها السادة — أشق وأصعب وأعقد من المجامع الأوروبية لأنه تأخر فى التاريخ كثيراً ولم ينشأ إلا حديثاً على حين أن المجامع الأخرى لها ثلاثة قرون أو أكثر ، ولأن الصلة بيننا وبين آخر مجهود فى اللغة عمله الفيروز ابادى وابن منظور قد انقطعت ولم تتقدم أى خطوة ، وفتحنا أعيننا فوجدنا أنفسنا أمام مدنية حديثة تزخر بالآلات والمخترعات والمصطلحات فى كل علم وفن ولابد لكل لغة حية أن تتكمل بها كلها ، ولاقينا فى ذلك أكثر مما لاقى العرب فى العصر العباسى حين واجهوا المدنية الفارسية والرومانية ؛ فالمدنية الحديثة أغنى وأوسع ، وأجدادنا قابلوا المدنيتين الفارسية والرومانية وهم فاتحون يشعرون بالعزة ، والعزة تدعو إلى الجرأة ، ونحن نقابل المدنية الحديثة بشئ من مركب النقص وهو يدعو إلى الانكماش والخوف ، وأجدادنا كانوا يشعرون أن اللغة ملكهم ونحن نشعر أنا ملك للغة فيبطئ سيرنا ويقل إنتاجنا. ثم إن اللغة العربية بطبيعتها صعبة شاقة — فى قواعدها ، فى إعرابها ، فى كثرة مترادفاتها ، فى سعتها سعة تامة فيما تتطلبه معيشة الجزيرة العربية وفيما لحقها من المدنية العباسية : ضيقة أمام المدنية الحديثة ومصطلحاتها .

فمجمعنا لابد أن يواجه هذه المشاكل كلها ويجد لها حلولا . مجمعنا له غايات عظمى ومطالب خطيرة : أمامه أن يضع معجما وافياً بحاجات العصر ومطالب العصر على أسلوب يستسيغه العصر ، وأمامه عمل معجم تاريخى مطول ، وأمامه أن يكون محكمة عليا للإنتاج الأدبى فى العالم العربى ، يقف على كل مايصدر فى كل عام من شعر ونثر وبحوث أدبية ، ويقول فى خيرها كلمته ، وأمامه أن يكون حارساً على اللغة ليشرف على مايكتب فى الجرائد ومايستعمل من ألفاظ وأساليب ويجيز مايرى إجازته ويرفض مايرى رفضه ، وأمامه أن يرحم الطلبة فى المدارس فييسر لهم سبل تعلم اللغة العربية وآدابها وينقد البرامج ويضع وسائل الإصلاح ، وأمامه أن يستحث الحكومة والأغنياء على التبرع بالمال لتشجيع الأدباء على الإنتاج . أمامه كل ذلك وتسألوننى كيف يحقق المجمع ذلك فأقول بكلمة واحدة خفيفة

على اللسان ثقيلة فى الميزان ، هى العشق — ووضع الأساس تكمله الأجيال المتعاقبة .

* * *

إن عمر مجمعنا هذا الآن نحو أربعة عشر عاماً ، فقد صدر المرسوم بإنشائه فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ ، وعين أعضاؤه لأول مرة فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٣٣ . وحدد الغرض منه فى المرسوم بالمحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ملائمة — على العموم — لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد فى معاجم أو تفاسير خاصــة أو بغير ذلك من الطرق ماينبغى استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب وأن يقوم بوضع معجم تاريخى للغة العربية وأن ينشر أبحاثاً دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها ، وأن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية وأن يبحث كل ما له شأن فى تقدم اللغة العربية

ومن ذلك الحين بدأ يعمل المجمع ، فكان أعضاؤه يتداولون البحوث التى تدعو إليها الحاجة ، فيبحث عضو فى الاشتقاق ومداه ومتى يكون قياسياً ومتى يكون سماعياً ، ويبحث آخر فى تعريب الأساليب ، وثالث فى التعريب وطرقه والألفاظ المولدة وموقف المجمع منها وما إلى هذا ، ويتناقش الأعضاء ويتخذون فى ذلك قراراً .

وقد بدءوا فى تقسيم الأعضاء إلى لجان فلجنة للرياضيات ولجنة للعــلوم الطبيعية والكيمياوية ولجنة للعلوم الاجتماعية والفلسفية الخ . وكانت كل لجنة تجتمع وتتناقش فى المصطلحات الخاصة وتعرض ماتقره على المجمع ليرى رأيه فيها وبذلك أقر المجمع ألوف الكلمات فى المصطلحات العلمية المختلفة . وفى بعض دورات المجمع بحث فى تيسير قواعد النحو وتيسير الكتابة العربية وعنى المجمع بإنشاء مجلة سنوية ينشر فيها بحوثه وقراراته وسائر أعماله كما كان ينشر مجموعة محاضر جلساته ولكنها — مع الأسف — وقفت فى سنى الحرب ثم أخذ المجمع يعمل على إصدارها من جديد .

والمجمع الآن يرجو أن يبدأ قريباً فى الشروع فى أهم أعماله وهو وضع معجم تاريخى مطول تذكر فيه الكلمة ومن أى لغة أخذت وفى أى معنى استعملت فى العصر الجاهلى ثم مادخل على هذا المعنى من تطور إلى عصرنا الحاضر ، وهذا — ولاشك — عمل ضخم ، ولكن أدواته متوافرة عندنا بأكثر مما كانت متوافرة أيام الفيروزابادى وابن منظور بفضل تقدم العلم باللغات الشرقية القديمة من سريانية وعبرية وهيروغليفية وفهلوية وحبشية وسبئية الخ ... فما كان يحدسه الأقدمون من اللغويين حدساً أصبح اليوم علماً ، ثم إن الأصول العربية من كتب لغة وأدب وتاريخ وما إلى ذلك مما يمكن الرجوع إليه فى وضع هذا المعجم أصبحت أقرب منالا ، لتقدم الطبع وسهولة الاتصال ومع هذا وذلك فالعمل شاق صعب لايمكن التغلب عليه إلا بالجهد الطويل وبالدواء الذى وصفته من قبل وهو العشق . وما علينا إلا البدء والاستمرار وعلى خلفنا أن يكمل بدأنا .

ثم هو يطمع — أيضاً — أن يحقق مثله فى أن يكون محكمة عليا للغة والأدب ، فتشرف بلجانه على النتاج الأدبى فى العالم العربى من نظم

ونثر وتأليف ، فيتوج منها مايستحق التتويج ويعلن تقدير مايستحق التقدير ويكافئ بالمال مايرى المكافأة عليه ، ويشرف على المجلات والجرائد والكتب ويعلن قراراته فيما يستجد من ألفاظ وأساليب فيقر الصواب ويصحح الخطأ فيشعر الجمهور بإشرافه .

لقد وجهت إلى المجمع نقود كثيرة : من أن نتاجه قليل ، أو أنه يختار ألفاظاً لم يستسغها الجمهور ، وقد أضيف إلى الحقائق الواقعة خيالات مختلفة للتشنيع ونحو ذلك . ولم يكن مجمعنا المصرى وحده هو الذى وجه إليه هذا النقد وأمثاله بل قلما خلا مجمع فى العالم من مثل هذا . وسبب ذلك على الأغلب أن طبيعة المجمع دائماً طبيعة محافظة لاترضى نزعة المجددين والثائرين ، ولأن طبيعة العلماء — دائماً — تميل إلى التدقيق والبطء وتفضل النتاج الصحيح القليل على النتاج الكثير فى غير نضج . والجمهور — عادة — يرى النتائج ولايرى المقدمات ، ويقدر مايظهر على المرسح فقط ولايقدر ماعمل وراء الستار . ثم إن مجمعنا لم يتصل بالجمهور الاتصال الكافى الذى يقنعه بضرورة وجوده ، مع أن نتاجه الذى حدثتكم عنه ليس بالقليل — وأخيراً من مشاكلنا أن ليس لنا استقلال مالى يشعرنا بالحرية فى العمل ، فإذا أردنا طبع مجلتنا فلسنا أحراراً وإذا أردنا مكافأة على عمل نراه فى صالح المجمع فلسنا أحراراً ، وهذه عقدة العقد فى كل عمل حكومى ، وقد بنى النظام من قديم على فقدان الثقة وتركيز الإذن بالتصرف فعاق هذا كل تقدم . وعندى أننا لو خسرنا مليونا من الجنيهات كل عام وكسبنا ثقة بعضنا ببعض وحرية تصرفنا لكان ماخسرناه قليلا .

أيها السادة :

لقد حدد المرسوم الصادر فى سنة ١٩٣٢ عدد الأعضاء بعشرين عضواً ، ثم صدر مرسوم آخر سنة ١٩٤٠ بزيادة عدد الأعضاء العاملين عشرة فصاروا ثلاثين ، ثم صدر مرسوم فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٦ بزيادة عدد الأعضاء العاملين إلى أربعين وفى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٦ صدر المرسوم بتعيين هؤلاء العشرة الجدد واليوم نحتفل باستقبالهم ولى الشرف العظيم أن أكون المتحدث عن المجمع فى استقبالهم .

وأعتقد اعتقاداً جازماً أن المجمع قد كسب بهم وقوى بانضمامهم كالشجرة الطيبة تطعم بعود طيب وأن أمله قد زاد فى تحقيق غرضه والقرب من الوصول إلى غايته .

والحق أنه لم يراع فى اختيار هؤلاء الأعضاء إلا وجه الله والعلم وكل منهم له مقام معلوم فى علمه وجده .

فعبد الرزاق أحمد السنهورى رجل ضليع فى القانون ، له عزيمة فى العمل لاتكل ولا تمل ، ألف فى القانون تآليف كثيرة أهمها كتاب الالتزامات ، ووضع مشروع القانون المدنى لمصر ، ورمى إلى توحيد القوانين فى الممالك العربية أو تقريبها فوضع أيضاً مشروع القانون المدنى للعراق ، وهو يعمل فى وضع مثل ذلك لسوريا ، واهتم بالفقه الإسلامى يشجع على دراسته دراسة عصرية للانتفاع بكنوزه .

وإبراهيم بيومى مدكور حصل على دراسته الشرقية فى مدرسة القضاء ودار العلوم وعلى دراسته الفلسفية فى فرنسا ، وتعمق فى دراسة الفلسفة وتدريسها ، وألف فيها وله فيها مركز

ممتاز ، إلى نشاطه الجم فى الحياة العامة .

وعبد الوهاب عزام له لون خاص يجمعه بين العمق فى دراسة اللغة العربية وآدابها واللغة الفارسية والتركية وآدابهما ، وقد نشر الشاهنامة باللغة العربية وغيرها من الكتب ، وأمكنته معرفة الفارسية من المقارنة بينها وبين العربية فى اللغة وفى التصوف وفى الأدب كما أمكنته معرفة الإنجليزية والفرنسية من الاطلاع على ماكتبه المستشرقون فى هذه الموضوعات والانتفاع بها ، ففائدته للمجمع فائدة لاتنكر.

وزكى المهندس جمع إلى دراسته فى دار العلوم دراسته فى إنجلترا وتخصصه فى التربية يفيد بها ويؤلف فيها .

وأحمد زكى كيماوى كبير وأديب كبير مزج بين العلم والأدب كما يمزج السكر بالماء فأدب العلم وأعلم الأدب ، بينا تراه فى معمله بين الأنابيب والمحاليل إذ تراه على مكتبه يحلل المعاجم ويفكر فى وضع مصطلح أو يسلط خياله الأدبى على محصوله العلمى .

ومحمود شلتوت عالم فى الفقه الإسلامى واسع الاطلاع فى العلوم الشرعية على اختلاف ألوانها ، قد منح عقلا مرنا يقبل الجديد إن رآه صالحاً ويكره القديم إن رآه فاسداً ويصبو إلى الإصلاح ويدعو إليه جاهداً .

ومحمد شرف طبيب تبحر فى طبه لم يمنعه اطلاعه على آخر ماوصل إليه الطب الجديد أن يقف على الطب العربى القديم يقرأ كتبه ويختار مصطلحاته ويقوم قبل تكوين المجمع بشئ من أهم أغراض المجمع فيضع معجما ضخماً يبذل فيه مجهوداً ضخما ويضمنه ماوصل إليه بجهده من مصطلحات علمية . فمن أولى منه بالمجمع ؟

ومصطفى نظيف أستاذ فى الطبيعة ألف فيها كتابه الضخم فى « البصريات » ولايزال مرجع الباحثين فى البصريات إلى اليوم ، وعكف على دراسة علماء الطبيعة عند العرب يكشف نظرياتهم ويقرنها بالنظريات الحديثة فكان لنا منه البحوث المستفيضة فى « ابن الهيثم » وتوضيح نظرياته واستخدام مصطلحاته .

ومحمد فريد أبو حديد له ثقافة واسعة فى التاريخ والأدب عربيهما وغربيهما ، استطاع أن يسلط فنه على الأدب العربى فيخرج لنا منه قطعاً فنية ممتازة فى الملك الضليل والمهلهل وعنترة وزينوبيا وصلاح الدين فيخدم بذلك الأدب العربى خدمة جليلة . هذا إلى ما أفاد به المكتبة العربية عن طريق الترجمة كما فعل فى ترجمة الكتاب القيم لبتلر فى « فتح العرب لمصر » .

وعبد الوهاب خلاف أستاذ الشريعة الإسلامية فى كلية الحقوق واسع الاطلاع فى الفقه الإسلامى وأصوله ، وقد استفاد إلى دراسته العلمية من تجاربه فى القضاء ، وكان لنا منه فى ذلك كتب قيمة وبحوث فى السياسة الشرعية ومقارنتها بالسياسة المدنية ، هذا إلى ذكاء نافذ وأسلوب طلى .

هذا — أيها السادة — عرض سريع لهذه العشرة الطيبة وصفاتهم وأعمالهم ، وإن استقبال عضو واحد جديد وتحليله وتحليل أعماله لعمل عسير ، فكيف باستقبال عشرة كهؤلاء لهم ميزاتهم ولهم أعمالهم ؟

أنا على يقين من أنكم تشاركوننى الرأى فى الاغتباط بهم وتوقع الخير الكثير بمشاركتهم حقق الله آمالنا وآمالهم وأجرى الخير للمجمع على أيدينا وأيديهم والسلام عليكم ورحمة الله.

اللغة المثالية

كلمة الأعضاء الجدد

ألقاها حضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم مدكور

معالى الرئيس ، سادتى :

إن هذه المؤسسة التى ترعونها وليدة حاجة شعر بها العامة ولمسها الخاصة ، ومبعث أمل ترجيه مصر والشرق معها ، بل والبلاد الإسلامية على اختلافها ، وسبيل نهوض وتجديد يفتح على الناطقين بالضاد ألواناً من الألفاظ المستساغة والعبارات السليمة ، وييسر لهم وسائل التفاهم فى حياتهم العملية والعلمية ، ومنار هداية يجمع الناس على اصطلاحات مشتركة ، ودوال متفق عليها — وليس شئ أبعث على الاضطراب فى أمة من أن تضطرب فيها الألسنة والأقلام — ورمز خلود وأبدية ، فهى ليست مؤسسة الأمس واليوم فحسب ، بل ومؤسسة الغد المتكرر المستمر ، تعملون فيها باسم الزمن وتحت سلطانه ، ولكنكم كثيراً ماخرجتم على حدوده ومعالمه ، تلائمون بين الحاضر والماضى لتعدوا عدة صالحة للمستقبل البعيد .

ولقد قمتم عليها ثلاث عشرة سنة أو يزيد فى رعاية خالصة وحدب دائم ، واعتنقتم مبدأها فى إيمان راسخ وشغف عظيم ، فلم يقعد بكم عن السير أعاصير الحرب ولا هوجاء السياسة ، ولم يصرفكم عن غرضكم اعتراض جامح ولا نقد غير برئ . واستطعتم فى هذه الفترة القصيرة أن تذللوا كثيراً من الصعاب وترسموا المعالم وتحددوا المناهج ، وأصبحتم ولكم تقاليد ليس لنا إلا أن نسير عليها ونهتدى بهديها .

وإنا لنشكركم أصدق الشكر على تلك الكلمات الطيبة التى تفضل معالى الرئيس وحضرة الأستاذ أحمد أمين بك فشرفانا بها ، وتلك الصفات الكريمة التى أسبغاها علينا . وهذه حفاوة بالغة لا أظن أن هناك مايبررها اللهم إلا كرمكم ، وتشجيع مثير للهمم نعتز به وننتظره منكم .

وكيف لا وقد تتلمذنا جميعاً لكم مباشرة أو بالواسطة ، وليس شئ أحب إلى الأستاذ من أن يشجع تلاميذه ويأخذ بيدهم ، وكم يسعدنا أن نستأنف هذه التلمذة ، ونستعيد معكم عن قرب عهد البحث والطلب ، لاسيا وفى معهدكم دروس ما أنفعها وما أحوجنا إليها ، وأخصها بالذكر ثلاثة : عمل صامت وتعاون صادق ، واعتدال وحكمة .

فأما صمتكم فى عملكم فنغمة مريحة فى موسيقانا اليومية الملأى بالجلبة والضوضاء ، وإنتاجكم الهادئ نسمة وحيدة فى جونا الذى أفسدته الدعاية والإعلان . ولا أدل على هذا الهدوء وذاك الصمت من محاضر جلساتكم ، فإن من يطلع عليها يرى فيها نفائس آثرتم أن تخفوها زمناً وإن كانت قد استوفت بحثاً ،

وثماراً طيبة شئتم أن تحتفظوا بها حينا وإن كانت قد اكتملت نضجاً . وعبثاً حاول الجمهور أن يستثيركم وأن يستعجل نتائجكم ، بل قد يكون فى بعض التعديلات التى أدخلت على قانون إنشاء المجمع مايزنع إلى الخروج بكم إلى الحياة — كما يقولون — ولكنكم أبيتم إلا أن تعودوا إلى سنتكم وتركنوا إلى صمتكم وهدوئكم .

وأما تعاونكم فصادق وأكيد ، لأن مبعثه خير وأساسه حق ، التقيتم باسم الخير العام ، وتضافرتم فى سبيل البحث عن الحقيقة . وكم يبهرنا منظركم فى مؤتمراتكم وأنتم جلوس : المصرى إلى جانب العراقى ، والسورى يفسح للفرنسى ، والألمانى يؤازر الفرنسى ، لايباعد بينكم تعدد الوطن ولا يفرقكم اختلاف الدين مادامت الفصحى قد ربطتكم برباطها الوثيق. ولقد تخلف عن المصريين إخوانهم المشارقة والمستشرقون عام ١٩٣٩ ، فرأوا أن يؤجلوا دورتهم ويقفوا العمل من أجلهم.تتعدد لجانكم وتتشعب أبحاثكم ، ثم لاتلبثون فى برلمانكم هذا أن تلتقوا عند رأى واحد ، ولا شئ أعون على عظائم الأمور من تعاون صادق وتضافر أكيد .

وأما حكمتكم فواضحة تمام الوضوح فى آرائكم . واعتدالكم تشهد به قراراتكم . تتباينون وتتعارضون ، ويدافع كل عن وجهة نظره ، وإن أنس لا أنس ذلك النضال الرهيب والأخاذ الذى تابعناه فى حماس وتشوق والذى عقدتم بسببه جلسات عدة لتفصلوا فى متن اللغة ضيقاً وسعة ، وفى الكتابة العربية ووسائل تيسيرها ، صراع عنيف يؤذن بالحيوية ويترجم عما يصادفكم من صعاب . ولكم يخيل للبعيدين عنكم أن مسافة الخلف بينكم عظيمة ، ثم يدهشهم أن يحدوكم أخيراً قد انتهيتم إلى رأى جامع وكلمة سـواء . تواجهون القديم بالجديد ، وتقابلون بين ما أحله اللغويون وما حرموه ، ثم تخرجون من هذا بحلول معقولة وأحكام سليمة . فقلتم بالتعريب إلى جانب البحث عن نفائس الماضى واستخراج كنوزه ، وأجزتم النسب إلى جمع التكسير كما ينسب إلى المفرد . كل ذلك لإيمانكم بأن اللغات فى حركة دائمة وتطور مستمر ، وشعوركم بواجبكم نحو تيسير هذه الحركة وحماية هذا التطور .

• • •

أيها السادة :

لئن كان بعلم اللغات المقارن قوانين ، لمن أعمها وأصدقها أن اللغات جميعها تخضع لقانون السير والحركة والتغير والتحول ، شأنها فى ذلك شأن كل كائن حى ، فمن إعداد ونشأة ، إلى تشخص وتكون ، ثم إلى كمال ونضج . وقد يدور بها الزمن دورة معاكسة ، فتتضاءل وتتراجع وتضمر وتتكمش ، وتتفرق وتتشعب . فهل لها فى هذا السير أغراض تصوب إليها ومثل عليا تنشدها ؟ أم الأمر مجرد حركة عمياء لا هدف لها ولا غاية ؟

أما أن اللغات متحركة ومتغيرة فهذا مالا يعز إثباته ، ذلك لأن طبيعتها تقتضى الحركة والتغير ، والواقع يؤيدهما . ولقـد اختلف الباحثون فى طبيعة اللغة ، ففريق عدها ظاهرة نفسية خالصة ، وآخرون رأوها مجرد ظاهرة اجتماعية ، ولعلنا نكون أقرب إلى الصواب إن قلنا : « إنها تعبير عن انفعالات ووجدانات وأفكار وآراء بواسطة دوال

وأصوات أقرها المجتمع وأخذ بها » . فللوجدان والفكر نصيب فى حياة اللغة إلى جانب نصيب البيئة والمجتمع .

ومن ذا الذى يستطيع أن ينكر ما للانفعالات من أثر فى نشأة اللغة ، بل وفى نموها وكمالها ؟ فلغة الأطفال — أو اللغة الطبيعية — تكاد تكون مجموعة انفعالات متلاحقة تعبر عنها إشارات وحركات خاصة ، وهناك شعوب وقبائل بدائية لاتستطيع أن تتفاهم ليلا إلا إذا أشعلت النار كى تظهر إشارات الأيدى وحركاتها . ولاتزال حتى اليوم تستعين ، لإبراز معنى أو توضيح شعور بحركة اليد ونبرة الصوت ، وكم أملت العواطف والوجدانات على كبار الكتاب والشعراء صوراً ساحرة وتشبيهات بديعة .

والتفكير ينتهى دائماً إلى لغة ، بل لاسبيل إلى المنطق والسامى منه بدونها ، وقديماً قال أفلاطون جملة بقيت خالدة ، ألا وهى أن « التفكير كلام نفسى » . ولعل هذا يلتقى مع ماجاء على لسان شاعرنا العربى :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ولئن كان علماء اللغة لم يأبهوا كثيراً للصلة بين الفكر واللغة ، فقد تنبه لها الفلاسفة وعلماء النفس ، وشاءوا أن يجعلوا من الفكر لغة ومن اللغة فكراً . لهذا لم يكن غريباً أن تعرف « اللغة العالمية » لدى الفلاسفة والمناطقة قبل أن تعرف لدى اللغويين . من ليبنتز إلى كوتورا هناك مجهود متصل يرمى إلى حصر الأفكار الإنسانية وتحديد الألفاظ الدالة عليها بحيث نستطيع أن نخلق من ذلك لغة عالمية ليست « الاسبرنتو » إلا صدى لها .

وإذا كانت الوجدانات والعواطف والأفكار والآراء هى المدلولات ، فلا بد لها من دوال تبرزها وتعبر عنها . وإذا ماجاوزت هذه الدوال الحركات الفطرية استلزمت عرفاً واتفاقاً لاقيمة له إلا أن أقره المجتمع ورضى به . على أنه لابد للحركات نفسها من اصطلاح وتفاهم مشترك وإلا أصبحت مقصورة على صاحبها ولا مدلول لها ، فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الأصوات والعبارات . ومن هنا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية ونظاماً عاماً يخضع له الأفراد وإن حاولوا تغييره وتبديله ، وتبقى محاولاتهم جزئية وفردية إلى أن يقرها المجتمع ويمنحها نفوذه وسلطانه ، فلا وجود للغة بمعزل عن مجتمع يتكلم بها ويتفاهم فى ضوئها.

هذه هى عناصر اللغة : وجدان وعاطفة وفكر ورأى ، وبيئة ومجتمع ، أو إن شئت مدلولات ودوال . وكلها بلاشك متغيرة ومتحولة ، فالوجدانات والعواطف فى نشوء وارتقاء لدى الأفراد والجماعات ، وكم من عواطف إنسانية كحب الغير واحترامه لاتكاد تعرف لدى بعض القبائل الهمجية ، واليونان الذين خلفوا على الدهر فلسفة خالدة كانوا يعدون كل من وراء أثينا برابرة .

والأفكار تنمو بنمو العلم والدراسة ، وتعمق بطول البحث والتأمل ، وتتجدد بتجدد الكشف والاختراع ، وفى ذلك نمو اللغة وتقدمها . وقد أثبت الرحالة وعلماء الشعوب أن هناك قبائل لاتعرف الكليات والمعانى العامة ، وكل مالديها من ألفاظ إنما يدل على المحسات والجزئيات ، بينما التفكير الراقى إنما يعنى بالمبادئ والقضايا الكلية .

والحياة الجمعية فى تبدل وتغير ، فمن

همجية إلى آخذة فى التحضر ؛ ومن نصف متحضرة إلى موغلة فى الحضارة والمدنية، وكلما اكتملت حضارة أمة تعددت مرافقها وتنوعت اتجاهاتها وكثرت حاجاتها ، وأضحى لزاماً أن تسايرها فى كل ذلك لغتها ، فيتسع متنها وتزيد مفرداتها بالوضع أو الاشتقاق أو الاقتباس ، وتسمو أساليبها وتتباين فنون القول فيها ، فاللغة تولد فى المجتمع وتتغذى منه .

* * *

وليس بعزيز علينا أيضاً أن نلحظ حركة اللغات وتطورها فى ضوء الواقع والتاريخ ، فالإغريقية التى تعد من أجمل اللغات الإنسانية بدأت أول ما بدأت فى صورة لهجات عدة ورطانات متباينة ، تلاقت بحكم الجوار والاختلاط ، وتنافست فيما بينها واحتك بعضها ببعض ، ووقعت فى صراع عنيف تولدت عنه اللغة الإغريقية الحقة الغزيرة المادة الواضحة المنطق السهلة التركيب . وقد بلغت هذه اللغة قمتها فى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد فى العصر الذهبى للأدب اليونانى ، عصر تراجيديا سوفوكل وكوميديا أرستوفان وفلسفة أفلاطون وأرسطو . ثم أخذت تضعف وتتضاءل إلى أن دهمتها اللاتينية وطغت عليها ، وانمحت تقريباً فى ظلمات القرون الوسطى . وهاهى ذى تستعيد حياة أخرى تختلف دون نزاع عن حياتها القديمة ، وتظهر فى ثوب الإغريقية الحديثة التى يعالجها اليونانيون اليوم .

ولغتنا العربية لم تصل إلى ما وصلت إليه فى عصر المعلقات ، من غزل امرئ القيس ، وحماس مهلهل ، وفخر ابن كلثوم إلا بعد أن مرت بأدوار ومراحل إعداد وتكوين طويل ثم جاء الإسلام فهذب حواشيها ورقق عباراتها وصقل ألفاظها ، واستمرت تنمو وتغزر لفظاً ومعنى فى عهد الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية . ولكن الزمن يهدم ما بنى ، فدخلها الغريب والفاسد ، وأخذت تركد ركود المتخاطبين بها ، وما إن حل النصف الأخير من القرن الماضى حتى عادت تنشط وتنهض ، وتسلك سبل الحياة فى حماس وقوة .

والفرنسية لغة الوضوح والدقة ليست فى أصلها إلا ضرباً من اللاتينية الدارجة ، اختلط بعناصر جرمانية ، وتأثر ببيئة وظروف خاصة ، ثم أخذ ينشأ ويتكون على مر الزمن ، وقد قضى العشرة القرون الأولى للميلاد فى مرحلة هذه النشأة . وكان لابد أن ننتظر إلى القرن الحادى عشر لنرى الفرنسية القديمة فى صفاتها وخصائصها ، وكأنما كانت تنمو بنمو الأمة الفرنسية نفسها واتساع مجدها . وقد وصلت إلى قمتها فى القرنين السابع عشر والثامن عشر حين ظهر كبار الفلاسفة والكتاب والشعراء ، أمثال ديكارت وراسين ، وروسو ، وفولتير . وفى القرن التاسع عشر ظهرت فيها ألوان جديدة من النظم والنثر ، ومذاهب مستحدثة فى الأدب كالمذهب الرومانطيقى والمذهب الرمزى ، وهاهى ذى تسير فى طريقها إلى اليوم بين تنوع وتجدد وتحول وتغير .

* * *

الآن وقد وضحت أمامنا حركة اللغات فى عنفها وضعفها ، فى سرعتها وبطئها فإنه يحق لنا أن نتساءل إلام ترمى هذه الحركة ، وهل لها غايات تهدف إليها ومثل عليا تريد تحقيقها ؟ وإن كانت فما هى ؟

يظهر أن المذهب المثالى قد وجد سبيله إلى العلوم الإنسانية على اختلافها ، فللأخلاق مثلها كما أن للفنون والآداب مثلا من نوعها . وأخذ الباحثون فى هذه النواحى يقابلون ما هو كائن بما ينبغى أن يكون ، وليتهم رسموا مثلهم العليا فى ضوء الواقع والواقع وحده ، إذن لبدت عملية يسيرة المنال ، ولكنهم أبوا الا أن يرسلوا فيها خيالهم ويمعنوا تفكيرهم فأخذ الناس يتعشقونها ، ولكن هيهات أن يصلوا إليها . وإذا كان افلاطون قد بذر بذور المثالية فى التاريخ القديم ، فإن كَنت غذاها ونماها فى التاريخ الحديث .

ولهذه المثالية شأنها لدى علماء اللغات فقد كان معظمهم يعتقد حتى خمسين سنة مضت أن لكل لغة مثلا أعلى تصل إليه أو تقاربه يوماً ما ، وهذا المثل وحده هو الذى يجب أن يحاكى ويحتذى ، بل هو اللغة بمعناها الكامل ، وهو فى الغالب وقف على اللغات القديمة ، أو إن شئت عبارة أدق على عصور سبقتنا . وللقديم دائماً حرمته وقداسته ، فليس ثمت إغريقية إلا تلك التى جرت على لسان أفلاطون وأرستوفان ، ولاعربية إلاتلك التى عرفت فى الجاهلية والإسلام إلى صدر الدولة العباسية ، ولافرنسية إلا تلك التى دونتها مؤلفات القرنين السابع عشر والثامن عشر . وإذا لم يراع المصرى اليوم — وفى القرن العشرين — أوصاف طرفة وتشبيهات بشار بن برد ، فهو ليس بفصيح ، بل ولا بعربى .

ويخيل إلى أن هذا الفريق يخلط بين اللغة والأدب ، ويتجاهل طبائع اللغات والمجتمع معا ، فاللغة شيء والأدب شيء آخر ، فقد يضعف الأدب فى أمة ، ولكن تبقى لغتها وسيلة للتعبير والتفاهم بقدر ما يتيسر لها . على أن اللغة نفسها فى حركة دائمة وتاريخها مجموعة أحوال متعاقبة ، وليس ثمت كمال مطلق فى عالم اللغات ، ولاتقديس لعصر بعينه ، وكل مافى الأمر رقى وكمال نسبى : وأكمل اللغات وأمثلها ما حاكى العصر وتلاقى معه فى يسر كل حاجات المجتمع العملية والعلمية.

* * *

أيها السادة :

إن اللغات فى حركة مستمرة فمن العبث أن نعترضها ونقف فى طريقها ، أو أن نفرض عليها قوالب جامدة لاتلبث أن تخرج عليها ، وإن الصورة المثالية القديمة التى كانت تفرض للغات لايقرها العلم المعاصر ولايقول بها ، فقد أصبح يدعو إلى مثالية أخرى عملية ونافعة فاللغة المثالية هى تلك التى تصدر عن روح العصر وتتمشى مع حاجاته ومطالبه على أخصر صورة وأوضح مظهر ، ذلك لأنا فى جيل ينشد الاقتصاد والسرعة فى كل شئ ، وينفر من تلك الألفاظ والعبارات التى تعوق تفكيرنا وحركتنا ، هذا إلى أننا نتعشق الوضوح الذى تمليه الديمقراطية وتقضى به الحياة الحرة الصريحة .

أيها السادة :

لقد شاء زملائى فيما يظهر أن ينيبوا عنهم أصغرهم ، كى يستدروا عطفكم ويطمئنوا إلى سعة صدوركم ، فمعذرة إن كنت قد أطلت فأمللت ، أو عبرت فأخطأت ، والسلام عليكم ورحمة الله .

جلسة افتتاح المؤتمر

حددت الساعة الحادية عشرة من صباح يوم السبت ١١ من صفر سنة ١٣٦٦ هـ . الموافق ٤ من يناير سنة ١٩٤٧ م . موعداً لافتتاح مؤتمر المجمع ، وقد دعى إليه حضرات الأعضاء المقيمين بمصر والمقيمين فى الخارج فاعتذر من التخلف عن الحضور حضرة العضو المحترم الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب لعدم تمكنه من الحضور ، والأستاذ عيسى اسكندر المعلوف لمرضه ، والأستاذ هـ. ا. ر. جب لأن موسم العمل بجامعته لا يسمح له بالتخلف . ولم يحضر من الخارج الأستاذ الأب أنستاس مارى الكرملى والأستاذ الدكتور ا. فيشر ، والأستاذ ا. لتمان . واعتذر من التخلف عن شهود هذه الجلسة حضرات الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيس المجمع والأستاذ عبد العزيز فهمى لانحراف صحتهما ، والدكتور عبد الحميد بدوى لوجوده فى الخارج ، والأستاذ أنطون الجميل والدكتور على إبراهيم وحايم ناحوم والأستاذ على الجارم .

وكان قد دعى إلى جلسة الافتتاح طائفة من العلماء والأدباء والمشرفين على التعليم ، وأساتذة المعاهد والكليات ، فلبى الدعوة كثير منهم .

وكذلك شهد الجلسة ممثلون للإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية لإذاعة مايلقى فى الجلسة من الخطب .

وفى نحو منتصف الساعة الثانية عشرة أعلن حضرة الدكتور فارس نمر رئيس الجلسة النائب افتتاح الجلسة ، فوقف حضرة الدكتور عبد الرزاق السنهورى وزير المعارف وألقى كلمته ، ثم تلاه حضرة الرئيس النائب فقال إنه يعتذر عن تأخير افتتاح الجلسة بمثل ما اعتذر به كبير إنجليزى إذ حضر الحفلة التى دعى إليها بعد حلول الوقت المحدود فقال للمحتفلين « إن اللوم ليس على ولكنه على صادراتكم ووارداتكم وضيق شوارعكم ». ثم قال حضرته : اعذرونى فقد كنت مقدراً أن أصل قبل الوقت بنصف ساعة ، فوصلت بعده بنصف ساعة لأن سيارتى تعرضت للاصطدام فى طريقى مرتين ، وعلى أية حال فانى لو لم أصل متأخراً لوصلت محمولا على الأعناق .

ثم قال حضرته : لقد كان الموقف لحضرة رئيس المجمع أحمد لطفى السيد ، ولكنه تخلف لمرضه شفاه الله . فأنا الآن ألقى كلمته.

وهنا تلا حضرته الكلمة المرافقة ، وبعد الفراغ منها قال :

يجمل بنا ونحن نرحب بزملائنا الجدد وإخواننا القادمين من الخارج ألا ننسى زملاءنا القدماء الذين سبقونا إلى العالم الآخر ، أولئك الذين كانوا من أركان المجمع ، ومن

أشد الناس غيرة على تحقيق أغراضه وأعظمهم حماسة فى خدمة اللغة ، ويجمل بنا أن نترحم عليهم وأن نذكر فى هذه المناسبة فضلهم : لقد فقدنا الشيخ حسين والى والشيخ أحمد الإسكندرى والأستاذ نلينو وعبدالقادر حمزة باشا ومحمد توفيق رفعت باشا والشيخ محمد مصطفى المراغى وأحمد إبراهيم بك ، وكان لكل منهم فى خدمة هذا المجمع أثر مشكور فرحمهم الله رحمة واسعة ، وأحسن العوض عنهم بحضرات الزملاء الجدد .

ثم وقف حضرة الأستاذ الدكتور منصـــور فهمى كاتب سر المجمع فألقى كلمته . وتبعه حضرة الأستاذ الدكتور طه حسين فألقى كلمته ، وتبعه حضرة الأستاذ السيد محمد كرد على فألقى كلمته ، وتبعه حضرة الأستاذ ل. ماسينيون فألقى كلمته .

وكانت الساعة الأولى بعد الظهر ، فأعلن الرئيس النائب انتهاء الجلسة .

كلمة حضرة الدكتور عبد الرزاق السنهورى

وزير المعـــارف

سيدى الرئيس ، زملائى المحترمين

سيداتى ، سادتى :

يسرنى ويسعدنى أن أشهد انعقاد هذا المؤتمر لا بوصفى وزيراً للمعارف فحسب ، بل أيضاً بوصفى زميلا لكم ، يعتز بهذه الزمالة ويفخر بها . ومن حسن التوفيق أن يكون أول مؤتمر أحضره بصفة رسمية مؤتمراً تربطنى به أوثق الصلات . وهل هناك صلة تربط الفرد بالهيئة أوثق من صلة العضوية أى صلة الجزء بالكل؟

وإذا كان قد فاتنى شرف الاستقبال الذى تفضلتم بتبيلته لزملائى الأعضاء الجدد فى وقت كنت متغيباً فيه عن مصر ، فلا تفوتنى هذه الفرصة السانحة لأجتمع إليكم ، وأسعد بلقياكم ، وأرحب بكم ، وأتحدث إليكم قليلا فى هذه الرسالة السامية التى أرصدتم أنفسكم القيام بها ، وهى مواصـــلة جهودكم الموفقة المثمرة فى خدمة لغتنا العربية .

ويطيب لى أن أتحدث إليكم زميلا . وقد أكون اخترت بذلك أشق الأمرين ، ولكنى أعتمد على واسع حلمكم ، ومن حق الزميل على زملائه أن يغفروا له بعض الزلات ، مادام لايتقدم إليهم باحثاً محققاً ، وإنما هى أفكار سريعة عابرة جالت فى الخاطر عندما جلست لأعد هذه الكلمة الموجزة .

سادتى :

إن مجمعنا الموقر هو حارس اللغة العربية والقائم عليها . يحرسها ليحافظ على سلامتها ، ويقوم عليها ليجعلها ملائمة لحاجات الحياة فى عصرنا الحاضر .

هذان هما الغرضان ا

فهل هناك تعارض بين الم

اللغة وجعلها ملائمة لحاجات

نعم هناك تعارض إذا حسبنا أن اللغة شيء يخلق منذ البدء كاملا ، فلا يكون بعد ذلك قابلا للاستكمال . والمحافظة على سلامة اللغة تكون إذن بالإبقاء عليها كما هي فى الحاضر ، بل باستبقائها كما كانت فى الماضى . ويصبح فى النظر عندئذ أن لغة الماضى تبقى لغة الحاضر ، ثم تكون هى نفسها لغة المستقبل . ويصبح العمل على جعل اللغة ملائمة لحاجات العصر أمراً ليس له معنى ، مادامت اللغة قد ولدت مستكملة الأسباب ، مستوفية الألفاظ والمعانى . فهى لغة العصر ، ولغة كل عصر ، فما حاجتها للملاءمة مع أى عصر ؟ ويصبح التعارض بين المحافظة على سلامة اللغة وجعلها ملائمة لحاجات العصر أمراً ظاهر البداهة .

ولكن الواقع من الأمر أن التعارض غير موجود . والمحافظة على سلامة اللغة لا تنفى أن اللغة دائمة التطور ، بل إن سلامة اللغة لاتكون إلا فى هذا التطور . فهى إذا بقيت جامدة لاتلبث أن يتقلص ظلها وتضمر ، ثم تندثر وتموت . وإذا أريد للغة السلامة فلا تكون السلامة فى جمودها ، ولكن فى احتفاظها بأصولها الأولى ومقوماتها الأساسية ، ثم هى بعد ذلك ، وفى هذه الحدود ، حرة طليقة ، تماشى الحياة ، وتجارى الزمن .

هذه حقائق معروفة لكم ، وإذا كنت قد ذكرتها فى هذا المقام فلست أقصدها لذاتها ، ولكن لأستخلص منها نتيجتين منطقيتين :

النتيجة الأولى تتعلق بتحديد معيار لسلامة اللغة . فاللغة لاتكون سليمة إلا بالقدر الذى تتصل فيه بالعصر القائم . وآية السلامة فى اللغة هى ألا تكون هناك مجافاة كبيرة بين لغة الخاصة ولغة العامة . وكلما اقتربت لغة الخاصة من لغة العامة كان هذا علامة على سلامة اللغة . وكلما تباعدت اللغتان ، وانفرجت مسافة الخلف بينهما ، كان هذا دليلا على مرض اللغة وسقمها وحاجتها إلى العلاج السريع . والعلاج لايكون إلا بتضييق مسافة الخلف بين اللغتين ، إما بارتفاع لغة العامة إلى لغة الخاصة ، أو بنزول لغة الخاصة إلى لغة العامة ، أو بالأمرين معا حتى يتقابل الاثنان فى منتصف الطريق . وتضييق مسافة الخلف مابين اللغتين هو فى نظرى أول واجبات المجامع اللغوية .

وهناك علامة أخرى على سلامة اللغة ، هى اختلاف لغة الحاضر عن لغة الماضى . فإذا كثرت الفروق بين حاضر اللغة وماضيها دل هذا على مطاوعتها للتطور ، وأثبت حيويتها وبشر بصلاحيتها للبقاء . وإذا قلت هذه الفروق ، فإن هذا معناه استعصاء اللغة على التطور ؛ وكان ذلك دليلا على جمودها ، ونذيراً باقترابها من الفناء .

فلسلامة اللغة إذن علامتان : اقتراب لغة الخاصة من لغة العامة ، وابتعاد لغة الحاضر عن لغة الماضى .

والنتيجة الثانية التى تستخلص من الحقائق التى قدمتها تنبنى على النتيجة الأولى ، وتتعلق بتحديد مهمة المجامع اللغوية . فإننى أعتقد أن مهمة هذه المجامع ليست هى الخلق والإبداع بل هى الإثبات والتسجيل . وعندى أن أعظم المجامع اللغوية نجاحاً هو أكثرها تواضعاً ، وأقلها ابتكاراً . هو ذلك المجمع الذى يتجنب ما أمكن ذلك أن يبتدع لفظاً جديداً ، أو أن يحيى كلمة ميتة . وإنما يقتصر ما استطاع على إثبات لفظ حى . فهو إنما يقف من الألفاظ

عند القائم منها الذى تجرى به الألسن ، ويقع به التفاهم . ثم يعمد بعد المقارنة والمفاضلة والترجيح إلى تسجيل ما اختاره من ذلك ، يسجله كما هو أو مع تحوير بسيط قد تقتضيه صناعة اللغة . وليست مهمة التسجيل هذه بالمهمة اليسيرة وإن بدت كذلك فى ظاهرها فهى تقتضى الذوق السليم ، والحس المرهف واليقظة البالغة .

هذه أفكار عاجلة جالت بخاطرى عندما دعيت لإلقاء كلمة الافتتاح هذه ، فرأيت أن أفضى إليكم بها ، راجياً منكم المعذرة إذ لم يتسع الوقت لإجالة النظر فيما قدمت . وعذرى إليكم وقت ضيق ، وعمل مرهق ، تعاونا على وقوفى عند هذا الحد من التحقيق ، وعلى أن أتقدم إليكم بآراء قد تكون فطيرة لم تختمر .

ولم يبق لى بعد ذلك إلا أن أدعو لكم بالتوفيق فى عملكم الجليل ، سائلا الله أن يحقق على يديكم للغة العربية الخير الكثير

كلمة حضرة الأستاذ أحمد لطفى السيد

رئيس المجمع

أيها السادة :

أعلن افتتاح المؤتمر محيياً حضراتكم جميعاً متمنياً لزملائنا القادمين من الخارج طيب المقام . ولا ريب أنى أعرب عن شعورنا جميعاً حين أشير إلى ابتهاجنا بتلاقى صفوة من العلماء أخلصوا سعيهم لخدمة اللغة فى هذا المجمع ، ورضوا لوجه العلم والنهوض بالواجب الذى رسموا لأنفسهم أهدافه ألا يبالوا بعد المزار ومشقة الأسفار .

ولقد أخبرتكم فى مفتتح المؤتمر الماضى بأن المجمع اقترح على الحكومة زيادة الأعضاء العاملين فى المجمع ، لاتساع نطاق العمل وتشعبه ، ويسرنى اليوم أن أبلغكم أن الحكومة قد استجابت لهذه الرغبة وأننا قد استقبلنا منذ قليل عشرة أعضاء جدد صدر المرسوم الملكى بتعيينهم ، ويقينى أن المجمع واجد منهم كريم المؤازرة والعون .

ولما كان فى طليعة أهداف المجمع أن يكون جهده لخير اللغة عاماً بين أبناء اللغة فى مختلف البلاد العربية وسواها فقد حرص المجمع بمعونة أعضائه فى الخارج على أن يعرض أعماله على الهيئات العلمية وجمهرة العلماء والفنيين فى الشام والعراق وغيرهما وهو يتلقى ملاحظاتهم ويدرسها فى اللجان المختصة ثم يعرضها على المؤتمر .

ومما يدل على أن هذا الغرض الكبير قد بدأ يتحقق منه قدر جدير بالاطمئنان أن وزارة العدلية فى الحكومة العراقية حين وضعت مشروع قانونها المدنى ضمنته بعض ما أقر المجمع من مصطلحات هذا القانون . وقبلته فى كثير من مواده ونشرت كتيباً خاصاً بما وضع المجمع من مصطلحات القانون المدنى .

وجلى أن فى هذا وفى ذلك من التعاون

العلمى المنشود ما يستبشر به المجمع ثم هو من ناحية أخرى تأييد للجامعة العربية التى تعد اللغة العربية ركناً كبيراً من أركانها .

وسيجمل لكم سعادة الدكتور منصور فهمى باشا كاتب سر المجمع ما جرى البحث فيه خلال السنة الماضية ، ولعل هذا الإجمال يصور لكم مايضطلع به المجمع من الجهد .

وأكبر الرجاء أن يوفق المؤتمر فى إنجاز مابين يديه من الأعمال .

كلمة حضرة الدكتور منصور فهمى

كاتب سر المجمع

إذا كان من المرعى لكاتب سر المجمع أن يعيد على أسماع زملائه من المجمعيين ما أفعمت به أسماعهم مراراً ، وأن يمارس ذنب الترجيع والإعادة وحرج التكرار ، فقد يخفف ذنبه أن مايردده هو من صنع هؤلاء الزملاء ، وعليهم أن يحتملوا وقعه ، أو أن يستسيغوه إذا كان لهم فيه مايستساغ .

ولعل أول مايتردد على اللسان أن أرحب بزملائنا القادمين الذين نرجو لهم فى حلهم وترحالهم طيب الإقامة والسلامة والتوفيق .

لكن أحق ما أخشاه أن أشق على حضرات المدعوين ، وأشغل بالهم ، بعرض يصور النشاط المجمعى ويبدو هذا العرض طويلا مملا أو أن أرجع صوتاً قد يبدو مسئيا لوحدة نغمته ورتابة نبرته .

وإنه مهما يكن من تموج النشاط لمجمع لغوى ، فهو لايخرج عن تصيد للصيغ الصوتية التى تنسجم مع المعانى الروحية ، ولايتجاوز توفيق اللفظ الدال للشىء المدلول ، ولايخرج عن وضع الفكر المصقول فى الطلى المقول ، ولايتخلف عن تنسيق الكلام فى حركاته وأوضاعه مع حركة الفكر بحيث تأتلف الحركات فى نظام موسيقى تتلاقى فيه الأحلام بالأحلام ، وتتجاوب فيه الأفهام بالأفهام ، وتتعارف فيه عندئذ الألباب والأرواح من خلال الصور والأشباح .

وإنه مهما يكن من تنوع أساليب المجمعيين وطرائقهم فى العمل لخير اللغة ، فإن أساليبهم وطرائقهم تنتهى إلى تعاون وثيق بين صاحب التفكير وصاحب التعبير ليكسوا الوليد النفسى لفائف يستريح فيها ، ويستكن بين طياتها ؛ فيصمد معها للتــداول ويتقى بها لفحات الأحداث وأخطار الغير .

وإنه مهما يكن من تنوع فى الخطوط والإشارات التى يتضمنها الحديث فى أعمال المجمع ، فإنها تنبسط وتنقبض وتغدو وتروح فى إطار محدود وفى نطاق ضيق ، وفى حد الإطار ماقد تضيق به صدور المستمعين .

لكنهم قديماً قالوا « لايسلم قاطف الورد من الشوك » ، فإذا كان فى حديثى مايشق سماعه فليصبر المستمعون قليلا ، وماهى إلا دقائق حتى يسمع الحاضرون من زملائنا مافيه أحسن الجزاء لمن صبروا ، والعاقبة للصابرين.

على أنه إذا كان على أن ألخص أعـــمال

المجمع فى دورة عام ، وإذا كان فى طبيعة التلخيص أن يتعرض لمواضيع الخلل فقد آثرت أن أتلافى بذلك ما قد يصيبكم إذا أنا أفضت من دوافع الملل . وقد أجيز لنفسى أن أتحسس آراء الناس وأشير إلى منزلة المجمع من نفوسهم . ولعله يسر المجمعيين الذين يستقلون جهود أنفسهم تواضعاً أن يجدوا فى الجمهور على اختلاف وجهاته ومداركه من يقصدون إلى المجمع لاستفتائه ، ويستقبلون أعماله بإجلال ويذكرونها بإكبار ، وكثيراً ما سأل السائلون أهل المجمع وعماله عن تصحيح عبارات وتقدير مصطلحات وتقويم أساليب وما إلى ذلك مما يظهر حاجة أناس يجدون أن المجمع لها هو محط الرحال وكعبة الآمال ، والمجيب عن السؤال . فأهل العلم والأدب يتصلون بالمجمع ويغتبطون بجهده المشكور ، وأهل الصناعة والفن يقدرون مايصيبهم من عملة الموفور ، حتى أهل الفكاهة والدعابة فلرصيدهم على حساب مجمعنا لطيف الفكاهات وطريف التندرات . فالمجمع إذن يتصل بالحياة العامة على اختلاف ألوانها ، وله أن يغتبط حين يشهد انتفاع الجادين بجهوده ، كما أنه لايضره أن يتنادر الظرفاء المتفكهون على حسابه . ولعلنا لاننسى قصة الشاطر والمشطور وحكاية الإرزير والعرعور ، فنفع الله الجادين المتنفعين ، وعفا الله عن الظرفاء والمتفكهين .

ولقد قالوا قديماً «إن خير الناس أنفعهم للناس» ، وهل الإنسانية فى حقيقتها إلا معان وعقول ، وهل الناس فى حقائقهم إلا نفوس وفكر متلاقية متعارفة متآلفة فى سبيل العلم والحقائق ، وهل يتجلى العلم إلا فى مصطلحاته وتشرق الحقائق إلا فى أثوابها الوضاحة الصالحة وهل عمل المجمعيين اللغويين إلا عرض المعنى الدقيق فى اللفظ الأنيق ؟ فأنتم فى وضعكم أيها المجمعيون من خير الناس للناس .

أيها السادة :

إن أعمال المجمع فى دورته الماضية لم تخرج عن نطاق المصطلحات والاقتراحات والبحوث والتشجيع الأدبى .

ولما رأى المجمع سيل الحضارة يتدفق بمعانى المخترعات والمبتكرات مما لا عهد به للعروبة فى فترة الركود والجمود الذى قضت به ظروف الزمن والأحوال ، ولما رأى مع ذلك تكاثر الصيغ الأعجمية كثرة تزحم معاهد التعليم وتحتل ألسنة المثقفين ، أفزعه ما رأى من الأمر فوجه الكثير من همه إلى المصطلحات العلمية ووقف عليها الكبير من وقته لسد الحاجة فى معاهد التعليم قبل أن تغمرها الأصوات الأجنبيــة غمراً لايسهــل درؤه . ومن الحزم أن يستدرك البلاء قبل وقوعه اتعاظاً بما فعلته السمكة الكيسة التى ذكر قصتها بيدبا الفيلسوف : «فقد زعموا أن غديراً كان فيه ثلاث سمكات : كيسة وأكيس منها وعاجزة ، وكان ذلك الغدير بنجوة من الأرض لايكاد يقربه أحد ، وبقربه نهر جار ، فاتفق أنه اجتاز بذلك النهــر صيادان فأبصرا الغــدير ، فتواعدا أن يرجعا إليه بشباكهما فيصيدا مافيه من السمك ، فسمعت السمكات قولهما ، فأما أكيسهن فلما سمعت قولهما ارتابت بهما ، وتخوفت منهما ، فلم تعرج على

شىء حتى خرجت من المكان الذى يدخل فيه الماء من النهر إلى الغدير ، وأما الكيسة فإنها مكثت مكانها حتى جاء الصيادان فلما رأتهما وعرفت مايريدان ذهبت لتخرج من حيث يدخل الماء ، فإذا بهما قد سدا ذلك المكان فحينئذ قالت : فرطت وهذه عاقبة التفريط فكيف الحيلة على هذه الحال ؟ وقلما تنجح حيلة العجلة والإرهاق ، غير أن العاقل لايقنط من منافع الرأى ، ولاييأس على حال ولايدع الرأى والجهد . ثم إنهـا تماوتت فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة وتارة على بطنها ، فأخذها الصيادان على الأرض بين النهر والغدير ، فوثبت إلى النهر فنجت . وأما العاجزة فلم تزل فى إقبال وإدبار حتى صيدت » .

ولعل المجمع أيها السادة أبى أن يكون كتلك السمكة العاجزة التى لم تدبر البلاء قبل وقوعه ، وفوتت فرصة الخلاص ، فأخذ على نفسه وضع الدوالّ والأسماء قبل أن يزداد انهمار الألفاظ الدخيلة بيننا وتطغى علينا الأساليب الرخيصة الركيكة فلا يستطاع ردها ودفعها . وعلى ذلك أولى المؤتمر الفائت فى دورته السالفة عنايتـه الكبرى للنظر فى الملاحظات التى وردت فى مصطلحات علوم القانون والجرائم . وأثيرت فى الدورة نفسها مناقشة فى تحديد المصطلحات التى تعرض على المجمع تحديداً مقيَّداً لتكون هذه المصطلحات بحدودها الدقيقة أدوات للمعجم الكبير والتأهب لوضعه ، ورأى المجمع التريث فى ذلك حتى يقطع شوطاً أطول فى وضع هذه المصطلحات وإنجاز الكثير منها سداً للحاجة الملحة البادية فى معاهد التعليم ، من صوغ المصطلحات العلمية ووضعها فى الصيغ العربية السليمة اعتماداً على شرح الخبير حين ييسر للغويين وضع المصطلح وبعد هذا الشوط يؤخذ فى تقييد الحدود ووضع التعاريف . ولم تخل الدورة من اقتراحات لحضرات الزملاء تدور حول مايتخذ من الوسائل لتنشيط الإنتاج اللغوى والأدبى ولاحاجة لتناول التفصيل فى هذه الاقتراحات فموضع ذلك فى مظانه بالمجمع لمن يريد التفصيل

وبجانب ماحقق من الأعمال فى سبيل المصطلحات ، وماتخلف عن المقترحات فى أساليب النشاط المجمعى ، قام بعض زملائنا ببحوث وثيقة الصلة بأغراض المجمع لإحياء كلمات يصح أن تجرى فى شئون الحياة الحديثة وأمور الحضارة ، ومن هذه المباحث ما اتصل بوجبات الطعام وموازنتها بمـا عند الغربيين من المعانى الخاصة بذلك واستخراج ماهو مستور من فصيح الكلام فى هذا الموضوع وعلى المستزيد من التوضيح أن يرجع إلى إدارة المجمع كيفما أراد .

ولما انتهى المؤتمر من أعماله واقتراحاته وبحوثه بغد نحو شهر ونصف استأنف مجلس المجمع انعقاده الأسبوعى فى حدود ما أودعه المؤتمر من التوجيهات ، وأتم النظر فى نحو ستمائة مصطلح فى الكيمياء وعلم الأمراض . ولبى المجلس دعوة من وزارة المعارف لتخير ممثل له فى الشعبة المصرية لهيئة الأمم المتحدة ، كما لبى دعوة المؤتمر الطبى العربى المنعقد فى مدينة حلب وقدم ممثل المجمع تقريراً يتضمن أن الرأى البادى الرجحان عند المؤتمرين المشتغلين بالاصطلاحات الطبية هو إيثار اللفظ العربى وألا يلجأ إلى التعريب إلا عند الضرورة وقد حصل ممثل المجمع على معجم مخطوط فى

أمراض الجلد من وضع الطبيب داود الجلبي الموصلي تجلى فيه مجهود الواضع فاختاره المجمع عضواً مراسلا .

أيها السادة :

إذا كنا قد ألمعنا فى نظرة مختصرة لما دار فى المؤتمر والمجلس ، فلا يفوتنا أن نشير إلى ماقامت به اللجان : فاللجنة الطبية أعدت نحو ثلاثة آلاف مصطلح فى علوم الوظائف والأنسجة والكيمياء الحيوية والأمراض ، وفرغت لجنة الكيمياء من طائفة من مصطلحاتها أما لجنة الأصول فبعد أن تم طبع ما قيل حول تيسير الكتابة العربية ووزع فى البلاد على المتسابقين وغيرهم ، فإنها تنتظر حتى آخر مارس من هذا العام ، إذ هو الموعد المضروب للنظر فيما ورد وفيما يرد من مشروعات المتسابقين ، وأما لجنة الأدب فقد توجت عمل الشاعر الكبير الأستاذ خليل مطران بجائزة وهى الآن تتابع النظر فى مسابقات لتشجيع الإنتاج الأدبى . وأما لجنة المعجم الوسيط فهى موشكة أن تنتهى من عملها فى العام القادم . وأما لجنة معجم ألفاظ القرآن فقد انتهت من وضع القواعد العامة وإعداد النماذج التى تسير عليها وترجو أن يخرج معجمها فى الزمن المطلوب . وأما لجنة ألفاظ الحضارة الحديثة فهى سائرة فى استخراج الألفاظ وستقدم إلى المجمع عملها بعد أن يتوفر لديها طائفة صالحة . وقد طالت غيبة مجلة المجمع لأسباب تتصل بشئون التموين من الورق ولكنها الآن فى طريق الظهور . ولعل المجمع فى كامل هيئته ولجانه كان يتشوق لأن توصل بجهوده جهود طائفة من خيرة المشتغلين لتحقيق أغراضه ، فعمل على أن يوطد صرحه بزملاء من أجلة العلماء والفضلاء ، فظفر بموافقة الحكومة على أن تمده بعشرة مباركة ممن يعتز المجمع باتصالهم به ورحب بمقدمهم فى جلسة علنية أعدت لذلك . والمجمع يرجو أن يكون منهم لتنشيط أعماله خير معين .

ولقد أعد للعرض فى هـــذا المؤتمر ملاحظات على ما أقره المجلس من المصطلحات كما أعد له مسائل للنظر فى معجم الدكتور فيشر الذى انقطع العمل فيه منذ اضطر صاحبه للغياب عنه بسبب قيام الحرب الماضية ولعل الظروف تتيح عودته فى القريب العاجل لاستئناف العمل فى المعجم . وسيفسح المؤتمر مجالا للنظر فيما قد يكون عنّ لحضرات أعضائه من مختلف المقترحات .

أيها السادة :

هذه صورة إجمالية لما دار فى المؤتمر والمجلس واللجان ، ومثل المجمع فى هيئاته المتواصلة وما يتتابع عليه من الأعضاء والعاملين والمتصلين به كمثل ذلك الحوض المطهر يندفع إليه سلسال من الماء ويصدر عنه مقطراً نقياً سائغاً للشاربين ، وقد يتقطر هذا الشراب السائغ سريعاً أو بطيئاً وفقاً لمقتضيات الظروف ولقد يدفع الدهر إلى المجمع مجرى من النشاط الفكرى فى مختلف الصيغ والأساليب المشوبة ، ويدأب المجمع ويكد فى تصفيتها من الشوائب ويصدر للناس ما يرتشفونه من ذلك المصفى المستطاب .

فن من الشعر يتطور بأعين الناس

كلمة حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين

لن أجمع عليكم أيها السادة بين الثقل والطول فالحديث الذى أريد أن أسوقه إليكم الآن لا يخلو من ثقل ثقيل ، لأنه عن فن من أغرب فنون الشعر العربى وهو فن الرجز .

وهذا الفن كما ذكر فى برنامج هذه الجلسة قد تطور بأعين التاريخ . أريد أن التاريخ المعروف الذى نستطيع أن نتتبعه وأن نستقصيه قد رأى تطور هذا الفن كيف تقدم وكيف ارتقى حتى بلغ أوجه وكيف تأخر شيئاً فشيئاً حتى انتهى إلى ما هو عليه الآن . على حين أن غيره من أنواع الشعر قد فاتنا أوليته فلم نعرف كيف نشأ وإنما صادفناه فى أواخر العصر الجاهلى وأول العصر الإسلامى كاملا مستتماً .

والذى نعرفه عن الرجز أنه فى العصر الجاهلى كان فناً من فنون الشعر الشعبى لا يحفل به الشعراء ولا يقفون عنده ولا يلتفتون إليه ، وإنما كان شيئاً أشبه بالزجل أو بهذه المواويل التى يتغنى بها العمال حين يعملون ويتغنى بها حملة الأثقال والدافعون لما يشق دفعه . وقلما كان الجاهليون يصطنعون الرجز حين كانوا يقدمون على الحرب وإنما كانوا يصطنعون نوعاً آخر من الشعر هو الهزج .

وربما كان من الأمثلة التى تصور الرجز فن العمل والعمال وحمل الأثقال واحتمال الجهود هذه القطعة القصيرة التى كان المسلمون ينشدونها وهم يحتفرون الخندق فى غزوة الأحزاب والتى يروى ابن سعد وغيره من أصحاب السيرة أن النبى عليه الصلاة والسلام كان ينشدها وهو يحمل الأحجار وقد رفع ثوبه حتى بان بياض بطنه :

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

ويختلف العلماء القدماء فى قيمة الرجز فيرى بعضهم أنه ليس شعراً ويستدلون على ذلك بأن النبى أنشده . وفى القرآن (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) .

فإنشاد النبى للرجز دليل عندهم على أن الرجز ليس شعراً ، ويذكرون أن النبى عليه الصلاة والسلام أنشد مرة أخرى :

هل أنت إلا أصبع دميتِ
وفى سبيل الله ما لقيتِ

وغيرهم يرى أن الرجز فن من فنون الشعر والنبى عليه الصلاة والسلام لم يعلم الشعر ومعنى لم يعلم الشعر أنه لم يعلم قول الشعر وإنشاءه فأما أن ينشد البيت أو البيتين فليس يعد هذا تعليما ولا قولا للشعر .

مهما يكن من شىء فقد كان الشعراء فى العصر القديم يحتقرون الرجز ويزدرونه وظل الشعراء كذلك فى العصر الإسلامى يحتقرونه

ويزدرونه ولكن بين النوعين من الاحتقار فرقاً .

فالشعراء الجاهليون يزدرون الرجز لأنه لم يكن من الفنون التى ارتقت بحيث تصور الفن العالى كما نزدرى نحن الآن بعض الشعر الشعبى ، والإسلاميون يزدرونه لأنهم كانوا يغارون من الرجاز ويرونهم منافسين لهم . زاحموهم فزحموهم فى كثير من الأحيان .

وقد عنى النقاد بالرجز عناية خاصة . فإذا كان الشعر العربى متن اللغة فيمكن أن يقال إن الرجز كنز اللغة العربية . وهم من أجل ذلك عنوا بالرجز ليسجلوا اللغة العربية كما جاءت فيه وظلوا يعرضون عنه ويزدرونه لأن وزنه أيسر من أوزان البحور الأخرى ولذلك قالوا إن الرجز حمار الشعراء .

وكان أبو العلاء فى رسالة الغفران يزدرى الرجز ويحمل ابن القارح على أن يزدرى الرجز أيضاً عندما مر بجنة الرجاز فوجدها ضئيلة متواضعة ليست كجنة الشعراء . وكانت بينه وبين رؤبة خصومة فى قيمة الرجز فابن القارح يغض منه ورؤبة يرفع من شأنه لأن اللغويين يستشهدون به وليس ذلك عند ابن القارح بالشىء ذى الخطر .

الذى يعنينى من حديث الرجز ويدفعنى إلى أن أتحدث إليكم عنه هو أن هذا البحر الذى لم يكد ينمو إلا فى أول العصر الإسلامى قد أتاح للشعر العربى فنوناً من القول لم تتح لغيره من بحور الشعر .

وكلكم يعلم بالطبع أن الرجز إنما طول فى عصر النبوة أو بعبارة أدق فى عصر الخلفاء الراشدين وربما كان أول من طول الرجز هو الأغلب العجلى ، ثم يمضى الأمر على ذلك حتى يظهر الرجاز الذين طولوا إلى حيث لم يستطع الشعراء أن يبلغوا من الإطالة .

يقال إن الرجز فن سهل لأن وزنه بسيط :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

ولكنكم تلاحظون أن الرجز إذا سهل وزنه شقت قافيته فالشاعر من شعراء القصيد يلتزم القافية فى القصيدة بحيث يكون لكل بيت قافية على حين يلتزم الراجز قافية لكل شطر فإذا قال طرفة قصيدة تبلغ مائة بيت فلها مائة قافية ، وإذا قال رؤبة أرجوزة تعدل هذه القصيدة فى الطول فلها مائتا قافية ، ويكفى أن تلاحظوا أن أرجوزة رؤبة :

« وقاتم الأعماق خاوى المخترق »

قد زادت على ستين ومائة قافية فبلغت تسعاً وستين ومائة ، وللعجاج أراجيز زادت على المائتين .

هذا الفن الذى كان فى أول أمره مهملا يسيراً لا يصور من حياة العرب إلا أيسر نواحيها الشعبية قد ذهب به أصحابه فى صدر الإسلام مذهب الشعراء وكان أول ذلك عنايتهم بالوصف الذى هو أهم ما كان يعنى به أصحاب القصيد .

فهناك رجاز كادوا يقصرون فنهم على وصف الطبيعة وما فيها من الصحراء والجبال والماء والنبات والحيوان والسماء والنجوم وقد طولوا فى ذلك تطويلا لا عهد لأصحاب القصيد به بحيث نستطيع إذا التمسنا شعر الطبيعة الخالص

أن نجده عند الرجاز أولا وأصحاب القصيد بعد ذلك .

وقد ذكرت لكم أرجوزة رؤبة المشهورة (وقاتم الأعماق خاوى المخترق) وحسبى أن ألخص لكم هذه الأرجوزة فى كلمات لتعرفوا أن رؤبة لم يقصد فيها إلا الطبيعة وحدها .

فهو يبدؤها بوصف الطريق البعيد الذى ترامت أطرافه واشتبهت أعلامه والذى يقطعه بناقته وناقته هذه يصفها وصفاً موجزاً ولكنه ينتقل منه إلى تشبيهها بحمار الوحش فإذا وصل إلى حمار الوحش قص لنا قصته كما تعود أصحاب القصيد فى العصر الجاهلى أن يقصوها فى كثير من التدقيق فى وصف الحمار وزوجاته الثمان ووصف عددهن واستمتاعهن بالربيع والتجائهن للغابة فى الشتاء ووصف الصائد الذى استخفى وأخفى قوسه ونباله وما أصاب من هذه الحمر وما فـــر منهـــا والظريف أن رؤبة نسى ناقته وشغل عنها بالحمار وزوجاته وانتهت أرجوزته دون أن يعود إلى هذه الناقة .

ثم لم يكتف الرجاز بوصف الطبيعة على نحو ما كان الشعراء يصفونها وإنما جعلوا هذا الوصف أساساً لفنهم . وهم ينافسون الشعراء كما قلنا والشعراء فى العصر الأموى قد غلوا غلواً شديداً فى المدح والهجاء ، فلم لا يمدح الرجاز ويهجون كما كان يمدح أصحاب القصيد ويهجون؟ وهم من أجل ذلك مدحوا كالفرزدق وجرير وهجوا كالفرزدق وجرير أيضاً ولكننا نلاحظ أنهم فى ذلك لم يوفقوا فقد غلبت عليهم الطبيعة فكانوا فى المدح أطفالا

وربما قصد الراجز إلى مدح أمير فيشغله وصف الطبيعة حتى إذا بلغ ما أراد ذكر الممدوح فى أبيات قليلة ربما لم تتجاوز أربعة أبيات ، وقد يبدأ أرجوزته ويطيل فى وصف الطبيعة ثم يخطر له أنه أنشأها للمدح فيمدح ولكنه لا يكاد يمضى فى مدحه حتى يعود للطبيعة وينسى المدح والممدوح ويعود إلى ما كان فيـــه .

فأما الهجاء فلم يصنع الرجز فيه شيئاً منذ ارتقى وإنما برع فيه حين كان فناً شعبياً وكلكم يذكر أمر هذه المرأة التى رجزت بالفرزدق حتى أخافته ولم تكن من المشهورات وإنما كانت من عامة الشعب .

وصف الطبيعة الذى عنى به الرجاز وتفوقوا فيه تفوقاً رائعاً حتى جعلوه لوناً من أجمل ألوان الأدب العربى لم يستطع الشعراء أن يبلغوه تطور فى آخر العصر الأموى تطوراً خطيراً من وجهين : أحدهما أنه أمعن فى عنايته بالطبيعة حتى اختص بفن الصيد والطرد وحتى كان الشعراء فى العصر العباسى إذا وصفوا خروج الخلفاء والأمراء والوزراء للصيد لم يصفوا ذلك إلا رجزا وكلكم يعرف أرجوزة أبى نواس :

لما تبدى الصبح من حجابه
كطلعة الأشمط من جلبابه
وانعدل الليـــل إلى مآبه
كالحبشى افتر عن أنيـــابه
هجنا بكلب طالما هجنا به
ينتسف المقود من كلابه

إلى آخر الأرجوزة .

وظل الرجز لغة الصيد إلى آخر العصر الذهبي للأدب أي آخر القرن الرابع في شعر المتنبي ومعاصريه . والوجه الثاني لتطور الرجز أنه أصبح لسان فن جديد من فنون الشعر في الأدب العربي لم يكن معروفاً في العصر الجاهلي والإسلامي وإنما جاء مع العصر العباسي عصر العلم والتعليم والمعرفة وهو الشعر التعليمي الذي لم يقصد به إلا لنظم الحقائق العلمية الخالصة بحيث يسهل حفظها على الطلاب والمتعلمين .

هذا الفن عرف في أول العصر العباسي ونظمت فيه في أثناء هذا العصر فنون الحكمة أولا كما تراها في ديوان أبي العتاهية ، وفي نظم كتاب كليلة ودمنة لأبان بن عبد الحميد :

هـــذا كتاب أدب ومحنــة
وهو الذى يدعى كليلِ دمنة
فيه ضلالات وفيه رشـــــد
وهو كتاب وضعته الهند

وأبان بن عبد الحميد قد تجاوز بهذا الفن نظم الحكمة ونظم قصيدة في أحكام الصوم وقصيدة أخرى في أحكام الحب والغرام ومضى هذا الفن من الرجز لساناً لغة العلم والتعليم منذ أوائل العصر العباسي وفي جميع الأقطار الإسلامية حتى أصبح لغة المدارس عندما نظّمت في العصور الوسطى وكلنا يحفظ الألفية :

قال محمد هو ابن مالك
أحمد ربي الله خير مالك

وكلنا قد حفظ الجوهرة والخريدة وما إليهما من متون العلم وأكثرها قد نظم رجزاً. فترون أن هذا الفن كان سهلا من جهة لقصره ويسر وزنه وهو لذلك قد اصطنع لساناً للعلم والتعليم من عهد أبي العتاهية إلى الشيخ الدرديري وكان عسيراً كل العسر من حيث أن أصحابه قد تشددوا في القافية وفرضوا على أنفسهم اصطناع الغريب في النظم وكرهوا أن يصطنعوا الألفاظ اليسيرة كما كان الشعراء من أصحاب القصيد يفعلون فأصبح الرجز كنزاً للغة بأدق معاني هذه الكلمة .

ولكن المهم هو أن هؤلاء الرجاز في العصر الأموي عندما اصطنعوا الغريب وأسرفوا في اصطناعه أتاحوا لأنفسهم ألواناً من تمرين اللغة وتيسيرها وإخضاعها لحاجاتهم قلما أتاحها الشعراء لأنفسهم .

فالراجز يصطنع اللفظ ولايتردد في أن يشتق منه ألواناً من الاشتقاق لايحفل بأن تكون هذه الألوان مألوفة أو غير مألوفة لأنه يشعر بأنه صاحب اللغة يصرفها كما يريد وليس عليه بأس أن يخرج بتصريفها عما ألف الناس من حوله وعما ألف الشعراء وألف اللغويون الذين كانوا يسمعون منه ويحصون عليه ، وإذا رأينا الأصمعي يسجل أغلاطاً لرؤبة والعجاج ولغير رؤبة والعجاج فالشيء الذي لاشك فيه هو أن رؤبة والعجاج لم يحفلا بما كان يسجل عليهما من الخطأ والغلط وإنما كانا يقصدان إلى ذلك قصداً ويعمدان إليه عمداً ويريان أن اللغة ملكهما لا أنهما ملك للغة .

ومن أجل ذلك هم بعض العلماء كيونس ابن حبيب أن يجادل رؤبة فى بعض ألفاظه فرماه بحجر وقال علينا أن نقول وعليكم أن تعربوا.

إذا ذكرت هذا كله فإنما قصدت به إلى شيئين :

الأول : أن أبعد بكم دقائق قليلة عن الحياة الحاضرة المعاصرة وعما فيها من المشاغل حتى مشاغل المجمع اللغوى وأن أرتفع بكم إلى شىء غير نافع فقد يقال إن من أخص ما يختص به الأدب ومن أخص مايختص به الفلسفة أنهما يرفعان الإنسان عما يقرب نفعه إلى أشياء ليس لها من المنفعة إلا مجرد المعرفة وملاحظة الحقائق التى تغذو العقل والذهن.

فإذا كنت قصدت إلى هذا الفن الغريب فإنما أردت أن ألفتكم عما تحدث به إليكم زميلنا الدكتور منصور عن أعمال المجمع ووضع الاصطلاحات وتحقيقها وكل هذه الأعباء الثقال وعما تحدث به معالى وزير المعارف عن واجبات المجمع من تسجيل وابتكار إلى آخر كل هذه الحقائق التى نعنى بها فى حياتنااليومية ونجد الحاجة إلى أن نسلوها وننساها ولو دقائق قليلة ، والثانى أنى لعلى لم أقصد إلى مجرد التسلية وإنما قصدت بالحديث عن هذا الرجز إلى أن ألفت زملاءنا من أعضاءالمجمع إلى أن هؤلاء الرجاز كانوا يملكون اللغة ويتصرفون فيها ويأبون أن يكونوا عبيداً لها ويحرصون على أن تكون خادمة لهم وأنهم قد استطاعوا أن يستخلصوا من هذه اللغة أشياء لاتكاد تخطر لنا ببال .

فنحن لانقرأ هذا الرجز ولو قرأناه لرأينا العجب فيه من تصريف اللغة وتسخيرها لإرادة الراجز .

والرجز مظلوم منذ أبعد العهود حين وصف بأنه حمار الشعراء ووصف بهذا عن جهل لاعن علم فأكثر الذين عابوه لم يقرءوه ويكفى أن أذكر لكم مايروون عن بعض كبار العلماء من أن يونس بن حبيب أثنى على العجاج حين قال :

« قد جبر الدين الإله فجبر »

فقال إن هذه القصيدة من أروع الشعر وإن العجاج أشعر الناس لأنه وضعها مقيلة القافية ولو أطلقت لانفتحت قوافيها جميعاً . ومع الأسف الشديد ليست هذه الملاحظة صحيحة فإما أن يكون الحديث الذى يعزى إلى يونس غير صحيح وأما أن يونس لم يقرأ هذه الأرجوزة وحكم عليها من غير علم .

وأعتقد أن من اشتغل بالعربية ومعاجمها وبتمرينها وتيسيرها وتذليلها لحاجات العصر لابد له من أن يقرأ الأراجيز ويتعمق قراءتها ويجد فى هذه القراءة والتعمق عناء أى عناء ومشقة أى مشقة ، لابد له من ذلك ليفقه اللغة حق فقهها ويعلمها حق علمها ويسخرها لما يراد أن تسخر له .

ويكفى أن تسمعوا هذه الأبيات القليلة من شعر رؤبة لتعلموا أن الزملاء من أعضاء المجمع إن استجابوا لما أدعوهم إليه — وهم مستجيبون من غير شك — سيلقون من أمرهم عسراً ويحملون أنفسهم عناء :

وقاتم الأعماق خاوى المخترق
مشتبه الأعلام لماع الخفق
يطل وفد الريح من حيث انخرق
شأز بمن عوه جدب المنطلق
ناء من التصبيح نائى المغتبق
تبدو لنا أعلامه بعد الغرق
فى قطع الآل وهبوات الدقق
خارجة أعناقها من معتنق
تنشطته كل مغلاة الوهق
مضبورة قرواء هرجاب فنق
مائرة العضدين مصلات العنق
مسودة الأعطاف من وشم العرق
إذا الدليل استاف أخلاق الطرق
كأنها حقباء بلقاء الزلق
أوجادر الليتين مطوى الحنق
محملج أدرج أدراج الطلق
لوح منه بعد بدن وحنق
من طول تعداء الربيع فى الأنق
تلويحك الضامر يطوى للسبق
قود ثمان مثل أمراس الأبق

إلى آخر الأرجوزة تسعة وستون ومائة بيت على هذا النحو فتلاحظون أن أول القصيدة (وقاتم الأعماق ...) يأتى خبره بعد ثمانية أبيات وهو لايريد أن يقول أكثر من أن هناك طريقاً مظلماً بعيد الأرجاء مشتبهة أعلامه ، لاسبيل إلى أن يصطبح الإنسان فيه ولا أن يغتبق ولا أن يقيم فيه لأنه مجدب لاأمل فيه لمن يريد الحياة . وهذا الطريق قد غمره الآل واشتد فيه الغبار بحيث أن الجبال قد ارتدت بالسراب والغبار وبدت رءوسها منه كما تبدو الأعناق من الثياب . هذا الطريق قطعه بناقة وصفها بهذه الأوصاف الطويلة التى ذكرتها لكم وأظن أنكم تعفوننى من ترجمتها الآن لا لأنى لاأستطيع أن أترجمها فقد أعددت الدرس إعداد حسناً وإنما لأنى أريد ألا أشق عليكم .

وأريد أن تسمعوا لذى الرمة فى النسيب :

ذكرتَ فاهتاج السقام المضمرُ
وقد يهيج الحاجة التذكر
مياً وشاقتك الرسوم الدثّر
أرثيها والمنتأى المدغمَّر
بحيث ناصى الأجرعين الأنسر
فهجن وقراً واقراً لايجبر
أم الدموع سجّم أم تصبر
وليس ذو عذر كمن لايعذر
وما إلى مطموسة مستعبر
قفر يعفيها العجاج الأكدر
قد مر أحوال لها وأشهر
وقد يرى فيها لعين منظر
مجالس وربرب مصور
جم القرون آنسات خفر
أتراب مى والوصال أخضر
ولم يغير وصلها المغير
وقد عدتنى عاديات شجّر
عنها وهجر والحبيب يهجر

إلى آخر القصيدة وهى تزيد على مائة بيت فترون من هذا القليل البسيط الذى سمعتموه إلى أى حد مرّن الرجاز اللغة وإلى أى حد تجاوزوا ما وصل إليه الشعراء من تمرينها وإلى أى حد نستطيع بل يجب علينا إذا أردنا أن نعرف اللغة العربية حق معرفتها وأن نتذوق الأدب القديم حق تذوقه وأن نحيي اللغة ونذللها ونجعلها أداة صالحة لما نحتاج إليه فى عصرنا الحديث — إلى أى حد يجب علينا أن نعنى بدرس الرجز وأن نسير على الأقل سيرة هؤلاء الرجاز فنتخذ اللغة خادماً لنا ولا نجعل أنفسنا خداماً لها

تطور الألفاظ والتراكيب والمعانى

كلمة الأستاذ السيد محمد كرد على

أبقى لنا الثعالبى من أهل القرن الخامس فى « المضاف والمنسوب » درساً مستوفى من التراكيب والإضافات التى كان بعضها شائعاً فى الجاهلية والآخر حدث فى الإسلام ، وقد خرجها فى أحد وستين بابا ، فمنها ما أضيف إلى اسم الله تعالى : أهل الله . بيت الله . رسول الله . كتاب الله . أرض الله . ستر الله . ناقة الله . رحمة الله . أمر الله . لعنة الله . صبغة الله ..الخ . وكل شىء كما قال الجاحظ أضافه الله تعالى إلى نفسه فقد عظم شأنه وشدد أمره وقد فعل ذلك بالنار فقال نار الله الموقدة . ومنها مايضاف إلى الأنبياء مثل سفينة نوح . عمر نوح . مقام إبراهيم . نار إبراهيم . صحف إبراهيم . ناقة صالح . قميص يوسف . عصا موسى . صبر أيوب . مزامير داود . خاتم سليمان . ومنهاماينسب إلى الملائكة والجن والشياطين مثل سحر هاروت . ديك الجن . جند إبليس . قبح الشيطان . حبائل الشيطان. رؤوس الشياطين . ومنها مايضاف إلى القرون الأولى : ريح عاد . صرح هامان . كنوز قارون . سد الإسكندر . نوم أصحاب الكهف. ومنها مايضاف إلى الصحابة والتابعين مثل سيرة العمرين . درة عمر . دهاء معاوية . فقه العبادلة . حلم الأحنف . ومنها مايضاف إلى رجالات العرب فى الجاهلية والإسلام : حاتم طى . زيد الخيل . سحبان وائل . عروة الصعاليك . سعد العشيرة . وضاح اليمن . مجنون بنى عامر . أشج بنى أمية . جبار بنى العباس . ومنها ماينسب إلى القبائل : إيلاف قريش . تيه بنى مخزوم . جود طى . أو إلى رجال مختلفين : حكمة لقمان . بلاغة قس . عى باقل . حديث خرافة . مواعيد عرقوب وفاء السموأل . كذب مسيلمة . طمع أشعب. ومنها ماينسب إلى العرب : تيجان العرب. نخوة العرب . كسرى العرب . ومنها ما أضيف إلى الإسلام : قبة الإسلام . بيضة الإسلام . دعوة الإسلام . ومنها إلى القراء والعلماء : فقه أبى حنيفة . حاجة أبى الهذيل. أو إلى ملوك الجاهلية والإسلام : سيرة أردشير . عدل أنوشروان . إيوان كسرى. شقائق النعمان . خلافة ابن المعتز . أو إلى الكتاب والوزراء فى الدولة الأموية والعباسية : بلاغة عبد الحميد . بلاغة جعفر . يتيمة ابن المقفع. تيه عمارة . أو إلى البلدان : عزيز مصر . أو إلى أهل الصناعات : كلب القصاب . تيه المغنى . رغفان المعلم . كذب الدلال . ومنها إلى الآباء والأمهات والبنين والبنات مثل : أبو قلمون . أبو مثوى . أم الكتاب . أم القرى . أم المؤمنين . أم حبين . أم قشعم . ابن الليالى . ابن جلا . ابن آوى . ابن السبيل بنو الأيام . بنو الدنيا . بنت الفكر . بنات الصدور . أو إلى الأذواء واللذوات كأذواء اليمن . ذو الأوتار . ذو القرنين . ذو النورين . ذو الرياستين . ذو الكفايتين . ذات النطاقين.

حمالة الحطب. خضراء الدمن. ضرائر الحسناء. ومنها ماينسب إلى النساء مثل : كيد النساء . مرآة الغريبة . بكاء الثكلى. ومنها إلى الأعضاء: سويداء القلب . حبل الوريد . ومنها إلى الإبل: حمر النعم . صولة الجمل . ناقة صالح . خبط عشواء . ومنها إلى الخيل والبغال : نواصى الخيل . فرسا رهان . ومنها إلى الحمار : حمار العزيز . صبر الحمار . ومنها إلى البقر والغنم : بقرة بنى إسرائيل . أذناب البقر . لحية التيس . ومنها مايضاف إلى الأسد : ليث عفرين . ليث الغاب . جرأة الأسد . وثبة الأسد . ومنها إلى الذئب والسباع والوحوش والسنور والفأر والضب والظربان والقنفذ والسرطان والحية والعقرب والحشرات والهوام والطير والغراب والذباب والبعوض . ومنها إلى الأرض والدور والأمكنة والأبنية والبلدان والأماكن . ومنها إلى الجبال والحجارة والمياه والنيران والشجر والنبات واللباس والثياب والطعام والشراب ومايتصل بهما والسلاح والحلى والليالى والأزمان والأوقات والآثار العلوية وغير ذلك .

هذا ماعنى الثعالبى بتدوينه وفيه صورة من صور المجتمع الجاهلى والإسلامى ومنه ما جاء كالمثل ومنه ما كان فيه إشارة إلى وقعة تاريخية وتصوير لحالة نفسية مثل : عرق القربة . عرق الموت . ومعنى الأولى الشدة والمشقة ، ويضرب الثانى مثلا لأشد الشدة . وكان الحسين الخادم خادم المعتضد والمكتفى يتولى البريد بمصر ويلقب بعرق الموت . قيل إن المكتفى لقبه بذلك .

وكل مانسب وأضيف وأتانا به الثعالبى ماخرج عن تركيب عربى ولفظ عربى ، ولقد حدثت بعدُ تراكيب وإضافات وألفاظ كان الواجب تدوينها ولعله كان ينتظم منها مجلد آخر . أما فى العصور الحديثة عصر الطباعة والصحف والمجلات وانتشار الكتب وعهد إيناع العلوم المادية فقد يسقط الباحث على إضافات ونسب منها مانقل عن اللغات الغربية ونحس فيه أثر الترجمة وهجنة العجمة.

تطورت الألفاظ والتراكيب فى عصر العلوم هذا وقضت الحال على النقلة أن يختاروا ألفاظاً لتراكيب جديدة ، فمنها ما جودوا فيه ومنها ماقصروا ، وكله دخل على اللغة وحفظه الناس وتناقلوه ، وتكثر هذه التراكيب والألفاظ فى مصطلحات علوم السياسة والاجتماع والفلسفة والاقتصاد والمالية والتربية . كثرت لأن سند هذه العلوم انقطع عند العرب أو كانت علوماً جديدة لايعرفها أجدادنا وكانت المادة من التعابير قليلة وكان المترجمون لأول النهضة ضعافاً فى اللغة ولعل بعضهم لم يدرك ماتحويه الألفاظ الفرنجية من معان ، فترجموا كيفما اتفق ، لا كما يجب أن يكون . وأكثر التراكيب التى جاءنا بها العصر الجديد إذا ألقيته على مسامع العربى الأصيل ، اضطر إلى أن يفكر ساعة وربما ماخرج بعدها بشىء يصورله المعنى تصويراً حقيقياً ، لأنه لايعرف جهة العلم الذى كانت هذه الألفاظ والتراكيب من ألفاظه وتراكيبه . وقد شاهد هذا المجمع من تلك الألفاظ لما نظر فى مفردات العلوم مئات .

ولا أكتمكم ياسادتى أن سمعى لم يتألم قط أكثر من تألمه من لفظ أو إضافة جاءنا بها المشتغلون بعلم التربية ، فنسبوا إلى التربية « التربوى » وأتونا بعد ذلك بألفاظ وتراكيب

لو حلفنا لأهل عصور زهو العربية بالطلاق والعتاق أنها عربية ماصدقوا ولا آمنوا. جاءنا متفاصحوا المترجمين بتركيب: النزعة الواقعية. القوة الوجدانية. الذاتى. الموضوعى. الإقليمى. الفكرة الأساسية. الفكرة الرئيسية الطريقة الاعتباطية. السبب المباشر. وهكذا سرت إلى الأقلام عشرات من التراكيب على اعتبار أنها وردت فى كلام بعض العارفين فاحتذاها من قضت عليهم صناعتهم بالعجلة وعدم التريث ككتاب الصحافة، وقديعبرون عن المعانى التى يحتاجون إلى أدائها من حاضر الوقت لايطيلون التفكير فيها والمراجعة. نعم جاءونا بطائفة من التراكيب ما أنزل الله بها من سلطان، ومن قولهم: تغلبت العناصر التقدمية على الرجعية. وطن معنوى مثالى. الوطن المرقوب المرغوب. من حيث الأساس. تفرض نفسها على اتجاهات السياسة. القبتاريخية أى قبل التاريخ préhistorique. الأحلام الطوباثية utopique. ولو قال أبو عذرة هذا التركيب: السياسة قبل عصر التاريخ بدل القبتاريخية والخيالات والأوهام بدل الأحلام الطوباثية لأدى المراد ونجا من هذه السماجة. جاءونا أيضاً بضرب الرقم القياسى فى الشىء الفلانى. النزعات السياسية السائدة. عمله على ضوء كذا. رفع رأس أمته عاليا. يحيطونها بهالة من الرهبة. استغل الموقف. جرى على خطته التقليدية. خلقت جوا من الشبهات. المفاوضات تجرى فى جو يسوده الود. الوضع الحاضر. الوعى القومى. سر المهنة. فقيد الواجب. التربية المثالية. المجال الحيوى. المثل الأعلى. الشخصيات البارزة. السوق السوداء. الجهود الجبارة. الحل الحاسم. حقل الأدب والعلم. الروح الوثابة. موضوع أخاذ. أتون الحرب. الرغبة الملحة. جملة داوية صارخة صخابة. وأخيراً تم الشىء الفلانى بحسب الخطة المرسومة. رجل الساعة. الأهداف القومية. حركة خاطفة. الروح المعنوية المتوثبة. فى ظل النظام. ظهر على مسرح السياسة. يضحى على مذبح أغراضه. طلب يد فلانة. ذر الرماد فى العيون. يشق طريقه إلى الحياة. فشلت المناورة. انفرجت شفتاه عن عدة ابتسامات كان لها أثر طيب فى تلطيف جو الاحتفال. ومنها مايكررونه فى اليوم والليلة مرات حتى مجته الأذواق وبرمت به الآذان وهى ليست فى شىء مما أجاز علماء البيان فى التكرار أو عمد إليه الجاحظ فى ترديد بعض ألفاظه الحلوة كفعل كان أو تركيب أما بعد، وتكرار الجاحظ على كل حال لايشبه ما أحصينا لأحد البلغاء فى حديث له فى المذياع كرر فيه لفظ (اللهم) مراراً، وأذكر أنى عددت له منها عشر مكررات ثم مللت ووجهت وجهى عن الاسماع، والغالب أن صاحبى، وكان شيخاً والمشيخة فيه أعلق به من شعرات قصته، انقطع عن الصلاة أياما وأحب أن يعوض عن لفظ اللهم التى فاتته فجمعها كلها فى محاضرة واحدة، ولعله ظن أن المحاضرة صلاة ودعاء فتوسل إلى البارى تعالى ما وسعه التوسل فى حديثه مع أنه كان من سعة المادة اللغوية على جانب عظيم، ولايحتاج بيانه إلى مثل هذه التكآت.

ومن التراكيب والإضافات الجديدة ماتغنى منه النفس وهذا نجده فى كثير من الكتب المترجمة ممن يكون مترجماً وسطاً فى اللغة التى نقل منها واللغة التى نقل إليها.

ترجمنا وبذلنا الجهد فكان فى ترجماتنا الردىء والجيد ، ولم يكن لنا بد من الدخول فى هذا الدور ، أما الآن وقد كثر عدد الفريق الذى تخرج بآداب لغته واللغات الغربية فالواجب ألا ننشر إلا ما سلم كل السلامة من العوج ولم يسبق للسان العربى أن جرى به . فبالله ألا تصابون بالبرداء وقاكم الله شرها إذا سمعتم مترجماً يقول : هذا الشعور ليس سلبياً بل إيجابياً . تربية فلان الإيجابية العالية . المركز الاستثنائى . المبدأ الانقلابى . دلل بها على جوهر قومى مركز . التركيز فى التقسيمات . حركة تحريرية تجديدية . نصوص مثنية شريفة . الوطنية تستمد وحيها من نواميس كذا .

ومن التراكيب أو الألفاظ ما استلزمته طبيعة العصر لأنه ينم عن معان لاسبيل إلى التفصى منها لأنها تدل على أمور ذات أثر فى سياسة الدنيا اليوم ، ومنها : الإرهابيون . الوصوليون. النفعيون. الانتهازيون. المداورون . العلميون. الفوضويون. الاشتراكيون. الشيوعيون. النازيون . الفاشستيون. الجمهوريون. الملكيون. الديمقراطيون. الأرستقراطيون. الدكتاتوزيون. الرأسماليون. المحافظون. الحياديون. الحزبيون .

ولاأطيل عليكم فى إيراد الإضافات والصفات والأسماء الجديدة ، وعلى من يحب التوسع فى تلقفها أن يتتبعها فى الصحف والكتب الحديثة ، ولاسيما فى المعربات. وتكثر التراكيب والألفاظ النابية عن مناحى البلغاء فى كلام أهل القرن الماضى ولا نرى كل وسط فى نقله وتصنيفه إلا معتذراً عن جهله بأنه يكتب الكتابة التى تروق جمهور الناس ، ويهزأ فى باطنه ، وأحياناً يبدو هزؤه على سحنته ممن يكتب كتابة عربية فى الجملة ويصمها بأنها كتابة جامعية أو مشايخية نسبة للجامعة أو لدار العلوم .

* * *

قلت فى بيان ألقيته فى السنة الماضية فى مثل هذا الحفل الكريم إن من الألفاظ مايعمر قليلا ثم يموت ويحيا غيره فينسى الآخر الأول وإن لكل عصر ألفاظه كما أن لكل عصر بيانه . وقد أتيح لى أن نشرت خمسة كتب للقدماء حوت من هذه المعانى أشياء كثيرة ، فكان فى الأول طائفة كبيرة من ألفاظ وتراكيب القرنين الأولين للإسلام ، وفى الثانى ألفاظ لم يعرفها هذان القرنان ونسيت فى الرابع والخامس ، وفى الكتاب الثالث ألفاظ وتراكيب عرفت كثيراً فى الرابع والخامس . وفى الكتاب الرابع ألفاظ علمية اشتهرت فى الخامس والسادس وكان ابن القرون السابقة بمعزل عنها . وفى الكتاب الخامس ألفاظ وتراكيب عرفت فى فارس وخراسان.

وأعنى بالكتاب الأول «رسائل البلغاء» وفيه نصوص نادرة لعبد الله بن المقفع ، وعبد الحميد الكاتب وغيرهما من أئمة البيان . وبالكتاب الثانى «سيرة أحمد بن طولون» للبلوى من أهل القرن الثالث . وبالكتاب الثالث «المستجاد من فعلات الأجواد» للمحسن التنوخى من أهل القرن الرابع . وبالكتاب الرابع «كتاب البيزرة» لبازيار العزيز بالله الفاطمى من أهل القرن الخامس (تحت الطبع) . وبالكتاب الخامس «تاريخ حكماء الإسلام» للبيهقى فيه من ألفاظ الفلسفة والحكمة التى كانت معروفة عند أهل القرن السادس .

كان الكتاب الأول من محصول العراق وفارس فى الجملة وكان الكتاب الثانى مما أخرجته مصر . والكتاب الثالث ممـا صدر عن الدور العباسى الأول والثانى . والكتاب

الرابع مما ألف فى مصر أيضاً وفيه ألفاظ مصر . والكتاب الخامس مما صنف فى فارس وفيه ذَرْو من مصطلحها .

والألفاظ التى حملها الكتاب الأول من أسهل الألفاظ ، استعملت قرونا ثم بدأ الناس ينسونها فهجرت وصار ابن هذا العصر إذا سمع بعضها فكأنه يسمع ألفاظاً أعجمية وإذا حاول الكشف عنها فى المظان ملّ وكلّ ، ولاعجب فقد بلغ بنا الضعف فى لغتنا أحياناً أن صرنا إلى حالة إذا حاولنا قراءة شعر جاهلى فكأنما نقرأ لغة غير لغتنا ، ونقع فيه على ألفاظ نجد فى بعض الألفاظ الفرنجية أنسة بها أكثر مما نجد فى هذه الألفاظ العربية ، ولا أحيلكم للتدليل على دعواى إلا على بعض ماطبع من دواوين الجاهليين وبعض الإسلاميين أمثال زهير بن أبى سلمى وجرير والفرزدق. وعوّض الله شراح هذه الدواوين المعقدة خيراً عما بذلوه من أوقاتهم فى سبيل حلها .

فمن ألفاظ هذا الكتاب : الاعتمال الاضطراب فى العمل والحركة . زمين كسيخ. زميت وقور . قذعه منعه وكفه . آنق أحسن وأعجب . استعتب طلب الإعتاب واستقال من الذنب . مدخول فى أموره غش وعيب وفساد. أرض تهمة متصوبة إلى البحر ومنه تهامة. أرض جَلْس غليظة . الواهن الضعيف فى العمل التارك له . الفالج الفائز . المناقلة المحادثة. الاستطراد نوع من المكيدة . الخبار ما لان من الأرض واسترخى . الجدد الأرض المستوية الغليظة وما استرق من الرمل ، وفى المثل : من تجنب الخبار أمن العثار ، ومن سلك الجدد أمن العثار . العقدة العقار ونحوه يقال : اعتقد فلان عُقْـــدة إذا اشترى ضيعة أو اتخذ مالا من عقار وغيره ، وهى مستعملة عند عوام الشام . الكفاة الخدم الذين يقومون بالخدمة . الخانة جمع خائن والغدرة جمع غادر ولا نستعمل هذين الجمعين اليوم ، وكثير من الجموع أغفلناها مع الزمن كالجَوَرة والحزمة والخونة والكذبة . الإعتاب مصدر قولك أعتبنى فلان إذا عاد إلى مسرتك راجعاً عن الإساءة . الاستئمار المشاورة . أعذر الرجل بالغ فى إظهار عذره . الطَّرْق ضعف العقل وفلان به طرقة أى هوج . اجتَم الطعام كرهه ومله . استجام القلوب إراحتها . السوقة خلاف الملك نطلقه على أهل الأسواق وليس بصحيح . الاحتلاط (بالحاء) المبالغة فى الحلف واليمين . البأو الفخر بالنفس ورفعها . إتلاد المال تنميته . فاش الرجل إذا افتخر ومنه التفيُّش وهو الكبر والإدلال . اتزر ركب الوزر أى الإثم . الحُقريّة الذلة . خبال الأمر اضطرابه واختلاطه . الشَّرْج المثل والنوع . يتبيغ يهيج . الاستجراح الفساد والعيب . استحسر أعيا وتعب . القعدة الكرسى أو الطنفسة . الظهرىّ مايجعله المرء عدة له عند مسيس الحاجة إليه . الشكيمة قوة القلب وشكمه أثبته . أغمز فى فلان إذا عابه واستضعفه وصغر من شأنه . استأكل الضعفاء إذا أخذ أموالهم . أوتغ دينه بالإثم أفسده . وألحمه عرض فلان أمكنه منه يشتمه . الانفهاق فى الشىء التوسع فيه . اكتهف وتكهف لزم الكهف والكهف المغارة والملجأ . أخطره جعله فى خطر . رضخ له من ماله إذا أعطاه وضّن الشىء يضنه فهو موضون ووضين ثنى بعضه على بعض وضـــاعفه ونضده . العَقوة ماحول الدار والمحلة . الكُسْىُ (بالضم) مؤخر

العجز فى كل شىء والجمع أكساء وركب أكساءه سقط على قفاه . احتالم حولهم عن طريق قصدهم الخ ...

ومن ألفاظ الكتاب الثانى : البزيون ضرب من نسيج البز أو من رقيق الديباج . المطبق كمحسن سجن تحت الأرض . العقابان خشبتان يشبح الرجل بينهما ليجلد . الفيّج الحارس أو رسول السلطان أو حامل البريد. العطعطة حكاية صوت المجان إذا قالوا عيط عيط وذلك إذا غلبوا قوماً . الإبليز وطين الإبليز طين مصر وهو مايعقبه النيل بعد ذهابه عن وجه الأرض (لغة مصرية) . تقبل العامل العمل تقبيلا التزمه بعقد ومنه المتقبلون أى الملتزمون باصطلاحنا اليومى . هذا عوّل الدولة أى المستعان به أو أحد خدامها. يعرّب عليه يردعليه بالإنكار . المجمل المستعمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخصة. جاءت هكذا: عرض الغلام عليه مجملا بما يجرى يوماً يوماً وليلة ليـلة . المطرح المفرش وزنا ومعنى . المسورة (بكسر الميم) مخـدة مدورة . الخردادى إبريق من البلور الحجرى ذوعنق ضيق وجسم يزداد اتساعاً من أعلى إلى أسفل والخردادى الخمر، والغالب أن هذا الإناء كان خاصاً بوضع الخمر كالباطية ، وقال العلامة كرنكو إنها خرداذية (بالذال) وفى الثانية وهى كلمة فارسية لنوع من أنواع الشراب كانوا يشربونه أيام الأعياد . القصرية كالإجّانة إناء لوضع الزهور أو الطين . الرصّاص أجير البناء وهاتان اللفظتان مصريتان . بعّض الشىء جزأه . وتبعض تجزأ أزلّه ناوله بعض ماعلى المائدة من الطعام تحبباً وورد : يزّلّ معه مايقدر على حمله من زل الطعام أخذه وتناوله ، والزلة اسم لما تحمله من مائدة صديقك أو قريبك . البلرقة الحفارة . فى الكلام على هندسة جامع ابن طولون: «فأمر بأن تحضر له الجلود فأحضرت» فسرته بأنهم كانوا يرسمون مخطط البناء على الجلد . ثم اطلعت على كلام للجاحظ يقول فيه : وعلى الجلود يعتمد فى حساب الدواوين وفى الصكاك والعهود وفى الشروط وصور العقارات وفيها تكون نموذجات النقوش ومنها تكون خرائط البرد وهن أصلح للجرب ولعفاص الجرة وسداد القارورة» . ورد : فتخرج إلينا الكف الناعمة المخضوبة نقشاً أو تطاريف . وفى كتب اللغة : اختضبت المرأة تطاريف أى أطراف أصابعها ،وطرفت المرأة بنانها إذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء . الزيرباج : قطع لحم صغير تجعل فى القدر عليه غمرة ماء وقطع دارصينى وحمص مقشور ويسير ملح فإذا أغلى تؤخذ رغوته ثم يطرح عليه رطل خل خمر وربع رطل سكر وأوقية لوز حلو مقشراً أو مدقوقاً ناعماً يداف بماء الورد وخل ثم يطرح على اللحم. البوارد : البقول المطبوخة الموضوعة فى الخل وماء الحصرم والسماق وماء التفاح والريباس (وأرجو رصيفى الأستاذ أبوحديد أن يعذرنى على ذكر ألفاظ الأكل فالدنيا كلها أكل وشرب) . السُّفتَجة كقرطقة أن تعطى مالا لآخر وللآخر مال فى بلد المعطى فيوفيه إياه ثم فتستفيد أمن الطريق وفعله السفتجة بالفتح والمال المسفتج المرسل إلى بلد آخر . سفاتج الدرب فساد المعدة .

ومن ألفاظ الكتاب الثالث : أبرد القوم دخلوا فى آخر النهار . حبا الرجل مشى على

يديه وبطنه . نظر إليه عن عُرْض وعُرُض من جانب . اربدّ وجهه وتربد احمرّ حمرة فيها سواد عند الغضب . يقال هو حدِث ملوك (بالكسر) صاحب حديثهم أو كثير الحديث حسن السياقة له . المتلدد الحائر المتلفت يميناً وشمالا . تذمم استنكف يقال لو لم أترك الكذب تأثما لتركته تذمما . أتانا بعد هُدء من الليل وهدأة وهدىء وهـــدوء أى بعد هزيع من الليل أى حين سكن الناس يقال : مايريم يفعل ذلك أى مايبرح ومارمت أفعله وما رمت المكان وما رمت منه وريّم بالمكان أقام فيه . احتشم منه وعنه وحشمه واحتشمه أخجله . فلان موطأ العتب صاحب سلطان يتبع . رجل أثير مكين مكرم . أوجره الرمح أو الخنجر طعنه به فى فيه . نكد زيد حاجة عمرو منعه إياها . نخزه بيده نخسه . الطائف العسس . والعُس القدح العظيم (ج) عساس . القعب القدح الضخم . تطفيل الشمس غروبها ووجبت الشمس غربت . شِق الدار والخيمة ناحية منها . فلان مايليق درهماً من جوده مايمسك . الصرم البيوت المجتمعة . يوم صائف حار . تقُزّ نفسه تنقبض . الخريطة وعاء من أدم (جلد) وغيره يشرج على مافيه أى يشد . عاقمه خاصمه . فلان ملزوم لازمه غرماؤه . البهلول السيد الجامع لكل خير . حادرت السنة إذا قل ماؤها ومطرها . الإشراف (بالشين) الحرص ومنه الحديث : (من أخذ الدنيا بإشراف لم يبارك له فيها) . غُبر الشيء بقيته. وظهر السراج تلألأ . العوراء الكلمة أو الفعلة القبيحة . الشاكرى الأجير أو المستخدم إبنّ نى كفنى نفله أبوه . رجل الحن وأمة لحناء لم يختتنا . يقال أفعل ذلك وكرامة لك وكرى وكرمة لك وكرما لك وكرمة عين ونعيم عين ونعمة عين ونعامى عين . ويقال نعم وحباً وكرامة . دهر قصم صؤول . انقُطع به إن كان ابن سبيل فانقطع به السفر دون طيته وهو منقَطع به . يقال للرجل عند التوديع معاناً مصاحباً ومن قال معان مصاحب معناه أنت معان مصاحب . أذاله عرضه للاستخفاف به . صهرته الشمس أو محرته آلمت دماغه . أقاد القاتل بالقتيل قتله به . لبّبه جمع ثيابه عند نحره فى الخصومة ثم جره . استشرف الشيء رفع رأسه لينظر إليه . تطول عليهم امتن كطال عليهم وتطول تفضل . الباطية إناء عظيم والرطلية وعاء يجعل فيه الخمر وغيره . ربّ الأمر أصلحه . الرافعة الجماعة تذيع إلى الناس مايقال تقول : أوطأتنى عشوة أى جعلتنى أطأ مالا أراه أى أوقعتنى فى أمر ملتبس وغررتنى حتى اغتررت . احتسب عليه أنكر ومنه المحتسب . تواعدوا واتعدوا أو الأولى فى الخير والثانية فى الشر . وثب به هجم عليه وتوثب فى ضيعتى استولى عليها ظلماً . الربع الدار بعينها حيث كانت (ج) رباع وربوع وأربع وأرباع . الفحل الرجل الكامل الرجولة القيرم السيد .

من ألفاظ الكتاب الرابع : الطيهوج ذكر السلكان واحدها سلك كصُرَد والسلك فرخ القطا أو الحجل . السهك قبح رائحة اللحم الخنز (المنتن) وريح السمك . غضف الأذنين استرخاؤهما . البشمازك هو الذى يكون فى آخر الأضلاع من داخل الجمل ويسمى الكازك وهذا تعريف المؤلف له ولم نجد له ذكراً فى كتب اللغة . اسطارم الغالب

أنه من أمراض الجوارح ولم نجده فى المعاجم ومعلوم أن المعاجم لم تستوف جميع ألفاظ اللغة وقد وجد دوزى الهولندى مئات من هذه الألفاظ ملأبها كتاباً له فى مجلدين أسماه ملحق المعاجم العربية . الحوجلة القارورة . القدير اللحم المطبوخ فى القدر . قمر فلان الرجل غلبه فى القمار . الكندرة مجثم البازى يهيأ له من خشب أو مدر . الحق وعاء الطين . تقرّش الشيء أخذه أولا فأولا . خربق المشارع جعل فيها الخربق والخربق نبت كالسم يغشى على آكله ولايقتله والمشارع جمع مشرع معناها طريق الحوض . التبان كرمان سراويل صغير يستر العورة المغلظة maillot . القالص الثوب الذى ينكمش بعد الغسل . قرنص فلان البازى اقتناه للصيد . أوكب الطائر تهيأ للطيران أو ضرب بجناحيه . عبر الطير زجرها . رمج الطائر ألقى ذرقه (زبله) . سبّق الطائر ألقى السباقين فى رجليه والسباق القيد . الشهدانج حب القنب وفى اللغة الشاميّة القنبس . قبض الطائر وغيره أسرع فى الطيران وهوقابض وقبض بين القباضة والقبض منكمش سريع ، ومنه والطير صافات ويقبضن . الفانيذ نوع من الحلواء يصنع من السكر ودقيق الشعير والزنجبيل .

ومن ألفاظ الكتاب الخامس : الاسطقسات أو العناصر ، الإكسير دواء إذا طبع به الجسد المذاب جعله ذهباً أو فضة أو غيره إلى البياض أو إلى الصفرة . المجسطى كتاب فى الفلك ألفه بطليموس ونقله العرب . الطاين ويعرف بالطين الأرمنى وفى الشام يسمونه التّرابة وهو الطين الذى يؤكل . وسئل عما كان يأكل ويشرب كل يوم فقال : المدقّقة والمرققة والملبقة والمروقة (الملبّق المليّن بالسمن) البربط العود وأصلها بالفارسية بربت أى صدر البط ، لأن صورته تشبه صدر البط وعنقه ، وأهل هذا الفن وغيرهم اعتمدوا على لفظة العود . السكبينج نوع من العقاقير الاجبلنجين عقار من ورد وعسل . متريديسوس ويقال مترا اختصاراً ومعناه المنقذ من ضرر السم (والأصل فى هذا الاسم اسم الطبيب مخترعه ومركبه) . التفسرة بول يستدل به على حال المريض وعاته . الاصطرلاب مقياس النجوم . القيفال عرق فى اليد يفصد . الأثير المادة التى تملأ الفضاء . الدستور الوزير الكبير الذى يُرجع فى أحوال الناس الى ما يرسمه . القولنج مرض معوى يعسر معه خروج الثّفل والريح . وقد وقعت له عدة تعابير وتراكيب أنسيناها أو تناسيناها ومنها : تشور خجل . اجعلنى من أدمة أهلك وارض عنى . ويقال جعلت فلانا أدمة أهلى أى أسوتهم وأدمه بأهله خلطه بهم وجعله كواحد منهم . ومنها الحافد أى المعوان ورجل محفود يخدمه أصحابه ويعطونه ويسرعون فى طاعته.

سيداتى . سادتى :

هذا ما أمكن اقتباسه من ألفاظ الأسفار الخمسة التى نشرتها فكم فى الكتب المطبوعة والمخطوطة من أمثالها أنسيناها ونحن لها محتاجون كما أنسينا من الحلويات اسم العصيدة والخبيصة لما جاءنا من الفرس الفالوذج واللوزينج ثم أنسيناها لما جاء الترك بروانى وكلاج ثم أنسيناها جملة مما أتانا الإفرنج ببريوش وبودنج ، والله أعلم مايدخر الغيب لنا من الألفاظ فى المستقبل . وفى هذا دليل آخر على حيوية هذه اللغة وقابليتها للتطور بحسب الزمن مع الاحتفاظ بأصولها وقواعدها وبالفصيح من مفرداتها وشواردها .

كلمـــة الأستاذ ماسينيون

حضرة الرئيس النائب ،

سيداتى . سادتى ،

إخوانى ،

لقد أنابنى حضرة رئيس المجمع عن أصدقائى المستشرقين من أعضاء هذا المجمع لأقول كلمة فى هذا اليوم السعيد ، يوم افتتاح المؤتمر فى دورته الثالثة عشرة .

وقد اخترت أن تكون هذه الكلمة فى بعض خصائص المعجم العربى من ناحية الاستفادة منها فى مهمتى التى أقوم بها فى باريس رئيساً للجنة تخريج أساتذة العربية فى وزارة المعارف الفرنسية .

وقد كنت أشرت فى كلمة قلتها فى مثل هذا الموقف سنة ١٩٣٧ إلى مسائل الخلاف بين المنهجين منهج موسسى المجمع الفرنسى فى سنة ١٦٣٥ ومنهج موسسى المجمع العربى سنة ١٩٣٤ من حيث تأليف معجميهما .

أما من حيث الصورة فاشتقاق الأسماء فى العربية واضح ، ولكنه فى الفرنسية مبهم . وأما من حيث المعنى فالاسم العربى مشترك ذو معان مختلفة وإن اتحد أصلها ، وأحياناً تتضاد تلك المعانى ، لأن اللغة العربية لغة الضاد ولغة الأضداد ولهـا أحياناً طرفان متعاكسان ، فتحديد كل اسم لذلك يصعب على واضع المعجم .

واليوم أقصد أن أبين الأسباب التى أدت بنا فى لجنة تخريج الأساتذة إلى تغيير شرط من شروط الامتحان كان مقرراً من قبل ، وذلك أنه كان مرخصاً فى استعمال المعجم الفرنسى العربى والمعجم العربى الفرنسى ، ولكننا الآن ألزمنا الطلاب باستعمال المعجمات العربية المحضة كالمنجد وأقرب الموارد والقاموس المحيط واللسان والتاج ، وبذلك اضطروا أن يسبحوا فى البحر المحيط ومحيط المحيط ، ولا سفينة لنجاتهم من هذه المخاطر إلا الالتجاء إلى معجم لا أجد الآن منه نموذجاً كاملا ، وإن كنت أجد صورة ناقصة منه فى المخصص لابن سيده وتهذيب الألفاظ لابن السكيت والألفاظ الكتابية للهمذانى وجواهر الألفاظ لقدامة . ولهذا النوع من المعاجم مستقبل عظيم ونحن إليه فى حاجة ملحة لتخريج أساتذة العربية فى الخارج . ولا يكفى مراجعة كتب المصطلحات الموزعة على كل فن ، لأن فى كل مصطلح عربى ناحيتين متعاكستين إحداهما قديمة والأخرى من ثمرة النهضة الحديثة ، وما حصلنا حتى الآن على إدماج هاتين الناحيتين فى مجمعنا . أما نوع المعجمات الذى أشرت إلى حاجتنا إليه ، وهو النوع الذى يعنى بالمترادفات كالمخصص فإننا نستفيد منه على الإطلاق ، لأنه يبسط مختلف الألفاظ وأنواعها فى انتشارها التاريخى من الأصول الثلاثية التى عددها ٣٢٧٦ . وهذا هو منظر فلك الثوابت اللغوية العربية ، وأما دعوة العربية بين اللغات السامية فهى تخليد العبارات بتجرد معانيها من المادة وتجاوزها بالتضمين والمجاز . وقد بحثنا فى المجمع فى جلسات متوالية موضوع التضمين وأهميته للاحتفاظ بروح اللغة العربية وعبقريتها . ولا تجوز تصفية اللغة وتخليدها إلا بالتضمين والمجاز . وقد أشار الباقلانى

المتكلم المشهور إلى أهمية المجاز الشرعى لبناء علم الكلام الدينى ، أما فى فلسفة اللغة العربية فلا بد لاحتفاظها بفائدتها الثقافية من تأسيس مجاز آخر ، أسميه المجاز الحكمى ، وهو الذى أشار إليه البيرونى فى مقدمة كتاب الصيدنة لما برهن على خدمة اللغة العربية لنهضة العلوم العقلية ونشرها فى العالم .

ولتكن خطبتى هذه تحية عاشق عاجز لشرف تلك اللغة العربية ولغايتنا فى المجمع ، وهى تصفية اللغة وترقيتها وتحريرها من رق أدناس المادة والوقت والمسافة والكون والفساد مع تجردها للتفكر المحض .

وكما قيل فى فضل هذا المجاز الحكمى الذى ليس له إلى الآن معجم كاف : (ما الآفاق وامتدادها بالفضاء عند نظرنا إلا توقف يعلقنا قبيل محور الحضرة . وما الأوقات فى أدوار الزمان إلا تأخر مؤقت يؤخرنا الآن قبـــل الوصول إلى أبدية الدهر الوجودى . ولا تتخلق ولا تتحكم حقيقة الأسماء الحسنى فى قلب عاشقها الا بمسيره كشعلة المتهجد فى ظلمات ليلة المجاز) .

قرارات المجمع فى هذه الدورة

(١) مؤتمر المجمع — ميعاد انعقاده وبرنامج أعماله :

وافق مجلس المجمع على أن يكون موعد انعقاد المؤتمر يوم السبت الأول من يناير سنة ١٩٤٧ ، وأن تؤلف لجنة لتنظيم أعماله من حضرات الأعضاء المحترمين الدكتور منصور فهمى والأستاذ أحمد أمين والأستاذ على الجارم (١) .

وقد عرضت اللجنة مقترحاتها ، ووافق المجلس على أن يكون برنامج حفلة الافتتاح ومنهاج أعمال المؤتمر كما يلى :

« أولا — حفلة الافتتاح :

١ — كلمة وزير المعارف .

٢ — كلمة رئيس المجمع .

٣ — كلمة كاتب السر يعرض أعمال الدورة السابقة .

٤ — بحث يلقيه حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين .

٥ — بحث لغوى يلقيه الأستاذ محمد كرد على عن « تطور الألفاظ والتراكيب والمعانى » .

٦ — كلمة لأحد المستشرقين .

(١) الجلسة الأولى للمجلس (١٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٦) .

ثانياً — أعمال المؤتمر :

١ — ملاحظات حضرات أعضاء المؤتمر الشرقيين والمستشرقين على ما أقره المجلس من المصطلحات .

٢ — عرض أمر معجم الدكتور فيشر على المؤتمر ليكون لجنة من أعضائه لمراجعة ما انتهى منه مادة مادة ، وأخذ رأى المختصين فى اللغات السامية فيما يحتاج إليه ، فما انتهوا منه عرضوه على المؤتمر فى أثناء انعقاده ، وعلى المجلس بعد انتهاء المؤتمر (١).

٣ — مايقدمه حضرات الأعضاء من المقترحات .

٤ — فى غضون المدة من الآن إلى افتتاح المؤتمر يطلب من حضرات أعضاء لجنة المصطلحات الطبية دراسة معجم الدكتور داود الجلبى ، وعرض مايتم منه على المجلس ، تمهيداً لعرضه على المؤتمر فى أثناء انعقاده »(٢)

وقد عرض هذا المنهاج على المؤتمر فوافق على القرارات الآتية :

(١) بحث المجلس أمر معجم الدكتور فيشر مرة ثانية قبل انعقاد المؤتمر ، وذلك عند النظر فى « تنظيم أعمال المجمع » — انظر القرار الثالث فى هذه الدورة .

(٢) الجلسة الرابعة للمجلس (١١ من نوفمبر سنة ١٩٤٦) — وقد فرغت اللجنة من بحث معجم الدكتور داود الجلبى قبل انعقاد المؤتمر وعرضت تقريرها على المجلس . انظر القرار السابع عشر فى هذه الدورة .

(عن الفقرة الأولى) : المصطلحات التى أقرها المجلس فى دورته السابقة وأرسلت إلى حضرات أعضاء المؤتمر ولم ترد اعتراضات عليها تعد موافقاً عليها من المؤتمر .

(عن الفقرة الثانية) : تضع لجنة المعجم اللغوى التاريخى المبادئ اللازمة للبدء فيه وترسم سبيل التنفيذ .

(عن الفقرتين الثالثة والرابعة) : ينظر المؤتمر فيما بقى من ملاحظات الهيئات العلمية على المصطلحات الطبية التى أقرها المجمع فى دورته الثامنة (١).

(٢) لجان المجمع :

تباحث مجلس المجمع فى تعديل لجانه للانتفاع بمجهود حضرات الأعضاء الجدد فألفت لجنة من حضرات الأعضاء المحترمين : الدكتور منصور فهمى والأستاذ أحمد أمين والأستاذ على الجارم والدكتور أحمد زكى والدكتور عبد الوهاب عزام والدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، لإعادة النظر فى منهج العمل وتوزيعه بين الأعضاء (٢) .

وقد قدمت اللجنة مقترحاتها فى شأن توزيع حضرات الأعضاء على اللجان إلى مؤتمر المجمع ، فوافق عليه بعد شىء من التعديل(٣) ، وأصبح تنظيم لجان المجمع كما يلى :

لجنة البحوث :

حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد أمين

حضرة العضو المحترم الدكتور عبد الوهاب عزام ،

حضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم مدكور

حضرة العضو المحترم الأستاذ مصطفى نظيف

لجنة الأصول :

حضرة العضو المحترم الأستاذ عبد العزيز فهمى ،

حضرة العضو المحترم الشيخ إبراهيم حمروش ،

حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين

حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم ،

حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد العوامرى ،

حضرة العضو المحترم الشيخ محمد الخضر حسين .

لجنة الألفاظ والأساليب :

حضرة العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد ،

حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد أمين

حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبو حديد ،

حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد العوامرى

حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم

حضرة العضو المحترم السيد محمد كرد على .

---

(١) الجلسة الثانية للمؤتمر (٦ من ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة التاسعة للمجلس (١٦ من ديسمبر سنة ١٩٤٦) .

(٣) الجلستان الثانية والثالثة للمؤتمر (٦و١٣ من يناير سنة ١٩٤٧) .

لجنة اللهجات

(التقريب بين العامية والعربية) :

حضرة العضو المحترم الشيخ محمد الخضر حسين ،

حضرة العضو المحترم حايم ناحوم ،

حضرة العضو المحترم الدكتور منصور فهمى .

لجنة المعجم اللغوى التاريخى :

حضرة العضو المحترم الأستاذ أنطون الجميل

حضرة العضو المحترم الشيخ إبراهيم حمروش ،

حضرة العضو المحترم الدكتور منصور فهمى ،

حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد أمين

حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد العوامرى

حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم

حضرة العضو المحترم الأستاذ عبد الوهاب عزام ،

حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين ،

حضرة العضو المحترم الأستاذ ل. ماسينيون

لجنة معجم القرآن :

حضرة العضو المحترم الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق ،

حضرة العضو المحترم الشيخ إبراهيم حمروش ،

حضرة العضو المحترم الشيخ محمد الخضر حسين ،

حضرة العضو المحترم الدكتور محمد حسين هيكل ،

حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم

حضرة العضو المحترم الشيخ محمود شلتوت ،

حضرة العضو المحترم الشيخ عبد القادر المغربى .

لجنة المعجم الوسيط :

حضرة العضو المحترم الشيخ إبراهيم حمروش ،

حضرة العضو المحترم الشيخ محمد الخضر حسين ،

حضرة العضو المحترم الدكتور منصور فهمى ،

حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد أمين ،

حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم ،

حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد العوامرى ،

حضرة العضو المحترم الدكتور محمد شرف .

لجنة الأدب :

حضرة العضو المحترم الدكتور محمد حسين هيكل ،

حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين

حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم ،

حضرة العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد ،

حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد أمين ،

حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبو حديد ،

حضرة العضو المحترم السيد حسن القاياتى .

لجنة ألفاظ الحضارة الحديثة :

حضرة الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيس المجمع ،

حضرة العضو المحترم الأستاذ أنطون الجميل
حضرة العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد ،
حضرة العضو المحترم الدكتور عبد الوهاب عزام ،
حضرة العضو المحترم الشيخ محمود شلتوت
حضرة العضو المحترم الشيخ عبد الوهاب خلاف ،
حضرة العضو المحترم الدكتور أحمد زكى
حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم ،
حضرة العضو المحترم السيد محمد كرد على

لجان المصطلحات

لجنة الطب :

حضرة العضو المحترم الدكتور على إبراهيم
حضرة العضو المحترم الدكتور على توفيق شوشة ،
حضرة العضو المحترم الدكتور محمد شرف
حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم
حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد العوامرى

لجنة الكيمياء والطبيعة :

حضرة العضو المحترم الدكتور على توفيق شوشة ،
حضرة العضو المحترم الدكتور فارس نمر
حضرة العضو المحترم الأستاذ مصطفى نظيف
حضرة العضو المحترم الدكتور محمد شرف
حضرة العضو المحترم الدكتور أحمد زكى
حضرة العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد ،
حضرة العضو المحترم الأستاذ زكى المهندس

لجنة علوم الأحياء والزراعة :

حضرة العضو المحترم الأستاذ مصطفى نظيف
حضرة العضو المحترم الدكتور محمد شرف
حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد حافظ عوض ،
حضرة العضو المحترم الشيخ عبد الوهاب خلاف .

لجنة العلوم الرياضية والهندسية :

حضرة العضو المحترم الأستاذ مصطفى نظيف
حضرة العضو المحترم الدكتور فارس نمر
حضرة العضو المحترم الأستاذ زكى المهندس
حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد حافظ عوض .

لجنة الاقتصاد والقانون :

حضرة العضو المحترم الأستاذ عبد العزيز فهمى ،
حضرة العضو المحترم الدكتور عبد الحميد بدوى ،
حضرة العضو المحترم الدكتور محمد حسين هيكل ،
حضرة العضو المحترم الدكتور عبد الرزاق السنهورى ،
حضرة العضو المحترم الشيخ عبد الوهاب خلاف ،
حضرة العضو المحترم الشيخ محمود شلتوت

لجنة العلوم الفلسفية والاجتماعية :

حضرة الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيس المجمع
حضرة العضو المحترم الشيخ مصطفى عبد الرازق ،
حضرة العضو المحترم الدكتور منصور فهمى

حضرة العضو المحترم الأستاذ زكى المهندس
حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبو حديد ،
حضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم مدكور
حضرة العضو المحترم الأستاذ ل. ماسينيون

ثم رأى حضرة رئيس المجمع أن لجنة الأدب محتاجة إلى زيادة أعضائها ليتيسر لها الفراغ من نظر الكتب المقدمة إلى مسابقات المجمع فى موعدها ، فووفق على أن يضم إليها حضرات الأعضاء الآتية أسماؤهم :

الأستاذ أحمد لطفى السيد ،
الدكتور عبد الوهاب عزام ،
الأستاذ زكى المهندس ،
الأستاذ أحمد العوامرى ،
الشيخ عبد الوهاب خلاف ،
الشيخ محمود شلتوت ،
الدكتور إبراهيم مدكور (١) .

واقترحت لجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية على المجلس تأليف لجنة خاصة للتاريخ والجغرافيا فوافق على أن تؤلف هذه اللجنة من حضرات الأعضاء المحترمين : الدكتور طه حسين ، والأستاذ محمد فريد أبو حديد ، والدكتور أحمد زكى ، وأن يكون خبيرها فى الجغرافية الدكتور محمد عوض محمد (٢) .

(٣) تنظيم أعمال المجمع :

اقترح حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد أمين ألا يقتصر نشاط المجمع على إقرار المصطلحات ، بل يكون من عمله الأساسى الشروع فى المعجم التاريخى الكبير ، وتتويج مايستحق التتويج من النتاج الأدبى العربى ؛ واقترح — لمناسبة زيادة أعضاء المجمع — أن يعاد النظر فى تنظيم أعماله ؛ فوافق المجلس على اقتراح من حضرة الرئيس بأن تؤلف لجنة من حضرتى العضوين المحترمين : الأستاذ أنطون الجميل والأستاذ أحمد أمين لوضع مذكرة بتنظيم العمل فى المجمع (١) .

وقد أعيد النقاش فى هذا الموضوع بعد استقبال حضرات الأعضاء الجدد ، وعرض أمر اشتراكهم فى اللجان على المجلس ، فوافق المجلس على تأليف لجنة تنظيم أعمال المجمع المشار إليها فى صدر القرار السابق (٢) .

وعرضت اللجنة مقترحاتها فى شأن منهاج العمل وفروعه على المجلس ، فقرر ما يأتى :

أولا — إعداد بحوث فى المسائل اللغوية والأدبية التى تتصل بأغراض المجمع على أن تلقى فى جلسات تخصص لها .

ثانياً — تتبع الألفاظ والأساليب الشائعة إن فى الصحف والمجلات أو المسرح والإذاعة أو الرسائل والكتب ، واتخاذ قرارات فيها تنشر على الجمهور طبقاً لقانون المجمع فتسد حاجة وتحقق قسطاً من التهذيب والإصلاح .

ثالثاً — تيسير الوسائل للبدء فى المعجم التاريخى على أن يتصل بالأستاذ فيشر فى أول فرصة لتحديد مدى الاستفادة بمعجمه فى هذه الغاية (٣) .

---

(١) الجلسة السابعة للمؤتمر (١٧ من يناير سنة ١٩٤٧) .
(٢) الجلسة الخامسة عشرة للمجلس (١٠ من مارس ١٩٤٧) .

(١) الجلسة السابعة للمجلس (٢ من ديسمبر سنة ١٩٤٦) .
(٢) الجلسة التاسعة للمجلس (١٦ من ديسمبر سنة ١٩٤٦) .
(٣) الجلسة الحادية عشرة للمجلس (٣٠ من ديسمبر ١٩٤٦) .

ثم وافق المؤتمر على ضم الأستاذ ل. ماسينيون إلى اللجنة لتستوفى بحثها فى طريقة نظر المصطلحات ، على أن تعرض نتيجة عملها على المؤتمر (١).

وقد نظر المؤتمر بعد ذلك فى أمر تعريف المصطلحات التى تعرض عليه وعلى المجلس ، فوافق على القرارين الآتيين :

أولا — يستمر عمل اللجان على المنهج الحالى فى وضع الترجمة العربية للمصطلحات العلمية والفنية ، فإذا أقرتها اللجان جاز لها أن ترسلها إلى الهيئات والمعاهد التى تحتاج إليها بوصفها مشروعاً .

ثانياً — لايعرض على مجلس المجمع ولا على المؤتمر من الكلمات إلا ما تم تعريفه ، فإذا ما أقر المجمع ترجمة كلمة وتعريفها سجلت فى جزازات وأعدت للمعجم (٢).

ثم عرضت لجنة تنظيم العمل تقريرها عن طريقة نظر المصطلحات على المؤتمر ، فوافق على القرارات الآتية :

أولا — يتولى مكتب المجمع العمل على رفع المبلغ المرصد لمكافآت الخبراء فى الميزانية ليستطاع تعزيز اللجان بالخبراء .

ثانياً — تفرز اللجان ما تضعه من مصطلحات فما كان منها شائعاً عرفته تعريفاً معجمياً موجزاً وعرضته على مجلس المجمع ومؤتمره ، وما كان منها غير شائع حفظته فى جزازات ونشرته بين الهيئات العلمية وفى مجلة المجمع ، وتلقت ملاحظات هذه الهيئات وأهل الاختصاص فتولت تمحيصها وانتهت إلى قرار فيها ، على أن تكون المصطلحات الشائعة التى يقرها المجمع بتعريفاتها مادة تدخل فى المعجم ، وأما المصطلحات غير الشائعة فتظل فى المجمع حتى يتسنى إخراجها فى معجمات علمية ، وكلما وجد المجلس والمؤتمر لديهما وقت فراغ كان لهما أن ينظرا فى هذه المصطلحات غير الشائعة.

ثالثاً — تستخرج المصطلحات العلمية من الكتب العربية القديمة : ويوضع لها المقابل الإفرنجى . وتؤلف لجنة من حضرة رئيس المجمع ومن حضرات الأعضاء المحترمين : الدكتور طه حسين ، والأستاذ أحمد أمين ، والأستاذ على الجارم ، للنظر فى الوسائل التى تتخذ لتحقيق ذلك ، والقيام على تنفيذ ما أقره المؤتمر فى شأن المصطلحات (١).

(٤) بحث نموذج للمعجم الكبير :

كان من بين قرارات المؤتمر عند النظر فى منهاج أعماله : «أن تضع لجنة المعجم اللغوى التاريخى المبادئ اللازمة للبدء فيه وترسم سبيل التنفيذ» (٢).

ثم وافق المجلس بعد اطلاعه على جملة مواد من المعجم الوسيط ، ومنها مادة «أبد» ، على أن يقوم حضرات الأعضاء المحترمين : الدكتور محمد شرف ، والأستاذ على الجارم ، والشيخ إبراهيم حمروش ، والدكتور عبد الوهاب عزام ، والأستاذ أحمد العوامرى ، بوضع نموذج لمادة «أبد» للمعجم الكبير (٣).

وقد تولى حضرة الدكتور محمد شرف

---

(١) الجلسة الثانية للمؤتمر (٦ من يناير ١٩٤٧).

(٢) الجلسة الرابعة للمؤتمر (١٦ من يناير سنة ١٩٤٧) .

(١) الجلسة السابعة للمؤتمر ٢٧ من يناير سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة الثانية للمؤتمر (٦ من يناير ١٩٤٧).

(٣) الجلسة الثانية عشرة للمجلس (١٧ من فبراير ١٩٤٧) .

إعداد هذه المادة ، وعرضت على المجلس فناقشها تفصيلا(١) ، ثم قرر شكر حضرة الدكتور محمد شرف على ما بذله من جهد قيم ، وألا يكتفى بهذا النموذج بل تعرض على المجلس نماذج أخرى قبل وضع قواعد العمل فى المعجم اللغوى الكبير(٢).

(٥) اختيار الخبراء :

وافق المجلس على أن يفوّض اختيار الخبراء إلى حضرة رئيس المجمع بناء على اقتراح اللجان (٣).

(٦) انعقاد مجلس المجمع بصورة لجنة عامة :

وافق المجلس على أن يستمر نظام انعقاده عند عدم تكامل العدد القانونى من الأعضاء كما كان فى العام الماضى (٤).

وبعد زيادة أعضاء المجمع عرض حضرة الرئيس على المجلس نقطتين معدلتين للقرار السابق ، فوافق عليهما المجلس . وهذا نصهما :

أولا — يرفع الحد الأدنى لصحة انعقاد اللجنة العامة من خمسة إلى ثمانية نظراً لزيادة الأعضاء المصريين من ٢١ عضواً إلى ٣١ عضواً .

ثانياً — يكتفى بإرسال المحضر إلى حضرات الأعضاء جميعاً ، فإذا لم يرد اعتراض من أحد من حضراتهم قبل مضى عشرة أيام من تاريخ إرساله اعتبر هذا موافقة عليه من حضراتهم ونفذ (١).

(٧) تمثيل المجمع فى الشعبة القومية المصرية لهيئة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة :

وافق المجلس على اختيار حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين لتمثيل المجمع فى الشعبة القومية المصرية لهيئة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (٢).

(٨) تمثيل المجمع فى المؤتمر الصيدلى المصرى الثالث :

ورد المجمع كتاب من جمعية الصيدلة المصرية لاختيار مندوب يمثل المجمع فى المؤتمر الصيدلى المصرى الثالث (المؤتمر الصيدلى العربى الثانى) وقد عرض هذا الكتاب على المؤتمر فوافق على أن يمثل المجمع فى هذا المؤتمر حضرة العضو المحترم الدكتور أحمد زكى(٣).

(٩) تمثيل المجمع فى مؤتمر المستشرقين لعام ١٩٤٨ :

وتلقى المجمع كتاباً من الجمعية الآسيوية بباريس أنها تعد العدة لعقد مؤتمر المستشرقين فى عام ١٩٤٨ وترجو موافقة المجمع على الاشتراك فيه . فوافق مؤتمر المجمع على أن يكتب إلى الجمعية باستعداد المجمع لتلبية الدعوة

---

(١) الجلسة العشرون (٥ من مايو ١٩٤٧) والجلسة الحادية والعشرون (١٢ من مايو ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة الحادية والعشرون (١٢ من مايو سنة ١٩٤٧) .

(٣) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٢٤ من مارس ١٩٤٧) .

(٤) الجلسة الأولى للمجلس (١٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٦) وانظر نص القرار فى الجزء السادس من مجلة المجمع ص ٢٣٤ .

(١) الجلسة الثالثة عشرة للمجلس (٢٤ من فبراير ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة الأولى للمجلس (١٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٦) .

(٣) الجلسة الثالثة للمؤتمر (١٣ من يناير سنة ١٩٤٧) .

وأنه يترك اختيار من يمثله فى المؤتمر إلى أن يحدد ميعاده(١).

(١٠) تمثيل المجمع فى المؤتمر الثقافى للجامعة العربية :

وورد المجمع كتاب من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، تطلب فيه تعيين مندوبين عنه فى المؤتمر الثقافى الذى تقرر عقده فى لبنان فى اليوم الثانى من شهر سبتمبر سنة ١٩٤٧ ، لدراسة موضوعات اللغة العربية ووضع حد مشترك لمواد الثقافة العربية يدرس لطلاب البلاد العربية فى مراحل التعليم الابتدائية والثانوية ، والبحث فى تحسين طرق تدريسها. فوافق المجلس على أن يمثل المجمع فى هذا المؤتمر حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم (٢).

(١١) مسابقة تيسير الكتابة العربية :

كان مجلس المجمع قد حدد لقبول مقترحات تيسير الكتابة العربية موعداً غايته آخر أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، وقرر طبع ماقيل حول تيسير الكتابة فى مؤتمره الذى انعقد سنة ١٩٤٤ ، واتخاذ الوسائل لنشره ؛ وذلك وفقاً لقرار ذلك المؤتمر (٣).

ثم عرض على المجلس أن مناقشات المؤتمر فى هذا الموضوع لن ينجز طبعها قبل آخر أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، فوافق على مد أجل المسابقة إلى آخر مارس سنة ١٩٤٧ (١).

ثم عرض معالى الرئيس على المجلس أن لجنة الأصول تقترح زيادة أعضائها لتستطيع البت فى المقترحات الكثيرة المقدمة إلى المسابقة قبل الموعد المقرر . فوافق المجلس على اقتراح بأن يسبق نظر اللجنة المختصة ببحث اقتراحات تيسير الكتابة العربية تشكيل لجنتين من الخبراء المختصين فى الطباعة والخط والكتابة على الآلة الكاتبة ، لبحث هذه المقترحات من الوجهات الفنية واستبعاد مالايصلح منها ، وعرض الصالح وحده على لجنة تيسير الكتابة بعد إعداد تقارير وافية عن البحوث جميعها ، على أن يتم ذلك العمل قبل نوفمبر ؛ وعلى لجنة تيسير الكتابة أن تقدم تقريرها إلى مجلس المجمع بعد ذلك(٢).

وقد وافق المجلس على تأليف اللجنتين الآتيتين من بعض الخبراء فى الخط والطباعة :

١ — لجنة الخط : وأعضاؤها : الأستاذ الشيخ محمد فخر الدين الأستاذ بدار العلوم سابقاً ، والأستاذ سيد إبراهيم مدرس الخط بمدرسة تحسين الخطوط ، والأستاذ محمد على المكاوى الخطاط بمصلحة المساحة ، والأستاذ شارل كوينتز مدير المعهد الفرنسى بالقاهرة .

٢ — لجنة الطباعة : وأعضاؤها : الأستاذ عبد الخالق مطاوع المدير العام لمصلحة

(١) الجلسة الثامنة للمؤتمر (٤ من فبراير سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة العشرون للمجلس (٥ من مايو سنة ١٩٤٧) .

(٣) الدورة الثانية عشرة — الجلسة الأولى للمجلس (١٥ أكتوبر ١٩٤٥) . وانظر مجلة المجمع — الجزء السادس ص ٢٤٣ .

(١) الجلسة الأولى للمجلس (١٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٦) .

(٢) الجلسة الثانية والعشرون للمجلس (١٩ من مايو سنة ١٩٤٧) .

المساحة ، والأستاذ عباس السيد مدير المطابع والتوريدات بالسكك الحديدية ، والأستاذ شفيق مترى صاحب دار المعارف ، والأستاذ محمد نديم مدير مطبعة دار الكتب .

(١٢) تعديل لائحة لجنة الأدب :

وافق مجلس المجمع على تعديل المادتين الخامسة والسادسة فى اللائحة الداخلية لتشجيع الإنتاج الأدبى ؛ وهذا نص المادتين بعد التعديل :

٥ — تخصص ثلاثة أرباع المبلغ المدرج لتشجيع الإنتاج الأدبى بجميع فروعه فى المملكة المصرية ، فتقترح اللجنة جوائز مالية لأصحاب الإنتاج الممتاز فى الشعر وفى القصة والرواية وفى البحوث الأدبية .

وعلى الأدباء فى المملكة المصرية الراغبين فى الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع نسختين مطبوعتين مما طبع خلال السنة أو مكتوبتين على الآلة الكاتبة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة . وإدارة المجمع تبلغ هذا لجمهور الأدباء فى مصر فتعلن عن المسابقات فى أول أكتوبر من كل عام بالطريقة التى يراها رئيس المجمع . ويكون آخر موعد لتقديم الإنتاج الأدبى إلى اللجنة أول أكتوبر من السنة التالية . وتعلن النتيجة فى موعد أقصاه أول فبراير .

وكل موضوع يقدم يحيله الرئيس إلى لجنة الأدب التى تحيله إلى لجنتها الفرعية المختصة

٦ — يخصص الربع الباقى من المبلغ المدرج فى الميزانية لمنح جوائز سنوية لمباراة عامة تختار اللجنة موضوعها سنوياً إما فى الشعر وإما فى القصة والرواية وإما فى البحوث . ويجوز لأدباء العربية فى جميع الأقطار أن يشتركوا فى هذه المباراة العامة . وتعين اللجنة موضوع هذه المباراة العامة فى الشعر أو القصة والرواية أو البحوث الأدبية . ومتى وافق المجمع أعلن الرئيس ذلك فى أول أكتوبر من كل عام بالطريقة التى يراها ، ويكون آخر موعد لتقديم الإنتاج الأدبى إلى اللجنة أول أكتوبر من السنة التالية على أن تعلن النتيجة فى موعد أقصاه أول فبراير من كل سنة [١] .

(١٣) مسابقات تشجيع الإنتاج الأدبى لسنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ :

ناقش مجلس المجمع مقترحات لجنة الأدب بشأن مسابقات تشجيع الإنتاج الأدبى لسنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ ، ووافق على أن يقسم المبلغ المرصد فى الميزانية لهذا الغرض — ومقداره ثمانمائة جنيه — على النحو الآتى :

١ — تخصص مائتا جنيه لأحسن إنتاج من الشعر العربى الفصيح سواء أكان مطبوعاً أم مخطوطاً .

٢ — تخصص مائتا جنيه لأقوم قصة وضعت بالعربية الفصحى .

٣ — تخصص مائتا جنيه لأقوم بحث يقدم إلى المجمع فى كل من الموضوعين الآتيين :

ا — البيئة الأدبية فى المدينة أيام بنى أمية.

---

(١) الجلسة الثانية والعشرون للمجلس (١٩ من مايو ١٩٤٧) . وانظر نص اللائحة السابقة فى الجزء السادس من مجلة المجمع ص ٢٣٨ — ٢٣٩ .

ب – مهيار الديلمى وشعره .

وقد وافق المجلس على اقتراح لجنة الأدب أن يعلن عن هذه المسابقات فى آخر مايو سنة ١٩٤٧ ، وأن يكون آخر موعد لتقديم الإنتاج الأدبى نهاية شهر نوفمبر سنة ١٩٤٧ ؛ وذلك استثناء مما نص عليه القرار السابق فى هذا الشأن .

كما ووفق فى الجلسة نفسها على أن يكون موضوعا البحثين الأدبيين للمسابقة التى تنتهى فى أكتوبر سنة ١٩٤٨ هما :

أ – أثر الحروب الصليبية فى الأدب العربى فى مصر والشام .

ب – أبو الفرج الأصفهانى وكتاب الأغانى(١) .

(١٤) تخصيص مائتى جنيه لوضع مصطلحات فلسفية :

وافق مجلس المجمع على تخصيص مبلغ مائتى جنيه تبقت من ميزانية تشجيع الإنتاج الأدبى لسنة ١٩٤٦–١٩٤٧ لوضع مصطلحات فلسفية ، ووكل إلى كاتب سر لجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية أن يقدم لحضرة الرئيس مذكرة بما يقترحه فى هذا الشأن(١).

(١٥) رأى المجمع فى معجم الأستاذ جرجس حجار :

كان الأستاذ جرجس حجار المحامى لدى محكمة الاستئناف المختلطة قد عرض على وزارة المعارف أصول معجم عربى فرنسى من تأليفه فكتبت الوزارة إلى حضرة رئيس المجمع « راجية التكرم بالتنبيه إلى فحص الموضوع والإفادة بما يراه المجمع ». فأشار حضرة الرئيس بالكتابة إلى الوزارة رجاء التفضل بموافاة المجمع بنسخة من هذا المعجم ، ثم عهد إلى حضرة الدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع فى إعداد مذكرة عنه لتعرض على المجلس : فقدم حضرته المذكرة الآتية :

مذكرة

« بشأن معجم الأستاذ حجار »

١ – أرسل حضرة صاحب السعادة وكيل وزارة المعارف إلى معالى رئيس المجمع كتاباً بتاريخ ١٩٤٦/٦/١ ومعه صورة من كتاب الأستاذ حجار ورجا فيه التكرم بالتنبيه إلى فحص الموضوع والإفادة بما يراه .

ولما عرض الموضوع على معالى رئيس المجمع ، أشار بالكتابة إلى الوزارة بطلب نسخة المعجم تمهيداً لعرض الموضوع على المجلس بعد عطلة الصيف وذلك فى ١٩٤٦/٦/١٠ .

٢ – كتب المجمع إلى سعادة وكيل المعارف كتاباً يطلب فيه نسخة هذا المعجم وذلك بتاريخ ١٢ يونيه سنة ١٩٤٦ ، ورد الأستاذ حجار على المجمع بأنه تسلم نسخة كتابه إلى وكيل المعارف وأبدى استعداده لتقديم نسخة معجمه .

(١) الجلسة الثانية والعشرون للمجلس (١٩ من مايو سنة ١٩٤٧) .

(١) الجلسة التاسعة عشرة المجلس (٢١ من ابريل سنة ١٩٤٧) .

٣ — حول إلىّ حضرة رئيس المجمع ملف هذا الموضوع ، وبعد الاطلاع عليه وعلى نسخة المعجم التى قدمها الأستاذ حجار وعلى مذكراته فى هذا الموضوع وعلى كتابه إلى حضرة وزير المعارف بشأن طريقة وضع معجمه اتضح لى ما يأتى :

(أ) أن المؤلف رتب الكلمات حسب حروفها بدون ملاحظة الأصول والمشتقات وحروف الزيادة ، متبعاً فى ذلك نظام المعجمات الأجنبية ، وزاد على ذلك أن جعل هذا الترتيب بحسب ضبطها بالشكل أيضاً ، وذلك — كما يقول فى كتابه إلى وزير المعارف — تلافياً لعيوب المعجمات العربية التى يصعب معها الكشف فيها على الأجانب وغير المثقفين بعلوم اللغة العربية .

(ب) أن المعجم قد حوى حوالى واحد وتسعين ألف كلمة موضوع أمام كل منها ترجمتها باللغة الفرنسية ، وهذه النسخة هى التى تم إعدادها الآن .

(حـ) أن حضرته شارع فى إعداد نسخة أخرى ليضيف إليها الترجمة باللغة الإنجليزية ، ونسخة ثالثة ليضيف إليها التفسير العربى لكل كلمة .

لذلك أرى أن الحكم على صحة الترجمة الفرنسية الواردة فى هذا المعجم الكبير لا تكون إلا بعد قراءته جميعه ، وتنفيذ ذلك يستدعى وقتاً طويلا وجهداً شاقاً وعلماً تاماً باللغتين الفرنسية والعربية .

ولما كان المجمع لم تتألف منه لجنة تتوفر فيها الشروط اللازمة من بذل وقت وجهد ومن علم واف باللغتين المنقولة إليهما الكلمات والاصطلاحات العلمية والفنية التى كثيراً ما ترد فى المعاجم لتنظر فى مثل هذا العمل ، فالحكم عليه من هذه الناحية ليس الآن فى المتناول ، أما عن الطريقة التى اتبعها المؤلف فهى طريقة ميسرة للباحث .

وأثنى ثناء جميلا على الجهد العظيم الذى بذله واضع هذا المعجم .

١٩٤٦/١١/١١

كاتب سر المجمع »

وقد بحث المجلس فى أمر هذا المعجم(١) ، واطلع على نماذج منه ، وناقش المؤلف فى طريقته ومادته(٢) ، ثم قرر أن يكتب إلى وزارة المعارف الرد الآتى :

« إن وقت المجمع لا يسمح له أن يراجع معجما ضخما اشتمل على أكثر من تسعين ألف كلمة مراجعة دقيقة تتناول ضبط الألفاظ وصحة ترجمتها إلى اللغة الفرنسية . على أنه ظهر للمجمع فى نظره فى هذا المؤلف نظرة عابرة أنه وإن كان لا يخلو من سقطات لغوية ، فإن فيه تسهيلا لطلاب اللغة العربية من الأجانب ، وهذا كما لا يخفى على وزارة المعارف لا يدخل فى مهمة المجمع . وربما كان الأولى إذا رأت

(١) الجلستان الرابعة والخامسة للمجلس (١١ و ١٨ من نوفبر ١٩٤٦) .

(٢) الجلسة الخامسة للمجلس (١٨ من نوفبر سنة ١٩٤٦) .

الوزارة تشجيع هذا المجهود الكبير أن تعهد فحص هذا المعجم إلى لجنة من المختصين فى اللغتين العربية والفرنسية(١) » .

(١٦) رأى المجمع فى معجم المرحوم محمد النجارى بك :

قدم إلى المجمع فى دورته السادسة اقتراح بطبع معجم المرحوم محمد النجارى الذى عمد فيه مؤلفه إلى ترتيب لسان العرب ترتيباً حديثاً ، فألف المجمع لجنة من أعضائه لفحصه ووضعت اللجنة تقريراً وافق عليه المجمع إذ ذاك وانتهى بإجازة طبع الكتاب بالشروط التى تقررها إدارة المجمع بالاتفاق مع وزارة المعارف(٢).

ثم كتب الأستاذ حسين محمد النجارى — نجل المؤلف — إلى حضرة وزير المعارف راجياً أن تقوم الوزارة بطبع معجم والده أو تشترى حق الطبع ، فأحال حضرته الكتاب إلى رئيس المجمع . وقد عرض حضرة الرئيس الأمر على المجلس فقرر أن يكتب إلى الوزارة ما يأتى :

« لا يخفى على وزارة المعارف أن المجمع ماض فى وضع المعجم الوسيط والمعجم التاريخى ومعجم ألفاظ القرآن الكريم فلا يتسنى له مع ذلك النظر فى قاموس لسان العرب على الأسلوب الذى وضعه المرحوم النجارى بك ، ولذلك إذا رأت الوزارة أن القاموس الذى أخذه النجارى عن لسان العرب قد تم وضعه بأمانة تامة كما ورد فى الأصل وأن التعديل الوحيد تناول ترتيب المواد دون المتن استطاعت بعد التثبت من ذلك أن تقوم بطبعه وبخاصة أن طبعة لسان العرب الحالية قد نفدت(١) » .

وقد أبلغ المجمع هذا القرار إلى حضرة وزير المعارف فوقع حضرته على كتاب المجمع بما يأتى :

« يستعلم من المجمع عما يقدره ثمناً لحق التأليف فى حالة اعتزام الوزارة طبعه على نفقتها » .

وعرض هذا التوقيع على المجلس فوافق على القرار الآتى :

« يرى المجلس أن المجمع غير مختص بتقويم هذا المعجم من الوجهة المالية ، ويكل إلى حضرة الرئيس إجابة وزارة المعارف بما يفيد ذلك(٢) »

(١٧) رأى المجمع فى معجم المصطلحات الهندسية للأستاذ فؤاد فوجى :

قدم إلى المجمع معجم للمصطلحات الهندسية مرتبة بحسب الحروف الأبجدية الإنجليزية من وضع المرحوم الأستاذ فؤاد فوجى ، فرأى المجلس إحالته — مع معجم المرحوم الأستاذ خلاط الذى سبق تقديمه إلى المجمع — إلى لجنة العلوم الرياضية والهندسية لتبدى رأيها فيهما (٣) .

---

(١) الجلسة السادسة للمجلس (٢٦ من نوفمبر سنة ١٩٤٦) .

(٢) الدورة السادسة . الجلسة الثانية عشرة (٣١ من ديسمبر سنة ١٩٣٨) . وانظر مجلة المجمع : الجزء الخامس ص ٨٨ — ٨٩ .

(١) الجلسة الثالثة عشرة (٢٤ من فبراير سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٢٤ من مارس سنة ١٩٤٧) .

(٣) الجلسة الخامسة عشرة للمجلس (١٠ من مارس سنة ١٩٤٧) .

وقد قدمت اللجنة التقرير التالى عن معجم الأستاذ فؤاد فوجى :

« هذا المعجم شامل لمصطلحات فى الرياضة والهندسة والكيميا والطبيعة الخ وترى اللجنة أن مهمتها النظر فى مصطلحات الرياضة والهندسة فرعاً فرعاً . فبحث هذا المعجم تفصيلا معطل لعمل اللجنة ، ولمجلس المجمع إذا شاء أن يحيله إلى لجنة المعجم لإبداء رأى عام فيه .

« على أن اللجنة نظرت فى نماذج من هذا المعجم ولاحظت أن المؤلف يلجأ أحياناً إلى شرح المصطلح الإفرنجى من غير عناية بوضع مصطلح عربى مقابل له . مما يجعل القاموس فى بعض نواحيه أشبه بدائرة معارف منه بمعجم لغوى .

« كذلك لم يوفق المؤلف فى اختيار بعض المصطلحات العربية ، ومن بين المصطلحات الإفرنجية التى حاول وضع مقابل لها مصطلحات سبق للمجمع أن ترجمها ترجمة أدق .

« والمعجم — مع كل ذلك — ثمرة جهد شاق ، وفيه نقط تصلح للاستئناس بها . »

وعرض هذا التقرير على المجلس ، فوافق بعد مناقشة على أن تؤلف لجنة من حضرات الأعضـــاء المحترمين : الدكتور أحمد زكى والأستاذ مصطفى نظيف والدكتور محمد شرف لدراسة هذا المعجم والحكم عليه (١) وقدم كل من حضراتهم تقريراً مستقلا عن المعجم . وبعد أن سمع المجلس التقارير الثلاثة وتناقش فى فائدة هذا المعجم قرر شراءه بمبلغ خمسين جنيهاً على أن يحتفظ به مخطوطاً لتستأنس به لجان المجمع المختصة . وعهد إلى إدارة المجمع بالاتفاق مع الورثة على ذلك(١) .

(١٨) رأى المجمع فى معجم المرحوم الأستاذ عزيز خلاط :

وافق المجلس على أن يحال معجم المصطلحات الهندسية الذى وضعه المرحوم الأستاذ عزيز خلاط إلى لجنة العلوم الرياضية والهندسية لتبدى رأيها فيه (٢) .

وقد قدمت اللجنة تقريراً فى شأن هذا المعجم وافق عليه المجلس ، وهذا نصه :

« نظرت اللجنة فى معجم خلاط فى جلستها الثانية التى انعقدت بتاريخ ١٩٤٧/٣/١٩ ، وقد حضر الأستاذ فؤاد خلاط اجتماع اللجنة وعرض مالديه من عمل أبيه المرحوم عزيز خلاط — صاحب المعجم — فوجدت اللجنة ماعمله خلاط الكبير متناولا لفروع من الهندسة وهندسة البناء بخاصة . وقد أوضحت اللجنة للأستاذ خلاط أنه إذا أراد عرض عمل أبيه على المجمع فلا بد له من أن يعرضه تاماً على أن يرسله إلى إدارة المجمع بالطريق الرسمى فيحال إلى اللجنة للنظر فيه (٣) » .

(١) الجلسة الثامنة عشرة للمجلس (٧ من ابريل سنة ١٩٤٧)

(١) الجلسة الثالثة والعشرون للمجلس (٢٦ من مايو سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة الخامسة عشرة للمجلس (١٠ من مارس سنة ١٩٤٧) .

(٣) الجلسة الثامنة عشرة للمجلس (٧ من أبريل سنة ١٩٤٧) .

(١٩) اختيار الدكتور داود الجلبى عضواً مراسلا بالمجمع وقبول معجم فى أمراض الجلد مرجعاً للجنة الطب :

قدم حضرة الدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع تقريراً إلى المجلس عن تمثيله للمجمع فى المؤتمر الطبى العربى الثامن الذى عقد فى مدينة حلب فى المدة من ٢٧ إلى ٣١ من أغسطس سنة ١٩٤٦ أشار فيه إلى أن الدكتور داود الجلبى تقدم بمعجم فرنسى عربى فى أمراض الجلد اعتمد على أحدث المصادر فيها ، وبلغ عدد كلماته أكثر من ثلاثة آلاف مصطلح كلها باللغة العربية ولايتجاوز المعرب منها بضع كلمات.

واقترح حضرة الدكتور منصور فهمى تشجيعاً للدكتور داود الجلبى أن يطبع معجمه وتهدى إليه نسخ منه ، وأن يمنح لقب عضو مراسل .

وقد وافق المجلس على أن يعرض هذا المعجم على اللجنة الطبية وينضم إليها حضرة الدكتور منصور فهمى لكتابة تقرير عنه يمكن فى ضوئه النظر فى اختيار المؤلف عضواً مراسلا للمجمع (١) .

وقد قدمت اللجنة تقريرها إلى المجلس ، وهذا نصه :

«اطلعت اللجنة على معجم أمراض الجلد للدكتور داود الجلبى الذى قدم إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية فدلت النظرة الإجمالية التى ألقتها على هذا المعجم وعلى الطريقة التى نهجها صاحبه والمراجع التى اعتمد عليها — مع احتفاظها برأيها التفصيلى حتى يتسنى درسه دراسة وافية — دلت على نسق فريد فى الفكر ، وجلد فى البحث جعل اللجنة تبادر فتقضى على هذا العمل الجليل أعظم الحمد والثناء .

«وفوق ذلك فإن الدكتور داود الجلبى معروف للجنة بما سبق أن أبداه من ملاحظات وتعليقات على مصطلحاتها فى علوم الجراثيم والأمراض والرمد وغيرها ، فدل بملاحظاته وتعليقاته على ما اتسم به عمله من السعة والإحاطة باللغة العربية .

«لذلك ترى اللجنة أنه يستحق على المجمع ما يراه له من التقدير ، اعترافاً بفضله ، وتشجيعاً لغيره من العلماء».

فوافق المجلس على اختيار الدكتور داود الجلبى عضواً مراسلا. (١)

ثم وافق المجلس على اقتراح لجنة تنظيم أعمال المؤتمر أن يطلب إلى حضرات أعضاء لجنة المصطلحات الطبية دراسة معجم الدكتور داود الجلبى وعرض ما يتم منه على المجلس تمهيداً لعرضه على المؤتمر فى أثناء انعقاده (٢).

وقد قدمت اللجنة مذكرة فى شأن هذا المعجم وافق عليها المجلس ، وهذا نصها :

«قرر المجلس بجلسته المنعقدة بتاريخ

(١) الجلسة الأولى للمجلس (١٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٦ .

(١) الجلسة الثانية للمجلس (٢٢ من أكتوبر سنة ١٩٤٦) .

(٢) الجلسة الرابعة للمجلس (١١ من نوفمبر سنة ١٩٤٦) .

١١/١١/١٩٤٦ تكليف اللجنة الطبية النظر فى معجم أمراض الجلد للدكتور داود الچلبى تمهيداً لعرضه على المجلس ثم على المؤتمر . وتنفيذاً لهذا القرار عقدت اللجنة سبع جلسات بحضور الخبير الفنى فى أمراض الجلد الدكتور محمـــد كامل برادة واستعرضت مائتين وستة من مصطلحات هذا المعجم فأقرت منها اثنى عشر مصطلحاً وعدلت أربعة وستين ومائة مصطلح واستبعدت ثلاثين مصطلحاً لعدم استعمالها وحلول غيرها محلها فى كتب الطب الحديثة .

« وقد لاحظت اللجنة أن المؤلف أكثر من ذكر المترادفات التى كانت تستعمل قديماً لمصطلحات لايستخدمها الطب فى الوقت الحاضر .

« واللجنة تقدر المجهود الكبير الذى بذله المؤلف وتقترح — إن وافق — أن يكون هذا المعجم من ضمن الأسانيد التى ترجع إليها اللجنة عند نظر مصطلحات أمراض الجلد التى ستقوم بوضعها فى دورها بين المصطلحات الطبية الأخرى » (١) .

(٢٠) اختيار أعضاء مراسلين للمجمع :

تلى حضرة رئيس المجمـــع كتـــاباً من الأستاذ محمـــد كرد على عضو المجمع فى شأن اختيار أعضاء مراسلين ؛ فعرض الكتاب على المؤتمر ، وهذا نصه :

« حضرة صاحب المعالى الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية .

« أريد بالمجمع أن يكون لأبناء الضاد جميعا فإن غرضه الأسمى هو المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها ملائمة لحاجات العلوم والفنون والآداب . ولا تتحقق هذه السلامة على وجهها العملى إلا بأن يعمل المجمع على أن تكون قراراته وأعماله مظنة القبول وموضع الانتفاع بها فى البلاد العربية جمعاء .

« وقد لوحظ ذلك عند إنشاء المجمع فى ناحيتين : الأولى : النص فى القانون على أن يكون من بين أعضاء المجمع عدد من غير المقيمين بمصر ، والأخرى : وضع نظام العضو المراسل .

والمقصود بوضع هذا النظام أن يتسع نطاق المجمع لطائفة من العلماء واللغويين والأدباء لايتسع لهم نظام الأعضاء العاملين .

« ولهذا أقترح على المجمع أن يضم الى هيئته عدداً من الأعضاء المراسلين يختارون من مختلف البلاد العربية ، ولا سيما البلاد التى ليس لها أعضاء فى المجمع كالحجاز واليمن والجزائر ومراكش ، ويختارون كذلك من العلماء الذين يفيدون المجمع بآرائهم وأبحاثهم من كل صقع ومن كل أمة .

« وقد اصطفيت بعضاً من أهل العلم والأدب فى سورية ، أقترح اختيارهم أعضاء مراسلين ، وأرجو أن تعرض أسماؤهم على المجمع للنظر فى انتخابهم .

(١) الجلسة الحادية عشرة للمجلس (٣٠ من ديسمبر سنة ١٩٤٦) .

« وفى طى هذه المذكرة بيان بأسمائهم وبكفاياتهم العلمية .

« وتفضلوا بقبول أوفى الاحترام . »

وقد رحب حضرات الأعضاء بتمثيل البلاد العربية فى المجمع ، ورأوا أن يتوسع المجمع فى الاختيار فلا يقصره على إقليم معين ، وأن يختار أعضاء مراسلين من بين المستشرقين أيضاً ؛ ثم وافق المؤتمر على أن يتقدم حضرات الأعضاء بالأسماء التى يقترحون ترشيحها ، على أن يقدم الاقتراح بالترشيح من اثنين من حضراتهم ، وأن ينظر المجلس فى إحدى جلساته فى هذه الترشيحات(١) .

(٢١) براءات الأعضاء العاملين والمراسلين بالمجمع :

وبمناسبة منح المجمع لقب « عضو مراسل » للدكتور داود الجلبى وافق المجلس على اقتراح بعمل براءات تعطى للأعضاء المراسلين والعاملين ، كالبراءات التى سبق للمجمع منحها للعلماء الإيرانيين الأربعة الذين اختيروا أعضاء مراسلين .

وقد فوض إلى حضرة الرئيس اختيار النموذج الموافق لذلك(٢) .

(٢٢) اعتذار حضرة العضو المحترم الأستاذ عبد العزيز فهمى من عضوية المجمع ، وتمسك حضرات الأعضاء ببقائه :

أنهى حضرة رئيس المجمع إلى المؤتمر أنه زار حضرة العضو المحترم الأستاذ عبد العزيز فهمى فأخبره حضرته بأن حالته الصحية لا تمكنه من شهود جلسات المجمع وأنه لذلك يقدم استقالته من العضوية . وقد رجاه حضرة الرئيس أن يعدل عن ذلك ولكنه صمم على أن يكتب استقالته ، ثم ورد من حضرته الكتاب الآتى :

« حضرة رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية .

« حالة صحتى لا تسمح لى بالاستمرار فى عضوية المجمع فأرجو أن تتفضلوا بقبول عذرى وإعفائى مع العلم بأنى شديد الأسف على ترك هذه البيئة الكريمة التى كلها علم وفضل وكمال ولكن للضرورة أحكام والسلام مع أوفى الاحترام .

المخلص

إمضاء (عبد العزيز فهمى)

٨ فبراير سنة ١٩٤٧ »

وقد أعلن حضرات الأعضاء الحاضرين بالإجماع عدم قبول استقالة حضرته من عضوية المجمع وأن يكتب إليه بذلك مع تمنياتهم له بالشفاء والصحة(١) .

وفى الجلسة الختامية للمجلس قرر حضرات الأعضاء أن يوجهوا إلى حضرة الأستاذ عبد العزيز فهمى أطيب تحياتهم وتمنياتهم له أن يسبغ الله عليه حلل العافية(٢) .

---

(١) الجلسة العاشرة للمؤتمر (١٠ من فبراير سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة السادسة للمجلس (٢٦ من نوفمبر سنة ١٩٤٦) .

(١) الجلسة العاشرة للمؤتمر (١٠ من فبراير سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة الثالثة والعشرون للمجلس (٢٦ من مايو سنة ١٩٤٧ .

(٢٣) ترشيح أعضاء لمكتب المجمع :

أجرى انتخاب أعضاء مكتب المجمع وفقاً للمادة الثانية عشرة من مرسوم إنشائه والمادة الثالثة عشرة من لائحته الداخلية . فكانت أسماء حضرات الأعضاء الثمانية المرشحين حسب الأصوات التى نالوها وبعد تنازل كل من حضرتى العضوين المحترمين الدكتور طه حسين والدكتور على توفيق شوشة هم حضرات الأعضاء المحترمين : الأستاذ على الجارم ، والأستاذ أحمد أمين ، والدكتور منصور فهمى ، والأستاذ أنطون الجميل ، والدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، والدكتور محمد شرف ، والدكتور أحمد زكى ، والأستاذ أحمد العوامرى .

وتقرر إبلاغ هذه النتيجة إلى حضرة وزير المعارف لاختيار أربعة من بين حضراتهم أعضاء بمكتب المجمع (١) .

(٢٤) انتخاب كاتب سر المجمع :

انتهت مدة حضرة الدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع فى يوم ٦ من فبراير سنة ١٩٤٧ ، وعلى أثر ذلك عرض حضرة رئيس المجمع على المؤتمر أن ينتخب كاتب سر من بين أعضاء المكتب ، وفقاً للمادة التاسعة عشرة من اللائحة . وقد تنازل عن الترشيح لهذا العمل كل من حضرتى العضوين المحترمين الأستاذ أحمد أمين ، والأستاذ أنطون الجميل ؛ فأجرى الانتخاب بين حضرتى الأستاذين الدكتور منصور فهمى وعلى الجارم ، فحصل الأول على اثنى عشر صوتاً والثانى على أحد عشر صوتاً ، وبذا تجدد انتخاب حضرة الدكتور منصور فهمى كاتب سر للمجمع (١) .

المعجم الوسيط

نظر بعض مواده وتقرير قواعد تتبع فيه

أنهى حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد أمين رئيس لجنة المعجم اللغوى الوسيط إلى مؤتمر المجمع أن اللجنة قد أنجزت معظم عملها ؛ واقترح أن يشارك المؤتمر فى الاطلاع على مواد هذا المعجم ويناقش فيها ويبدى ملاحظاته عليها ؛ فووفق على عرض مايقرب من عشرين مادة (٢) ، نظر المؤتمر بعضها (٣) ثم أتم المجلس نظرها (٢) . وقد ووفق على بعض القواعد العامة التى رئى أن تتبع فى وضع هذا المعجم ؛ وهذه هى :

١ – لايلجأ إلى ذكر الشواهد إلا عند الضرورة ، كأن يكون من الشواهد المفردة ، أو تكون الكلمة مما لايظهر معناه إلا فى سياق (٣) .

(١) الجلسة الثالثة للمؤتمر (١٣ من يناير سنة ١٩٤٧)

(٢) الجلسة السابعة للمؤتمر (٢٧ من يناير سنة ١٩٤٧) .

(٣) الجلسات التاسعة والعاشرة والحادية عشرة (٦ و ١٠ و ١٣ من فبراير سنة ١٩٤٧) .

(١) الجلسة العاشرة للمؤتمر (١٠ من فبراير سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسات من الثانية عشرة إلى التاسعة عشرة (من شهر فبراير إلى شهر أبريل سنة ١٩٤٧) .

(٣) الجلسة التاسعة للمؤتمر (٦ من فبراير سنة ١٩٤٧) .

وعند الاستشهاد بآية من القرآن الكريم يستعاض بهذه العبارة : « وفى القرآن ... » عن عبارة المعاجم القديمة : « وفى التنزيل(١) »

٢ – يستغنى عن النص على الأصول السامية وغيرها فى المعجم الوسيط ، مالم تكن الكلمة معربة مثل « إبريز » و « أبزن » و « أتون » فيذكر أصلها ، ويترك ماعدا ذلك للمعجم الكبير ، ويحفظ ما أعد من إشارات إلى أصول بعض الكلمات فى جزازات خاصة لهـــذا المعجم(٢) .

٣ – يتبع نظام الإحالة فى الكلمات التى يصعب الاهتداء إلى أصلها : فكلمة « أب » أو « يد » مثلا توضع فى موضعها قبل الكلمات الثلاثية ثم يكتب بعد تعريفها : " « انظر « أبو » أو : " أنظر « يدو » ". وكلمة « إبزيم » توضع بعد كلمة « الأبزن » ويكتب أمامها : " انظر « بزم » " : وكلمة « إبليس » توضع بعد مادة « أبل » ويكتب بعد تعريفها : " « انظر « بلس » " وهكذا(١) ...

٤ – الكلمات الأعجمية التى لايعرف أصلها توضع فى مكانها حسب الحروف الأبجدية بغير إرجاعها إلى أصل(٢) .

٥ – لاتثبت ألفاظ الأضداد إلا ماكان منها شائعاً شيوعاً تاماً(٣) .

٦ – يخصص للأعلام ملحق يضاف إلى المعجم ، وتوضع الأعلام التى ترد فى أثناء البحث فى جزازات خاصة تسهيلا لعمل هذا الملحق فيما بعد (٤) .

---

(١) الجلسة الرابعة عشرة للمجلس (٣ من مارس سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسات التاسعة والحادية عشرة للمؤتمر (٦ و ١٣ من فبراير سنة ١٩٤٧) والثانية عشرة والسابعة عشرة للمجلس (١٧ من فبراير و ٢٤ من مارس سنة ١٩٤٧) .

(١) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (١٣ من فبراير سنة ١٩٤٧) والجلستان الثانية عشرة والرابعة عشرة للمجلس (١٧ من فبراير و ٣ من مارس سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (١٣ من فبراير سنة ١٩٤٧) .

(٣) الجلسة الثالثة عشرة للمجلس (٢٤ من فبراير سنة ١٩٤٧) .

(٤) الجلسة الرابعة عشرة للمجلس (٣ من مارس سنة ١٩٤٧) .

جـــوائز المجمع الأدبيـــة

فى مسابقة ١٩٤٥ – ١٩٤٧

وافق مجلس المجمع على اقتراح لجنة الأدب تتويج جميع الإنتاج القصصى باللغة العربية الفصحى لحضرة الأستاذ محمود تيمور ، ومنحه وحده جائزة القصة ، على أن يصرف لحضرته مائة جنيه من مبلغ مائتى الجنيه المرصد لجائزة القصة ، ويضم الباقى إلى جائزة البحوث الأدبية فتصبح بذلك ثلثمائة جنيه ؛

وتقسيم جائزة الشعر ، ومقدارها مائتا جنيه ، بين الدواوين الأربعة الآتية :

١ – صرخة فى واد ، للأستاذ محمود غنيم ،

٢ – تغريدات الصباح ، للأستاذ محمد الأسمر ،

٣ – ديوان عماد ، للأستاذ محمود عماد ،

٤ – ديوان محمد مفيد الشوباشى ، للأستاذ محمد مفيد الشوباشى –

على أن يمنح كل من الديوانين الأول والثالث ستين جنيهاً ، والثانى والرابع أربعين جنيهاً ؛

وتقسيم مبلغ ثلثمائة الجنيه التى خصصت للبحوث الأدبية على الوجه الآتى :

الجائزة الأولى – وقدرها مائة وستون جنيهاً : توزع مناصفة بين البحثين الآتيين :

١ – ألف ليلة وليلة ، للدكتورة السيدة سهير القلماوى ،

٢ – الأدب المصرى القديم (أو أدب الفراعنة) ، للأستاذ سليم حسن .

الجائزة الثانية – وقدرها خمسون جنيهاً : يمنحها بحث « تاريخ الترجمة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر » للأستاذ جمال الدين الشيال .

الجائزة الثالثة – وقدرها تسعون جنيهاً توزع بالتساوى بين البحوث الثلاثة الآتية :

١ – شعر الطبيعة فى الأدب العربى ، للدكتور سيد نوفل ،

٢ – الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، للدكتور شوقى ضيف ،

٣ – ذكرى قاسم أمين ، للأستاذ أحمد خاكى (١) .

وقد أقام المجمع حفلا عاما لإعلان هذه الجوائز بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية فى يوم الخميس ٢٧ من مارس سنة ١٩٤٧ ، فألقى كلمة البحث الأدبى حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين ، وألقى كلمة الشعر حضرة العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد ، وألقى كلمة القصة حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبو حديد . ثم عقب حضرة الدكتور منصور فهمى بتلاوة قرارات المجلس . وفيما يلى الكلمات الثلاث :

(١) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٢٤ من مارس ١٩٤٧

كلمـــة البحث الأدبى

لحضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين

عرض موجز للكلمة التى ألقاها حضرته

تناول حضرته البحث الأدبى الذى اضطلع المجمع بتشجيعه وعقد الصلة بينه وبين البحث الأدبى قديماً . فأبان أن كثيرين من المؤلفين فى الأدب قديماً قد تناولوا البحوث الأدبية بمثل ماتناولها الأدباء المعاصرون أو بما يقرب منه . ومن هؤلاء : ابن سلام وابن قتيبة والنويرى والثعالبى وصاحب الأغانى وابن خلدون . ثم أبان حضرته أن المجمع قد تقدم إليه كثير من البحوث الأدبية فاز منها ستة بحوث . وأن كثيراً مما قدم إلى اللجنة خليق بالتقدير والجائزة ، وأنه لولا ضيق وقت المجمع أولا وضيق ميزانيته ثانيا لامتدت الجائزة إلى أكثر ممن نالوها .

ثم انتقل حضرته إلى أنه من حق الجامعة المصرية أن تفخر بهذه المسابقة لأن معظم الفائزين من الخريجين فيها .

وتناول حضرته بعد ذلك البحوث الفائزة الستة فقال عن « ألف ليلة وليلة » للدكتورة السيدة سهير القلماوى إن بحثها خليق بالجائزة حقاً لما بذلت فيه من جهد ووقت . ثم شرح حضرته طريقتها فى البحث ، وكيف سافرت إلى أوربا خصيصاً لاستيفائه واستعانت بما حوته المكتبات الأجنبية من بحوث تناولت هذا الكتاب . كما اتصلت اتصالا مباشراً ببعض المستشرقين فى هذا الصدد ؛ وكيف أنها نحت بالبحث نحواً خاصاً برزت فيه شخصيتها ، فأبانت مافيه من حياة اجتماعية وخوارق ، وموضوعات خلقية وأخرى تاريخية ، ثم أبرزت نصيب المرأة من هذا الكتاب...الخ.

وعقب على ذلك بأن هذا النحو من البحث ليس فريداً فى بابه بالإضافة إلى الشرق فقط ، بل بالإضافة إلى الشرق والغرب معا .

ثم عرض لكتاب « الأدب المصرى القديم » للأستاذ سليم حسن ، فتنـــاوله بالتحليل والإطراء ، وأبان كيف كشف المؤلف عن أن للفراعنة القدماء أدبا ، بعد أن كان الناس لايؤمنون بأن للمصريين أدبا يضارع الأدبين اليونانى والرومانى وما إليهما ، بل كانوا يؤمنون فقط بأن تفوقهم قاصر على فنون الهندسة والطب وما إليهما .

ثم عقب على ذلك بأن المؤلف تأثر بروح العصبية القومية بعض الشىء فتغالى فى الأدب الذى أضافه إليهم إضافة يصح أن تكون موضع نظر .

ثم تناول بعد ذلك الطبقة الثانية من الكتب الفائزة وهى قاصرة على كتاب « تاريخ الترجمة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر » . وأبان عما بذله المؤلف من جهد ووقت فى الرجوع إلى الوثائق التاريخية فى قصر عابدين وغير ذلك من مختلف المراجع الأجنبية ، ثم عقد الصلة بين هذا العصر وعصر الترجمة الذى قام فيه العرب قديماً بترجمة كثير من المؤلفات اليونانية والهندية وما إليهما

ثم عرض بعد ذلك للطبقة الثالثة من الكتب الفائزة وهى « شعر الطبيعة فى الأدب العربى » للدكتور سيد نوفل ، و « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » للدكتور شوقى ضيف ، و « ذكرى قاسم أمين » للأستاذ أحمد خاكى : فتناولها بالبحث والتحليل جملة ، وأشاد بالجهد الذى بذل فيها . ثم عرج على نقد هذه الكتب فبين أنها كانت خليقة بأن يبذل فيها جهد أكثر مما بذله المؤلفون ، وعقب بصفة خاصة على ما ورد فى بعضها من انتقاص الأدب العربى فى بعض النواحى ونسبة الكمال المطلق إلى الأدب الغربى ، وعزا ذلك إلى مركب النقص الذى تشعر به الأمم المغلوبة على أمرها .

ثم ختم حضرته حديثه بتهنئته الفائزين فى هذه المسابقة .

كلمـــة الشعر

لحضرة العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد

كل أعمال الثقافة مستحق للتشجيع والتنويه ولاجدوى من الموازنة بينها فى هذا الحق لأنها لاتوضع موضع الترتيب بالمشيئة والتدبير ولاتستغنى الأمم بنوع منها دون نوع ، ولاتتم ثقافة الأمم بغير الجمع بينها واستكمال جوانبها فى شتى معارضها .

ولكن ربما جازت الموازنة بينها فى الحاجة إلى التشجيع والتنويه ؛ وربما جاز على هذا أن يقال : إن الشعر خاصة أحوجها إلى التشجيع الكريم والتنويه العادل فى العصر الحاضر ، على تباعد المواطن واختلاف الأقوام .

فنى العصر الحاضر نرى أن الشعر قد شورك فى ميدانه مشاركة قوية من جوانب كثيرة .

وميدانه هو التعبير عن العواطف الإنسانية وتلطيف الواقع بالأخيلة الصادقة والأحلام الرفيعة . وقد وجد الناس متنفساً لعواطفهم ، ومسرحاً لأخيلتهم ، فى كثير من المنظورات والمسموعات التى يسرتها لهم مخترعات العصر الحديث . ومنها الصور المتحركة ، والمذياع والصحف السيارة بالأخبار الطريفة والحوادث المثيرة والمغامرات المشوقة التى تحفز غرائز الطموح والمجازفة ؛ فأصبح نصيب الشعر من هذا الميدان حصة من حصص كثيرة ... وقد كاد أن يشمل الميدان كله فى بعض الأزمان .

أما الأحلام الرفيعة فقد أوشكت أن تتقيد فى العصر الحاضر بقيود الضرورات العادية والتجارب العملية ، وقد أوشك الناس أن يتبرموا بها وينفروا منها ، لأنهم يحاسبونها حساب الصيارف ويحللونها فى البوتقة والإنبيق وهى لا تكون أحلاماً إذا خضعت لهذا الحساب وريضت على هذا التحليل .

وإذا كان هذا شأن الشعر عامة ، فهو على الأخص شأن الشعر الذى يعتمد على قيمته الفنية وحدها ، ولايستند إلى رغبة من الرغبات الموقوتة التى تغنى بها جمهرة الناس كشعر الأغانى الشعبية أو الملاهى العامة أو المنازعات السياسية . فربما استغنى الشاعر بهذه الرغبات فكانت له عوضاً عن القيم الفنية الخالصة وتقدير ذويها .

لهذا صادف تقدير المجمع موقعه فى هذه الدواوين الأربعة التى استحقت جائزة الشعر فى هذا العام ؛ لأنها من طراز الشعر الذى يعتمد كثيراً على محبة الشعر لذاته ، ولايعتمد كثيراً على رغبة من تلك الرغبات الموقوتة . وكان من توفيق الاختيار أن الدواوين الأربعة تمثل نماذج الشعر العربى فى العصر الحاضر من طرفيها ، ولا تنحصر فى نموذج واحد ، لأنها تمثل المدرستين اللتين جرى الاصطلاح على تسميتهما بالمدرسة الحديثة أو الابتداعية ، والمدرسة السلفية أو التقليدية .

هذه الدواوين الأربعة هي :

ديوان عماد للأستاذ محمود عماد ، وديوان الشوباشي للأستاذ محمد مفيد الشوباشي ... وهما من المدرسة الحديثة أو الابتداعية .

وديوان « صرخة في واد » للأستاذ محمود غنيم ؛ وديوان « تغريدات الصباح » للأستاذ محمد الأسمر . وهما من المدرسة السلفية أو التقليدية .

وقد نجمل الفوارق بين المدرستين في فارق واحد يقوم فيه الإجمال مقام التفصيل ، وهو : أن المدرسة الابتداعية تبرز لنا طابعاً شخصياً ينفرد به الشاعر في مبتكراته ، ولا يتعدد بتعدد الناظمين على نمط واحد ، وأن المدرسة السلفية تميل إلى التعميم الذي تغيب فيه النزعات الشخصية بين أطواء النمط المأثور ، ويتجه الاختلاف فيه بين الناظم والناظم إلى صيغ التعبير وأساليب الكلام .

* * *

فديوان عماد فيه تصرف وتجديد . نمثل له بقوله من قصيدة في ذكرى ميلاده :

في مثل هذا اليوم من
عام قريب أو بعيدِ
راد البكاء بمصر صو
تاً ساذجاً في يوم عيدِ
فتضاحك الأهلون من
طرب على نوح الوليدِ

أو قوله يخاطب ولده الأول :

ولدى ! وهو نداءٌ
لم يعوِّده لساني
ولذا يغرب كالشي
ء أتى قبل الأوان
إن تقل إني جبانٍ
لم أكن أول جبان
من بعش بين ذنوبٍ
فبحقٍ أذنبا

* * *

نحن بالأمر ولدنا
ثم بالأمر نلد
ثم بالأمر يحب الوا
لد البر الولد
ذاك إلهام من النو
ع به النوع خلد
أى شيء يجنب الطف
ل الغرير العطبا

* * *

إن فلَنساً واحداً أنـ
فع لي منك وأجدى
غير أني لا أرى عن
هذه الحيرة معدى
أى خلق أنت حتى
بجميع الخلق تفدى
ذاك سر . إن سألت الـ
ـكون يفشيه — أبي

أو قوله في قبر توت عنخ آمون :

إن كان نبش القبر مهنة عالم
فالذئب يذهب في العلوم بعيداً

أو قوله يخاطب يوسف الصديق :

يوسف نبئنا بتأويل ما
نرى عياناً لا بحلم أطاف

السنبلات الخضر فى أرضنــا
فكيف نشكو كل هذا الجفاف

أو قوله يهجو :

أنت كالأرض فى الكثــافة إلا
أن للأرض مــيزة الجاذبيـــه

إلى أمثال هذه المعانى التى تدل على ابتكار وافتنان ولا تتكرر لزاماً فى نظم كل شاعر يطرق هذه الموضوعات ، مع تصرف فى أوزان الشـعر لا يلتزم فيه الأوزان المأثورة عن الأقدمين .

• • •

والأستاذ الشوباشى يصف فى ديوانه المناظر المألوفة كالبحر وحقل القمح وليالى الريف ، فيصدر فى وصفه عن وحى قريحته ؛ كما قال فى حقل القمح :

كان بالأمس زاهيـــا سندسيًّا
فغــدا ساطع الســنا عسجديا

هو كالبحر فى اتســـاع مداه
وهو كالبحر طيعاً وعصيـــا

فإذا مســه النسـيم رفيقــاً
مال كالمنتشى زهتــه الحميا

وإذا ثارت الرياح تـــراءى
مثل هُوج الأمواج تهوى هُوِيّــا

عصفرته شمس الأصيـل فأمسى
يابس الأرض سائلا ذهبيــا

ياله خضرماً حـــوى بدل المر
جـــان والدر بُرّه اللؤلؤيا

وشـــبيه الخضم أذكرنى ما
هى خضمٍ رتعتُ فيــه صبيــا

شــــاطئٌ مائج الرمال ويَمٌّ
يتهــــادى إليه طلقاً حفيـــاً

كنت أقفو تلك الرمال صعوداً
وهبوطاً ولا أملّ مضيـــا

وإذا ما لمحت فى الأفق النـــا
ئى شراعاً يكاد يخفى ، قصيـــا :

شاقنى سر ذلك العـــابر المجهول
يطوى عوالم الغيب طيـــا

وتمليت متعــة الأزرق الرجــرا
ج أجلو بحسنه مقلتيّـــــا

فلــه روعة عـــلى حالتيــــه
إن سجـــا أوطغى ودوّى دويـــا

أو كما قال فى ليلة ريفية :

وليلة من ليالى الريف ساجيـــة
قضيتهـــا بين أطيـــاف وأرواحِ

غابت عن العين أنماط الحيــاة فلم
يبن خـــلال دجاها غير أشـــباح

وغير خفق السها ، أو ضوء مصباح
يبدو على بعدٍ من كوخ فـــلاح

وعمها الصمت إلا ما تخـــلله
من نوح ساقية أو صدح صـــداح

دجت ، وشفّت ، فعينى فى غياهبها
عمياء ، لكن قلبى مدرك صـــاح

لما محى الليلُ وجه الكون أبدعـــه
فى خاطرى . نعم هذا المبدعُ الماحى !

وكثير من قصائد الديوان على هذا الطراز في معناه ومبناه .

* * *

أما الشاعران – الأستاذ غنيم والأستاذ الأسمر – فلا يفهم من نسبتهما إلى المدرسة السلفية أنهما لا يأتيان بشيء من عندهما يحسب لهما . ولكن يفهم منها أنهما يحددان على نمط الأقدمين كما صنع البارودى وحفنى ناصف من قبلهما . وقد قال زميلنا الشاعر الكبير على الجارم فى تعريف نهج البارودى : « إنه كان شاعراً مفطوراً ومحاكياً مفطوراً ، وكان دقيق الحس مرهف الذوق موسيقى الأذن ، يؤثر الديباجة على المعنى ، ويعنى بالرنين الشعرى والجرس اللفظى . تلفت حوله فرأى الشعر يرسف فى أغلاله ويرتطم برطانته ولا يزال رجاله يحاكون من قبلهم من شعراء عصر الجمود والخمود . فعكف على دواوين الشعر الجاهلى والإسلامى والعباسى فى أزهى عصور اللغة والأدب ، وكان قوى الحافظة سريعاً إلى المحاكاة فتعلم الشعر من الشعر وطبع على البلاغة دون أن يقرأ كتاباً فى البلاغة . وغرد بالشعر فملأ الدنيا كالمتنبى وشغل الناس . وكان اتجاه هذه الحلبة نحو شعر بغداد . »

وقال الأستاذ الجارم عن مدرسة حفنى ناصف : « إن الناشئة التى نشأت على نهجه كانت وجهتها محاكاة الشعر المصرى فى أنضر عصوره ، أيام الأيوبيين وصدر من دولة المماليك . ومميزات شعر هذه الطائفة خفة الروح المصرية والنكتة البارعة وتعمد الزخرف البديعى اللطيف . »

وكلا المذهبين من نفحات عصر النهضة التى بدأت فى عهد محمد على الكبير وترعرعت فى عهد إسماعيل ، وأخرجت مصر من ظلمات الجهالة التى رانت عليها بعد زوال استقلالها ، ودخولها فى حوزة الدولة التركية ، منذ أيام السلطان سليم .

* * *

والأستاذان غنيم والأسمر أقرب إلى نهج حفنى ناصف فى التحديد والاقتداء بالأنماط الحية فى شعر شعراء الدولة الأيوبية ودولة المماليك .

ومن أمثلة شعر غنيم قوله فى فجر السلام :

لما شدا بالنصر شاديهم بدا
لحن السرور على الشفاه غريبا
ملأوا الكؤوس فكلما هموا بها
ذكروا بحمرتها الدم المسكوبا
فتشتُ بين المحتفين فلم أجد
إلا طعينا فى الصميم أصيبا
كم فى غمار المحتفين خطيبة
باتت تناجى فى التراب خطيبا
كم ثاكل لم تدر أين ثرى ابنها
فتعيره من دمعها شؤبوبا
ومشوه تزوى الملاحُ وجوهها
عنه ، وكان إلى الملاح حبيبا

* * *

ومن قصائده فى غارات الإسكندرية :

الثغر أين مضى رواؤه
أو لم يفارقه شتاؤه ؟

كانت تموج ظباؤه
ما باله نفرت ظباؤه ؟

قد ظلل الثغر الوجو
م ولف شاطئه رداؤه

إلى أن يقول :

ريع الرجال به وعن
أطفالها ذهلت نساؤه

هاموا كما هام القطيـ
ـع تخلفت عنه رعاؤه

يجرى الشريد به فلا
يدرى إلى أين التجاؤه

أشقى بنيه من نجا
فأطال لوعته نجاؤه

ومن قوله فى الثورة على الحضارة :

ذرعتم الجو أشباراً وأميالا
وجبتم البحر أعماقاً وأطوالا

فهل نقصتم هموم العيش خردلة
أو زدتمو فى نعيم العيش مثقالا

صرعى الهواء وصرعى الماء قد كثروا
وراكب الخيل جر الذيل مختالا

العيس ألين ظهرا من مراكب إن
جنَّبن هولا فقد قرَّبن أهوالا

تسنم القومُ غربَ الجو وانطلقوا
كأن للقوم فى الأفلاك آمالا

أقسمتُ لو دنت الأفلاك طائعة
فنالها المرء لم يقنع بما نالا

* * *

وقد مهد زميلنا الأديب الكبير أنطون الجميل باشا لديوان الأستاذ الأسمر بمقدمة ناقدة محللة هى خير ما يوصف به هذا الديوان فقال فيها :

« هو فى ذلك شأنه شأن معظم شعرائنا — يتنازعه عاملان : عامل التقليد فينزع منزع الأقدمين ، وعامل التجديد فيذهب مذهب المحدثين .

« يغلب الطابع الأول على ملكياته التى يشيد فيها بمآثر البيت العلوى من محمد على إلى الفاروق ، ويغلب الطابع الآخر على إخوانياته التى يداعب فيها أصدقاءه ويترسل معهم ، ويتبارى الطابعان فى وطنياته التى يسجل بها حوادث الثورة والمظاهرات الشعبية .

« وهو فى أكثر هذه المواقف تتسلط عليه عاطفة الألم مما يرى ويحس : يتألم لوطنه المسلوب الاستقلال فيقول :

عجبت لبحر الروم يرمى بموجه
على شاطئيه حر وآخر موثق

رأيت الأسارى مطلقات عقولهم
ونحن أسارى ، عقلنا غير مطلق

ويغضب لمصر الضائعة الحقوق فيزفر تأوها :

آه على مصر وأبنائها
صارت وصاروا أكلة الآكل

ويتألم لما بين الأحزاب السياسية من خصام فيقول :

يعـــادى بعضنا بعضـــاً كأنا
فقدنا فى الكنانة من نعـــادى
أرى الأحزاب قد ضلت وصارت
أشد على البـــلاد من الأعـــادى

ويتألم لما فى مصر من ثروة حرم أبناؤها منها فيقول مسجلا :

بها ما شئت من قمح وقطـــن
ولكنا نجوع بهـــا ونعـــرى

وفى هذه القصيدة نفسها يتألم لنفسه بما يثقلها من قيود :

أرونى شـــاعراً حراً يغـــنى
بمـــا أهوى فلست اليوم حـــراً »

وقد جاء هذا التفصيل وما تلاه بعد إجمال يقول الأديب الكبير فيه :

« إن شعر الأسمر فى معظمه مزيج من الحقيقة والخيال : يرتفع الشاعر حيناً فيروى ما يشعر به حسه ، ويدرج حيناً فى عالم الحقائق المجردة فيصف شؤون الحياة كما هى ، جميلة أو شوهاء ، سعيدة أو مبتئسة ، مفترّة الثغر أو مقطبة الجبين . »

* * *

من هذه الأمثلة المقتبسة من شعر الدواوين الأربعة : يبدو لنا جلياً أن أصحابها ينتمون إلى مدرستين لا إلى مدرسة واحدة ، وأنهم جميعاً من الشعراء المتصرفين فى طريقتهم الشعرية على اختلاف هذه الطريقة ، ولعلنا نلمس دلائل الطبع فى شاعرى المدرسة الابتداعية وشاعرى المدرسة السلفيـــة — من ذهابهم جميعاً « مذهباً طبيعياً » لمن نشأ مثل نشأتهم ودرس مثل دراستهم . فمن عرف اللغات الأجنبية غلبت عليـــه موضوعاتها ونزعاتها . ومن تعلم فى الجامعة الأزهرية أو فى دار العلوم غلب عليه التجديد على طراز بغداد والقاهرة ، أو طرار القاهرة فى عهد الأيوبيين وما تلاه .

وقد كان الأصل فى جائزة المجمع أن ينالها شاعر واحد منقطع النظير فتقاربت الملكات والمذاهب وتلاقت الأيدى على قصبة السبق . فوجب أن تقسم بينها قسمة عادلة . فكانت من نصيب هؤلاء الشعراء الذين تقدموا فى الرعيل الأول بين المتقدمين ، وكانت قسمتها على النحو الذى رآه المجمع بعد طول المقابلة والترجيح .

فنهنىء الأدباء الأفاضل بسبقهم وبراعتهم ونرجو لهم مزيداً من الفضل والبراعة ، وللأدب العربى على أيديهم مزيداً من الغنى والحيـــاة .

كلمة القصـــة

لحضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبو حديد

إذا أردنا أن نتحدث عن القصة لم نكن فى حاجة إلى كثير من التعريف أو التحديد. فالقصة اليوم أكثر فنون الأدب ذيوعاً بين الكتاب والقراء على السواء فهى المظهر الأول للأدب الحديث ولا تكاد أنواعها تقع تحت حصر. فهناك: التمثيلية المأساة (التراجيديا) والملهاة (الكوميـــديا)، وتختلف كل هذه وتتنوع فى الموضوع والأسلوب وطريقة التعبير، كما تختلف فى مقاصدها، فبعضها يكتب للقراءة وبعضها ليمثل على المسارح وبعضها غنائى وبعضها سيمائى. ثم هناك القصة الوصفية يختلف بعضها عن بعض طولا ونوعاً وأسلوباً وطريقة. وكما أن القصة تختلف من حيث جوهرها أو أوصافها فإنها تختلف كذلك فى مناحى الكتاب فيها، فهى تتخذ أحياناً للتسلية وأحياناً للدراسة وأحياناً للدعاية لفكرة أو مبدأ أو سياسة، وقد تتخذ للجمع بين طائفة من كل هذه الغايات أو لكل هذه الغايات معاً، ولسنا نستطيع فى كلمات محدودة أن نصور ما يمكن أن تتخذ القصة وسيلة له عند الكتاب أو ما تتخذ من أجله غاية عند الناس. ولكن مهما يكن من ذلك كله فالقصة ما هى إلا وسيلة للتعبير، فإذا أردنا أن نتحدث عن الأدب والأديب وأن نلم إلمامة قصيرة بالوظيفة الطبيعية التى قدرها نظام الكون للأدب عامة فإننا نقول: ليس الأدب فى أبسط مظاهره سوى حركة الإنسانية فى تطورها. هو عدة الرقى الإنسانى منذ بدأ الإنسان يفكر ويعبر. إن الكون كله خاضع لناموس التطور سواء فيه الجامد والحى، والإنسان كسائر الكائنات خاضع لهذا الناموس العام الذى أصبح من البديهيات الأولى بين أسرار الخليقة. ولقد بلغ الإنسان فى تطوره ما جعله سيد المخلوقات وهو لا يزال متجهاً نحو الغاية المقدورة له فى الأزل كما تتجه كل الكائنات الأخرى نحو الغاية المقدورة لها. وإذا كان تطور الكائنات الأخرى وليد ظروف المكان والبيئة وتغيرها على مرور الدهر الطويل فإن تطور الإنسان كان إلى حد كبير وليد الخاصة التى خص بها دون سائر الكائنات وهى خاصة الفكر والتعبير.

كان الفكر والتعبير أكبر العوامل على النمو بالإنسانية من صفوف الحيوانية إلى سيادة الأرض. فالفكر الإنسانى من ناحية هو الذى استطاع أن يسبر أغوار الطبيعة ويتدسس إلى أسرارها. هو الذى استطاع أن يمكن للإنسانية من التحكم فى تلك الطبيعة حتى تهيأت له تلك القوة الهائلة التى تضاءلت إلى جانبها كل قوى الكائنات الحية الأخرى وهو لا يزال متجهاً إلى البحث عن تلك

الأسرار الطبيعية التى لا حد لها ؛ ماضياً فى سبيله نحو الغاية المحجوبة فى الغيب الأبدى .

والفكر الإنسانى من ناحية أخرى هو الذى استطاع أن يسبر أغوار النفس البشرية ويكشف عن أسرارها وأن يكتنه حقائق الحياة ومعانيها وما فيها من جمال ومن خير ومن نبل وما بها من شر وفساد وقسوة . هو الذى استطاع معرفة نسبة الناس بعضهم إلى بعض فى معاملاتهم ونسبتهم إلى قوى الطبيعة والأقدار ثم معرفة ما تنطوى عليه قلوبهم من مشاعر ودوافع وروابط ونوازع . هكذا كان الإنسان منذ القدم يتجه بفكره إلى هذين الجانبين فى الوجود — جانب الأشياء وجانب الحياة ؛ وكانت عدته فى هذا البحث المزدوج طوائف من رواد الإنسانية الذين كانوا يسيرون فى الطليعة بما وهبهم الخالق من ذكاء وإلهام ، فكان رواد البحث عن الأشياء هم العلماء وكان رواد البحث عن أسرار الحياة الإنسانية هم الأدباء . الأدباء بالمعنى الأوسع الذى يشمل كل أصحاب الفكر والتعبير منذ بدأت حياة العقل فى الإنسان .

ولقد كان هؤلاء الرواد هم طلائع الإنسانية فى تطورها وتقدمها ، فالإنسانية مدينة لهم بكل ما بلغته من عظمة وسلطان وحكمة . بل إن هؤلاء هم خلاصة الإنسانية وجوهرها .

الحياة الإنسانية فى صميمها حلقة من ميلاد فنضوج ففناء تعقبها حلقة أخرى من ميلاد فنضوج ففناء وكل حلقة من هذه تشهد الحياة جديدة وتجربها وتهتز لها ثم تمضى عنها .

ولو كانت كل حلقة تجرب تجربتها ثم تنتهى إلى نهايتها فلا تبعث شيئاً من تجربتها إلى الحلقة التى تليها لبقيت الحياة ثابتة حيث كانت ، تدور فى دائرة ثابتة فى مكانها لا تتغير ولا ترقى . ولكن الحياة لم تكن كذلك بل كانت كل حلقة فيها تبدأ حيث انتهت سابقتها ، ولهذا كان كل جيل يعلو فى طبقات التطور قدراً ثم يبعث من لدنه دفعة إلى الجيل الذى يليه فيعلو به فى طبقات التطور قدراً . هكذا كانت الحياة دائماً بفضل هؤلاء الذين كانوا يستطيعون أن ينقلوا تجربتهم وهزتهم إلى غمار الإنسانية التى لم توهب سوى الفهم والإدراك . فهؤلاء الأدباء الذين وهبهم الخالق القدرة على الإحساس والتعبير ، هؤلاء الملهمون الذين يلمحون بعبقريتهم خفايا النفس البشرية وأسرار الحياة الإنسانية هم الذين خلقوا لنا ما نسميه نحن الثروة الفكرية والثروة الأدبية ، ولسنا نجد لهم تسمية عامة تظلهم جميعاً غير أن نسميهم الشعراء — الشعراء بالمعنى الذى يشمل كل من كان له الحس المرهف الذى يدرك به ما لا يدرك عامة الناس ، والذى تستجيب نفسه إلى حدة الشعور وقوة الهزة فيصور ما يجده فى أسلوب يبعث نشوة القلب الفنى إلى القلوب ويسمع ما تجيش به نفسه إلى النفوس فيشعرها بما يهتز له من مباهج الحياة أو أحزانها ومن آلامها أو آمالها .

عن هؤلاء الشعراء تخلفت لأجيال

الإنسانية هذه الثروة الأدبية التى لا تزال تتزايد على مر الأيام وهى تجمع أحاسيس الإنسانية نحو ما فى الحياة من الجمال والحب والألم والثورة والحكمة والمثل العليا . وقد كان الأديب منذ أقدم العصور يقرن دائماً بين الصورة التى يصور فيها أحاسيسه وبين الأحاسيس فهو يرسم الأشخاص ويحركهم ويجعلهم ينطقون بما يصور نفوسهم ويرسم ما حولهم من أحوال الزمان والمكان وما يعترضهم فى الحياة من الأحداث وتصرف الأقدار ، وهو فى كل ذلك يبين عن ذات نفسه إما مفصحاً وإما مضمناً ملمحاً ، فكان من ذلك اقتران الترانيم بالحوادث وكان من تلك اتصال الشعر بالقصة .

وقد ظهر هذا الاتصال فى أقدم صور الأدب فى مصر وبابل والصين . ولكنه ظهر فى أروع مظاهره فى الأدب اليونانى القديم الذى كان بغير شك أعلى الآداب القديمة ولا يزال من أعلى الآداب إلى وقتنا هــذا .

كانت لمعة الأدب اليونانى لمعة عبقرية لا تزال محتفظة بمجدها وإن تقادم العهد عليها ، وها هى ذى إلياذة هومير وأوديسيته ومآسى إسكيلس جنــدى ماراثون الباســل وسفوكليس ذلك الأديب الجميــل الذى نبغ فى تصوير كل ماهو جليل ، وأوريبيدس الثائر المبدع ثم ملاهى أرستوفانز الوديع ، كل هذه الآثار ماتزال حية جديرة بالحياة مابقيت النفس البشرية نزاعة إلى الكمال . ولكن تلك اللمعة لم تلبث أن اضمحلت وأعقبها عصر طويل من الركود ، وذلك عندما انغمر اليونان فى المعامع التى أنستهم تأمل الجمال ومصاير الحياة . وكان الرومان الذين ورثوا علم الحضارة بعدهم قوماً أهل حرب وحكم وإدارة فانصرفوا إلى اضطراب الحياة الصاخبة وألهاهم ذلك عن التسامى إلى آفاق عباقرة اليونان . بل لعل الطبع نفسه لم يوات الروم إلى غير ما استطاعوه من حروب وحكم وإدارة وقد شهد بذلك عليهم شاعرهم فرجيل إذ خاطبهم قائلا :

« وأما أنت أيها الرومانى فاحكم الأمم فى أطراف الخافقين وانشر السلام على ربوع العدو المنهزم وارحم الضعيف المقهور واكسر شوكة أهل الكبرياء » .

لم يكن للروم من الأدب إلا حظ يسير لايزيد على ترديد أصداء الإلياذة وترجمة روايات العباقرة العظام .

وإذا كان فرجيل قد أحيا الملحمة الشعرية فى الإنيادة وإذا كان هوارس فى عزلته الريفية قد أنشد المواعظ الرائعة لأهل عصره يلومهم فى رفق على إسرافهم فإن أدب الروم قبلهما لم يخلف شيئاً يستحق الخلود فقد كانت ملاهى (بلوطس) أقرب إلى المساخر منها إلى ملاهى أرستوفانز وكان تيرينس مقلداً لم يأت بشىء جديد .

ولكن إذا كان الروم لم يخلفوا فى الأدب مايقرب من آثار اليونان فإن آخر أدبائهم

يستحق وقفة خاصة فقد ألف لوكياس أبوليباس كتاباً من نوع جديد لم يعهد الأدب مثله من قبل فإنه كتب القصة الفكهة « الحمار الذهبي » التي تأثر بها فيما بعد من أدباء عصر النهضة الأوربية أمثـــال بكاشيو الإيطـــالي مؤلف الديكامرون وسرفانتس مؤلف دون كيشوت.

فالأدب وإن لم يخط خطوة واسعة على يد الروم قد تطور تطوراً جديداً عندما بدأت القصة تتخذ مظهراً مستقلا وصورة واضحة المعالم ليست من ترانيم الأغاني ولا من أناشيد المسارح بل قصة تسمع أو تقرأ عمادها وصف الأشخاص وتتبع أعمالهم في فصل من فصول الحيـــاة .

وجاء العرب بعد الروم فاتجه أدبهم إلى وجهة لا تشبه في شيء أدب اليونان أو الروم ولسنا نستطيع أن نعرف على وجه الدقة حقيقة السر في أن العرب لم ينصرفوا في أدبهم إلى القصة أو الرواية التمثيلية فهذا بحث لانستطيع أن نحاوله في مثل هذه الإلمامة .

لقد أبدعت العبقرية العربية أو بقول أدق العبقرية الإسلامية إبداعاً لايخفى على كل من يدرس تواريخ الأدب العالمي ، ولكن هذا الإبداع الفكري اتجه في مسائل خاصة تكاد تجعل الشعر العربي نوعاً قائماً بذاته في آداب اللغات . ومهما يكن من أمر الأدب العربي فإن القصص كان أقل مافيه . وإذا كان يشتمل على المقامة ، وإذا كانت فيه بعض الرسائل القصصية ، وإذا كان القصاص العامي قد خلف للأدب العالمي تلك المجموعة العجيبة المعروفة بقصص ألف ليلة وليلة وأمثالها من قصص أبي زيد وعنترة وذات الهمة وسيف بن ذي يزن فإن هذا لاينقض الحقيقة العامة وهي أن الفكر العربي لم يتجه إلى القصة اتجاها جدياً.

فلما جاء عهد النهضة الأوربية لم يكن في تراث الأوائل من آثار القصة سوى ماتخلف من روايات اليونان وملاحمهم وما اتصل بذلك من آثار الأدب الروماني ، وبدأت حركة الفكر الإنساني في أوربا تسير مرة أخرى في خطا القدماء ، فخلف شعراء الألمان ملحمة نيبلونجن ليد أو (أغاني بلاد الظلام) وألف شعراء الفرنسيين والأسبان أغاني (التروبادور) ونبغ عند الإيطاليين دانتي العظيم الذي قضى كل حياته يتغنى بمحبوبته بياتريس وألف الكوميديا الإلهية ليخلد ذكراها وأما الإنجليز فأخذوا يستمعون إلى شاعرهم تشوسر إذ يلقي عليهم الترانيم العذبة في أحاديث كنتربري . ولكن هذه الحركة الشعرية لم تكن سوى إرهاص للفيض الأدبي الذي أخذ يغمر العالم منذ القرن السادس عشر ومن هنا تبدأ سيرة القصة بمعناها الحديث .

اتجهت القصة منذ ذلك القرن في اتجاهين متوازيين : فكانت الرواية التمثيلية قصارى مابلغه الفن الشعري ، وكانت القصة هي الفتح الجديد الذي أوحى به إلى الأدب ذيوع القراءة في العالم الجديد . كان الناس في العصور القديمة والقرون الوسطى وأول عصر النهضة يستمعون إلى الشعر ويسير الرواة بقصائده

ويتغنى بها الناس نقلا عن الأسماع . كانوا يستمعون إلى الرواية التمثيلية الشعرية ويتمتعون بما فيها من ترانيم مشجية ولا يكلفهم ذلك سوى الاستماع وفهم الأشعار . ولكن العصر الجديد طلع على الناس وهم فى توثب إلى القراءة وقد امتلأت نفوسهم حماسة إلى التملى بآثار القدماء فأخذت القصة المكتوبة منذ ذلك العهد فى الظهور حتى صارت إحدى متع المتأدبين . وكان سرفانتيز الأسبانى أول من كتب القصة الحديثة عندما أخرج كتابه الخالد دون كيشوت وذلك فى الوقت الذى كان فيه الشاعر الأكبر والروائى الخالد وليم شكسبير يهز المسارح بروائعه الفريدة.. وقد مات الأديبان معا فى عام ١٦١٦ للميلاد .

ولسنا نستطيع أن نمضى فى إحصاء أدباء القصة منذ تلك النهضة العجيبة . ففى كل أمة نهضة وفى كل جيل عشرات من المؤلفين أو مئات . وتفرع فن القصة وأخذ كل فرع يتصل بجذور جديدة ويستأنف حياة جديدة. فالرواية التمثيلية الشعرية تتلوها الرواية النثرية وبدأ المسرح يستقل بأدبه وأسلوبه ؛ وبدأت القصة الوصفية تجد فى المطابع وسيلة جديدة للذيوع ، وأخذت كل أمة من الأمم طريقها الذى يلائم طبيعتها وعبقريتها ، فنبغت سلسلة باهرة من كتاب القصة والرواية فى كل قطر وفى كل لغة ، وكان كل عصر يلقى بنوابغه كأنهم يتبارون فى سباق : كورنى ، موليير ، راسين ، مارلو ، بن جونسون ، بومنت، فلتشر ، بنيان ، دريدن ، كونجريف ، لافنوتين ، بيرو ، ولترسكوت ، دكنز ، دوماس ، هوجو ، زولا ، موبسان ، دوديه ، تورجنيف، دستويفسكى، تولستوى، جوركى ، أندرسن ، إبسن . سلسلة رائعة تستعصى على الحصر . وأخذت القصة تثبت قدميها فى بلاد الإنجليز بنوع خاص بعد أن كتب القس الغريب الأطوار (سويفت) قصة (رحلات جليفر) وأخذ يسكب فيها سموم نفسه الحانقة وبعد أن كتب دانيل ديفو كتابه العلم (روبنسون كروزو) وهى القصة التى خلدت من كل مؤلفاته وقد قيل إنها تبلغ أكثر من المائتين .

ولسنا فى حاجة إلى أن نسرد بالتفصيل تاريخ القصة والرواية فى الأدب الحديث فإن هذا بغير شك حديث يكون معاداً . وإنما قصدنا بهذه الكلمة أن نبين أن القصة فى صورتها الحالية ليست سوى نمو حديث فى الأدب العالمى وأنها طارئة عليه بعد أن مهدت لها المطابع واستعدت لها الشعوب منذ أصبحت مقدرة القراءة شائعة بين الناس .

وليس القصص الحديث شيئاً آخر سوى المظهر الأخير للرائد الإنسانى الذى كان منذ القدم يتلمس فى الطبائع الإنسانية ويكشف الغطاء عن أسرارها متصلا بها مستجيباً لها مهتزاً بما يكشفه منها متغنياً بما يلمحه فيها من الجمال والسمو باعثاً روحه فى أنغامه المشجية يملأ بها القلوب ويجلو بها البصائر . وإذا كان ثمت فارق بين الرائد الأول والقصصى الحديث فذلك أن الأوائل كانوا يجمعون بين الصورة والنشيد وبين المعنى والموسيقى . كانت اللغات عندهم جديدة يدفعهم الابتهاج بجدتها إلى

التملى برونقها وزينتها وإلى المباهاة بزخرفها . كانت قيودها عندهم حلياً ذهبية وكانت إشاراتها القصيرة عندهم تنطوى على الرقى السحرية .

ولكن المعانى ازدحمت وتكاثرت وتنوعت فضاقت عنها الحدود واستعصت على القيود وكان التيار الفكرى المتوثب للحياة أقوى من أن تطويه الوديان المحدودة التى اختطها الفن الشعرى منذ القدم . فلما أراد الأديب الحديث أن يعبر عن تلك المعانى المزدحمة وأن يرسم أحاسيسه نحو آلاف الصور التى خلقهاتطور الحياة وتطور الفكر وجد أن القصيدة والشعر القصصى والتمثيلى تثقل جناحيه فعمد إلى التخفف من كل القيود ووجد فى القصةالنثرية الوصفية أو الرواية التمثيلية المرسلة مجالا أوسع من المجال الذى تحدده الأوزان والقوافى . فالقصصى الحديث ما هو إلا الشاعر القديم وإن كان أكثر عدداً وأقل احتفالا بالقيود والرسوم .

وقد كان لهذا التحلل أثره العظيم فى فتح أبواب الفن الأدبى لمن كانوا من قبل لايستطعون ولوجه . كان الفن الأدبى من قبل وقفاً على الشعراء الذين يجمعون بين حاسة الجمال والسمو وبين صناعة اللفظ الأنيق والموسيقى ، فأصبح اليوم مباحاً لكل من يملك الحس والإلهام ويستطيع أن يرسم صورة فى أسلوب بيانى مطبوع لايزيد على أن يكون من كلام الناس وإن كان صنفاً خاصاً من الكلام . وانتقل فن التعبير من موسيقى الألفاظ إلى تسلسل المعانى ومن تحلية الثوب الأنيق بالجواهر واليواقيت إلى الاكتفاء بانسجام الألوان ولألاء أنوار النهار إذا انعكست فوقه .

ولقد كان من أثر هذا الانطلاق الحديث أن زادت مقدرة الأدب على أداء الوظيفة الإنسانية العظمى فى تطورها السريع ، فهناك مئات ومئات من الكتاب كل منهم ينظر إلى الحياة من زاويته ويصور الناس كما يظهرون فى عينه ويترجم الأعمال كما يقيسها بمقاييسه ويكشف الستور عن الطبائع فيصورها كما تبدو لإلهامه .

وتجمعت من ذلك ثروة لاتزال تزداد على تتابع الأجيال مكونة من ألوف بعد ألوف بعد ألوف من نفثات الصدور التى تضطرم فيها الشعلة المقدسة .

والحياة فى أثناء هذا كله تتطور متأثرة بما تطلع عليه من هذه النظرات الفاحصة التى لايحيط بها الحصر وكلما تطورت تبدلت نظرة الناس إليها فاطلعوا منها على ألوان جديدة وقاسوها بمقاييس جديدة ورأوا فيها معانى جديدة .

وهكذا تكشفت الإنسانية للبشر ، أو لقد استطاع البشر أن يطلعوا على لمحات من خفايا ضمائرهم فاستمدوا من تلك اللمحات قبساً يستطيعون أن يستمروا فى سبيلهم على هديه نحو الغاية المحجوبة دائماً وراء ضباب الأبدية .

إننا إذا تكلمنا عن الأدب كان حديثنا دائماً عن الإنسانية ، لأن الأدب لايعرف

حدود الدول . ولكنا مع ذلك نعرف أننا جماعة من الإنسانية . نحن نحس بأنفسنا ونعرف أننا وإن كنا بشراً فى محيط الإنسانية الجامع فنحن أمة من البشر فى محيطنا الأدنى ، وإذا كان الأدباء من كل الألوان والأمم واللغات يطيعون وحى إلهامهم فى خدمة الإنسانية المجردة فإن لكل أمة أن تفخر بما أنتج أبناؤها فى تلك الخدمة الكبرى . أيخفى على الإنجليز مالهم من المجد إذ كان شكسبير إنجليزياً ؟ أم سيخفى على الألمان أن منهم جوتة أو على أهل الدنمرك أن منهم هانز أندرسون أو أهل النرويج أن منهم إبسن ، أو أهل السويد أن منهم أوجست سترندبرج ؟

وهل يخفى على الروس أن منهم تولستوى وترجنيف ودستويفسكى وتشيكوف ، أو يخفى على الطليان أن دانونزيو إيطالى. أو على فرنسا أن أناتول فرنس وأمثاله من أبنائها؟

إننا كلما رأينا آثار العالم فى الصناعة تمنينا لو شاركت بلادنا فى عبقرية ذلك الخير العـــام .

فما استحق أن يتمتع بنعم الإنسانية من لايؤدى قسطه من خدمة الإنسانية .

وهكذا نحن فى الأدب ، فإذا كانت الإنسانية تتطور وتعرف نفسها وتسمو بمثلها العليا وإحساسها بفضل روائع الأدباء الملهمين وإذا كنا نتمتع كما يتمتع سائر الناس بتلك الروائع ونجد فيها اللذة والسمو والجمال والحكمة فإن علينا إذا أردنا أن نطمئن إلى حقنا فى تلك المتعة وإلى مقدرتنا على مثل ذلك السمو — إذا أردنا ذلك كان علينا أن نؤدى إلى الإنسانية مثلما نأخذ منها .

ولقد كان هذا هو شعورنا عندما امتلأنا اغتباطاً بظهور طائفة من نوابغ الأدباء الذين توفروا على الإنتاج الأدبى فى شتى الفنون من شعر وأدب وقصص ، وكان علينا أن نظهر ماخالطنا من الاغتباط فى هذا الرمز الذى نحتفل اليوم للتعبير عنه .

فمن نعم الله على مصر أن فيها من كتاب القصص من نستطيع أن نطمئن إلى أنهم يؤدون لنا إلى الإنسانية بعض مانستمد منها . إنهم يشتركون فى خدمة الإنسانية ولنا أن نطمئن إلى جهودهم الموفقة فنرضى عما نصيب من متاع وفائدة من عبقرية أبناء الأمم الأخرى.

ولقد اختار المجمع اللغوى فى هذا العام من بين المبرزين فى القصة الأستاذ محمود بك تيمور فأهداه جائزة القصص إشارة منه إلى هذا المعنى ثم اعترافاً بما للأستاذ الكبير من أثر محمود فى فن القصة فى أدبنا الحديث .

فقد ألف الأستاذ محمود تيمور بك نحو خمسة وعشرين كتاباً فى القصص بعضها مجموعات من قصص قصيرة ويبلغ عددها اثنتى عشرة مجموعة وبعضها من قصص تمثيلية ويبلغ عددها عشراً وفيها فوق ذلك قصتان طويلتان لم تظهر سوى إحداهما وهى (كليوباطره فى خان الخليلى) . فأكثر جهود الأستاذ تيمور بك متجهة كما يظهر إلى نوعين من القصة : التمثيلية والقصة القصيرة .

وقد كانت القصة التمثيلية عنده أسلوباً

فى الكتابة لا يقصد بها الاتجاه إلى التمثيل على المسارح . فتمثيليات تيمور أقرب إلى أن تكون نوعاً آخر من القصة القصيرة والفرق بين النوعين أن التمثيلية تعتمد فى تصوير الأشخاص على محاورات أحاديثهم وحركاتهم على حين أن القصة تعتمد على الأكثر فى تصوير الأشخاص على وصف هيئاتهم ووصف مواقفهم ومايبدو من أعمالهم .

ولم يخرج من تمثيليات تيمور على المسرح إلا عدد محدود كان آخرها تمثيلية (حـــواء الخالدة) التى كان لها أكبر حظ من التوفيق ، ولسنا هنا فى سبيل التعرض لطريقة تيمور بك فى فنه ولا للتحدث تفصيلا عن مذهبه فى القصة ، وحسبنا أن نشير إلى أنه فى كل آثاره يتجه نحو إبراز الفكرة الواحدة يعرضها فى إطار محدد . ومن ثم يمكن أن نقول إن فن القصة القصيرة ومايتصل بها من التمثيليات القصيرة هو الجانب الذى خص به فنه إلى الآن ، فهو فى أدبنا الحديث يشبه تشيكوف ومكسيم جوركى فى الأدب الروسى وموپاسان فى الأدب الفرنسى ، ولعل هذا الشبه لم يكن عفواً فقد كتب الأستاذ تيمور فى مقدمة مجموعته القصصية (فرعون الصغير) متحدثاً عن موپسان . قال : « وتابعت قراءتى إياه فى شغف عظيم واتسعت مطالعتى فيما بعد فى القصص الأوربى وتشعبت ، ولكنى حتى اليوم مازلت محتفظاً لموپسان بالمكان الأول من نفسى » . ثم قال : « وانتقلت بعـد ذلك إلى القصص الروسى وقرأت لتشيكوف وتورجنيف ومن ماثلهما فرأيت تأثير موپسان واضحاً فى بعض إنتاجهم » .

ولايملك المتتبع لآثار تيمور إلا أن يرى الفرق واضحاً بين آثاره الأولى وآثاره الأخيرة ولعل مجموعة « فرعون الصغير » هى التى تمثل روح فنه فى العصر الأول . وهو يسير فيها على عادته يرسم الأشخاص فى براعة حتى يكاد القارئ يلمح فيهم بعض من عرف من جيرانه ولكن حماسة الشباب تبدو واضحة فى أسلوبه . ففيه يعلو صوته وتشتد حركته حتى لقد تبلغ مايشبه العنف ثم هو يعمد أحياناً إلى شىء من المفاجأة وقد يظهر ماينم عن الحنق أو الأحكام الخلقية .

ولكن آثاره الأخيرة تنم عن تغير محسوس فى أسلوب التعبير فهو يرسم الأشخاص كما اعتاد أن يرسمهم فى براعة ، ولكنه يتحدث هادئاً متدفقاً منخفض الصوت رفيق الحركة تحس فى كل عباراته أن قلبه مملوء عطفاً على الإنسان .

ولسنا نبالغ إذا قلنا إنه قد بلغ فى بعض قصصه الأخيرة مرتبة عالية يحق لنا أن نفاخر بها فهو فى قصة (ولى الله) من مجموعة شفاه غليظة يصور أسمى جانب للقلب الإنسانى عندما يصور لنا أن هناك ماهو أسمى من عدالة القوانين ، وفى قصة (كلب أسعد بك) يرسم لنا فى براعة صورة اجتماع السمو والإسفاف فى الحطام البشرى وفى قصة (البديل) يصور لنا كيف تنطوى أسمى العواطف فى قلب الإنسان وإن كان فى عرف المجتمع الجامد موضعاً للزراية . فى مثل هذه القصص يظهر فن تيمور رائعاً إذا قيس بأعلى آثار القصص فى الأدب العالمى .

وإذا كان الأستاذ تيمور بك قد اتجه فى بعض قصصه نحو محاولة الكتابة باللغة الدارجة فالظاهر أنه وجد اللغة العربية الصحيحة أولى بفنه فنحا أخيراً فى أسلوبه منحى يجمع إلى الصحة السلاسة والسهولة .

وإذا أردنا أن نجمل ماتمتاز به طريقة الأستاذ تيمور بك فى قصصه كان لنا أن نقول على طريقة القدماء فى وصف الأدباء إنه يمتاز بثلاث :

أنه يرسم أشخاص قصته حتّى إنك لتحس أنفاسهم وتلمح الحياة فى سهولة حركاتهم . وأنه يكتب فى لغة سلسة لاتحجب شيئاً من معانيه ، وأن فنه يشيع فيه روح وديع من الإنسانية لاتحس معه مرارة فى وصف حتّى ليكاد يحبب إليك الضعف الإنسانى .

إن تيمور بك إذ يتحدث عن الناس فى ضعفهم يتحدث عاطفاً كأنما هو يحبهم لمافيهم من العيوب ويصور سموهم معجباً بغير أن يجعل الإعجاب يخدعه عن الحب .

ولهذا نعتقد أنه أبرع مايكون وأحلى إذا تحدث عن الناس كما يراهم فى لمحات قصيرة كأنه عابر فى طريق .

وهو فى ذلك يخدم الأدب فى ناحيتين : الأولى أنه يشير إلى مثله الأعلى الإنسانى ويصوره لنا فى صوره البارعة ، والثانية أنه يعرفنا بالجانب الذى يعرفه من مجتمعنا المصرى فهو معلم من معلمى هذا الجيل وهو عامل من العوامل القوية على تعريفنا بأنفسنا .

وإذا كان للقصص الرمزى والأسطورى فنه وفنانوه وإذا كان للقصص الطويل فنه وفنانوه وإذا كان للنقد الثائر فنه وفنانوه ، فإن فن تيمور هو القصص القصير الواقعى الإنسانى المملوء محبة للإنسان .

وإنه ليشرفنى أن أنوب عن المجمع اللغوى فى توجيه الثناء إليه راجياً له اطراد التوفيق والسمو سائلا الله أن يمده بروح من عنده حتّى تتكون للعربية الشريفة ثروة من ثمار إنتاجه وإنتاج أنداده من المبرزين فى فن القصة الذين تعتز بهم العروبة .

كتاب الرد على النحاة

لابن مضاء

الكلمة التى ألقاها حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين فى مجلس المجمع المنعقد يوم ١٩٤٧/٥/١٩ فى شأن كتاب «الرد على النحاة» لابن مضاء . وهو الكتاب الذى نشره الدكتور شوقى ضيف المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد .

عثر الأستاذ ضيف فى الخزانة التيمورية على كتاب فى النحو لعالم مغربى . واسم الكتاب «الرد على النحاة» ومؤلفه هو القاضى ابن مضاء القرطبى . والكتاب صغير فى نحو مائة صفحة . وقد عقد له الناشر تقدمة لعلها تبلغ من الصفحات مابلغ الكتاب . وأهمية هذا التأليف تأتى من موضوعه ، أعنى محاولة إصلاح النحو ، وإن كان المؤلف لم يفكر فى الإصلاح بقدر مافكر فى هدم النحو القديم . ومعروف أن النحو حين نشأ ودرس فى الكوفة والبصرة تأثر بالبيئات .. تأثر بفقه الفقهاء وكلام المتكلمين وأفكار الفلاسفة . فقام النحو على فلسفة نسميها : مابعد الطبيعة فى النحو . أهم نظرية فى النحو هى العامل والمعمول . وأساس هذه النظرية أن كل حركة هى نتيجة وأثر لعامل لفظى يأتى بعده . وقد بنى على هذه النظرية ماقرر من رفع الفعل للفاعل إلى آخر القواعد . وواضح عند القدماء أن النحويين قصدوا التقريب أكثر من تحقيق الحقائق الثابتة . ولكن فلسفة النحو كسائر الفلسفات التمرينية تتخذ وسيلة ثم تصبح هى الأصل والغاية . لم يكد يأتى القرن الثالث حتى استقر فى الأذهان أن فلسفة النحو حقائق كحقائق الفقه والكلام . ويروى أن الفراء والجرمى اجتمعا يتجادلان فى المبتدأ : بماذا يرفع ؟ وفى «زيد منطلق» أهو مرفوع بالابتداء . فلما ضعف أمر البصرة والكوفة ازداد تأثر النحو بالفقهاء والفلاسفة فجعلوا فى المدارس يجادلون فى النحو كما يجادلون فى فروع الفقه . ولذلك ذهبوا مذاهب المتكلمين فى مثل قولهم : إن المبتدأ يرفع المبتدأ والخبر ، فقال البصريون : لا عامل ومعمول فى وقت معا . وربما كان كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى أصدق صورة للتأثر بالفلسفة والفقه وعلم الكلام .

فى الأندلس والمغرب كان الأندلسيون والمغاربة أميل من الشرقيين إلى المحافظة بادئ بدء ، ولكن يظهر أن الموحدين لم تكن ثورتهم سياسية وحسب ، بل كانت مع ذلك ثورة فكرية ودينية . فهم أرادوا مقـاومة التقليد

للمذاهب فى الفقه ، وتأييد مذهب نشأ فى الشرق هو مذهب الظاهرية الذى يعتمد على النص ، ويأبى الرأى والتأويل والتفريع . كانت ثورة الموحدين ضد العلوم المعتمدة على التأويل فاتخذت طابع الحرية فى الخروج على الفروض . واتخذت من جهة أخرى طابع الثورة على الشرق ومحاولة إثبات شخصية غربية تقاوم شخصية الشرق فى السياسة والعلم والفلسفة.

فثورة الموحدين على الفقه نشأ عنها ثورة القاضى ابن مضاء على النحو العربى . وطريقته هى طريقة الفقهاء فى الثورة على المذاهب . لاقياس ولا تأويل ولا رأى . وكما أن يعقوب الموحدى يضع المصحف والحديث ويقول : هذا أو هذا أو السيف ، كذلك أراد القاضى ابن مضاء الاعتماد فى النحو على السماع لا أكثر ولا أقل . ويقال إنه ألف ثلاثة كتب لم يصل إلينا منها إلا هذا الكتاب . وهو فى ثلاثة فصول : الأول فى هدم نظرية العـــامل والمعمول ، ينفيهما ويقول إن اللفظ لايحدث حركة فى اللفظ التالى له ، وإنما الحركة يحدثها المتكلم نفسه . فكل مايقوله نحاة الشرق من أن الفعل هو الرافع للفاعل كلام لامعنى له. وإلى هنا نرى القاضى منطقياً ومجدداً . ونراه متأثراً بالفلسفة فى القرون الوسطى إذ يذهب إلى أن القول بنظرية العامل لايخلو من إثم ، فهو حرام ، لأن ذلك يتطرق بصاحبه إلى القول فى القرآن بالرأى ، وإلى أن يزيد فيه ماليس منه ، ومن زاد فى القرآن فهو آثم . وإذن فالنحاة حين يعربون قول الله تعالى « وإن أحد من المشركين استجارك » بتـــأويل « وإن استجارك أحد » ... يزيدون فى القرآن زيادة محرمة . فهذا القاضى مجدد من ناحية ، وهو من ناحية أخرى متفلسف يصطنع فلسفة القرون الوسطى .

وبعد أن يلغى ابن مضاء نظرية العامل يلغى ماترتب على ذلك من التقديرات اللفظية والحركية . فليس هناك عامل يضطرنا إلى تقدير الحركة فى مثل الفتى والقاضى ، فلا حاجة بنا إلى هذا كله ؛ فقد وردت اللغة على هذا النحو ، فنحن ننحوه كما كان العرب يفعلون .

لقد دعونا نحن إلى هذه الفكرة منذ سنين متأثرين بالعقلية الحديثة بعد أن تزودنا بالثقافة الغربية ، وبعد أن رأينا نحو اللغات الأجنبية ميسراً ؛ فأردنا أن نكون كغيرنا موفورى الحظ من التحضر الحديث ، نقيم نحونا على الظواهر الطبيعية المحضة . ومن عجيب المصادفات أن يكون مبدأ العدول عن « مابعد الطبيعة » فى النحو آتياً من الغرب أيضاً . فصاحب هذه الفكرة قاض من الأندلس . فهل هناك تناسب بين بيئة الغرب التى نشأ فيها مذهب ابن مضاء وبين بيئة الغرب التى أثرت فينا نحن مثل هذا الأثر ، ونزعت بنا مثل هذا المنزع ؟ -

وفى أثناء حديث الأستاذ فريد أبى حديد بك عن الزجل تساءلت فى نفسى : لماذا عرف الزجالون الناشئون فى الأندلس ؟ ولماذا اعترف

بزجلهم كما اعترف بالشعر الفصيح ؟ فقد تيمموا به قصور الملوك وكانت لهقيمة الشعر القديم حتى لقد تغلب عليه ، لولا ماكان من هذه الموشحات التي جمعت بين اللغتين . وإن هذه الظاهرة في ازدهار اللغة الشعبية في الأندلس قبل المشرق ؛ وفي تغلب الأدب الشعبي على الأدب الفصيح ، لجديرة أن تدعونا إلى القول بأن العرب لو لم يطردوا من الأندلس لأمكن أن تكون لنا حركة كتلك الحركة الفرنسية والإيطالية في شأن اللغة اللاتينية.

لقد أحببت أن أعرض غرض هذا الكتاب وأن أشير إلى أن ماسبق لنا أن دعونا إليه منذ سنين لم يكن بالجديد . ولقد كنت أداعب الأزهريين في الانتصار لهذا الرأى بحجة إنكار الزيادة في القرآن ، واشتركت مع الأستاذ أحمد أمين بك والأستاذ إبراهيم مصطفى في حمل وزارة المعارف على تجديد النحو ، في ضوء هذا الرأى وماهو منه بسبيل .

والآن بفضل المجهود الذى بذله الدكتور ضيف في نشر ذلك الكتاب يتبين لنا أن تلك الفكرة قديمة وأنها تدعو إلى مثل مادعونا إليه وإن كنا نحن لم نردهدما ولكن أردنا تيسيراً .

مصطلحات فى علم الأمراض*

A

Abortion	إجهاض
Acidity	الحُموضة
Acidosis	الحُماض
Acute arteritis	التهاب شَرياني حاد
Acute arthritis	الرَّثية الحادة
Acute interstitial nephritis	كُلاء سَدَوِى حاد
Acute synovitis	التهاب الغشاء الزلالى الحاد
Adventitia	برّانية الأوعية
Afferent	الوارد
Agent	عامل
Agnosia	العَمَه
Albuminuria	بول زلالى
Alkalinity	القلوية
Alkalosis	القُلاء
Amnion	السَّلَى
Amyloid infiltration	ارتشاح نشوانى — شبه نشوى
Anaemia	أنيميَّة — فقر الدم
Anastomosis of blood vessels	تفمُّم الأوعية الدموية
Ankylostoma anaemia	أنيميَّة الأنكلستوما
Aorta	الأَوُرطى — الوتين (اللسان)
Aortic arch	قوس الأورطى — قوس الوتين
Aortic valve	صِمام الأورطى — صِمام الوتين
Arterial arches	الأقواس الشريانية
Arteriosclerosis	تصلب الشرايين
Arteriosclerotic kidney	الكُلية المتصلبة الشرايين
Articular rheumatism	رُوماتِزْم مَفْصِلى

(*) هذه المصطلحات مما وضعته لجنة المصطلحات الطبية بالمجمع ، وقد نظرها المجلس فى هذه الدورة وعدل بعضها فى دورات تالية ، وأقرها إقرارا اوليا على أن تعرض مع تعاريفها على المؤتمر تمهيداً لادراجها فى المعجم الذى يعده المجمع .

Articular surface	سطح مفصلى
Arthritis	رَثْية
Astrocytes	الخلايا النَّجْمية
Atheroma	تعصُّد
Atheromatous patch	لَطْخة تَعصُّدية
Atheromatous ulcer	قُرْحة تعصدية
Auditory nerve=acoustic nerve	العصب السمعى
Ayerza's disease	مرض (أيرْزا)

B

Bacteraemia	جرثمة الدم – بكتيريميا
Base of ulcer	قاعدة القُرْحة
Bile capillaries	قنوات الصفراء الشعرية
Blood platelets	لُوَيْحات الدم
Bone trabeculae	دُوَيْعمات عَظْمية
Bony labyrinth	التِّيه العظمى (اللابيرِنْث)
Bony pelvis	الحوض العَظْمِى
Bowman's capsule	محفظة (بومان)
Brain = Encephalon	الدِّماغ
Brain softening	تليُّن الدِّماغ
Bright's disease	مرض (بِرَيْت)
Bulb	البَصَلة
Bulbar paralysis	شلل بصلى

C

Calcium metabolism	ميتابوليسْم الكلسيوم
Calyces of Kidney	كؤوس الكُلْية
Cancellous bone	عظم إسفنجى – المُشاش
Capillary lymphangioma	ورم لِمفى شعرى
Carrier	حامل (المرض)
Cartilage	غضروف
Caseous necrosis	تنكرُز جبنى – تنخّر جبنى
Cavernous lymphangioma	ورم لِمفى كهفى

Central vein	الوريد المركزى
Cerebellum	المـُخَيْخ
Cerebral haemorrhage	نزْف مخى
Cerebrospinal fluid	السائل المخى الشوكى
Cerebrospinal meningitis	التهاب سحايا المخ والنُّخاع
Cerebrum	المُخ
Chain of bones	سلسلة عظام
Chlorosis	الخُلوروز
Cholaemia	صُفار (كوليميا)
Chyluria	بول كَيْلُوسى
Cloaca	مَذْرق
Coagulation necrosis	تنكرُّز تخثُّرى – تنخر تخثُّرى
Cochlea	القوقعة
Collatoral circulation	الدورة الجانبية
Coma	السُّبات
Comminuted fracture	كسر تفتتى
Compact bone	عظم أصم
Complications	مضاعفات
Concha	محارة الأذن
Compound fracture	كسر مضاعف
Congenital cystic kidney	الكلية الكيسيَّة الخِلْقية
Contacts	المخالطاء
Convoluted tubules	القنيات الملتوية
Corrosion	تأكُّل
Cortex of kidney	لحاء الكلية

D

Deficiency diseases	أمراض النقص
Diabetic coma	سُبات السُّكَّر
Diffuse suppurative nephritis	التهاب كُلْوى تقيُّحى
Dilatation	تمدُّد
Dislocation	خلع
Disseminated sclerosis	التصلب المنتشر

To drain	ينزح
Ear	الأُذُن
Eclampsia	تشنج حَمْلى — إكْلَمْپسيه
Edge	حافة
Efferent	الصادر
Elephantiasis	داء الفيل
Embolic nephritis	الْتهاب كُلْوى سدادى
Encephalitis	الْتهاب الدماغ
Encephalitis lethargica	الْتهاب الدماغ السُباتى
Endarteritis obliterans	الْتهاب جوّانى الشريان الساد
Endolymph.	اللمف الداخلى
Ensiform cartilage	رَهابة — الغضروف الخنجرى
Epigastric region	المنطقة الشّراسيفية
Erosion	تآكُل
Erysipelas	الحُمْرة
Eustachian tube	بُوق استاكْيُو
Everted edge	حافة قلباء
External auditory meatus	الصّماخ
External ear	الأُذُن الظاهرة

F

Fat necrosis	نِكْرُوز دُهنى
Flail joint	مَفْصِل مُرْتهِك (شرف)
Floating kidney	الكُلية العائمة
Focal necrosis	تَنَكْرُز بؤرى — تَنَخْر بؤرى
Fossa of the antihelix	غضن الوَتَرة
Fracture	كسر

G

Germ centre.	مركز تولد الخلايا (فى النسيج اللمفى)
Glomerule	كُبيّة (اللستان)

Glomerulonephritis	كُلاء كُبَى
Glycosuria	بول سكرى
Goiter	الجُوتَر
Gonorrheal arthritis	رَثْية سَيَلانية
Granular kidney	الكُلية المحببة
Gravis	شـــديد

H

Haemangioma	ورم وعائى دموى
Haematocele	قِيلة دموية
Haematuria	بول دموى
Haemorrhoids	البواسير
Healing	التئام
Helix	الحِتار
Hemiplegia	الفالِج
High blood pressure	ارتفاع ضغط الدم – التبيُّغ
High blood urea	زيادة بولية الدم
Hilum	السُدْفة (مخ ٥/١٣١)
Hydrocele	قِيلة مائية (لسان العرب ج٥ ص ٧٢)
Hydrocephalus	استسقاء دماغى
Hydronephrosis	استسقاء الكُلية
Hyperfunction	فَرْط الوظيفة
Hypertension	فرط التوتُّر
Hyperthyroidism	فرط الدُراقية
Hypernephroma	الورم الكُلوى
Hypofunction	نقص الوظيفة
Hypothyroidism	نقص الدُراقية

I

Impacted fracture	كسر متناشب
Impacted hernia	فَتْق متناشب

Incus	السَّنْدان
Indurated edge	حافة متصلبة
Infantile paralysis	شلل الطفولة
Infection	العـــدوى
Internal ear	الأُذُن الداخلة
Interstitial part of ureter	الجزء المثانى من الحالب
Intima	جوّانية الأوعية
Islets of Langerhans	جُزَيْرات (لانْجِرهانز)

J

Joint	المَفْصِـــل

K

Kupffer's cells	خلايا (كُبْفَر)

L

Labyrinth	التّيه (لابيرِنْث)
Ligament	رِباط
Lipaemia	شحمية الدم
Liquefaction necrosis=Colliquative	تنكّرُز تميّعى ـ تَنخَر تميّعى
Lobe of ear	شحمَة الأُذُن
Loop of Henle	عُرْوَة هِنْلى
Lymphangiectasis	تمدد الأوعية اللمفية
Lymphangioma	ورم وعائى لِمْفى
Lymphangitis	التهاب الأوعية اللمفية
Lymphatic leukaemia	لوكيمية لِمفية
Lymphatic obstruction	انسداد الأوعية اللمفية
Lymphocele	كيس لِمفى
Lymph node	عُجَيْرة لمفية
Lymph stasis	ركود اللّمف
Lymph vessels	الأوعية اللمفية

M

Malleus	المطرَقة
Malnutrition	السَّغَل (إفصاح — ٥)
Malpighian bodies	أجسام مَلْبيجى
Mastoid antrum	جيب الخُشَّاء
Media	وُسْطَى الأوعية
Medulla oblongata	النخاع المستطيل
Medulla spinalis	النخاع الشوكى
Membranous labyrinth	التِّيه الغشائى
Meningitis	التهاب سحائى
Microglia	خلايا اللُّحمة العصبية
Middle ear	الأُذُن الوُسْطَى
Monckeberg's sclerosis	تصلُّب (مُنكِبِرْج)
Monoplegia	الشلل الطرفى
Mummification necrosis	تَنَكْرُز موى — تَنَخُّر موى
Myelitis	التهاب النخاع الشوكى

N

Necrotic base	قاعدة مُتَنَكْرِزة
Necrotic tissue	نسيج مُتَنَكْرِز
Nephritis	التهاب كُلْوِى
Nephrosis	الفساد الكلوى
Neuritis	التهاب الأعصاب
Neurone	عَصَبَة
Neuroglia-Astroglia	لُحمة النسيج العصبى
Neurosyphilis	الزُّهَرِىّ العصبى
Neutralization of toxin	تعادل التُّوكْسِين
Nutrient vessel	وعاء غاذى

O

Oligodendroglia	خلايا قليلة الزوائد

Ophthalmoplegia	شلل العين
Organ of Corti	عضو (كُورتى)
Organisation of inflammatory products	تنسّج الإفرازات الالتهابية
Ossicles	عُظَيْمات
Osteoblast	بانية العظم
Osteoclast	ناقِضة العَظم
Osteoclastoma	ورم نواقِض العَظم
Osteomalacia	الرَّخْوَدَة
Osteomyelitis	التهاب عظمى نِقْيى
Osteoporosis	ترقق العظام

P

Pancreas	آبنْقِراس
Pancreatitis	التهاب البَنْقِراس
Paralysis agitans	شلل رُعاشى
Paraplegia	الشلل السفلى
Parathyroid gland	الغدة جَنيبة الدَّرَقيّة
Pelvis of kidney	حوض الكلية
Perforating ulcer	قَرْحة ناقِبة
Periarteritis nodosa	التهاب بَرّانية الشّريان العقدى
Perilymph	اللّمف المحيط
Perinephric abscess	خُرّاج حول الكُلْية
Periosteal sarcoma	ورم لحمى سمحاقى
Periosteum	السمحاق
Periostitis	التهاب سِمْحاق
Peripheral neuritis	التهاب الأعصاب الطرفية
Perirenal fat	الكُظْر (الشّحم على الكليتين)
Pernicious anaemia	أنيمية وبيلة
Petrous part	الجزء الصخرى
Peurperal fever	حُمّى النّفاس
Phlebitis	التهاب الوريد

Pinna=Auricle	صوان الأُذُن
Placenta	السُّخْد
Pons	قنطرة
Portal tract	التَمَسْلك البابى
Portal vein radicles	جُذَيرات الباب
Pott's disease	مرض (بُوتْ)
Primary anaemia	أنيمية ابتدائية
Puncture	النَّقب
Purpura	الفُرفيرية
Pyaemia	تسمم دموى قَيْحى
Pyocele	قيلة قَيْحية
Pyonephrosis	تَكيُّس الكُلوة القَيْحى
Pyramids of kidney	أهرام الكُلية

R

Rabid	كَلِيب (للحيوان العاض)
Rabid	مكلوب (للمعضوض)
Rabies	الكَلَب
Radiating vessels	أوعية شُعاعية
Rarefaction of bone	تَخلْخُل العَظْم
Reflex action	الفِعل المُنعكِس
Relapse	نَكْسَة
Reticular endothelial system	الجهاز الشبكى البِطانى
Rheumatic aortitis	التهاب الأَوْرْطى الروماتزمى
Rheumatic arthritis	رَثْية روماتزمية
Rickets	الكُساح

S

Sac	جِراب
Saccule	جُرَيب
Sapraemia	تسمم دموى عفن
Scurvy	الأسقربوط

Secondary anaemia	أنيمية ثانوية
Semicircular canals	القنوات نصف الدائرية
Separation	انفصال
Septicaemia	تسمم دموى جراثيمى
Sequestration	التشظى
Sequestrum	شظية مُتنكرزة
Serpiginous edge	حافة زاحفة
Simple fracture	كسر بسيط
Sinus	جيب
Slough	خشكريشة (ا. س. ١/٢٤٠) ـ خُشارة
Sonorous vibration	الاهتزازات الصوتية
Spinal cord	الحبل الشوكى
Spleen	الطِّحال
Splenic cells	الخلايا الطحالية
Splenic cords	الحبال الطحالية
Splenic pulp	لُب الطِّحال
Splenic sinuses	المجارى الطحالية
Splenomedullary leukaemia	لوكيمية طحالية نِقيية
Splenomegaly	ضخم الطحال ـ الطَّحَل (هو طَحِل عظيم الطحال ـ القاموس)
Stapes	الركاب
Straight tubules	القُنيَّات المستقيمة
Subcapsular sinus	المجرى تحت الحفظة
Subperiosteal haemorrhage	نَزْف تحت السمحاق
Suprarenal gland	الغدة الكُظْرية
Syphilitic aorta	زُهَرِىّ الأوُرطى
Syphylitic aortitis	التهاب الوتين الزهرى ـ التهاب الأورطى الزهرى
Syphylitic meningo-encephalitis	التهاب السحايا والدماغ الزهرى
Sympathetic ganglion	عقدة سمبتاوية
Sympathetic nerve	عصب سمبتاوى
Sympathetic nervous system	المجموع العصبى السمبتاوى
Synovial fluid	السائل الزلالى

T

Tabes dorsalis=Locomotor ataxia	الخلَلَجان الحَرَكى
Temporal bone	العظْم الصدغى
Thrombo-angitis obliterans	التهاب وعائى تخــثُّرى ساد
Thyroid	الغدة الدرقية
Toxaemia	تكَسُّنة الدم — تُكسيـْميا
Trabeculae	داعمة (ج. دواعم)
Tragus	وَتدة
Transient paralysis	شلل عابر
Trophic disturbances	الخثْل (مخصص ٢٩/١)
Trophic nerve	عصب الاغتذاء
Tuberculous arthritis	رَثْية درنية
Tuberculous meningitis	التهاب السحايا الدرنى
Tubule	قُنَيَّة
Tuft of capillaries	الجُمَّة الشعرية
Tunica	غلاف
Tympanum = Drum = Tympanic membrane	طبلة الأذن

U

Ulcer	قَرْحة
Ulceration	تقرُّح
Umbilical cord	الحبل السُّرى
Undergrowth	الجَحَن
Undermind edge	حافة جرفية
Uraemia	بُودَمَة . تسمم دموى بولى
Urea	بولينة
Urinary calculus. Horse-shoe kidney	حصاة بولية (ج. حصيات)
Urinary passages-Urinary tracts	المجارى البولية
Urinary system	الجهاز البولى
Urineferous tubules	القُنَيَّات البولية

قُرَيْنَة الرَّحِم (اللسان – مادة وذم)	Utorine cornu
عُتَيْبَة	Utricle

V

دوالى الصَّفْن (ا. س. جـ ٢ ص ٥٥٣)	Varicocele
الدوالى (ا. س جـ ٢ ص ٦١١)	Varicose veins
وريد	Vein
الدِّهْلِيز	Vestibule
خَمْل	Villi

مصطلحات فى فن التمثيل *

ملهاة	Comédie
ملهوىّ	Comédien
مسرحيّة	Pièce de théâtre
مسرح	Théâtre
مأساة	Tragédie
مأسوِىّ	Tragédien

تعديل مصطلح فى علم الطبيعة

وافق مؤتمر المجمع ، عند نظر مادة « أَبَتَ » فى المعجم الوسيط ، على وضع المصطلح « مقيــــاس التأبت » للمصطلح الإنجليزى Pyrometer ، بدلا من كلمة « المِضْرَم » التى أقرها المجمع فى الدورة الخامسة (١)

* أقر مجلس المجمع هذه المصطلحات إقراراً أوليا على أن تعرض مع تعاريفها على المؤتمر تمهيدا لإدراجها فى المعجم الكبير الذى يعده المجمع .

(١) الجلسة التاسعة للمؤتمر (٦ من فبراير ١٩٤٧) . وانظر المجموعة الخامسة لمحاضر الجلسات ص ٢٨١ .

تأبين ثلاثة من أعضاء المجمع

الأب أنستاس مارى الكرملى، الدكتور على إبراهيم باشا ، فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق

تعاقب إلى دار الخلد فى أثناء هذه الدورة ثلاثة من أعضاء المجمع العاملين . هم المرحومون الأب أنستاس مارى الكرملى . والدكتور على إبراهيم باشا ، والأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق . وقد مثل المجمع فى جناز الفقيد الأب أنستاس مارى الكرملى حضرتا الأستاذين أنطون الجميل ، ول. ماسنيون ؛ وأقيم حفل لتأبين المرحومين : على إبراهيم باشا ، والشيخ مصطفى عبد الرازق فى مساء يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٤٧ بدار الجمعية الجغرافية الملكية . وافتتح الحفل حضرة رئيس المجمع بكلمة عبر فيها عن أسف المجمع لفقد أعضائه الذين رحلوا وبقى عملهم ماثلا للعيون ، وذكرهم نديا فى القلوب . وأعلن أن حضرة الدكتور على توفيق شوشة سيقوم بتأبين الدكتور على إبراهيم باشا ، وأن الأستاذ أحمد أمين سيقوم بتأبين الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق .

وفيما يلى نصوص الكلمات :

كلمة حضرة رئيس المجمع

بين أسبوعين اثنين روع المجمع بفقد عضوين من أعضائه العاملين ، الدكتور على إبراهيم باشا والأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق ، فاستشعر المجمع هول الفجيعة فيهما ، وكان شعوره فى ذلك نفحة من شعور عام سرى فى البلاد حين تخطف الموت هذين الفقيدين العظيمين . كان كلاهما عزيزاً فى قومه ، كبير الأثر فى ميدان عمله ، وكان كلاهما مدداً فى تزكية الحياة العلمية والأدبية ، مذكوراً بما أفاء على وطنه وقومه من خير وبما كان له من شمائل لاتتسق إلا لمن يتاح له من الفضيلة حظ عظيم . ولقد فقد المجمع فيهما عضوين توافر جهدهما للمشاركة فى خدمة المجمع وصدقت رغبتهما فى السعى لتحقيق أغراضه الجسام ، وكذلك فقد أعضاء المجمع فيهما صديقين كانا بعلو نفسيهما ودماثة خلقيهما مثلا للزمالة الكريمة . وإن المجمع إذ يعقد هذا الحفل لتكريم ذكرى فقيديه ليذكر أعضاءه الذين فقدهم من قبل: يذكر المرحومين الشيخ حسين والى ، والشيخ أحمد الإسكندرى والأستاذ نلينو ، وعبد القادر حمزة باشا، ومحمد توفيق رفعت باشا، وأحمد إبراهيم بك ، والأب أنستاس مارى الكرملى . وإذا كان المجمع قد ودع هؤلاء جميعاً وأصبحوا فى ذمة العالم الباقى

فإن جهدهم فى المجمع لبنات فى بنائه تقيم دعائمه وتعلى صرحه . وهى على الزمن آيات باقيات تسجل أسماءهم فى الخالدين . وتحيي ذكراهم قدوة حسنة للعاملين .

وسيقوم حضرة الدكتور على توفيق شوشة باشا بتأبين الدكتور على إبراهيم باشا . ثم يقوم الأستاذ أحمد أمين بك بتأبين الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق .

كلمة حضرة الدكتور على توفيق شوشة
فى تأبين المرحوم الدكتور على إبراهيم باشا

سادتى :

لقد شرع الناس من سحيق العصور عادة تخليد العظماء والأبطال والأئمة فى العلوم والفنون وأقاموا التماثيل للملوك . تمثالا هنا وتمثالا هناك . وإذا كنا أكرمنا ذكرى الفراعين فى صورة معابد تنسب إليهم . فلقد شيدنا الأضرحة فى العهد الإسلامى العربى لأولياء الله والعلماء والسلاطين . ولقد أخذ عنا الصليبيون فكرة (البانثيون) مقبرة العظماء . ففى سفح المقطم دفن الخلفاء والوزراء وجهابذة العلماء . دفنوا فى صعيد واحد ؛ ولم يدفن بجوارهم من سائر الشعب إنسان . وماحفلات التأبين إلا من هذا القبيل – يجتمع أصحاب الفقيد وعارفو فضله يتذاكرون سالف أمجاده وأروع أعماله وأمتع خصاله . من أجل هذه السنة اجتمعنا ووقفت أقص على حضراتكم لمعاً من سيرته ودراسة تقدير وتحليل لشخصيته ونوابغ أعمـــاله .

وأرجو المعذرة إن قصرت فى توفية الفقيد حقه ، على طول عشرتى له وتعمقى نفسيته ومساعيه ، وعذرى هو عذر كل من يحاول تصوير العظماء والأبطال والعبقريين . فهؤلاء كالطبيعة ؛ تلقاك كل آن بمنظر عجب بعد منظر عجب ؛ وتفضى إليك من مكنون أسرارها ومفاتنها بالجديد إثر الجديد .

لقد جمع الفقيد فى بردتيه العصامية والعبقرية والإصلاح والزعامة ، وطوى فى عمره أعماراً تقدر بمئات السنين ، لأنه كان بوقته شحيحاً . وبجهوده غير ضنين . ولأنه رزق التوفيق ، حتى لكأن الحظ حاباه ووقفت فى جانبه الأقدار . ما اضطلع بعمل إلا كتب له فيه النجاح المبين ؛ ولايفرغ من عمل إلا ليستأنف سواه . وياربما باشر عملين أو أكثر فاحتمل أعباءها جميعاً وكان من الناجحين . جم النشاط ، ينهض مع شروق الشمس ، ويأوى إلى المضجع بعد زلف من الليل ، ولايفتر عن الحركة ولا عن التفكير فيما بين ذلك . أبداً مشحوذ الذهن والأعصاب ، لم تفارقه حماسة الشباب . لم يكن طريقه إلى المجد مفروشاً بالورود والرياحين . لقد اعترضته العقبات فذللها فى كياسة ، كأن به حصانة ضد اليأس ، وكأن الدهر وعراكه قد لقحه بيأس لايلين . كان ربما وقف فى الميدان وحيداً بلا نصير : جأش مستقر ، وقلب ذكى ، وعزم حديد ؛ وهمة قعساء . حسن السياق للأمور كأنه ركب من أعصاب لاتهن ، وعرى عن

اللحم والشحم ومالاجدوى منه فى نشاط الإنسان وتفكيره . والإنسان عقل وروح .

قلبه كبير ومطامعه لاحد لها ، لكنه كان إنسانى النزعة فى كل مايشرئب إليه وتتعلق به نفسه .

كان فقيدنا يعطى ولايأخذ . أعطى من دمه وذكائه وماله ، وأعطى من وقته وجهده وجاهه وما أخذ شيئاً ، حتى المجد ربحه لمهنته وكسبه لأمته وأحرزه للناس جميعاً .

عاش عف اليد والضمير : مذكوراً مشكوراً بكل لسان ، حسن الصحبة مأمون السريرة يكره عداوة الرجال ، لكنه يكره الفرار إذا أكره على النضال .

عاش زاهداً ، زاهداً فى مايشبع الرغبات الأرضية ، لا يأكل إلا مايمسك الرمق ويدير الآلة التى تسمى الجسم ، أما عقله فيتزود من الغذاء أطيبه ، وأما روحه فطعامهاسماوى علوى .

لقد عاش فى محراب العلم والعمل للغير وللوطن وللإنسانية .

لقد اجتمعت هذه الصفات كلها فى شخصيته فتضخم رصيده فى حساب المجد .

كان مجدداً وبناء وإنساناً ، أقرب مايكون الإنسان العصرى إلى الكمال . لقد كرمناه أكثر من مرة حياً ، وهانحن نكرمه وهو فى الخالدين .

ولد الفقيد فى أواخر سنة ١٨٨٠ والثورة العرابية يوشك بركانها أن يثور . ولما استوى شاباً فى المدرسة الخديوية انحاز إلى الفتيان الذين لبوا نداء الوطن وانطووا على مقت الاحتلال وأجمعوا على جهاده . حدثنا قال : اجتمعنا أنا وطائفة من الشبان فى حديقة الأزبكية بدعوة من مصطفى كامل ، وكدنا أن نؤلف جمعية ، لكن الله أراد غير ما أردنا . فسافر الزعيم الشاب إلى فرنسا لإتمام علومه بعد فصله من مدرسة الحقوق . وعكفت على التحصيل فى مدرسة الطب .

كان الطالب على إبراهيم فذاً بين أقرانه . لا من حيث أنه بزهم فصار أول كل فرقة وأول الناجحين فى الدبلوم ، وإنما لجشعه فى تحصيل ماليس فى الكتب وأعنى به التحصيل عن طريق الاتصال الشخصى بالأساتذة وملازمتهم أينما وجد إلى ذلك سبيلا . فكنت تراه يحمل حقيبة كتب العلامة الدكتور عثمان غالب ومذكراته ، وكان أستاذ التاريخ الطبيعى الذى كشف عن دورة حياة دودة القطن ، وذهب يختلف إليه فى معمله ومنزله . وكذلك فعل مع الدكتور محمد باشا الدرى ، شيخ الجراحين فى عصره ، وكان له مطبعة خاصة جعلها نهباً للمؤلفين يطبعون فيها تواليفهم على حسابه . وتتلمذ على الدكتور علوى باشا أول الباحثين فى أمراض العيون المتوطنة وسيد الإكلينيكيين فيها . وفى السنة الأخيرة ألحق مساعداً للدكتور سيمرز أستاذ علم الأمراض والميكروبات وأجريت عليه وظيفة ولما يزل طالباً ، وهو تشريف لعبقريته اليافعة ، وماهو إلا أن أثبت جدارته بكل تشريف حين قام بتجربة أقام فيها الدليل

المحسوس على أن الهواء يحمل مع الغبار ملايين الميكروبات ، فإذا كان هذا هو حال الهواء فما بالك بما تحمله الأيدى والمشارط والضمادات من تلك المخلوقات وماظنك بما يصل إلى الجروح منها إذا لم تعقم الأيدى وأدوات الجراحة والتضميد ؟ لقد كانت هذه التجربة الكلمة الأخيرة والفصل بين عهدين ، عهد ذهب بصديده وضحاياه ؛ وعهد التئام الجروح فى أقرب وقت وبأقل مايكون من الكرب .

واستقام الدكتور على إبراهيم على النهج ورسخت قدمه كباحث يوم أن كشف عن حقيقة الهيضة الآسيوية التى انتابت البلاد سنة ١٩٠٢ وأثبت أنها انتقلت مع الحجيج إلى قرية موشا بأسيوط ، ويوم أن أقام الحجة على أن الحمى الفحمية انتقلت عن طريق أقراص الروث الجاف إلى الفلاحات اللائى يخبزن فى إحدى قرى القليوبية .

عرف مدير الصحة الإنجليزية وقتذاك للطبيب الناشئ قدره ، فعينه مديراً بالنيابة لمستشفى بنى سويف ، وهناك طار له صيت وامتد ذكر ، فرقى إلى مدير مستشفى أسوان . ولم يطل مقامه هناك ، فنقل إلى أسيوط حيث بدأت أول معركة بين الطبيب المصرى والطبيب الأجنبى . بقى أشهراً يدفع أجر العيادة من جيبه لانصراف أهل عاصمة الصعيد إلى الأطباء الأجانب ، فلما هرع هؤلاء إلى الاصطياف فى أوربا والإسكندرية ، خلا الجو للفقيد واضطر الأسيوطيون إلى طرق بابه ، فما راعهم إلا براعة ليست للأجنبى وبصر بالمرض وعقابيله ، فآمنوا به ، وكفروا بهم .

لم يذهله الصيت والثروة عن التزود بالمعرفة ومسايرة التقدم الذى رآه يطرد فى الغرب ويتخاذل ظالعاً فى مصر ، فاستأذن الدكتور كيتنج مدير قصر العينى فى إجراء عمليات (كوخر) على جثث الموتى فى مشرحة مدرسة الطب ، فأذن له .

لم يتخلف على إبراهيم مرة واحدة طوال سنتين عن قضاء عطلة الأسبوع فى المشرحة يجرى عمليات كوخر الجراح الذى قلب الجراحة رأساً على عقب بما استحدث من كل مستطرف فريد .

فلما خلا منصب مساعد كبير الجراحين فى مستشفى قصر العينى عرض الدكتور كيتنج عليه إلحاقه بهذا المركز العلمى ، ولو غير على إبراهيم لرفض ، لأن القاهرة كانت ملأى وقتذاك بالكفايات ولم يعد فيها متسع لمصرى من المتطببين ، لكن الفقيد رجل جلاد يؤمن بفنه ويثق بنفسه ، فقبل المنصب .

غادر على إبراهيم القاهرة فى سنة ١٩٠٣ طبيباً مغموراً ، وعاد إليها فى سنة ١٩١٠ جراحاً مشهوراً ، ويا له من جراح ! عين كعين الصقر ترى ما وراء الظاهر وتغوص إلى الأعماق ، ويد صناع سجيتها الإبداع :

يد إبراهيم لو جئت لها ... بذبيح الطير عاد الطيرانا
لم تخط للناس يوماً كفنا ... إنما خاطت بقاء وكيانا

وأصابع مبصرة ترى فى الظلام :

أصابع أجدى خبرة من أشعة
وأصدق إن مرت على جسد حكما
فكم من حياة فى أناملها الـتى
تكاد شفاه الطب تلثمها لثمـا

وآذان مرهفة تسمع الهمس القصى ، وتكاد تسمع نجوى القلوب ، وجأش رابط وعقل درب على التركيز وصحة الحكم وسرعة البت ، وبديهة حاضرة ، وخبرة اكتسبها من عمليات لا عدد لها أجراها على الجثث قبل أن يجريها على الأحياء .

ســادتى :

المال هدف الكثرة ومأربهم الأسمى فى الحياة والصيت يهفو إليه الأكثرون ، وفى سبيل المال كم شقى رجال ، وفى سبيل الشهرة كم ارتكبت آثام ! وقد أصاب الجراح النابه صيتاً بعيداً ومالا كثيراً ، لكنه لم يكن طالب شهرة أو مال ، وإنما كان طالب علم وطالب مجد ، وقد أبى له مركزه العلمى فى الكلية وفى مستشفاها وأبى له حنينه إلى العلم إلا أن يتمشى مع التطور ، فافتتح مستشفى خاصاً بعابدين مكان عيادة طبيب مصرى كبير من أقطاب نهضة إسماعيل . وبذلك وضع إسفينا فى جبهة الأطباء الأجانب وحمل اللواء فانضوى إليه زملاؤه . افتتح المستشفى لأن التشخيص اليوم يعتمد على الفحص المعملى وعلى الأشعة ، وغرفة العمليات لها شروط وفيها أجهزة ومعدات ، والمريض بعد العملية يحتاج إلى تمريض تقوم به ممرضات ، ولا بد من طبيب مقيم يفزع إلى إغاثة المريض إذا وقع ما ليس فى الحسبان .

هذا المستشفى كسب نصف المعركة ، ونصفها الثانى كسبته البراعة المقرونة بالحزم والكياسة ، والتعاون فى سبيل الهدف .

وانتقل مركز العيادة من شارع عابدين إلى شارع الصنافيرى .

ســادتى :

إن لبعض الدور والمنشئات شخصيات تخلد ، مثلما يخلد الإنسان . فللأهرام شخصية وللمنزل الذى ولد فيه شاكسبير شخصية ، ولقبر صلاح الدين شخصية ، ولمستشفى الصنافيرى الذى ولدت فيه النهضة الطبية المعاصرة شخصية ، شخصية خلعها عليه صاحبه العظيم . شخصية من حقها التخليد .

سادتى :

كان التطبيب فى مصر أجنبياً ، ومشاهير الأطباء أجانب ، والأصل فى الطب أنه من اختراع المصريين وفى دمهم ، الفراعنة هم أول من رفعه من حضيض الخرافة والشعوذة إلى مقام العلوم ، وعنهم أخذ الإغريق وعليهم تتلمذوا ، ثم عاد الطب إلى الإسكندرية فاحتضنته ، وعاونت على تقدمه . ثم عاد إلى القاهرة عندما ورثت مصر ثقافة العرب وعلومهم . وانبعثت للطب نهضة على يد محمد على ، نقلت إلى العربية علومه ، واطرد تقدمها فى عهد إسماعيل .

وقد توارت شمس هذه النهضة بالأفول وذبلت دوحتها الباسقة فى ظل الاحتلال وشهد الفقيد مصرعها وسمع قصتها الرائعة من أقطابها.

ولما كان على إبراهيم من الجيل الذى أنجب مصطفى كامل وسعد زغلول ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى وطلعت حرب وغيرهم ، فقد ساءه أن يتقهقر الطبيب المصرى إلى المؤخرة ولايثق به أخوه المصرى المريض .

إن قصة استقلال مصر وتحريرها من العبودية السياسية والفكرية والاقتصادية هى قصة زعمائها الذين حملوا راية الجهاد ، كل فيما أهلته له مواهبه، وهيأته شخصيته ، وعلى قدر حظه من التوفيق ومواتاة الظروف . ولقد كان حظ على إبراهيم من التوفيق غير محدود ، واتته الظروف وسنحت له الفرص حتى لكأنما قد حابته الأقدار وحالفته صروف الليـــالى .

آذنت عودة الدكتور على إبراهيم إلى مدرسة الطب بميلاد النهضة الطبية الحديثة ، وآذنت بميلاد زعامته . وإذا توخيت الصواب فقل إن زعامة على إبراهيم وجدت الجو الصالح والميدان الخصب . كيف لا وقد أنبتته رقعة من أرض الوطن أنجبت سعد زغلول ، وبعض البقاع أزكى نباتاً وأكرم نجلا .

وسرعان ما التف حوله زملاؤه فى مدرسة الطب وبعض الزملاء خارجها . وماهى إلا سنوات من الكفاح المر ، حتى استرد الطبيب المصرى ثقة المريض المصرى وتحررت صناعة التطبيب من الاحتلال الأجنبى .

هذه خطوة مشجعة . فلتكن الخطوة التالية فى ناحية أخرى من نواحى النهضة .

مباركة كانت الخطوة التالية . وبعيدة الأثر فى تمصير الطب ونقله إلى العربية وتشجيع البحث فى فروعه المختلفات . ففى سنة ١٩١٧ وفى غرفة فسيحة الأرجاء فى مستشفى الصنافيرى التاريخى اجتمع على إبراهيم وزملاؤه وقرروا إنشاء مجلة تنشر البحوث بلغة الضاد . وفى أبريل من هذه السنة صدر العدد الأول من المجلة الطبية المصرية ، لصاحب امتيازها الدكتور على إبراهيم ، ورئيس تحريرها المرحوم الدكتور أحمد بك عيسى العالم الثبت والحجة المدقق فى تاريخ الطب عند العرب.

وفى مستشفى الصنافيرى ، وفى نفس الغرفة ، اجتمع نفس الزملاء بدعوة من على إبراهيم وقرروا فى اكتوبر سنة ١٩٢٠ إنشاء الجمعية الطبية المصرية ، ووقع الاختيار على شيخ الأطباء الدكتور عيسى حمدى باشا رئيساً ، والفقيد وكيلا أول لها .

ومن قبل جمع الفقيد أهل المهن الطبية فى هذا المستشفى بالذات وفى نفس الحجرة سنة ١٩١٩ وحضهم على الانضمام إلى الثورة فخاضوا غمارها مع بقية المواطنين .

أيها السادة . .

مما يؤسف له أن توسعة شارع الصنافيرى اقتضت هدم شطر من المستشفى وبقى أفضل شطريه فلم يغادره الفقيد واتخـــذه عيادة

للكشف ، على أن يجرى عملياته فى المستشفى الإسرائيلى .

وإذا كنا قد فقدنا من تراث النهضة الطبية هذا الشطر الذى هدم فلا أقل من أن نطالب بالمحافظة على هذه العيادة ، فقد شهدت مالم تشهده دار شعبية أخرى .

فى هذه العيادة بقيت المجلة والجمعية حتى شيدت دار الحكمة . وظفر الفقيد برياسة الجمعية الطبية واستمر فيها حتى وافاه القدر المحتوم . فنهض بالمجلة والجمعية ، فأما المجلة فأفسحت صفحاتها للأبحاث المكتوبة باللغات الأجنبية ، فسهل على المعاهد والهيئات فى بلاد الغرب درسها والاعتماد عليها كمرجع لايستهان به فى طب المناطق الحارة والأمراض المتوطنة . واكتسبت مصر مكانة محمودة فى المحيط العلمى العالمى ، وساهمت مع قادةالفكر وحملة مشاعل العلم فى زيادة ثروته ، وتطهرت من معرة العقم ، والعيش فى شئون العقل عالة على هذه الحضارة تفيد من كنوزها وتأخذ الكثير ولا تعطى شيئاً .

وأما الجمعية فدأبت على عقد جلسات دورية ومؤتمرات سنوية ، وقد تطورت المؤتمرات فصارت عربية ، تعقد فى عواصم الشقيقات ، وقد أثمرت التفاهم والتعاون وتوحيد الهدف فى البحث بين أطباء العرب . ولست أغالى إذا ذهبت إلى أن هذه المؤتمرات هى نواة الجامعة العربية أو أنها هى فى صورة مصغرة وفى ناحية من النواحى الهامة فى حياتها العلمية ونهضتها الثقافية .

وأثمرت المؤتمرات الطبية العربية شيئاً آخر يتصل بمجمعنا ، ذلك أن الفقيد كان قد ألف لجنة من أعضاء الجمعية الطبية والنابهين فى فقه اللغة لنقل المصطلحات الطبية إلى العربية . وكانت يخصص لها فى المؤتمرات جلسات يتخذ فيها المجتمعون قرارات لها قيمتها ، وعلى مر الزمن أثمرت هذه اللجنة ثمرة يانعة . فقد وافق أحد المؤتمرات على قرار لها خطير، هو توحيد المصطلحات فى البلاد العربية . وقد وافقت حكومات تلك البلاد وقتذاك على القرار ونفذ بالفعل . ولقد احتضن المجمع هذه اللجنة واعتمدها من جانبه ، فأمدته بالكثير من المصطلحات .

ألا شتان بين الأمس واليوم ! بالأمس قبرت اللغة واليوم دبت فيها الحياة ، والمرجو أن تصبح العربية لغة التعليم الطبى . ولنا أن يمتد أملنا إلى أن تنقل كتبنا العربية إلى اللغات الأجنبية كما نقلت فيما مضى كتب الرازى وابن سينا وأبى القاسم .

لم يقف على إبراهيم عند هذا الحد من تقدم النهضة الطبية واطراد نجاحها ، فسعى حثيثاً حتى جمع الأطباء على اختلاف طوائفهم فى نقابات تجمعها نقابة عليا للمهن الطبية .

سـادتى ؛

إن الجامعات هى محاريب العلم وأديرته ، ووظيفتها مزدوجة ، فهى تخرج الباحثين الصالحين للكشف عن الحقائق ، وهى تزيد فى ثروة العلم آناً بعد آن .

وإن مما يشرف ذكرى الفقيد أنه نجح نجاحاً منقطع النظير فى تحقيق هذين الهدفين فى كلية الطب . فلن يكون لنا جامعة وأساتذتها من العلماء الأجانب ؛ ولن يكون لنا جامعة والعقم آفتها .

جدد على إبراهيم كلية الطب . وزودها بالمعامل والمتاحف والمدرجات وأمدها بأحدث الكتب والمجلات بجميع اللغات ، وجدد مستشفى قصر العينى الضيق ، وشيد مستشفى فؤاد الأول أعظم مستشفى فى الشرق ومن أعظم مستشفيات الدنيـا . وهكذا على إبراهيم إذا شيد جاء البناء شامخاً باذخاً .

بنى للجمعية الطبية المصرية داراً ، وسعتها هى وسائر الجمعيات الطبية ، وألحق بها صالة للمحاضرات أباحها للباحثين والمفكرين يلقون فيها ما شاءوا من ثمرات العقل والمعرفة. وبنى مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية ، وما إن تولى رياسة جمعية الهلال الأحمر حتى شيد لها مستشفى خاصاً .

سادتى :

لم يغفل الفقيد عن شئوننا الصحية ، فأولاها مزيداً من عنايته ، وله أكثر من مجال حلل فيه مشاكل مصر الصحية واقترح العلاج الذى براه وطرح على بساط البحث فى المؤتمرات السنوية مشكلة تحسين القرية ومشكلة التغذية فى ديار مصر .

وفى عهد وزارته القصير أعاد تنظيم وزارة الصحة وألف لجنة لدراسة القوانين واللوائح الصحية العتيقة تمهيداً لتعديلها حسب مقتضيات العصر الحديث . وفتح مصاريع الدراسات وأقسام التخصص فى كلية الطب ليلتحق بها أطباء الوزارة التماساً لرفع مستواهم الفنى وإنماء ثروتهم العلمية ، ووفق كدأبه إلى شيء يتسق ونزعته الاجتماعية ، ذلك أنه أنشأ مصلحة للصحة الاجتماعية تنتظم أقسام رعاية الطفل والأمومة والأمراض الصدرية والأمراض التناسلية ومكافحة المخدرات والمسكرات والدعاية الصحية .

وعلى ذكر الدعاية الصحية أسجل أن للفقيد الكريم عليها فضلا عظيماً ؛ فهو قد حشد الشباب الجامعى لبث المبادئ الصحية وكفاح العادات الخاطئة والخرافات وأرسل أعضاء رابطة الدعاية الصحية فى الأحياء الوطنية يعظون العامة ويبصرونهم بما يدفع عنهم غوائل الأوبئة ويصون عليهم عافيتهم ويهيبهم للتعاون مع السلطات الصحية فى رفع المستوى الصحى وكفاح المرض كفاحاً فعالا منتجاً .

ولله دره من مصلح اجتماعى أتى فى هذا الميدان من خدمة الشعب والتمكين للنهضة العامة بالطريق غير المسبوق ، فلقد جند الشباب للخدمات الاجتماعية فملأ أوقات فراغهم بما ينمى فيهم خصال الخير ويتسامى بميولهم ويصرفهم إلى نفع المجتمع وإسداء المعروف للملايين ، قال للشباب الذين خجلوا من جمع القرش « أنا شيخ الشحاذين » فانطلقوا فى كل فج وعادوا بمال شيد به مصنع القرش للطرابيش ومصنع القرش لغزل الصوف . وحبب الخدمة الاجتماعية لسيدات الطبقة الراقية ممن تتسع أوقات فراغهن وتزخر

فى قلوبهن عواطف الرحمة والبر ، فأدهشت سيدات الهلال الأحمر القوم بما بذلنه من جهد وتضحية وإيثار فى كفاح بعوضة الجامبيا والحمى الراجعة وإغاثة عشرات من الألوف نكبتهم هذه وتلك .

ومشى الفقيد فى طريق التجنيد للخدمة الاجتماعية خطوة أخرى ، إذ جند أعضاء جمعية نهضة القرى لمكافحة الأمية رمزاً إلى أن فى عنق كل مصرى قادر مسئولية ، وعليه ضريبة للإصلاح الاجتماعى ، فى بلد ألقى الناس فيه عبء الإصلاح على الحكومة .

سـادتى :

يندر أن نلقى رجلا مثل الفقيد انتفع ونفع بكل دقيقة من أوقات يقظته. فقدكان لاتسكن له حركة إلا إذا عكف على التأمل والتفكير وكثيراً ما كان يفكر وهو فى صحبة الناس ، يكون معهم بجسمه وينأى عنهم بعقله ، ومع ذلك لايسهو عن مناقشتهم .

ياعجبا كيف استطاع الفقيد أن يجمع هذه التحف والطرائف من سجاجيد نادرة نفيسة وخزف وقيشانى وقطع من الأثاث العربى تتصل بالفن الإسلامى !

إن جمع التحف فن وعلم ، فن من حيث الجمال ، وعلم من حيث الكشف عن حقيقة أمرها فى أى عصر صنعت ، وما مكانها من التطور الذى تدرج فيه الفن الإسلامى العربى متأثراً بعوامل تتصل بالفتوحات والانقلابات الفكرية .

والواقع أن ولعه بجمع التحف نبع من غريزته الفنية وتذوقه لكل رائع وجميل ، وانطباعه على حب الخير والحق ، فلا جرم أن أنفق ما أنفق من ثروة طائلة ووقت وجهد فى جمع ماتهش له نفسه وتهفو إليه روحه ويزول كل العجب من أستاذيته فى فهم الموسيقى وتقدير الصور قدرها .

ذلكم هو زميلنا فى المجمع ، وأستاذى فى مهنة الطب المغفور له الدكتور على باشا إبراهيم على حسب الصورة التى تركها فى نفسى ، وعلى قدر إلمامى بأعماله المجيدة . وأرجو أن أكون قد قمت ببعض الواجب نحوه ونحو المهنة ونحو مصر والشرق العربى .

رحمه الله ، لقدكان بالطب وبالعلم وبالوطن براً رحيما .

كلمة حضرة الأستاذ أحمد أمين
فى تأبين الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق

رحم الله صديقنا وزميلنا مصطفى عبد الرازق رحمة واسعة فقد ترك فى نفس كل من عرفه فراغاً لا يملأ ولوعة يعز عليها الصبر .

كان — رحمه الله — متميزاً فى خلقه ، متميزاً فى أدبه ، متميزاً فى علمه .

نفس كريمة سمحة ، وقلب عطوف رحيم ، وصدر واسع رحب ، لا يحمل حقداً ولا ينطوى على ضغينـــة ، وحلم رائع لا يستفزه نزق ولا يستخفه غضب .

لست أنسى يوماً منذ أربعين عاماً سمعت باسمه وأنا طالب بمدرسة القضاء وهو أستاذ بها وحول اسمه هالة من حسب ونسب وغنى وجاه ، فارتسمت فى نفسى صورة من أبناء الذوات يشمخون بأنوفهم ويتكلمون من أطراف ألسنتهم وينظرون إلى الناس فى الأرض من أعلى السماء ، فلما رأيته حتى انمحت هذه الصورة الكاذبة ، وحلت محلها صورة تخالفها كل المخالفة . قد أخذ من الأرستقراطية أجمل ما فيها ، ومن الديمقراطية أجمل ما فيها . أناقة فى الملبس من غير بهرجة ، ورشاقة فى الحركة من غير تصنع ، وأدب فى الحديث من غير ترفع ودعة فى النفس من غير تكلف .

فامتلأت منه نفسى ، وأحببته وصادقته فى جلسة ، وتأكدت الصداقة بيننا على مر الأيام وأشهد أنى لم أر منه ما يخدش الصداقة أو يعكر صفو الود ، وهكذا كان شأنه — رحمه الله — مع كل صديق .

كان من أجمل ما فيه — رحمه الله — ذوقه المرهف الرقيق الدقيق يتحكم فى حياته المادية من ملبس ومأكل ومشرب ويتحكم فى حياته الأدبية والروحية من حديث لذيذ ممتع مؤدب يوزعه ويوزع نظراته على المستمعين . ومن أجل هذا كان ناديه فى بيته من خير الأندية وأمتعها وأحفلها ، يجمع بين الأزهرى الصميم والمثقف ثقافة مدنية عصرية ، وقد يكون فيه الأوربى والأوربية فإذا هو — رحمه الله — بلطفه وظرفه ورقته يؤلف بين قلوب الجميع ويمكن — بلباقته — من استفادة كل من كل وتتلاقى عنده آراء الأحرار والمحافظين .

ولهذا الذوق الجميل كان أحبَّ شاعر إليه البهاء زهير ذو الذوق الجميل ، والشعر الجميل . أعجبه فيه ظرفه وذوقه ومصريته وعزة نفسه فذكر — رحمه الله — أنه كان يتعشقه ويتعشق شعره منذ صباه ولا زال يحن إليه حتى ألَّف فيه فى كهولته .

نفعه ذوقه فاستفاد منه فى كل مرحلة من مراحل حياته أن كان يتذوق من كل شىء أحسن ما فيه . تربى فى الأزهر فاستقى منه أحسنه وكان بيت أبيه — رحمه الله — مزار كبراء البلد وعظمائها وعقلائها يتحدثون فيه فى شئون الأمة السياسية والاجتماعية والأخلاقية ،

فيصغى لأحاديثهم ويتخير منها أحسنها .

وعن هذا الطريق تعرف بالأستاذ الشيخ محمد عبده صديق أبيه ، فتعشقه، وتتلمذ له واتصل به فى دروسه وغير دروسه واتخذه أباً روحياً يحضر مجالسه ويزوره حاضراً ويكتب إليه مسافراً وينظم الشعر فى استقباله عائداً ويستفيد منه أجل فائدة ويفى له بعد مماته ، فيحاضر فيه ويترجم له رسالة التوحيد إلى الفرنسية ويكون مرجع كل باحث عن الشيخ محمد عبده .

ثم سافر إلى فرنسا فأفاده ذوقه هذا كثيراً فكم من شبان يرحلون إلى أوربا فيخسرون كثيراً ويكسبون قليلا ، أما هو فقد كسب كثيراً ولم يخسر قوميته ولا شرقيته ، ولم يتخل عن الجميل من قديمه .

وهكذا كان ذوقه فى حياته دليله وهاديه ومرشده . وقد كتب إليه أستاذه الشيخ محمد عبده يقول : « ماسررت بشىء سرورى أنك شعرت فى حداثتك بما لم يشعر به الكبار من قومك فلله أنت ولله أبوك ولو أذن لوالد أن يقابل وجه ولده بالمدح لسقت إليك من الثناء ما يملأ عليك الفضاء ولكنى أكتفى بالإخلاص فى الدعاء أن يمتعنى الله فى نهايتك بما تفرسته فى بدايتك وأن يخلص للحق سرك ويقدرك على الهداية إليه وينشط بنفسك لجمع قومك عليه والسلام » .

* * *

سمح كريم النفس يبذل العطاء للبائس والمحتاج ، فكم بكته أسر كان يعولها فى الخفاء وكم له من يد على اليتامى والفقراء ، وكم أنفق فى تعليم محتاج ، وكم سعى فى توظيف عاطل أو دفع الظلم عن مظلوم أو إيصال الخير لمستحق . وأسعفه على ذلك ماله الخاص ، فأنفق منه الكثير ، ومركزه فى الجمعية الخيرية الإسلامية ووزارة الأوقاف فتعاون ماله الخاص والمال العام على إفاضة المعروف على البائسين والمحتاجين والمنكوبين فكان نفاح اليدين وغيث المعروف .

وكان من طيب نفسه لا يحقد على مجرم أو مسىء أو مذنب على حين يتهلل للمحسن والخير والنبيل فكان خلاصة فلسفته فى ذلك الجبر فى الإساءة والاختيار فى الإحسان . فهو لا يكره خصومه ولا يبغض من أساءه ، ولكنه يحب من أحسن ويحب كل الحب أصدقاءه .

إن أعجبه الجديد فى فرنسا فلا يكره القديم فى الأزهر ، وأن أعجبته الحضارة الأوروبية فإنه تعجبه الحضارة الإسلامية ، وإن تذوق الأدب الفرنسى الحديث فإنه يتذوق الأدب العربى القديم ، وإن شغف بفلسفة كانت وديكارت فإنه مشغوف بفلسفة ابن سينا وابن رشد ، وإن تكلم الفرنسية مع الفرنسيين فإنه يتكلم العامية الصعيدية مع الفلاحين ، فكان قلبه يتسع لكل شىء ويتعشق كل جميل .

* * *

هذا خلقه ...

أما أدبه ، فكان كذلك مظهراً لذوقه. مقل مجيد ، يتأنق فيه تأنقه فى ملبسه وحركاته وسلوكه ، يذهب مذهب من يرى الجمال فى البساطة ولايعجبه المهلهل من الأسلوب ولا المفرط فى الحلية . وذواق يتحسس اللفظ الجميل ليضعه فى موضعه اللائق به ، وقد يستعرض المترادفات ليرى أنسبها فى مكانه . ويتحرى المعنى الرشيق والأسلوب الرشيق يحلى بهما مايكتب وخاصة فى الاستهلال والختام، ويردد الجملة فى نفسه ليستسيغها كما يتذوق الشارب الشراب اللذيذ والطعام اللذيذ .

خبرته فى ذلك يوم كان يحرر مقالاته الأدبية فى « الجريدة » تحت عنوان « يوميات إبراهيم الفزارى » على ما أذكر وأيام اشتركنا فى تحرير مجلة « السفور » بعد عودته من فرنسا ثم فيما كان يخطب ويكتب فى الحفلات والمناسبات ولو واتته الظروف وفرغ للأدب لكان منه الأديب الكبير الذى يتزعم مدرسة .

* * *

ثم كان أستاذاً للفلسفة الإسلامية فى كلية الآداب بالجامعة المصرية فكان فى مكانه الذى يتفق وهدوءه وسكينته وعقليته ومزاجه ، سرعان ما امتدت أسباب الود بينه وبين طلبته فأنسوا به وأنس بهم وأحبوه وأحبهم وكان مقصدهم العلمى والخلقى فى الكلية وفى البيت وحيث يكون: يعرضون عليه مشاكلهم العلمية ومشاكلهم النفسية ومشاكلهم العائلية، فكان لهم أباً رحيما وكانوا له ابناء بررة ؛ فإذا تخرج متخرجهم كان للأستاذ أخا صغيراً وصديقاً، فيما هو — من ناحيته — لايكل فى السعى لهم حتى يطمئنوا فى حياتهم ثم يوعز إليهم بأساليبه الظريفة أن يستمروا فى البحث والدرس والإنتاج ويشرك الكثير منهم فى تحضير دروسه معه وحل مايعرض له من المشاكل الفلسفية، فربى رجالا كما ربى عقولا، ومكنه الاتصال بطلبته أن يتعرف خواص كل منهم وموضع قوته وضعفه فعالج وشجع ووجه حتى رأينا « قسم الفلسفة » فى الكلية ينشط فى البحث والإنتاج وينشر الفلسفة بين الناس ويحببها إليهم — بفضله .

ثم هو — فى دروسه — يسوى فى التقدير بين فلاسفة الشرق وفلاسفة الغرب، ويناقش رينان كما يناقش الشهرستانى، وينقل عن هؤلاء وهؤلاء ويمعن فى فهم النصوص والوصول إلى باطنها مستفيداً كل الفائدة من الطريقة الأزهرية .

وكان فى بعض درسه — كما قال — « يتوخى الرجوع إلى النظر العقلى الإسلامى فى سذاجته الأولى ويتبع مدارجه فى ثنايا عصوره وأسرار تطوره » .

ولئن حاول كثير من المستشرقين أن يغلوا فى رد أصول الفلسفة الإسلامية إلى العناصر اليونانية فقد رأى الأستاذ أن يضم إلى الفلسفة الإسلامية علم الكلام وأصول الفقه ليدلل على ما للمسلمين من ابتكار فى الفلسفة بأوسع معانيها .

وهو مؤدب جداً فى النقد ، فإذا لم يوافق

على رأى عالم . فكل مايفعل أن يذكر الرأى ويقول إنه لايراه ويرى غيره أولى ، ويورد الحجج على ذلك فى أدب جم من غير تجريح ومن غير أن يمس شعور المنقود أى مساس فكأن المخالف صديقه الحميم الذى يرعى كل الرعاية عواطفه .

وكم كنت أتمنى أن تظهر شخصيته فى التأليف أكثر مما ظهرت ، وأن يتحرر من المنقول أكثر مما تحرر ، فقد كان رحمه الله يحاول ما أمكن ألا يظهر كما تظهر النصوص والنقول ولعل حرصه التام على الأمانة فى النقل وإعطاء كل ذى حق حقه من الفضل حمله على أن يضحى بنفسه للإشادة بفضل غيره . ولكل مؤلف مزاجه ولكل شيخ طريقته .

كان — رحمه الله — يدون محاضراته قبل إلقائها قصداً إلى الدقة ، ولكنه احتفظ بها لم ينشرها طول مدة دراسته فى الجامعة فلما غادرها مأسوفاً عليه ألح عليه طلبته فى أن يأذن لهم بنشرها فأجاب وكتب : « قد كنت أيام اشتغالى بتدريس الفلسفة الإسلامية وتاريخها فى الجامعة المصرية معنياً بدرس هذه الموضوعات واستكمال بحثها ودونت فيها صحفاً طويتها على غرّها منذ تركت الجامعة فى صدر سنة ١٩٣٩ وصرفتنى الشواغل عنها .

« واليوم أعود إلى هذه الصحف لأنشرها كما هى بصورتها يوم كتبت من غير تنقيح ولاتعديل وفى صياغتها التعليمية التى تراعى حاجة الطلاب إلى مراجعة النصوص الكثيرة وحسن التدبر والفهم للأساليب المتفاوتة وان لم يخفَ ذلك على ذوق المطالعين جميعاً .

« وأرجو أن يكون فى هذه الصفحات عون لباحث أو فائدة لقارئ » .

وعلى هذا نشر كتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » وكتابه عن « الكندى » و« الفارابى » المسمى « فيلسوف العرب والمعلم الثانى » كما نشر كتابه « الإمام الشافعى واضع أصول الفقه » ...الخ .

ومن سنة ١٩٣٩ إلى حين وفاته رحمه الله تنقل بين وزارة الأوقاف ومشيخة الأزهر ، ولو ترك لسجيته وطبيعته ومزاجه ماقبلهما ولظل أستاذ الفلسفة فى الجامعة المصرية ولكنه رحمه الله كان حييا خجولا يحمله حياؤه وخجله على أن يرعى الظروف ويراعى المجاملات ويخضع لأدب اللياقة . قبلهما حائراً بين طبيعته ومزاجه وبين خجله ولياقته . إن وافقته وزارة الأوقاف فى أنها ميدان الإحسان ووسيلة لتخفيف الكرب عن الضعفاء والبائسين والمنكوبين فلم يوافقه ما تقتضيه الوزارة من أفانين السياسة ، وشيخه الإمام قد لعن السياسة وكل ما اشتق من السياسة . وإن ناسبته مشيخة الأزهر لأنها تغذى حنينه لأول معهد قضى فيه صباه وشبابه فلم تناسبه لأنها مبعث قلق واضطراب وتضارب نزعات واختلاف تيارات وقد لقى فى مثل حاله شيخُها الإمام الأمرين حتى خرج منه على مضض وفارقه على ندم .

وقد شعر — رحمه الله — بالقلق والاضطراب

والحيرة من كل ذلك فعبر عن حالته أجمل تعبير فى آخر ما كتب إذ نشر تلميذ له كتاباً قديماً اسمه « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام » لجلال الدين السيوطى وعرضه على أستاذه المرحوم ليقدمه فكان مما قاله رحمه الله فى المقدمة :

« كنت عثرت فى دار الكتب الأزهرية على مجموعة رسائل للسيوطى فى ضمنها كتاب «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام» وكتاب « جهد القريحة فى تجريد النصيحة » الذى لخصه السيوطى من كتاب « نصيحة هل الإيمان فى الرد على منطق اليونان » لابن تيمية فوجدت فى الكتابين نفعاً محققاً فيما أحاول فشرعت يومئذ فى تدارسهما مع بعض الطلاب غير أن ذلك لم يطل فقد صرفتنى الأقدار عن حياة المنطق إلى حياة ليست بمنطقية » . وقد كتب هذا فى ١٨ يناير سنة ١٩٤٧ .

فهو يصف حياته فى السنين الأخيرة بهذا الوصف الحزين . إن حياته ليست منطقية إذ الحياة المنطقية هى مطابقة الحياة للمزاج والسير فى الشؤون الخارجية على وفق طبيعة النفس الداخلية ، أما جو قلق لنفس هادئة ومعمعة حرون لطبيعة مسالمة فليس من المنطق فى قليل ولا كثير .

لقد فقدنا بفقده صديقاً كريماً وأخا عظيما وشخصية لا تعوض . رحمه الله وطيب ثراه وأجزل له من الفضل كفاء ما قدم لأمته وألهم الصبر أسرته وأبناءه وأصدقاءه ووفقنا لاقتفاء أثره وتخليد ذكره .

مرســـوم

بتعيين رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية

نحن فاروق الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على المرسوم الصادر فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ بإنشاء مجمع (فؤاد الأول) للغة العربية المعدل بالمرسوم الصادر فى ٢٨ مايو سنة ١٩٤٠ ،

وعلى المرسومين الصادرين فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٣٣ و ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٠ بتعيين أعضاء عاملين فى المجمع المذكور ،

وعلى المرسوم الصادر فى ٣١ يناير سنة ١٩٣٥ بتعيين رئيس للمجمع ،

وعلى المرسوم الصـــادر فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٦ بزيادة أعضاء المجمع العاملين إلى أربعين عضوا .

وعلى محضر جلسة المجمع التى أجرى فيها الترشيح لاختيار الرئيس ،

وبناء على ما عرضه علينا وزير المعارف العمومية وموافقة رأى مجلس الوزراء ،

رسمنـــا بمـــا هو آت :

مادة ١ – يعين أحمد لطفى السيد باشا رئيساً لمجمع فؤاد الأول للغة العربية لمدة ثلاث سنوات تبدأ من ٣١ يناير سنة ١٩٤٨ .

مادة ٢ – على وزير المعارف العمومية تنفيذ هذا المرسوم .

صدر بقصر القبة فى ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٧ (٢٦ يناير سنة ١٩٤٨)

فاروق

بأمر حضرة صاحب الجلالة

رئيس مجلس الوزراء

(محمود فهمى النقراشى)

وزير المعارف العمومية

(السنهورى)

مرســـوم

بتعيين عضوين عاملين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

نحن فاروق الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على المرسوم الصادر فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ بإنشـــاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية المعدل بالمرسوم الصادر فى ٢٨ مايو سنة ١٩٤٠ ،

وعلى المرسومين الصادرين فى ٢٥ نوفبر سنة ١٩٤٠ و ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٢ بتعيين أعضاء عاملين فى المجمع المذكور؛

وعلى المرسوم الصادر فى ١١ سبتمبرسنة ١٩٤٦ بزيادة عدد أعضاء المجمع العاملين إلى أربعين عضواً ،

وبناء على ما عرضه علينا وزير المعارف العمومية وموافقة رأى مجلس الوزراء ،

رسمنا بمـــا هو آت :

(المـــادة الأولى)

يعين الأستاذ على عبد الرازق والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى عضوين عاملين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية فى المكانين اللذين خلوا بوفاة المرحومين الدكتور على إبراهيم باشا والشيخ أحمد إبراهيم بك .

(المـــادة الثانية)

على وزير المعارف العمومية تنفيذ هذا المرسوم ، ويعمل به من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية

صدر بقصر القبة فى ٣٠ من المحرم سنة ١٣٦٧ (١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

فاروق
بأمر حضرة صاحب الجلالة

وزير المعارف العمومية
(السنهورى)

رئيس مجلس الوزراء
(محمود فهمى النقراشى)

جلسة افتتاح المؤتمر

كانت الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين غرة ربيع الأول سنة ١٣٦٧ (الموافق ١٢ من يناير سنة ١٩٤٨) موعداً للجلسة العلنية لافتتاح مؤتمر المجمع ، وقبيل الموعد توافد على دار المجمع من أعضائه القادمين من الخارج السيد محمد كرد على والشيخ عبد القادر المغربى والأستاذ ماسينيون والأستاذ جب ، ومن أعضائه المقيمين بمصر حضرات الأساتذة أحمد لطفى السيد رئيس المجمع والدكتور منصور فهمى كاتب سر لمجمع والدكتور عبد الرزاق السنهورى الأستاذ على عبد الرازق والدكتور عبد الحميد بدوى والدكتور على توفيق شوشة والأستاذ أنطون الجميل والدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين والأستاذ على الجارم والأستاذ أحمد العوامرى والشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور إبراهيم بيومى مدكور والدكتور أحمد زكى والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى والسيد حسن القاياتى وسيادة حاييم ناحوم والأستاذ زكى المهندس والشيخ محمد الخضر حسين والدكتور محمد شرف والأستاذ محمد فريد أبو حديد والشيخ محمود شلتوت والأستاذ مصطفى نظيف . وكذلك حضر المجمع لشهود الاحتفال طائفة من الكبراء ورجال التعليم وأساتذة الجامعة والأدباء ورجال الصحافة ومندوبى الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية .

ولما حان الموعد أعلن الرئيس افتتاح المؤتمر ، وألقى كلمته ، ثم وقفت الجلسة دقائق حداداً على المتوفين من أعضاء المجمع خلال العام المنصرم ، ولما أعيدت الجلسة دعى حضرة الدكتور عبد الرزاق السنهورى وزير المعارف لإلقاء كلمته ، وأعقبه حضرة الدكتور منصور فهمى فألقى كلمته فى أعمال المجمع فى دورته الماضية ، وعلى أثره ألقى الأستاذ عباس محمود العقاد بحثه فى موقف الأدب العربى من الآداب الأجنبية فى القديم والحديث وتبعه الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى لإلقاء بحث له فى مهمة المجامع وعملها فى وضع المصطلحات ، ثم دعى السيد محمد كرد على فألقى بحثا له فى عجائب اللهجات ، ثم ارتجل الأستاذ جب كلمة أشار فيها إلى ما قام به المستشرقون والأساتذة الإنجليز خلال العامين الماضيين من جهود لتشجيع الدراسات الشرقية والعربية . ولما انتهى من كلمته أعلن الرئيس انفضاض الجلسة العلنية فانصرف المدعوون من غير أعضاء المجمع .

وعقد المؤتمر اجتماعا قرر فيه تعيين يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع لانعقاد جلساته . وانصرف أعضاء المجمع فى الساعة الواحدة بعد الظهر قاصدين قصر عابدين لتسجيل أسمائهم فى سجل التشريفات .

كلمة حضرة الأستاذ أحمد لطفى السيد

رئيس المجمع

اليوم نفتتح مؤتمر المجمع آخذين فيما أعددنا له من أعمال يحدونا الرجاء أن تكون هذه الدورة عنوان خير وبركة فيتابع المجمع سعيه لخدمة اللغة مبتغياً أحسن الوسائل للنهوض بها وإمدادها بما يتصل بحياتها ونمائها .

وبهذه المناسبة نتوجه بأجمل التحية إلى زملائنا الشرقيين والمستشرقين ونرجو لهم بيننا طيب الإقامة .

ونرى فى هذا المقام أن ننبه إلى أن سبيلنا لخدمة اللغة يشبه أن يكون لامتناهياً،وما زلنا فى بداية هذا السبيل ، وقصارى جهدنا أن نضع المعجم الوسيط الذى ينبغى أن يشمل ألفاظ المعاجم على طريقتنا الجديدة كما يشمل اصطلاحات العلوم والألفاظ الدائرة فى الاستعمال اليومى للحياة ، وأن نضع معجماً لألفاظ القرآن،وسوف نتبعه بألفاظ الحديث وأن نضع ما نسميه المعجم التاريخى أو المعجم الكبير . وفى أثناء هذه الجهود نحاول تبسيط تعليم اللغة العربية لمتعلميها . ثم نترك كل هذه الثروة إلى خلف نظن أن وسائله سوف تكون بحكم التطور المدنى خيراً من وسائلنا وظروفه أشد مواتاة من ظروفنا . فيستطيع بما نضع له من الأصول وما نقدم له من المقدمات أن يبلغ باللغة ورسم حروفها وتبسيط قواعدها وضبطها إلى ما هو عندنا الآن فى حيز الأمانى . من أجل ذلك كان لابد لنا من الصبر على هذا العمل الشاق ، وكان لابد لناقدى المجمع من تقدير مهمته قدرها حين يتصدون لمحاسبته على أعماله .

وإذ أختتم هذه الكلمة القصيرة لايفوتنى أن أكرر العبارة عما نشعر به جميعاً من الأسف لفقد زملائنا المرحومين الأب أنستاس مارى الكرملى والدكتور على إبراهيم باشا والأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق ، فلقد فجعنا بوفاتهم خلال أسابيع من العام المنصرم تقاربت مناياهم فتوالى الحزن عليهم وضوعفت خسارة المجمع بفقدهم .

وكذلك نقف هذه الجلسة حداداً عليهم .

كلمة حضرة الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى

وزير المعارف

ألقاها حضرته بوصفه عضواً فى المجمع

سيدى الرئيس ، زملائى المحترمين . سيداتى ، سادتى ،

أحييكم أحسن تحية . وأسأل الله التوفيق لمؤتمركم هذا العام كما وفقه فى الأعوام السابقة ، حتى يبقى هذا المجمع نبراسا يضىء للبلاد العربية ، ويشع عليها هدى ونورا . وإنى لسعيد بهذا الاجتماع . فإنه يتيح لى أن أرى نخبة ممتازة من أعلام اللغة والأدب ، من الشرق والغرب ،

يجتمعون فى هذه الدار ليتعاونوا على خدمة اللغة العربية ، وقد انمحت بينهم فروق الدين واللغة والبلد ، فليست لهم إلا دار واحدة هى هذه الدار ، وإلا لغة واحدة هى اللغة العربية . وإن العالم العربى ليرقب جهودكم الموفقة . جزاكم الله أحسن الجزاء عما أسديتم للغة العربية من أياد بيضاء ، وما قدمتم لها من خدمات جليلة !

وقد تشرفت منذ عام بالتحدث إليكم حديث الزميل . ويطيب لى هذا العام أيضا أن أتحدث إليكم بهذا اللسان نفسه ، فإن زمالة المجمع هى التى أعتز بها وأفخر . وستكون كلمتى اليوم — كما كانت كلمتى بالأمس — موجزة أستعرض فيها خواطر تجول بالبال ، دون أن يتهيأ لى الوقت الكافى للاستقصاء والتمحيص والتعمق .

ولا أحب أن أثقل عليكم بحديث معاد . وبحسبى أن أشير إلى ما ذكرته فى الماضى من أن هناك علامتين لسلامة اللغة : هما اقتراب لغة الخاصة من لغة العامة ، وابتعاد لغة الحاضر عن لغة الماضى .

والآن أود أن أسير خطوة أبعد . فأقول إن لغتنا العربية فى الوقت الحاضر قد تطورت تطورا كبيراً ، أكبر بكثير مما نعترف . وهى اليوم أقرب إلى لغة العامة وأبعد عن لغة الماضى إلى حد يزيد كثيراً عما نزعم . فهى إذن لغة سليمة ، وقد توافرت فيها علامات السلامة . ولكن اللغة السليمة التى أقصدها هنا ليست هى اللغة التى نقرأها فى كتب القرون الماضية ، بل هى اللغة التى نقرأها ونكتب بها اليوم . هذه هى اللغة العربية الحقيقية . أما الأخرى فهى لغة الماضى وهى ليست إلا صورة تاريخية من صور تطور اللغة العربية . قد أكون متسرعاً فيما أقول فأرجو أن تغفروا لى تسرعى . وإنى أعلم أن صدركم أرحب من أن يضيق بالرأى ، مهما بلغ خطأ صاحبه ، إذا كان يدلى به عن إيمان واقتناع .

إن لغتنا العربية قد تطورت تطوراً أبعد بكثير مما نظن ، أو مما نريد أن نعترف ، شأنها فى ذلك شأن كل لغة حية ، تكون دائما فى تطور مستمر ، ولغتنا العربية تتطور كل يوم ، أردنا ذلك أو لم نرد ، اعترفنا به أو لم نعترف .

والذى يحجب عنا هـــذه الحقيقة هو ما تعودنا أن نسمعه فى كثير من الأحيان من أن اللغة العربية قد دخل عليها الفساد ، وركبتها البدع ، وغلبت عليها الرطانة الأعجمية . والذين يقولون ذلك عادة يعتقدون أن اللغة العربية ليست إلا هذه الألفاظ والعبارات التى جرت بها الألسن فى القرون الأولى ، ودونتها الكتب والمعاجم فى العصور السالفة . وآية السليم من الكلام عندهم هى أن يطابق الكلام ما يعثرون عليه فى هذه المعـــاجم والكتب . وهم يتحرجون ويمعنون فى التحرج فيرسمون حدوداً زمنية يجعلونها تفصل بين ما يجوز الاستشهاد به من اللغة وما لايجوز ، ويصعدون بهذه الحدود إلى القرون الأولى ، فيجعلون قرنين

أو ثلاثة تتحكم فى عشرة القرون التى تليها . ويحصرون اللغة العربية فى الألفاظ التى وردت فى ذلك العهد ، وما استجد من الألفاظ بعد ذلك فهو دخيل .

هؤلاء يحق لهم أن يقولوا إن لغتنا العربية لم تتطور ، أو إن تطورها كان بطيئا . ويحق لهم أن يذهبوا إلى أن الشقة بعيدة ما بين لغة العامة ولغة الخاصة ، وأن يقاربوا ما بين لغة الحاضر ولغة الماضى .

ولكن هناك من يقول بغير رأيهم . وقد قرأت لزميل لنا فى هذا المجمع أنه لا يفهم « أن اللغة العربية التى نملكها هى عمل العرب والأعراب فى البادية وحدهم ، بل إن اللغة العربية التى نملكها هى عمل هؤلاء مضموما إليه عمل الأدباء والعلماء الذين عانوها وعالجوها إلى اليوم . » هذا ما قرأته للزميل . فاللغة العربية إذن ليست مقصورة على ما قاله أسلافنا وأجدادنا فى العصور السابقة ، بل هى تتسع لتشمل ما نقوله نحن فى عصرنا الحاضر . ولا تملك الأموات من هذه اللغة أكثر مما تملك الأحياء .

وإذا كنت ممن يقولون بأن اللغة العربية تتطور ، فلست أعنى بذلك ما يعنيه كثير غيرى من أن اللغة العربية ينبغى أن تتطور ، بل أعنى أنها قد تطورت فعلا ، وإذا كنا لانسلم بتطورها ، فليس معناه أنها لم تتطور ، بل معناه أننا لا نستطيع أو لا نريد أن نرى هذا التطور .

يقول الزميل الذى أشرت إلى رأيه فيما قدمت إنه ينبغى أن نفتح باب الاجتهاد فى اللغة العربية ، كما ينبغى أن نفتح هذا الباب فى الفقه الإسلامى . وإنى أستأذنه فى أن أقول : إن باب الاجتهاد فى اللغة العربية مفتوح فعلا ، فهو لا ينتظر أحداً حتى يفتحه . والفرق ما بين اللغة العربية والفقه الإسلامى فى هذا الشأن أن اللغة العربية لغة نكتب بها ونتحدث ، فهى لغة حية ، ولا تستطيع لغة حية أن تعيش من غير أن يفتح فيها باب الاجتهاد ، أى من غير أن تتطور . أما الفقه الإسلامى فأكثره غير مطبق ، ومن هنا لم يستطع أن يبقى بعد أن أغلق باب الاجتهاد فيه إلا مدفوناً فى بطون الكتب .

ولكن هناك وجه شبه حقيقيا فيما بين اللغة العربية والفقه الإسلامى هو فى أن الفقه واللغة على السواء مصادرهما واحدة . مصادر الفقه الإسلامى كما تعلمون الكتاب والسنة ، أى النص ، ثم القياس والإجماع . ومصادر اللغة العربية هى أيضاً النص . وهو هنا ينحصر فى هذه الألفاظ والعبارات التوقيفية التى ورثناها عن أجدادنا الأولين ، والتى يأبى بعض منا إلا أن يقف عندها ، وهم فى ذلك يُعتبرون أهل الظاهر فى اللغة ، ويقابلون أهل الظاهر فى الفقه . ثم القياس ، وبه يقول فيما أعلم جمهور الزملاء فى المجمع ، فيستنبطون صيغة من أخرى سماعاً وقياساً ، ويشتقون وينحتون . ثم الإجماع ، وهذا هو المصدر الذى أحب أن أسترعى إليه أنظاركم ، فإن الإجماع فى اللغة كالإجماع فى الفقه مصدر جوهرى ، وهو الذى يكفل التطور فى اللغة كما كفل التطور فى الفقه . وقد لا يريد

بعض منا أن يعترف بهذا المصدر أو يقره . ولكنه مصدر يفرض نفسه ، وتحتمه سنن الوجود ، ويقتضيه القانون الطبيعي . واللغة التي لا يُعترف بالإجماع مصدراً لها لغة لا تلبث أن تنطوى على نفسها ، ثم تذبل وتموت . والذين ينكرون الإجماع مصدرا للغة ، ينكرون على هذه اللغة أن تعيش .

والإجماع معنـاه حق المساواة ما بين السلف والخلف . وهو حق هؤلاء جميعا فى أن يصنعوا لغتهم على قدر حاجتهم ، فيكون لكل جيل نصيب فى ذلك . وكما أن الذى يراه المسلمون فى الفقه حسنا فهو عند الله حسن ، كذلك ما يراه الناطقون بالعربية فى جيل من الأجيال حسنا فهو فى اللغة حسن .

لا نستطيع أن ننكر على أى جيل حقه فى أن يساهم فى صنع لغته ، وفى أن يبتدع من الألفاظ ما يفى بحاجاته ، وما يتمشى مع حضارته ، ومتى فعل ذلك فإن الألفاظ التى ابتدعها تكسب مكاناً مشروعاً فى اللغـة لا يجوز لأحد إنكاره . وهأناذا منذ بدأت هذه الكلمة وأنا أستعمل لفظ « التطور » وهو لفظ عربى لا إخال أنه يستند إلى نص أو قياس . ولكنه لفظ أجمع عليه كتاب العربية فى عصرنا الحاضر ، فهل يجوز لأحد اليوم أن يخطئنى فى استعماله ؟ وهبه فعل ، وهبنى متنعت على استعماله طوعا أو إذعانا ، أيمنع هذا من أن يستعمله كل يوم آلاف من الكتاب فى جميع أنحاء البلاد العربية ؟ ولعل هذا يبعث فى نفسى اطمئنانا كنت لا أجده قبل ذلك ، فى أن ألفاظاً استعملتها فى هذه الكلمة أو فى غيرها ، قد تكون منضبطة على القاموس أو غير منضبطة ، وقد تكون واردة فيما انطوت عليه المعاجم الأولى أو غير واردة ، فسواء كان هذا أو ذاك ، فإنهـا ألفاظ عربية سليمة متى انعقد عليها إجماعنا فى العصر الحاضر .

وإذا أنا قلت بالإجماع فى اللغة ، فلست أقصد بالإجماع الفوضى . وليس كل ما يخطر فى بال الكاتب من ألفاظ جديدة ، يبعد فيها عن أصول اللغة وقواعدها يكرسه الإجماع ، ولو اتفق مع هذا الكاتب فى ذلك كتّاب غيره . فإن القول بهـذا الرأى من شأنه أن يبلبل اللغة ويشيع فيها الفوضى . والإجماع غير الفوضى . بل إن الإجماع هو الذى ينقذ من الفوضى . ولا بد للإجماع فى اللغـة ، كالإجماع فى الفقه من قواعد يتركز فيها ، وضوابط يستقر عندها . فتقعيد هذه القواعد ، وتحديد هذه الضوابط ، هو من أقدس واجبات هذا المجمع الموقر . وإذا رسمت حدود الإجماع ، واستقرت قواعده وضوابطه ، كان على المجمع أن ينظر فى الألفاظ التى تأثرت بهذا الإجماع فيسجل منها ما وُجد ويغفل منهـا ما انعدم ، وفقاً للقواعد والضوابط التى أقرها . ذلك أن هناك إجماعاً إيجابياً وهو الذى يوجد ألفاظاً كانت معدومة ، وإجماعاً سلبياً وهو الذى يعدم ألفاظا كانت موجودة .

والمجمع عمله فى كل ذلك ، كما قلت فى العام الماضى ، ليس هو الخلق والابتداع ، بل هو الإثبات والتسجيل . أمامه الإجماع مصدراً

من مصادر اللغة ، فعليه أن يقره . وهناك قواعد لهذا الإجماع ، فعليه أن يكشفها . وعنده ألفاظ جديدة خلقها الإجماع ، فعليه أن يسجلها .

وتدركون من ذلك ، أيها الزملاء المحترمون ، أن مجمعكم ، وإن كان ليس له أن يخلق ويبتدع ، وكان ينبغي أن يقتصر على الإثبات والتسجيل ، إلا أن مهمته مع ذلك شاقة عسيرة . فهو إذا فتح عينيه على اللغة التى نستعملها فى عصرنا هذا ، وهى اللغة الواقعية ، وجد أن المسافة قد انفرجت بينها وبين اللغة التى كان أسلافنا يستعملونها ، وهى إلى اليوم لا تزال اللغة الرسمية. وعليه إذن ألا يقف عند اللغة الرسمية ، بل يجاوزها إلى اللغة الواقعية . وهو فى ذلك لا يستطيع أن يكتفى بالمصدر الأول للغة وهو النص ، ولا بالمصدر الثانى وهو القياس ؛ بل يجب أن يضيف إلى هذين المصدرين المصدر الثالث وهو الإجماع . وعندئذ تتدرج اللغة الواقعية لتصبح هى اللغة الرسمية ، وتتوحد اللغتان فى لغة واحدة حية تتطور ، وتماشى مقتضيات الحضارة ، وتفى بحاجات المدنيــة .

واليوم الذى يتم فيه ذلك هو اليوم الذى نستطيع فيه أن نكشف عن حقيقة واقعة ، يخفيها عنا الآن ما يكتنف هذا الموضوع الدقيق من الغموض ، وهو اليوم الذى نتبين فيه أن اللغة العربية قد تطورت تطوراً خطيراً ، وأن هذا التطور كان من شأنه أن يقارب ما بين لغة الخاصة ولغة العامة ، ويباعد ما بين لغة الماضى ولغة الحاضر .

وعند ذلك يحق لنا ، أيها الزملاء المحترمون ، أن نغتبط ونبتهج ، إذ نستطيع أن نتحقق من أن اللغة العربية لا تزال بحمد الله لغة حية .

أدام الله لهذه اللغة الجليلة حيويتها ، وحفظ لها قوتها ، ووفقكم إلى خدمتها ، وسدد خطاكم إلى ما فيه الخير .

كلمة حضرة الدكتور منصور فهمى

كاتب سر المجمع

أيها السادة :

عقد المؤتمر فى خلال دورته الفائتة بين ٤ من يناير سنة ١٩٤٧ و١٣ من فبراير سنة ١٩٤٧ إحدى عشرة جلسة أقر فى أثنائها المصطلحات العلمية التى ارتضاها مجلس المجمع فى الماضى ومحص مصطلحات علم الأمراض التى وضعتها المدرسة الطبية بدمشق وملاحظات الدكتور داود الحلبى الموصلى على بعض ما أقره المجمع من المصطلحات الطبية . ولمناسبة النظر فى المصطلحات أوصى المؤتمر بوضع معجم شامل لما استعمله العرب من ألفاظ الطب ، وكذلك أشار بتعريف المصطلحات ، وناقش فى مرحلة عرضها على الهيئات والمعاهد العلمية. وانتهى إلى أن قرر :

أولا : استمرار اللجان فى وضع الكلمات العربية للمصطلحات العلمية والفنية وجواز إرسالها على أنها مشروعات إلى الهيئات العلمية والمعاهد .

ثانياً — تفرز اللجان ماتضعه من مصطلحات فما كان شائعاً منها عرفته تعريفاً معجمياً موجزاً وعرضته على المجلس والمؤتمر ، وما كان غير شائع حفظته فى جزازات ونشرته بين الهيئات العلمية وفى مجلة المجمع لتتلقى الملاحظات وتتولى تمحيصها .

ثالثاً : تستخرج المصطلحات العلمية من الكتب العربية القديمة ويوضع مقابلها الإفرنجى

رابعاً : نظر المؤتمر فى نماذج من المعجم اللغوى الوسيط وأبدى ملاحظات تستهدى بها اللجنة المختصة .

خامساً : توصية مكتب المجمع بالعمل على رفع المكافآت للخبراء تمكيناً للجان من تعزيزها بهم .

سادساً : الموافقة على تعيين أعضاء مراسلين على أن ينظر المجلس فى الأسماء المقدمة للترشيح.

وفى هذا المؤتمر ألقيت بحوث فى تطور الألفاظ والتراكيب وأسماء للاستعمال للأستاذ محمد كرد على ، وفى بعض خصائص المعجم العربى للأستاذ ماسينيون ، وفى فن الرجز للدكتور طه حسين ، وفى اقتراح بإحياء الألفاظ القاموسية للشيخ عبد القادر المغربى . هذا أهم مادار فى جلسات المؤتمر ، فلما انفض استأنف مجلس المجمع انعقاده الأسبوعى حتى الآن.

أيها السادة :

ليس النشاط الذى أبداه مجلس المجمع فى اجتماعاته الأسبوعية إلا لوناً من النشاط الموصول بنشاط المؤتمر ، يتناسق مع توجيهاته فى تحقيق الغرض الذى من أجله قام المجمع . فكما نظر المؤتمر فى نماذج من مواد المعجم اللغوى الوسيط كذلك تابع مجلس المجمع النظر فى نماذج أخرى

فعقد عدة جلسات وأشار بما اتفق عليه الرأى من ملاحظات . وكما نظر المؤتمر فى أمر المصطلحات وتعريفها وطريقة إقرارها ونشرها كذلك تابع المجلس النظر فى هذا الموضوع . ولما كانت تعريفات المصطلحات من المسائل الهامة التى لها مايعززها كما أن حاجة الهيئات العلمية إلى المصطلحات قد تقتضى الإسراع ولو على حساب إرجاء التعريفات والإبطاء فى وضعها ، فقد رأى المجلس أن يثار موضوع تعريف المصطلحات فى دورة هذا المؤتمر للاتفاق على رأى جامع فى هذا الموضوع تتحقق به الفائدة المنشودة من التعريفات ومن إمداد الهيئات التى هى فى حاجة إلى المصطلحات المترجمة على وجه السرعة . على أنه مهما يكن الأمر الذى ينتهى إليه الرأى ، فقد رأى المجلس تعريف المصطلحات التى تدرج فى المعجم اللغوى الوسيط . وكذلك عزز مجلس المجمع هيئة الخبراء وفقاً لرغبة المؤتمر فى إمداد اللجان بما هى فى حاجة إليه من خبرتهم . وكما أنه قد ألقيت بحوث فى المؤتمر ، كذلك تناول المجلس بحوثاً منها ماهو خاص بالنهج الذى يتبع فى إعداد مواد المعجم اللغوى الكبير وتولى ذلك زميلنا الدكتور شرف ، ومنها ماهو خاص باللهجات وتولاه كل من الأستاذين محمد فريد أبى حديد والشيخ محمد الخضر حسين. كذلك استمع المجلس إلى تعريف بكتاب ابن مضاء فى نقد النحاة للدكتور طه حسين ، وقد وعد بتقديم اقتراحات فى هذا الشأن . ودعى المجمع للاشتراك فى مؤتمرات الطب والصيدلة والهندسة وفى المؤتمر الثقافى الذى عقدته الجامعة العربية ، فاستجاب لهذه الدعوات .

أيها السادة :

مضت اللجان فى أعمالها خلال هذا العام ، وفرغت لجنة الأدب مما كان بين يديها من مسابقات فى الشعر والقصة والبحوث الأدبية عن العام الماضى ، وعقدت مسابقات جديدة لسنة ١٩٤٧ – ١٩٤٨ و ١٩٤٨ – ١٩٤٩ . وأمام لجنة الأصول مقترحات فى تيسير الكتابة العربية قدمت للاشتراك بها فى مسابقة عقدها المجمع ، وتوشك اللجنة أن تفرغ من نظرها . وقد وافق المجلس على نشر المجلة مرتين فى السنة ، كما أنه يعنى بإخراج مجموعة المحاضر لجلساته فى دورته الخامسة .

مما تقدم يتبين أن أعمال المجمع بمؤتمره ومجلسه ولجانه تلتقى جميعاً فى دراسة المصطلحات وإعداد المعجمات وإثارة البحوث ، وذلك هو ماتمس إليه الحاجة الحاضرة لإنهاض اللغة والحرص على سلامتها .

وإذا كان نشاط المجمع موضع الغبطة ممن يقدرون عمل المجامع ويعرفون طبيعتها فإنه مما يدعو إلى كبير الاغتباط يقظة الوعى اللغوى بين الجمهور المثقف ، وقد لمس المجمع أن قوة ذلك الوعى فى ازدياد متتابع ، إذ تكاثر مايرد إليه من استفتاءات فى الكلمات والأساليب ، حتى لقد رأى ضرورة تنظيم الفتوى اللغوية ، فألف لذلك لجنة خاصة لإسعاف الطالبين بما يطلبون من جواب عاجل فيما يعرض لهم من مشكلات اللغة .

وإن يقظة ذلك الوعى اللغوى بين الجمهور المثقف لبشير خير ، وأذان بانتعاش لغوى يجرى فى محيط الحياة الاجتماعية مجرى الدم فى الجسم القوى ، ولقد نأمل أن يجىء يوم قريب ترى فيه مختلف السلطات أنها مضطرة إلى الإذعان لهذا الوعى والانقياد لدواعيه ، فيتيسر لها أن تسن مايحفظ للغة مهابتها ويرفع سلطانها فى شتى مظاهر الحياة الدائرة بين الناس . وقد ود المجتمع لو تتسع الأماكن لتمثيل البلاد العربية كلها ، على أنه خطا خطوة مباركة بحرصه على تقديم فلسطين .

أيها السادة :

تلكم لوامع خاطفة من عمل المجمع فى عام ، واليوم يستقبل المجمع دورة جديدة لمؤتمره أعدت لها بحوث ومحاضرات على النحو الآتى : بحوث فى الصلة بين الفصحى واللهجات وفى تيسير قواعد الإملاء وفيما يمكن أن تستفيده العلوم من النحت ومحاضرات فى موقف الأدب العربى من الآداب الأجنبية فى القديم والحديث وفى نشأة الاصطلاحات العلمية وفى نقل العلوم إلى العربية وفى الاصطلاحات الفقهية والكلامية وفى صلة العربية بلغات الأمم الإسلامية ، وستناقش هذه البحوث والمحاضرات فى جلسات المؤتمر .

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد
موقف الأدب العربى من الآداب الأجنبية فى القديم والحديث

علاقة الأدب العربى بالأمم الأجنبية علاقة قديمة ترجع إلى أيام نشأة اللغة العربية بأوضاعها التى نعرفها اليوم فتأثر الأدب العربى بمخالطة الأمم الأجنبية قديماً وتأثر بها حديثاً ولايزال يتأثر بها إلى اليوم ولكن على نحوين مختلفين بعض الاختلاف .

ويمكن أن يقال على وجه الإجمال إن تأثره بها فى الزمن القديم كان — على أكثره — من ناحية الحضارة . وإن تأثره بها حديثاً — كان على أكثره — من ناحية الثقافة .

ونعنى بالتأثر من ناحية الحضارة كل تأثر يأتى من ملابسة الأمم فى أصول المعيشة وعادات المجتمع ولايستلزم الاطلاع على آداب لغاتها فى أصولها ولا المعرفة بتلك اللغات

ونعنى بالتأثر من ناحية الثقافة كل تأثر يأتى من الاطلاع على آداب الأمم فى لغاتها والتوفر على دراستها ، كائنا ماكان حال الأمة فى الاختلاط بغيرها فى عادات المعيشة والاجتماع وقد كان فخر العرب بلسانهم خصلة عريقة فيهم أوشكت أن تحسب عند بعض الباحثين فى علم الأجناس مميزاً خاصاً يفرقون به بين العرب وغيرهم من السلالات البشرية ، وقد تشابههم أمم أخرى فى الاعتزاز باللغة والفخر بالعنصر . ولكنها لاتبلغ فى هذه الخصلة مبلغهم ولاتتميز بها على وتيرتهم ، ولعل أسبابها عند العرب كانت أقوى من أسبابها عند غيرهم . لأنهم كانوا فى قبائلهم حريصين على أنسابهم

وأعراقهم ومظاهر القومية فيهم، وكانوا مع هذا فى عزلة من جزيرتهم لايتطرق إليها مايوهن القومية أو يشوب العصبية وكانوا على هذا وذاك فى غير حاجة إلى مخاطبة الأمم بغير اللغة التى يتخاطبون بها فيما بينهم فإذا رحل تاجرهم أو رائدهم إلى غير وطنه، فإنما يرحل إلى أطراف العراق أو أطراف الشام أوحواضر اليمن . فيجد هنالك من يخاطبهم بلغته ، ويتولى الوساطة بينه وبين تجار الأعاجم سماسرة من يهود العرب ونصاراهم ، وندر أن يتجاوز العربى تلك الأطراف إلى ماوراءها فيضطر إلى الكلام بلغة أخرى . فإن حدث هذا فإنما يحدث لآحاد من الناس فى فترات من الزمن لايقاس عليها . ويجوز لنا أن نضيف إلى هذه الأسباب أن العربى كان على حق فى الاعتزاز بلغته كلما قارن بينها وبين لهجات الأعاجم فى رطانتهم ، وأن شهادته لمحاسن لغته قد توافق شهادة العارفين بها من غير عنصره ولسانه .

هذا الاعتزاز باللغة صرف العربى عن الاجتهاد فى تعلم اللغات الأجنبية منذ أيام الجاهلية . ثم جاء الإسلام وتنزل القرآن بلغة العرب ، فأضاف الاعتزاز بالعقيدة إلى الاعتزاز باللسان ، وكان العرب فى صدر الإسلام هم أصحاب الدولة والسلطان ، يخدمهم من شاء بلسانهم ، ويستعينون بخدام دولتهم فى الترجمة عن لغات الأمم كما يستعينون بهم فى غير ذلك من الأعمال والصناعات التى لايشتغلون بها ..

لكنهم قد خالطوا الأمم فى حضارتها وإن لم يتكلموا بألسنتها فكان لهذه المخالطة أثرها فى الأدب الغالب بين عرب الجاهلية خاصة : وهو أدب الشعر أو فن الكلام المنظوم ، وظهرت آثار المخالطة « الحضارية » فى أوزان القصيد ومعانيه . وكان شأن الموسيقى أكبر من شأن اللغة فى هذه الآثار . فتعددت الأوزان فى قصائد الشعراء الذين شهدوا حضارة الفرس والروم وحضروا هنالك مجالس الرقص والغناء فتصرف أبو دؤاد الإيادى فى اثنى عشر بحراً من ستة عشر وأحصيت القصائد المنسوبة إلى امرئ القيس عشرة بحور ، وقلما تصرف شعراء الجاهلية عامة فى أكثر من ستة بحور من جميع هذه الأوزان .

ومن أرجح الأقوال أن بحر الرمل قد شاع لأول مرة فى الحيرة ، ولعل البحر الخفيف والبحر المتقارب كذلك ، وهى من الأبحر التى تستخدم فى الرقص والإيقاع . وكان شأن الموسيقى كما أسلفنا أكبر من شأن اللغة فى استخدام هذه الأوزان . لأن الوزن العروضى فى الشعر القديم لم يسبقه الفرس فى لغتهم البهلوية . وقد استغنى العرب بأوزانهم عن الأوزان التى تناسب اللغة الفارسية ، فحل الرجز العربى محل المزدوج الفارسى ، حين دعت الحاجة إلى الإطالة والتيسير ، وكأنهم سمعوا ألحاناً موسيقية تجرى مع حركات الرقص فوضعوا لها من عروضهم كلاماً يطابق تلك الألحان .

أما معانى الشعر فمن أمثلة التأثر فيها بالمعاشرة قصة الأعشى ولبيد فى مسألة الجبر والاختيار فكان لبيد مجبراً وكان الأعشى عدلياً كما قال أبو عمرو بن العلاء ، وقد عنى بذلك قول لبيد :

من هداه سبل الخير اهتدى
ناعم البال ، ومن شاء أضل

وقول الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالعـــد
ل وولى الملامة الرجلا

فهى ولاشك مسألة معاشرة وسماع ، وليست مسألة دراسة واطلاع . لأن البحث فى القدر لم يكن من مباحث الجاهلية بغير التلقين والسماع .

* * *

ويقال عن أثر الحضارة بعد الإسلام ، مايقال عن أثرها فى عصر الجاهلية مع ملاحظة الفارق الكبير فى تشابك العلاقات واتساع الرقعة وتنوع المراسم والعادات .

فدخل فى أغراض الشعر كثير من مظاهر الحضارات التى تجمعت فى بلاد الدولة الإسلامية ومنها وصف المهرجانات والمواسم والمنازه ورحلات الصيد ، وضروب المتعة مايباح منها ومالا يباح . وكان لمجالس الغناء عملها فى أوزان الشعر كما كان لها عملها فى الجاهلية فشاعت أوزان التوشيح والدوبيت ، وضبطت أوزان البحور . وكان الخليل بن أحمد إمام العروضيين على معرفة بعلم النغم ، فأعانه ذلك على ضبط هذه الأوزان ، ولكننا لا نبعد فى الظن إذا قلنا إنه استعان بفن النغم فى بحوث اللغة وهى فى بادئ النظر أبعد من العروض فى هذا المجال لأنه ألف كتابه « العين » فلم يرتبه على النسق الأبجدى ولم يرتبه على حسب أشكال الحروف ، ولكنه رتبه على حسب المخارج الصوتية . فبدأ بالأحرف الحلقية وأولها حرف العين ، وبه سمى الكتاب ، وانتهى بحروف العلة التى هى حركات أكثر مما هى حروف . وقيل إنه احتذى بذلك حذو أهل الهند فى ترتيب حروفهم ، ولو كان هناك مايلزمه هذا الاحتذاء لجاز أن نرجع بالأمر إلى المحاكاة ولكنه اختار هذا الترتيب وكان سبب هذا الاختيار إنه يهتم بالمخارج الصوتية لا أنه يهتم بالمحاكاة حيث لاتلزم المحاكاة .

* * *

وما لم يكن من فنون الشعر واللغة أثراً من فعل الحضارة ، فقد كان رد فعل لها لا مراء . كالاشتغال بالنحو والمجاز لتصحيح تلاوة القرآن وفهمه أو التوسع فى فنون البيان والبديع لإنشاء الصناعة التى تغنى عن السليقة العربية أو تساعدها ، بعد أن أحاطت المضعفات من لحن العامة ورطانة الأعجام .

ولانعتقد أن الأدب العربى تلقى فى أطواره هذه أثراً لم يكن « للعوامل الحضارية » فيه النصيب الأوفى قبل العوامل الثقافية . فقد زعم بعضهم مثلا أن السجع والتنميق بدعة من البدع الفارسية ، وهو غير صحيح . وليس السجع أصلا من أصول الأساليب الفارسية ، وليس بالعربى حاجة إلى تعلم السجع من لغة أخرى . لأنه كان فى جاهليته يعرف سجع الكهان . وكانت وحدة القافية فى القصيدة من خواص الشعر العربى التى يكاد ينفرد بها فى الصناعة الشعرية ، بل كان حب الأوضاع المتقابلة سليقة له حتى فى صناعة البناء . فلم

ينشأ على عهد الدولة الإسلامية نمط بناء يستحبه العربى ويراد به موافقة ذوقه إلا كان التقابل فى الأوضاع من أبرز سماته ، ولو بناه له صناع ومهندسون من غير جنسه . وهو إلى هذا كله قد سمع القرآن قبل قيام الدولة الإسلامية ، وفيه سجع وفواصل ، فلا حاجة به إلى اقتباس السجع من ملابسة الأمم الأخرى .

إلا أن الحضارة علمته الترف ، والترف علمه التنميق والتجميل ، فجاء الإكثار من السجع والزخرف من هذا الطريق .

* * *

على أننا نقصد إلى التغليب فى كل ماأسلفناه ولانقصد إلى الإطلاق . إذ لم يكن أثر الثقافة معدوماً ولانادراً فى الأدب العربى بعدالإسلام فقد ترجمت كتب الحكمة والعلم فاطلع عليها بعض الشعراء والكتاب وسمع بها فى الأحاديث والمساجلات من لم يطلع عليها . فدخلت معانيها فى أغراض الناظمين والناثرين واستعان بها العلماء فى التقسيم والتعريف وهم يعالجون وضع العلوم اللغوية كالنحو والبيان والبديع وكان ذلك على أكثره فى القرنين الثالث والرابع للهجرة .

* * *

ذلك إجمال موقف الأدب العربى من الأمم الأجنبية فى علاقته أو علاقاته القديمة بتلك الأمم

أما موقفه من الأمم الأجنبية فى العصر الحديث ، فهو على الأغلب موقفه من الأمم الأوربية . وصبغة الثقافة فيه أظهر من صبغة الحضارة على وجه التعميم ، ولقد كانت اللغتان الفرنسية والإنجليزية أقرب مسالك الثقافة الأوربية إلى البلاد العربية .

ومن المصادفات أن أثر الفرنسية فى الأدب العربى كان أدنى إلى الحضارة ، وأن أثر الإنجليزية فيه كان أدنى إلى الثقافة .

لأن الذين توسعوا فى تعلم الفرنسية — قبل انتشار الإنجليزية — إنما كانوا يتعلمون اللسان الأجنبى للتخرج فى علوم التشريع أو الطب أو الهندسة أو الفنون العسكرية ، ولم يكن من همهم درس هذا اللسان لاستيعاب آدابه أو البحث فى آثار شعرائه وكتابه . فلم ينقلوا من الأدب الفرنسى بمقدار ما نقلوا من الحضارة الفرنسية فى ذلك الجيل .

وعلى خلاف ذلك كانت دراسة اللغة الإنجليزية فى مدارس التعليم ، وقد كانت مطالعة الكتب الأدبية من المناهج المقررة فى هذه الدراسة ، ومنها ماكان يدرس فى دور التعليم الثانوى قبل الانتظام فى المعاهد العليا .

ثم تساوت اللغتان بعد حين فى نقل الثقافة الأدبية يوم أقبل المتعلمون على معاهد فرنسا للتخصص فى الآداب ومايتصل بها من علوم اللغات . فإن يكن هناك فرق بين الفريقين أو المدرستين ، فهو الاختلاف بين طبيعة أدب الإنجليز وطبيعة أدب الفرنسيين .

* * *

وقد اتفق أن اتصال الأمم العربية بثقافة أوربا كانت فى عهد النهضة العلمية ، أو عهد التحقيق والتمحيص .

فقرأ أدباء العرب كتب القوم ، وهى

تضيف مزايا التعبير العلمى إلى مزايا التعبير الأدبى فى أقلام البلغاء .

فكان من أثر ذلك دقة الأداء ، وتخصيص اللفظ بمعناه ، وكان من أثره اتساع أفق الكتابة والشعر ، وبخاصة ماكتب أو نظم فى تمثيل الجوانب النفسية وتحليل دواعى الحس والعاطفة ، فأصبحت القصيدة وحدة الشعر بدلا من البيت لأنها اتخذت العاطفة موضوعاً لها، بعد أن كانت فلتات الخواطر هى الأجزام التى يتألف منها القصيد ؛ وأصبحت المقالة وحدة النثر ، بعد أن كانت الجملة أو الفقرة أهم وحدة فيه .

ولما لجأ الشعراء إلى التصرف فى أوزان البحور أو إلى تنويع القافية ، كانت دواعى الثقافة هى الملجئ لهم إلى ذلك التصرف وذلك التنويع ، ليتسع لهم مجال التعبير حيث لايتسع مع التقيد بعروض البحر الواحد أو القافية الواحدة .

وإذا عممنا الكلام على العلوم العصرية ، جاز لنا أن نقول إن كل علم منها يؤثر فى نظرة الإنسان إلى الحياة ، ويؤثر من ثم فى أساليب التعبير عنها . ولكننا نخص بالقول علمين منها على اتصال وثيق بالآداب والفنون وهما علم النفس وعلم الاجتماع ، وقد نشأ على أساسهما الحديث فى القرن التاسع عشر فكان لها أثر محسوس فى فنون المنظوم والمنثور كافة ، وكان هذا الأثر على أوضحه فى فن الرواية القصصية والمسرحية ، وقد عنى أدباء العربية بهذا الفن نقلا أو ابتكاراً ، فخطوا فيه حتى الآن خطوات موفقات فى سبيل التطور والتمام .

غير أن العلوم العصرية جميعاً قد واجهت اللغة العربية بمطلب شامل تستجيب له كل لغة حية وهو ترجمة المصطلحات العلمية التى دعت الحاجة إلى وضعها فى كل باب من أبواب العلوم ، وقد تستجيب اللغة العربية لهذاالمطلب بالترجمة تارة والتعريب تارة أخرى ، وقد يبدو ذلك فى اللغة العربية أعسر منه فى اللغات الأوربية التى تتابعت الكشوف العلمية بين أبنائها . فقد عمدت اللغات جميعاً إلى الاستعارة من غيرها كلما اهتدت إلى كشف من تلك الكشوف . غير أنها لم تجد فى ذلك مانجده نحن من الصعوبة فى الترجمة والتعريب ، لتقارب أصولها واشتراكها فى منابتها . ولكن القول بهذا شىء ، والقول بعجز اللغة العربية عجزاً أصيلا عن خدمة العلم ووضع مصطلحاته شىء آخر . فما لاشك فيه أن هذه الكشوف العلمية لوظهرت على أيدى الأمم العربية ، لاختارت لها أسماء تدل عليها ولم تكن تسميتها أقل دلالة من التسمية الحديثة ، وإن اتبعت فيها قواعدها فى تركيب الكلمات ورموز المعانى ، ولوقفت اللغات الأخرى مثل موقفنا الآن ، تستعير تارة وتصحف اللفظ تارة أخرى وتحتال بما وسعها من الحيل حيث تضيق بها الاستعارة والتصحيف .

وخلاصة التلخيص فى هذا البحث الذى توخينا فيه غاية الإيجاز ، أن موقف اللغة العربية وآدابها من الأمم الأجنبية ، كان قديماً وحديثاً موقف البنية الحية .

وكل بنية حية فلها قوام ثابت وغذاء متجدد . ولهذا كان من أثر الثقافة الأوربية فى أبناء العربية أنهم رجعوا الى ماضيهم كما نظروا فى حاضرهم ، وابتعثوا تاريخهم كما ابتعثوا هممهم لمعالجة شؤونهم ، ووصلوا ما انقطع ولم يقطعوا ما اتصل . وستظل العربية بخير مادامت بنية حية تحافظ على كيانها وتتقبل مايقيم هذا الكلام من ضروب الغذاء .

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى

مجامعنا اللغوية وأوضاعها

مهما تنوعت الغايات ، وتعددت الأهداف فى سبيل إنشاء المجامع اللغوية واجتناء ثمراتها ، فلن يعدو أن يكون الهدف الأصلى التوسل بها إلى سلامة لغة البلاد التى أنشئ المجمع فى ربوعها .

وسلامة كل لغة تكون بأحد أمرين :

الأمر الأول — المحافظة على إرثها المميز لها عن غيرها : كنوع تأليف الكلام ، وطريقة إيراده ، وخصوصية أساليبه ، وروعة بيانه ، مع غرابة إيجازه .

والأمر الثانى لسلامة اللغة زحزحتها عن الجمود ، والأخذ بها نحو التطور مع تطور أهلها المتكلمين بها : فيجلون فيها المرونة المواتية لهم فى التعبير عن أفكارهم ومستحدثات حضارتهم ، وبدائع تطورهم . ويجب التوفيق بين هذين الأمرين جهد الطاقة : فلا ندع الاستمساك بأهداب لغتنا الموروثة يقف فى سبيل تطورها ، ولانساير التطور وندخل اللهجات إلى حد أن يطغيا على لغتنا الفصحى ويعملا على تحطيمها فتموت وتميتنا معها.

• • •

أدرك هذا عصبة من كبار أدباء مصر ومترجميها منذ أواسط القرن الماضى ، وقد لمسوا الخطر فى تغلب التطور على اللغة الفصحى ، وخشوا أن يزعزع هذا التطور أركانها ، ويسلبها بيانها ، ولاسيما بعد أن غزتنا الأمم الأوربية بلغاتها ، وارتضخنا لكنة من كلماتها ولهجاتها ، ففزعوا إلى التفكير فى الوسائل التى تقيهم هذا الخطر وتدفع شره عن لغتهم ، فكان أبرز تلك الوسائل وأبينها أثراً فى سلامة اللغــة تأليف مجمع لغــوى ، على شكل الأكاديميات الأوربية : فقد لاحظوا من أمر تلك الأكاديميات ، وما كان لها من السلطان فى ظهور لغات أهلها ، ماجعلهم يعتقدون أن تأسيس مجمع علمى على نمطها يصون لغتهم ويكون له من الأثر الطيب ماكان لتلك الأكاديميات .

• •

فكان لهم فى أول الأمر وفى محاولاتهم الأولى مجمعان ، وملحق بالمجمعين ، وقد أنتجت هذه المجامع نتاجاً لكنه كان خداجاً : غير ناضج الأكل ، ولاكامل التكوين : فهو

لم يكد يولد حتى مات ، ولم تكد تتلفظ الشفاه باسمه حتى أعقبه الصمات :

فالمجمع الأول أنشئ سنة ١٨٩٢ م ، وهو المجمع الذى ينسب إلى السيد توفيق البكرى : إذ كان رئيساً له أو مقرراً كما نقول اليوم . وقد وضع هذا المجمع طائفة من الألفاظ العربية الفصيحة رأى أنها أجدر بالاستعمال مما بمعناها من الألفاظ الدخيلة ، غير أن هذه الألفاظ التى وضعها لم يعش منها إلا القليل . وهذا القليل نازعته الحياة ألفاظ عربية أخرى هدى إليها الكتاب بسائق من سلائقهم : وكانت كلمة « أفوكاتو » أكثر هذه الألفاظ الأعجمية شيوعاً ودوراناً على الشفاه يومئذ : فرأى ذلك المجمع أن يستبدل بها كلمة « المدره » والمدره زعيم القوم المتكلم باسمهم والمنافح عن حقوقهم غير أن المدره ماتت وأماتت معها الأفوكاتو وعاشت بعدها كلمة (المحامى) التى لم تخطر على بال ذلك المجمع . ومثل كلمتى (أفوكاتو) و(مدره) اللتين قتلت إحداهما صاحبتها ، ثم قتلت بعدها — كلمة (مرحى) التى وضعوها مكان (براڤو) : فإن الكلمتين ماتتا وخلفهما (بخ بخ) ، ولم تقويا هاتان على الحياة أيضاً . وخلف الجميع التصفيق بالأيدى وقول (الله أكبر) فى بعض المواطن .

وكذلك (نمره) بالهاء مكان (نومرو) بالواو (numéro) ماتتا وخلفهما كلمتا (رقم و عدد) . على أن (نمره) بالهاء مازال فيها رمق من حياة يتردد إلى اليوم .

ووضع مجمع البكرى أيضاً (عم صباحاً عم مساء) مكان قولهم (بونجور ، بونسوار) لكنهما (أى الجملتين العربية والإفرنسية) ماتتا ، ورجع الناس إلى مامرنت ألسنتهم عليه من كلمات التحية عند اللقاء .

ووضع ذلك المجمع (الوشاح) مكان الكوردون . ولا أعلم ماشأن هذين اللفظين فى مصر ، ولعلهما يعيشان فى دوائر خاصة . و (المَرْبَّ) مكان (الكلوب) ماتتا وورث استعمالها لفظ (النادى) . وأحسب أن فى (الكلوب) رمقاً من حياة .

ووضع المجمع البكرى (مشجب) مكان (بورت مانتو) لكنهما ماتتا ، واستغنى الجمهور عنهما بكلمة (تعليقة) و (شماعة) فى بعض البلاد .

وهناك ألفاظ عربية فصيحة وضعها المجمع البكرى ، فحييت وبقى مقابلها الأعجمى حيا معها : وهى (بطاقة وكارت ڤيزيت) و (شرطى وبوليس) و (بهو وصالون) و (معطف وبلطو) و (قفاز وجوانتى) هذه الكلمات العربيات الخمس من أوضاع مجمع البكرى ، عاشت من دون أن تقدر على إماتة الأعجميات ، ولم تقدر الأعجميات على إماتتها فعشن جميعاً بسلام ووئام .

أما الأعجميات اللواتى قدرن على إماتة مقابلاتها من أوضاع ذلك المجمع فهى (المودة) أماتت (الجديلة) ومعنى الجديلة فى الأصل الطريقة والشاكلة (كل يعمل على شاكلته) وكذلك كلمات (شهادة الدراسة) كالبكالوريا

فإنها أماتت (الحذاقة) . و (البلكون) أمات (الطنف) .

هذه هي أيها السادة كل الكلمات أو جلها التي أراد مجمع السيد توفيق البكري إحياءها لكنه لم يتخذ الوسائل الكافلة بحياتها ، فماتت أو أوشكت .

* * *

ثم أسدل الستار على مجمع ١٨٩٢ ، حتى كانت سنة ١٩١٧ م ، أي بعد خمس وعشرين سنة من إحداث المجمع الأول ، فتجددت الرغبة ، واشتدت الحاجة إلى مجمع لغوى يحمى اللغة ويكفل سلامتها . فأنشئ مجمع اشتهر بنسبته إلى لطفى السيد (معالى أحمد لطفى السيد باشا رئيس مجمع فؤاد الأول اليوم) فقد كان مقرراً له ؛ أما رئيسه فكان الشيخ سليم البشرى ومن أعضائه الأحياء محمد حلمى عيسى باشا وفارس نمر باشا. وأرسل اللغوى الكبير (الشيخ حمزة فتح الله) بكتاب إلى الرئيس الشيخ البشرى قال فيه : (أعتذر من الانخراط فى سلك مجمعكم بسبب قديح نزل ضيفاً ثقيلا على عينى) .

والقديح أيها السادة لفظ عربى فصيح وضعه الشيخ الوقور مكان لفظ (الكاتراكتا) الأعجمى .

فكان من أوضاع مجمع لطفى السيد طائفة من الألفاظ اللغوية ، معظمها شديد الغرابة فلم تحى ولم تطل حياة المجمع بعدها : فمن تلك الألفاظ (الونّ) مكان (الساجات) أو (الصاجات) وهى الصنوج . ومنها (الوثل) وهو الحبل الغليظ من الليف مكان (السلب) و (المرمول) مكان الشوشة : وهى شعر أعلى الرأس . والبطيخ (المغرقل) والبيض (المغرقل) مكان مايقوله العامة للدلالة على فساد البطيخ والبيض وتغير رائحتهما . و (الماصر) مكان (الجمرك) . و (البيزارة) مكان (النبوت) . و (المليل) مكان (الملنمس) وهو الفول المعروف . إلى غير ذلك مما حامت حوله الشكوك ، وتولته الألسنة بالنقد : قال الناقدون : جعل المجمع (الوثل) مكان (السلب) مع أن السلب من فصيح اللغة كالوثل . و (الون) أى الصنج مكان (الساجات) مع أن (الون) دخيل وليس بعربى فصيح ، و (الصنج) أجدر منه بالاستعمال و (البيزارة) مكان النبوت ، مع أن النبوت فى اللغة معناه الفرع من الشجرة ، ومنه تتخذ النبابيت عادة ، و (المليل) مكان (المدمس) مع أن (المدمس) ليست بقبطية كما زعموا ، وإنما هى عربية من فعل دمسه إذا دفنه ، وكذلك الحال فى جرار الفول المدمس .

ومهما يكن من أمر ، فإن ألفاظ مجمع سنة ١٩١٧ م ليست بأحسن حظاً من ألفاظ مجمع سنة ١٨٩٢ م ، فلم تكتب للفريقين الحياة ، لأسباب منها مايرجع إلى طبيعة اللفظ ومنها مايرجع إلى التغافل عن الطرق المؤدية إلى استعمال تلك الألفاظ ، واستمالة أنظار الجمهور إليها .

* * *

هذان هما المجمعان . أما الملحق بهما ، فقد عنيت به ما كان منى ومن المغفور له

أحمد تيمور باشا: فقد تحادثنا يوماً فى موضوع إحياء الألفاظ الفصيحة وإدالتها من الألفاظ العامية والدخيلة ، وتواصفنا مبلغ الخطر على لغة القرآن من جرائها ، وقلنا إن فئة أهل الأدب التى تعمل على إحياء الفصيح إنما تنتقى الألفاظ وتسردها على الجمهور سرداً لافرق بينه وبين سردها فى معاجم اللغة : أى أنها ماكانت تتوسل بوسيلة ما إلى ترديد ذكرها وتكرير استعمالها : فى لغة الصحافة والخطابة والدواوين ، واتفقنا على أنه لا بد من استعمالها وتداولها فى تلك المجالات ، حتى تحيا الحياة الطيبة وتؤتى أكلها .

وهذا ماجعل المرحوم أحمد تيمورباشا ينتقى عشرين كلمة من فصيح اللغة وينشرها فى المؤيد سنة ١٩٠٨ م وينصح الجمهور باستعمالها

فمن تلك الكلمات (الوهين) تستعمل مكان (ناظر العمارة) و (الجوسق) مكان (الكوشك) و (اللفام) مكان (اليشمق) و (السكبة) للطاقية ، و (الفروج) للقفطان ، و (السواد) للباس التشريفة ، و (الصير) للسردين ، و (البرندج) لبوية الجزم ... الخ . وأشار على رحمه الله أن أكتب مقالا فى المؤيد بعنوان (تمرين على الكلمات العشرين) فكتبتــه وجعلته بشكل كتاب إلى صديق وصفت فيه شيئاً من أحوال الناس فى القاهرة ، وأوردت خلاله الكلمات التيمورية العشرين .

فمن فقرات ذلك الكتاب قولى : كيفما تجولت فى القــاهرة رأيت عمارة تشيد وبجانبها جوسق ميقيم فيه الوهين للإشراف على ذلك البناء . والنساء المصريات يستعملن البرقع ، أما نساء الخاصة فيستعملن اللفام . والعامة يضعون على رؤوسهم السكبة . والطبقة التى هى فوق العامة يلبسون الفروج ويسمونه القفطان . وكبار الموظفين لهم سواد خاص يلبسونه فى التشريفات ... الخ.

ولكن هل أفاد (التمرين على الكلمات العشرين) شيئاً ؟ لا لعمرى . ولماذا ؟ لأنه لم يشاركنى أحد من الكتاب ولا الصحافيين فى استعمال تلك الألفاظ والاحتيال لحياتها ، فلم يعش منها شىء . لكن قال لى بعضهم إن كلمة النقل إحدى الكلمات العشرين التى وضعت مكان كلمة (المازه) — مستعملة بين أهل الكيف .

• • •

هذه هى المجامع الأولى ، أو المحاولات الأولى فى وضع الفصيح وإحيائه ، وقد أشبهت كلمات تلك المحاولات أطفالا ولدوا لغير تمام ، أو فى بيئة وخمة ، فلم يوافقهم هواؤها ولا ماؤها فجعلوا يموتون الواحد بعد الآخر ولم يفلت منهم سوى بضعة أطفال بقوا أحياء الخاصة فى أجسامهم لا فى بيئاتهم .

وربما كان معظم السبب فى عدم نجح المجامع الأولى ، أنها قامت بنفسها من دون أن تعضدها الحكومات . حتى إذا عضدتها وأسعفتها بالمال والنظم والقوانين ومهدت بين يديها أسباب الحياة ، حيى المجمعان : المجمع العلمى العربى بدمشق (سنة ١٩١٨) ومجمع فؤاد الأول فى مصر (سنة ١٩٣٤ م) .

وقضى مجمع دمشق زهاء ثلاثين سنة يعمل

على خدمة اللغة وسلامتها ووضع طائفة من المصطلحات : عاش بعضها ومات معظمها . وما لى لا أقول إن معظم السبب فى ذلك الموت انصراف المسئولين عن العناية بالأوضاع الجديدة وعن إلزام رجال المعاهد والدواوين وسائر المصالح باستعمالها . ولو فعلوا لحييت تلك الأوضاع ولازداد نشاط المجمع فى الجمع والتتبع والوضع ، ولكان نصيب الجمهور من الغبطة به ما كان من نصيبى ونصيب صديق لى من موظفى الحكومة السورية .

كان هذا الموظف رئيس مهندسى وزارة النافعة أو الأشغال العامة كما نقول اليوم : تصدنى ذات يوم وأعرب لى عن حاجته إلى ألفاظ عربية فصيحة تقوم مقام ألفاظ فرنسية يستعملها المهندسون والمقاولون ومن اتصل بهم فى فتح الشوارع وتسويتها وتعبيدها . فأجبته إلى طلبه وشرعنا فى العمل . غير أنى أحياناً كنت أظهر اليأس فى نجاح هذه المحاولة الجديدة فى وضع الألفاظ التى يريدها ، وأنها ستموت كما ماتت أخواتها . فقال لاتيأس وسترى مايكون منى ومنها . حتى إذا ماأتممت وضع تلك الكلمات وراقت لدى صديقى المهندس ، تناولها وأدخلها فى مراجعاته الرسمية ومعاملاته الورقية . وألزم المتصلين به من مهندسين وكتاب وعمال باستعمالها . وهى اليوم تدور على أفواههم ، وأسلات أقلامهم كما تحققته منهم .

وهاكم أيها السادة نموذجاً من تلك الأوضاع الهندسية :

صندوق الطريق وقالب الطريق يريدون بهما حفرة الطريق المستطيلة التى يفتحونها أول مايختطون الطريق . وبالإفرنسية : Ouverture de la forme de la route وضعت اسماً لهذه الحفرة : قرار الطريق.

وهذا القرار يلقى فيه (الدبش) والدبش كلمة عامية وبالإفرنسية (Blocage) وضعت مكانها كلمة (الرصف) ومايدق به الرصف يسمى (المرصافة) .

ثم يصب من فوق الرصف البحص. والبحص كلمة عامية وهى بالإفرنسية (Pierre casse) وقد وضعت لها كلمة الحصب . وقول العامة بحص مقلوب حصب الفصيح . وبعد ذلك يدحلون الرصف والحصب بالمدحلة البخارية أو غيرها . والمدحلة كلمة عامية ويسميها الإفرنسيون (Cylindre) ويسمى دك التراب بهادحلا (Cylindrage) فوضعت مكان الدحل لفظ (الدحو) (والأرض بعد ذلك دحاها) وآلة الدحو (المدحاة) وجمعها (مداحى) وهكذا إلى آخر الاصطلاحات الفرنسية التى اقترح المهندس استبدال غيرها بها .

ومحصل ما انتهى إليه بحثى هذا أيها السادة أن الأوضاع الفصيحة التى حاول المحاولون الأولون إحياءها منذ ستين سنة ، بلغت زهاء مائة كلمة منها ماعاش بالأمل المجرد عن العمل وهو الأكثر ، فكان كأنه لم يعش . ومنها ماعاش بالأمل المقرون بالعمل : وهى الأوضاع القليلة التى أدخلت فى المعاملات وتداولها الجمهور بالاستعمال .

• • •

أما مجمعنا هذا أعنى مجمع فؤاد الأول للغة العربية فقد جرى إلى أبعد شوط فى وضع المصطلحات ، وبذ كل مجمع سواه فى هذا المسعى الحميد : حتى أصبحت أوضاعه تعد بالألوف ، وحتى نشر بلورها فى مهب كل ريح ، وفرقها فى كل ناحية من نواحى حياتنا الثقافية ، علمية وفنية وأدبية . غير أن الجمهور المثقف مازال يتساءل هنا وهناك فى مصر وخارجها عن مصير تلك الأوضاع والاصطلاحات وعما إذا كانت بلورها صادفت التربة الصالحة ولبناتها سدت الثلمة الواضحة ؟ وأنها هل شقت طريقها إلى قاعات الدروس ، ومجالات العمل ؟ أو أنها مازالت مشروعاً يكتنفه السكوت وينتظره الأمل ؟

* * *

استدراك : لاجرم أن أوضاعا واصطلاحات هذا شأنها وذاك مبلغها فى الحاجة إليها لا يمكن أن تضيع أو تهمل فى بلد كمصر غاص بكبار الأساتذة ما بين مدرس ومعلم وصحافى ومترجم فقد أخبرت أن طائفة من هؤلاء الأساتذة على اختلاف اختصاصاتهم فى العلوم والفنون عنوا بأوضاع مجمعنا هذا فأدخلوها فى لغة علومهم ولهجات تدريسهم ؛ فاستحقوا بذلك الثناء وجميل الدعاء .

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد كرد على

عجائب اللهجات

كان اختلاط العرب فى الجاهلية بالأمم المجاورة لجزيرتهم قليلا إذا قيس باختلاطهم بهم فى الإسلام وفيه فتحت عليهم الأقطار وشاهدوا فيها مالم يعرفوه من أسباب الغنى والترف ، وهذا يستلزم للتعبير عنه ألفاظاً جديدة ما كان لهم ولا لأجدادهم عهد بمثلها . وإذ كانوا فى هذا الدور مأخوذين بدهشة الفتوح لم ينظروا إن كانت تلك الألفاظ عربية صرفاً أو جاءت من إحدى اللغات السريانية والنبطية والقبطية والحبشية والهندية والبربرية والفارسية وربما ظنها بعضهم من لهجة عربية غير لغة قريش وليس لهم مانع من قبولها مادام الإسلام وحد اللهجات العربية وبلغة قريش أفصح اللهجات نزل القرآن .

وما لبث الداخلون فى الإسلام أن أدخلوا ما كان متأصلا فى ألسنتهم من الكلمات فأصبح لكل صقع لهجة اتسعت مع الزمن أى كان لكل قطر بل لكل أقليم لهجة على حيالها ومعظم المولد لايمت إلى الفصحى بسبب . والغالب أن الألفاظ الأعجمية التى صاغوها على أساليبهم تكاد تزيد عن الألفاظ التى أبقوها بحالها . وبديهى أن يكون لكل صقع نغمته واصطلاحه وألفاظه واللهجات لبنة السموت والميول على الأغلب ، وماتحسه من النغمة العذبة فى اللهجة المصرية اليوم لاتذوقه فى لهجات جبال الشام . نعم ماتشدد العرب أو خاصتهم فى قبول بعض الألفاظ الأعجمية بادئ بدء تشددهم فى اللحن والزراية على من يرتكبه لأن الجمهور لاينتظر فى شؤونه اليومية الحافزة صدور إرادة الخاصة فى اختيار اللفظ الفلانى دون غيره بل يسارع

إلى تلقف مايعرض له بادئ الرأى مؤثراً الطريقة العملية السهلة ويتشرب الألفاظ التى تكاد تكون مرتجلة ترسخ فيه بكثرة التكرار ويغدو من المتعذر نزعها والاستعاضة عنها بمصطلح آخر أتى على أصول الوضع الصحيح. تساهل أرباب اللغة بإدخال بعض المفردات طوعاً أو كرهاً كأنهم رأوا أن لا مندوحة لهم عنها وإن خرجت أحياناً عن صيغة لغتهم. ثم تطورت اللهجات بتطور الزمن، وللزمان سلطانه يثبت وينفى على ما يشاء، والتحول يجرى على مقياس واسع فى الشارع وعلى مقياس ضيق فى أندية الخاصة وقصور الملوك والأمراء ومعسكرات الجيوش.

أخذت العرب من الأعاجم مئات الألفاظ مما له علاقة بالحياة اليومية أو المصطلحات العلمية، وكان لكل دولة تولت أمر هذه الأمة أن أورثتها ألفاظاً منها مادخل فى المعاجم ومنها مامات بموت الدولة التى وضع فى عصرها وسعت إلى بثه فى الناس، أوسقط من الاستعمال لعدم الحاجة إليه.

فكانت الألفاظ الأعجمية من عهد الأمويين أقل مما جاء مع العباسيين لقرب عهد بنى أمية بالعربية الفصحى وأخذ بنو العباس من الدخيل بالكبير والصغير. أعداهم الفرس للجوار وللاختلاط الوشيج بالشعوب غير العربية حتى خيف على اللغة أن يصبح جزء عظيم منها من غير الأصول العربية. ثم قامت دول الطوائف فكانت الألفاظ الحديثة فى مصطلحات الدولة على الأكثر تركية وفارسية ومغولية. وهكذا كان شأن دولتى نور الدين وصلاح الدين ودولتى المماليك البرجية والبحرية ثم دولة العثمانيين. ومايقال فى هذه الدول والألفاظ الطارئة عليها يقال فى دول صقلية والأندلس والغرب الأقصى والأوسط والأدنى. ولعل الدخيل كان نادراً فى أرض الأندلس. وقد توخى الأمويون واضعو أساس دولتها التوحيد فى كل شىء، حتى أن الرحالة ابن جبير لما رأى كثرة الفرق والمذاهب فى هذا الشرق القريب فى القرن السادس قال لا إسلام إلا ببلاد الغرب لأنهم على جادة واضحة لا بنيات لها وما سوى ذلك مما بهذه الجهات الشرقية فأهواء وبدع وفرق ضالة وشيع إلا من عصم الله من أهلها. وكان فى تفنن الأندلسيين بتعريب أسماء بلاد الأندلس مثال ظاهر من العناية بصيانة اللغة مما يعبث بها وكانت اللهجة الأندلسية من أجمل اللهجات نقلها أهلها بعد الجلاء إلى البلاد التى نزلوها: مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام؛ ولعلها كانت لقربها من الفصحى أشبه بلهجات اليمن والحجاز. والأندلس استعملت ألفاظاً فصيحة ما استعملها العراق ومصر والشام، فكان الأندلسيون مثلا يقولون «القابض» لمن نطلق عليه الجابى أو المحصل ويطلقون «المتقبِّل» لمن نقول له الملتزم أو الضامن ويقولون «أهل الأموال» لأرباب الأملاك أو الملاك ويطلقون «الطومار» على البطاقة.

وهكذا أبقى كل قرن فى تضاعيف هذا اللسان قدراً من الألفاظ الدخيلة ولون كل لهجة بلون بعض اللهجات المجاورة وغيرها ولكل جيل ولكل أقليم لهجة تختلف واحدتها عن الأخرى. وكان العارفون باللغة فى كل

زمن يردون مادخل على الفصحى من المولد وإذا غلبتهم قوة الدخيل يتساهلون بقبوله ومن جهة أخرى يكتبون الرسائل والكتب فى تزييفه . وحاول الغُيُر على اللغة فى كل قرن من قرون الإسلام أن يحيوا الفصحى ويبقوا عليها فى الخطاب كما حفظت فى الكتاب فكان الجهلة يهزأون بهم ويتغامزون منكرين صنيعهم وأقل مايقولون فى المتكلم بالفصيح أن ينبزوه بأنه يتكلم بالنحوى .

وبعد أن كان مثل الحجاج بن يوسف يحتال على بعض من خرج عليه فيفسد لغته أصبح الخاصة والعامة فى القرون التالية يتفاهمون بلغة العوام ولهجهم بدون نكير ، وســواد العامة أكثر من سواد الخاصة فى كل عصر ومصر . وبعد أن كان ينظر إلى من فسدت لغته كما ينظر إلى من أصيب بمروءته وشرفه أصبح هذا مما لايؤبه له كثيراً . وبعد أن كان الحجاج نفسه ينفى من بلده أحد الفصحاء لأنه صارحه بأنه يلحن ، نفاه لئلا يسرى فى الملأ رأيه فيسقط من الأنظار .

وقد عرف الحجاج أن رسول الله سمع رجلا يلحن فى كلامه فقال « أرشدوا أخاكم فإنه ضل » ، وأن عمر كتب له أحد عماله كتاباً لحن فيه فكتب إليه « قنّع كاتبك سوطاً » ، وكان عبد الملك يقول : اللحن فى الكلام أقبح من الجدرى .

عربوا أسماء العلوم فى القرن الماضى فكانوا يحرصون على التعبير عن المعنى بأى لفظ عرض لهم ، يهمهم التعبير عن المسمى لا الفصاحة ، ولعل أجدادهم كانوا فى مثل هذه الحال يوم نقلوا عن الفرس الأطعمة فلم يكن لهم متسع من الوقت ليضعوا لها أسماء عربية واغتبطوا أن اهتدوا إلى تحضير تلك المآكل اللذيذة فقالوا الفالوذج واللوزينج والجوزينق واللوزينق وما بالوا بثقلها وعجمتها وكان فى مكنتهم أن يقولوا اللوزية والجوزية الخ . ولكن كان همهم أن يصيبوا أولا من هذه الحلواء الشهية . ولو كان واضعو الألفاظ العلمية فى بدء النهضة العربية الأخيرة على جانب من معرفة اللغة الفصحى لأطلقوا بادئ بدء ألفاظاً فصيحة على المسميات وحالوا دون عناء المجامع اللغوية الحديثة بعض الشىء .

ولعل من اضطروا إلى وضع ألفاظ غريبة مولدة عمدوا إلى استعمالها فى الأحايين ليؤثر الكلام فى العربى القح والعربى الدخيل على السواء ما دام المقصود من الكلام إفهام الخواص والعوام . ولا نقول إن اللغة كانت تخون الفصحاء فلم يوفقوا إلى إيجاد ألفاظ عربية خالصة تقوم مقام الألفاظ الأعجمية بل نقول إنهم غلبهم حب السرعة على جميع الاعتبارات وأتوا بما حضرهم واكتفوا بما كان فى متناولهم ، وهم إلى ذلك كانوا يعلمون أن مئات من الألفاظ المولدة لاتضر بلغة تحوى مئات الألوف من المفردات الفصيحة ، ويزيد التسامح فى قبول الغريب المولد إذا صيغت اللفظة صياغة عربية لاينبو عنها ذوق أبناء هذه اللغة .

كتب معاوية رضى الله عنه أيام فتنة صفين إلى قيصر الروم لما بلغه أنه ينوى غزو الشام : « لئن أتممت على مابلغنى من عزمك لأصالحن صاحبى ولأكونن مقدمته إليك ولأجعلن

القسطنطينية البخراء حمة سوداء ولأنتزعنك من الملك انتزاع الاصطفلينة ولأردنك أريساً من الأرارسة ترعى الدوبل» . وفى هذا الكتاب الموجز على مانفهم نحن اليوم ثلاثة ألفاظ لانسمعها وهى الدوبل ومعناه الخنزير والأريس هو الفلاح والأكار من أرس فلح والاصطفلينة وهى لغة شامية قديمة لانستعمل اليوم ومعناها الجزرة التى تؤكل . آثر الخليفة استعمالها على الخروج عن مألوف الأرض التى صدر منها الكتاب .

وكذلك كان من الحجاج بن يوسف لما استحث أحد عماله على المسارعة بأداء الخراج فقال له من كتاب : « فأيم الله لتبعثن إلى بخراج أصفهان كلها أو لأجعلنك طوابيق على باب مدينتها . » والطابق بكسر الباء وفتحها الآجر الكبير فارسى معرب وكذلك الآجر . خاطبه بما شاع ولو قال له لأجعلنك لبنة لما كان لها تلك الرنة ولو كان الكاتب فى مصر لاستعاض عن آجر وطابق بلبنة وطوبة .

ومن اللهجات ماراج فى قرن وكسد فى آخر . كانوا يقولون فى القديم فندق ، خان ، فأنشأوا يقولون فى الزمن الحديث لوكندة ، هوتيل أو أوتيل . وقالوا بيمارستان أومارستان أو دار المرضى فشاعت على الألسن اليوم هوسبتاليا أو اسبتاليا ، وقالوا صيدنانى وصيدلانى وصيدلى وفرمشانى وأجزاجى لصاحب هذه العقاقير والمركبات والمعاجن ، كما اصطلحوا فى كل قطر على إطلاق اسم يغاير ما اصطلح عليه القطر الآخر . فللإبانة عن لفظة المشاهرة قالوا الجامكية والمعاش والمعلوم والمقرر والراتب والمرتب ، وقديماً كانوا يقولون الإدرارات - الأعطيات ، ويقولون فى مصر اليوم الجوراب للجوربين وفى لبنان الكلسات وفى مصر كَوانتى وفى الشام كفوف ، .أما من يقولون قفازج . قفافيز فهؤلاء من الذين أنعم الله عليهم وحفظوا من متن الفصحى عشرة آلاف كلمة على الأقل حتى وصلوا إلى قفاز وفى الشام يقولون شلح أواعيه ، وفى لبنان قلع ثيابه ، وفى مصر قلع هدومه ، وتقول الأم لابنتها روحى اتبدلى أى غيرى ثيابك .

وقد يعمدون إلى استعمال ماكان له أصل فى اللغة كالخناشير والطراطير والخنشور الذى لا يعجبك يقابله بالشامية الشرشوح . سمعت سيدة مصرية تقول « كلهم خناشير يحزنوا القلب » والطرطور الضعيف الذى لاعمل له . وهكذا فى المصرية متعنطز ، متخنشص متنرفز ، إلى مئات غيرها . ومنها ماله أصل عربى مثل إطلاقهم لفظ نغنوغة على السيدة ذات الدل والخفر وهى السيدة السمينة جاءت من تغنغ الطعام والفطير زاد فى سمنه ، من لغلغ الطعام أدمه بالسمن والودك . وفى مصر يقولون بص أى انظر ، وفى لبنان اقشع ، وفى الشام شوف.

وقد يختلف كل قطر عن جاره فى مدلول اللفظ الواحد وفى صيغة الجموع وغيرها ، ففى مصر يقولون طقطوقة لذلك الوعاء الصغير الذى يطرحون فيه رماد اللفائف وأعقابها ويطلقون الطقطوقة على الأغنية البلدية والقرينة هى التى تفرق بينهما كما هو الحال فى كثير من الألفاظ . ولو قلت الطقطوقة لذلك الإناء لضحك الشامى ونظر باهتاً فلا يعرفها تطلق إلا على

الأغنية. وفى الشام يجمعون سيكارة على سيكارات وفى لبنان على سواكير وفى مصر على سكاير ويقولون فى الشام طنش بالشين غض الطرف وما بالى وفى مصر طنس بالسين لهذا المعنى وفى مصر لبش تحير وارتبك وفى الشام لبش جمع متاعه وارتحل، وفى مصر متحنتف متزين لطيف ومعناها فى الشام بخيل مقتصد .

وكما اختلف مدلول بعض الألفاظ فى الأقطار المجاورة تنوسى كثير من الفصيح جملة ، فكانوا يطلقون على الأرض الكثيرة الخضرة (اليخضور) وعلى الرجل الكثير الكلام (اليهمور) وعلى الرجل الأحمق (اليأفوف) وعلى المثقل بالدين (المفرح) وعلى كثير الطرب (المطرابة) ، وعلى من يتكلف الألحان من غير صواب اللعاعة، وعلى الخبيث الشرير (العارم) وكانوا يقولون أخذ ماله كملا واليوم يقولون كاملا، وفلان لايؤاكل رغيباً ولا زهيداً والرغيب الكثير الأكل والزهيد القليل الأكل إلى مئات غيرها مما لو عادت إليه الحياة وجرت به الألسن لحيى جانب عظيم من الفصيح بمات جانب من المولد مع الزمن وضعفت اللهجات وقويت الفصحى أو جانب عظيم منها .

من الصعب تعيين زمان دخول كل لفظة بعينها لأن اللهجات لا ضابط لها ولا هى مدونة بأسرها، فمن الواجب وضع معجمات لها كما نراهم فى الغرب وضعوا معاجم للألفاظ العامية وأخرى للألفاظ المحرفة ومعاجم للغة أرباب الدعارة واللصوص يعبرون عنها بالفرنسية بكلمات argot, Jargon, baragouin, patois وفى بعض كتب الجاحظ ألفاظ كثيرة من هذا القبيل لا تعترف بها الفصحى وكان تدوين أبى عثمان لها من مزايا لغتنا واتساع صدرها لكل جديد ما سبقت لها معرفته . والحمد لله على أن المجمعيين لم يعترضوا على بعض ما وُضع مثل ثلاثة ألفاظ أفرنجية وهى فيلم وترام وسينما فأقروها راضين ، ومثل مخيم ومنصح ومعزل وهى مشتقة من أصل عربى ، وربما تفننوا وأطلقوا أكثر من اسم على مسمى واحد كما وقع للمقدسى البشارى صاحب كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم من أمتع كتب الجغرافية عند العرب فقد أسماه الناس خلال رحلته بستة وثلاثين اسماً دعى بها المسكين وخوطب فأطلقوا عليه المقدسى والفلسطينى والمصرى والمغربى والخراسانى والسلمى والمقرئ والفقيه والصوفى والمولى والعابد والزاهد والسياح والوراق والمجلد والتاجر والمذكر والإمام والمؤذن والخطيب والغريب والعراقى والبغدادى والشامى والحنفى والمؤدب والكرى والمتفقه والمعلم والفرائضى والأستاذ والدانشمند والشيخ والنشاسته والراكب والرسول .

لما ورد مصر ابن جرير الطبرى صاحب التاريخ فى سنة ٢٥٦ قادماً من العراق نزل على الربيع بن سليمان فأمر من يأخذ له داراً قريبة منه . قال: وجاءنى أصحابه فقالوا « تحتاج إلى قصرية وزير وحمارين وسدة فقلت أما القصرية فأنا لا ولد لى وما حللت سراويلى على حرام ولا على حلال قط (ياخسارة!) وأما الزير فمن الملاهى وليس هذا من شأنى . وأما الحماران فإن أبى وهب لى بضاعة أنا أستعين بها فى طلب العلم فإن صرفتها فى ثمن حمارين فبأى شىء أطلب؟ قال فتبسموا فقلت إلى كم يحتاج هذا ؟ فقالوا يحتاج إلى درهمين وثلثين فأخذوا ذلك منى وعلمت أنها أشياء متفقة . وجاءونى بإجانة وجب للماء وأربع خشبات

قد شدوا وسطها بشريط وقالوا الزير للماء والقصرية للخبز والجاران والسدة تنام عليها من البراغيث فنفعني ذلك وكثرت البراغيث فكنت إذا جئت نزعت ثيابي وعلقتها على حبل قد شددته واتزرت وصعدت إلى السدة . اهـ . والجاران هنا يطلق عليهما في الشام الجحشان كانا عندنا صغيرين فكبرا هنا على ما يظهر .

يقول أناطول فرانس : الألفاظ هي الأفكار وأعتقد أن الشعب الأول في العالم هو الذي كان كتاب قواعده أجود من كتاب غيره ، وقد يهلك الناس بعضهم بعضاً بألفاظ لا يفهمونها فإذا تفاهموا يتعانقون ويتعاطفون .

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ هـ . ا . ر . جب

أفتتح كلمتي معترفاً بالتقصير — أو بالأحرى بما يشبه التقصير — في التخلف عن شهود المؤتمرين الماضيين ، على أني لم أقطع صلتي بالمجمع ، فإني لا أزال من أشد أعضائه تفاؤلا بمستقبله ، وإيمانا بمهمته .

وقد كنت خلال هذين العامين أعمل مع إخواني المستشرقين في انجلترا ، وقصة عملنا طويلة ، وهذا موقف اختصار ، وربما أتيحت لي في غير هذه المناسبة فرصة لشرح التفاصيل .

وحاصل الأمر أننا أساتذة اللغات والثقافات الشرقية في انجلترا كنا في هاتين السنتين متطوعين نجاهد في توسيع نطاق الدراسات الشرقية في جامعاتنا ، وقد تابعنا هذا الجهاد في جبهتين مستقلتين : جبهة حكومية ، وأخرى داخلية .

فأما الجبهة الحكومية فقد ابتدأت بتأليف لجنة رسمية مثلت فيها كثرة الوزارات لبحث حالة الدراسات الشرقية في الجامعات ، فاستمرت في البحث أكثر من سنة ، بل نحو سنتين ، ودرست تقارير الجامعات والمستشرقين ، وأصدرت تقريراً يسمى تقرير Scarbrough دعت فيه إلى إرصاد مبالغ وافرة لتشجيع الدراسات الشرقية في الجامعات وحث الطلبة المتميزين على التخصص في هذه الدراسات .

وأما الجبهة الداخلية فقد جمعت أساتذة اللغات الشرقية ، وغرضها تنظيم الدراسات الشرقية في جامعاتنا ، والاستفادة مما كسبناه من التجارب أثناء سني الحرب الماضية في تعليم الضباط . وفي سنة ١٩٤٦ عقدنا مؤتمراً عاماً في أكسفورد بمناسبة مرور مائتي سنة على ميلاد Sir William Jones من أكابر المستشرقين في القرن الثامن عشر ، وقد اشترك في هذا المؤتمر أساتذة اللغات والثقافات الشرقية . وبحثوا في أساليب التدريس ووسائل التعرف إلى الثقافة العربية والهندية وغيرها من ثقافات الشرق وكيفية نشرها بين الجمهور . وقد نجح المؤتمر نجاحاً أكاد أقول غريباً ، واتجه العزم إلى إنشاء جمعية خاصة للمهتمين بهذه الدراسات لتواصل عقد المؤتمرات والأبحاث لتنظيم أعمالنا ، ونشر ثقافاتنا ، إذا سمحتم لي أن أقول : ثقافاتنا ! ...

وقد ألفت هذه الجمعية فى مؤتمر عام انعقد فى كمبردج فى السنة الماضية ، وشرعت الجمعية فعلا فى القيام ببعض الأعمال .

وفى أثناء ذلك فتحت جبهة ثالثة ، هى جبهة ماوراء البحار . فإن هذه الحركة فى انجلترا تردد صداها فى بعض الدوائر العلمية الأمريكية ، فدعت مؤسسة روكفيلر وفد أمنا للاتصال بالمستشرقين فى جامعات أمريكا والاشتراك معهم فى بحث الأساليب الكفيلة بتشجيع الدراسات الشرقية فى الجامعات الأمريكية ، وتنظيم وسائل التعاون فى هـذه السبيل بين الأساتذة الإنجليز والأمريكيين ، وقد تم الاتصال المنشود ، ورسمت بعض الخطوط العملية للقيام بغرضين : تشجيع الدراسات الثقافية العربية فى الجامعات الأمريكية ، والتعاون على بث التعرف إلى الثقافة الإسلامية والعربية فى بلادنا .

تلك هى الجبهات الثلاث التى كانت تعمل على تنظيم الجهود فى السنتين الماضيتين ، وعسى أن يراها المجمع جديرة باهتمامه .

جلسة استقبال العضوين الجديدين

الأستاذ على عبد الرازق والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى

كانت الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٢٣ من صفر سنة ١٣٦٧ هـ (٥ من يناير سنة ١٩٤٨) موعداً لافتتاح الجلسة العلنية التى تقرر عقدها لاستقبال حضرتى العضوين المحترمين الأستاذ على عبد الرازق والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، وهما العضوان اللذان صدر المرسوم الملكى بتعيينهما فى المكانين اللذين خلوا بوفاة المرحومين الدكتور على إبراهيم باشا والأستاذ أحمد إبراهيم بك . فلما اقترب الموعد حتى توافد على قاعة الاجتماع بدار المجمع من أعضائه حضرات : الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيس المجمع والأستاذ على عبد الرازق والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى والدكتور عبد الرزاق السنهورى والدكتور فارس نمر والدكتور عبد الحميد بدوى والأستاذ أنطون الجميل والدكتور على توفيق شوشة والدكتور طه حسين وسيادة حايم ناحوم والأستاذ ماسينيون والأستاذ أحمد أمين والدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ على الجارم والأستاذ زكى المهندس والأستاذ محمد فريد أبو حديد والدكتور محمد شرف والأستاذ مصطفى نظيف والأستاذ عبد الوهاب خلاف والأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور أحمد زكى والشيخ محمود شلتوت والسيد حسن القاياتى .

واعتذر من التخلف الأستاذ عبد العزيز فهمى والدكتور منصور فهمى والأستاذ أحمد العوامرى مع تهنئتهم للعضوين الجديدين وكذلك أقبل على شهود هذه الجلسة العلنية طائفة من الكبراء وأساتذة جامعة فؤاد الأول ورجال وزارة المعارف وغيرهم من العلماء والأدباء والصحفيين ، وأعدت العدة لإذاعة ما يقال من محطة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية .

وفى الموعد المحدد أعلن رئيس المجمع الأستاذ أحمد لطفى السيد افتتاح الجلسة وحيا العضوين الجديدين ورحب بالزائرين . ثم دعى العضو المحترم الأستاذ عبد الوهاب خلاف لإلقاء كلمته فى استقبال الأستاذ على عبد الرازق ، وبعد أن انتهى منها دعى الأستاذ على عبد الرازق لالقاء كلمته ذاكراً سلفه فى مكانه بالمجمع المرحوم الدكتور على إبراهيم باشا . ثم دعى العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد لإلقاء كلمته فى استقبال الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، وبعد فراغه من إلقائها دعى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى لإلقاء كلمته ذاكراً سلفه فى مكانه بالمجمع المرحوم الشيخ أحمد إبراهيم .

وأعلن رئيس المجلس انفضاض الجلسة ، والساعة الواحدة بعد الظهر .

كلمة الاستاذ عبد الوهاب خلاف

فى استقبال حضرة العضو المحترم الأستاذ على عبد الرازق

أستقبل زميلنا الأستاذ على عبد الرازق بتحية طيبة مباركة . وليلتمس لى المعذرة إذا لم ألتزم فى تحيته وفى حديثى عنه لقبه الوزارى فإن أعضاء هذا المجمع شارتهم الزمالة ، وهم فى جلساته ولجانه إخوان متحللون من كلفة الألقاب . واعتزاز الواحد منهم إنما هو ببحوثه وجهوده فى خدمة اللغة وتحقيق الغاية السامية التى من أجلها أنشئ المجمع .

أما بعد — فإنى لا أقصد بحديثى الموجز الذى أحدثكم به عن الأستاذ على عبد الرازق أن أعرفكم به ، فأنتم تعرفونه حق المعرفة ، وعلى ما عرفتموه عنه قدرتموه واخترتموه ولكن هى التقاليد جرت بأن تكون الحفاوة بالعضو والترحيب به أول استقباله فى صورة حديث عنه وتعريف به .

نشأة الاستاذ :

فى أوائل القرن الميلادى الحالى — من سنة ١٩٠٠ م إلى سنة ١٩٢٠ م بالتقريب توافرت الأزهر عدة وسائل وجهت حركة التعليم فيه وجهة الإصلاح ، وبعثت فى علمائه وطلابه روح النهوض والنشاط ، وعزيمة المباراة والمسابقة فى ميدان التثقيف والتعليم .

ابتدأ الأستاذ الشيخ محمد عبده — أسبغ الله عليه رحمته — دروسه فى تفسير القرآن الكريم وفى علوم البلاغة بالرواق العباسى بالأزهر بعد المغرب من كل أيام الأسبوع .

وكان طلبته من الأزهريين ومن غيرهم ، وما كانت دروسه دروساً علمية فحسب ، بل كانت دروساً علمية وروحية وإصلاحية ، وقد بث الأستاذ فى دروسه من روحه فوق ما بث من علمه وثمرات عقله ، ووجه فى خلال دروسه عدة انتقادات لطرق التعليم بالأزهر وكثير من المؤلفات فى علوم الأزهر وكثير من المعلومات والعادات المتوارثة بالأزهر ، وكان الأستاذ عليه رحمة الله مع نضوج عقله وسداد رأيه فصيح العبارة حلو الحديث حسن الأداء لاذعاً فى نقده ، وقد استقبل نقده فى حياته بالألم والامتعاض وخلق له خصوماً حاربوه وكادوا له وسلقوه بألسنة حداد ، ولكنه ترك فى نفوس الكثيرين أحسن الآثار ، وما مات رحمه الله حتى خلف فى الأزهر من تلاميذه من يشعرون بالنقص الذى كان يشعر به ويعملون للكمال الذى كان ينشده ، ويسيرون فى ضوء المصباح الذى أوقده ، واهتدى الأزهريون بنوره بعد موته ، وقدروه بعد أن فقدوه .

وفى سنة ١٩٠٤ م أنشيء المعهد العلمى الدينى بالإسكندرية ، واختير المرحوم الشيخ محمد شاكر أول شيخ له ، وكان ممن ينشدون إصلاح التعليم بالأزهر وفروعه ويقتفون فى

هذا الإصلاح آثار الأستاذ الأمام . وقد وفق المرحوم الشيخ محمد شاكر إلى اختيار نخبة من علماء الأزهر ومن غيرهم للتدريس بهذا المعهد ، وسارت الدراسة فيه بجد ونشاط وتبارى أساتذته وطلبته ورعاه المغفور له الخديوى عباس الثانى بكثير من رعايته ، وقد أنتج وأنجب وأكثر العلماء النابهين فى الأزهر والمعاهد الدينية الآن هم من خريجى معهد الإسكندرية فى ذلك العهد .

وفى سنة ١٩٠٧ م أنشئت مدرسة القضاء الشرعى ، وهى من حسنات الأستاذ الإمام عليه رحمة الله ، اقترح إنشاءها ووضع مشروع قانونها ، ومناهج التعليم فيها ، وحال الموت بينه وبين التنفيذ ، وقد نفذ فكرته المرحوم سعد باشا زغلول ناظر المعارف العمومية واختار أول ناظر لها رجلا من أكفأ رجالات مصر حزماً وعزماً وحسن إدارة ، واختار لها صفوة الأساتذة من الأزهر ودار العلوم ومن غيرهما وابتدأت الدراسة بهذه المدرسة فى نشاط منقطع النظير ، وملأت البلد ، وشغلت الناس ، ولفت المرحوم سعد باشا إليها الأنظار ، وبنى عليها الآمال ، وهبت عليها عواصف شديدة ، وسلطت عليها معاول قوية ، ولكنها بجهاد أساتذتها وجد طلبتها وحزم ناظرها صمدت فى وجه العواصف وحطمت تلك المعاول واستمرت تؤدى رسالتها وتؤتى ثمراتها حتى تغلبت عليها يد التدمير والتخريب

ما كان الأزهر ليقف جامداً وهذه الفروع من فروعه تتحرك ، أو يرجع إلى الوراء وفروعه تتقدم ، وما كان علماؤه وطلابه ليرضوا أن تدب الحياة فى إخوانهم وزملائهم بمعهد الإسكندرية ومدرسة القضاء ، وهم خاملون نائمون ، وأية قيمة لمعهد الإسكندرية أو مدرسة القضاء إذا ضاعت قيمة الأزهر ومكانة الأزهر وسمعة الأزهر ؟ وأية حياة للفرع إذا دب الفناء فى أصله ؟

لهذا سرى فى الأزهر روح نشاط قوى ، واتجه علماؤه وطلابه إلى الإصلاح والنهوض . وأخذ كل عالم فى الأزهر ينافس زميله فى الإسكندرية ، أو مدرسة القضاء . وأخذت تتردد فى الأزهر أصوات ما فى الإسكندرية أو مدرسة القضاء من نظام صالح أو خطة قويمة .

فى هذا العهد الذهبى للأزهر ، وفى هذه الحركة العلمية الناهضة ، وفى هذا الميدان الثقافى المعمور بالمسابقة والمنافسة والمباراة ، كان يدرس الأستاذ على عبد الرازق العلوم الشرعية والعقلية واللسانية على أفاضل من علماء الأزهر من بينهم المرحوم الشيخ أحمد أبو خطوة والمرحوم الشيخ محمد أبو عليان . وكان طالبا مقبلا على دروسه ، هيأ له استعداده وتوافر وسائل العيش له أن ينال أوفر حظ من الثقافة بالعلوم الأزهرية ، وكان شديد التعصب للأزهر ، قوى الأمل فى مستقبله ، ولهذا كان فى بعض الأحيان على رأس بعض الثورات العدائية التى أثيرت ضد مدرسة القضاء ، لابغضاً فى معاوية ، ولكن تشيعاً لعلى .

وإلى جانب دراسته فى الأزهر كان يدرس

بالجامعة المصرية ، وقد كانت محاضراتها تلقى بمقر الجامعة الأمريكية الآن ، وكان الأساتذة الذين يحاضرون بها من خيرة الأساتذة الأجانب والمصريين ، فتثقف بالأستاذ نلينو فى الأدب العربى وتاريخه ، وبالأستاذ ليتمان فى المقارنة بين اللغات السامية ، وبالأستاذ سنتلانا فى الفلسفة الإسلامية . وكانت محاضرات أولئك العلماء فى ذلك الحين مبدأ دور ثقافى جديد، ووجد طلبة الأزهر ومدرسة القضاء فيها مورداً عذباً وأفقاً واسعاً . وإلى جانب دراسته بالأزهر وبالجامعة المصرية كان بيته بالحق معهد دراسة وبحث دائم ليس له شهور معلومة. ولا علوم معينة ولا برامج محدودة . كانت تلتقى فيه علماء الأزهر برجال الأدب والمحافظون بالمتطرفين وحديثهم يتناول كل موضوع وينتقل من النقيض إلى النقيض ، ومن المحافظة إلى التجديد والأستاذ يستمع ويشترك ويعارض ويؤيد ويستفيد من هذا الندى فوق ما استفاد من الأزهر والجامعة المصرية .

هذه كلمة موجزة فى نشأة الأستاذ الثقافية ومنها يتبين أنه تكون فى بيئة علمية ذات نواح عدة ، وأنه التقى بعقول الأساتذة أبو خطوة وأبو عليان ونلينو وليتمان وسنتلانا ، وأنه استمع إلى المحافظين والمجددين ، ومن هذا كله تكون من الأستاذ على عبد الرازق عالم قديم يحب الجديد ، وجديد يعتز بالقديم ، ووسط معتدل بين المحافظين والمجددين .

وفى أواخر سنة ١٩١٢ ، سافر الأستاذ إلى انجلترا ، ودرس بجامعة أكسفورد علم الاقتصاد السياسى وعلم الاجتماع ، وعاد فى سنة ١٩١٥ عالماً دينياً واسع الأفق مؤمناً بأن الدين لايضيق بمصالح الناس ولايقصر عن حاجاتهم .

جهوده العلمية والادبية واللغوية :

من سنن الله فى الناس أنه يوجه كل إنسان فى بدء حياته إلى مايتصل بمستقبله وبشغله بما يعده لما ينتظره .

وعلى هذه السنة اتجه الأستاذ على عبدالرازق من نشأته إلى مايعده لأن يكون عضواً فى المجمع .

١ — كان فى خلال دراسته شديد العناية بدروس الأستاذ نلينو فى الأدب العربى وتاريخه ، وبدروس الأستاذ ليتمان فى مقارنة اللغات السامية ، وبكل إنتاج أدبى أو بحث لغـــوى .

٢ — وفى سنة ١٩١٢ ، وهى السنة الأولى بعد نيله شهادة العالمية ، تطوع للتدريس بالأزهر فألقى عدة دروس فى علم البيان وتاريخه ، وقد طبعت هذه الدروس بعنوان « أمالى على عبد الرازق » .

وفى هذه الأمالى ، بحوث قيمة يتجلى فيها امتزاج العقل القديم بالعقل الجديد ، وإنصاف الوسط المعتدل بين المحافظين والمجددين ، نقرأ هذا واضحاً حين بحث فى أن قواعد العلوم الدينية ابتدعها علماء العرب ابتداعاً من غير تأثر بما سبقهم إليه غيرهم من الأمم . أو أنهم فى صوغها وترتيبها وتفريعها وتبويبها

اقتبسوا من غيرهم واحتذوا من سبقهم . وحين بحث فى المذاهب المختلفة فى وجه حسن الكلام وهل مرجع الحسن إلى اللفظ أو إلى المعنى أو إليهما معاً ، أو إلى النظم والالتئام . وحين بحث فى تجديد معنى الفصاحة والبلاغة وهل هما مترادفان أو متباينتان والتوفيق بين من نسبوا علم البيان إلى عبد القاهر ومن نسبوه إلى السكاكى .

٣ — وقد ألقى عدة دروس فى الأدب العربى العام بالجامعة الأمريكية ، وفيها نقد مناهج الدراسة المتبعة ، وأيد نقده بعدة أدلة ، وصرح بأنه ما سار على هذا النهج فى الدراسة ، إلا لأن الجامعة الأمريكية عينت له المنهاج ، وطلبت منه أن يدرسه .

٤ — وفى سنة ١٩٢١ ، ألقى عدة محاضرات فى أدب العرب بالأندلس ، وقد قسم حال اللغة العربية وأدبها بالأندلس إلى عصور ثلاثة ، عصر مجد ونهوض ابتدأ من أول عهدها إلى أن غلب عليها يوسف بن تاشفين ، وعصر انحطاط ابتدأ من انتهاء العصر الأول إلى سنة ٧٠٠ هـ بالتقريب ، وعصر استعادة مجد ابتدأ من سنة ٧٠٠ هـ إلى انتهاء دولة المسلمين بالأندلس . وقد عنى ببيان ما امتاز به كل عصر من هذه العصور ، وبيان ما له فى اللغة وآدابها من آثار .

٥ — وحين كان قاضياً بالإسكندرية ، ندب لتدريس الأدب بمعهد الإسكندرية ، ومن آثاره الجليلة تعليقات لغوية أدبية دقيقة على مختار العقد الفريد .

٦ — وقد انتدبته جامعة فؤاد الأول للتدريس بقسم الدكتوراه بكلية الحقوق ، فدرس فى دبلوم الشريعة الإسلامية مصدرا من مصادر الفقه الإسلامى وهو الإجماع ، والإجماع قد نشأ فى الإسلام فكرة فطرية سهلة ، ومصدراً تشريعياً مرناً ، عبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم حين سأله على بن أبى طالب قائلا : يارسول الله ، الأمر ينزل بنا ليس فيه نص فى القرآن ، ولم يمض منك فيه سنة . فقال رسول الله اجمعوا له العالمين ولا تقضوا رأى واحد . أراد رسول الله أن يكون الرأى فيما لا نص فيه للجماعة لا للفرد ، وأن يكون أمر التشريع فيما لا نص فيه شورى لا يستقل به فرد ، وعلى هذا كان أبو بكر إذا أعياه أن يجد فيما عرض عليه كتاباً ولا سنة جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم وكذلك كان يفعل ، وعلى هذا أسس المسلمون فى قرطبة مجلس شورى القضاء .

ولكن العلماء عقّدوا هذه الفكرة الفطرية السهلة ، وجمدوا هذا المصدر التشريعى المرن وقرروا أن الإجماع لا ينعقد إلا إذا اتفق جميع مجتهدى العالم الإسلامى فى عصر من العصور على حكم واضعه ، واشترطوا لانعقاده شروطاً وقيوداً جعلتهم يبحثون فى إمكان انعقاده وجعلت الإمام أحمد يصرح بأن من ادعى الإجماع فهو كاذب .

وما رأيت موضوعاً فى علم أصول الفقه تباينت فى بحوثه الآراء وكثر فيه الاختلاف مثل الإجماع . وقد عنى الأستاذ على عبد الرازق بدراسة بحوث الإجماع ، وطبع فيها

رسالته ، وأظهر ما يتجلى فيها الدقة فى البحث والأمانة فى النقل ، ونسبة كل كلام إلى مصدره ، والتعليق على كل علم يرد ذكره ، وتحرير موضع الخلاف وبسط أدلة المختلفين واختيار أرجحها .

هذه خلاصة موجزة لجهود الأستاذ الأدبية والعلمية واللغوية .

وأنا إذ أقدمه لزملائى ، أقدم عالماً دقيق البحث ، سليم الذوق ، مشغوفاً باللغة وآدابها ، وسطا بين المحافظين والمجددين .

وإذ أهنئه بهذه الزمالة ، أرجو الله أن يوفقه ويحقق الخير الذى نرجوه منه ، ويؤيدنا جميعاً بمعونته وتوفيقه .

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ على عبد الرازق

الحمد لله أولا وآخراً ، سبحانه جل شأنه ، هو ولى النعم ، بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير .

أيها السادة : إن أول مايخطر على البال فى هذا المقام هو ذكرى سلفى العظيم فى هذا الكرسى ، المرحوم الدكتور على باشا إبراهيم ، وهى ذكرى كريمة ، إن كانت تثير فى النفس حزناً مريراً ، فإنها مع ذلك تملأ جوانب القلب مهابة وإجلالا .

وقد يكون من العسير على أيها السادة أن أحدثكم بشىء لاتعرفونه عن عمل المرحوم الدكتور على باشا إبراهيم فى المجمع اللغوى ، وعن مركزه المتين فيه ، وعن الخسارة الكبرى التى أصابته بفقده ، ذلك لأننى كنت بعيداً عن المجمع لا أعرف من شئونه إلا القليل ، على حين أنكم جميعاً كنتم متقاربين يصل بينكم وبينه عمل مشترك ، وتربط بعضكم ببعض غاية واحدة فى ميدان البحث الحر الطليق . وفى الحق أن معرفتى الوثيقة بالمرحوم الدكتور على باشا إبراهيم لم تكن تتعلق بالجانب الذى يمس منه المجمع اللغوى بقدر ما كانت تتعلق بالجوانب الأخرى منه ، فقد عرفته جراحاً حاذقاً ، وطبيباً مداوياً ، وشهدت منه عن تجربة وممارسة آيات النبوغ والعبقرية فى فن الطب ، وتكشفت لى جوانب كثيرة من نفسه الكبيرة ، وعلمه الواسع ، وأدبه الغزير ، مع الإخلاص وحب البر والإحسان .

وعرفت المرحوم الدكتور على باشا إبراهيم فى كثير من مناحى الحياة العامة الأخرى ... عرفته وزيراً ، وعرفته عضواً فى مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية ، وقد وجدته حيثما عرفته مثلا فريداً فى الألمعية ودماثة الخلق وحسن المعاملة ، ووجدته فى جميع حالاته راضياً مرضياً ، نشيطاً مصلحاً ، وإماماً مقدماً ، له فى كل المواطن أثر محمود وذكرى خالدة .

على أننى أشعر شعوراً قوياً بأن المرحوم على باشا إبراهيم كان يحل فى المجمع اللغوى محلا ممتازاً ، ويسد فراغاً كبيراً ، وأنه كان لساناً ناطقاً وداعية من دعاة الإصلاح فى اللغة العربية ، كما كان مثلا صادقاً للعمل المثمر فى

هذا المجال . ذلك أنى وجدته حيثما التقيت به فى أى ميدان من ميادين الفكر والعمل موفور النشاط جم الذكاء مخلصاً إلى أقصى حدود الإخلاص راغباً أصدق الرغبة فى الإصلاح ، ووجدته حيثما التقيت به موفق الرأى مسدد الخطا فى كل مايتجه إليه . وماعلمت أن التوفيق خانه يوماً من الأيام ، حتى ملأ اسمه الأسماع ، وطبق ذكره الخافقين ، وصدق قول أحمد شوقى فيه :

تنكر الأرض عليه جسمه
واسمه أعظم منها دورانا

رحمه الله رحمة واسعة وأنزله منازل المصطفين الأخيار .

والآن أتوجه — أيها السادة — بأطيب الثناء وأصدق الحمد إلى مجمعكم هذا الذى حبوتمونى بالقبول فيه غبطة لاتدانيها فى نظرى غبطة ، وقلدتمونى شرفاً لايعلو عليه شرف .

وفى الحق إنى لا أستطيع أن أكافئ نعمة إخوانى الذين فكروا فى ترشيحى والذين سبقوا إليه ، والذين أيدوا ونصروا . وإنى لأشد عجزاً عن مكافأة هذه التحية الكريمة التى استقبلنى بها صديقى الحميم الأستاذ عبد الوهاب خلاف ، وإن كنت أجده غلب فيها جانب الصداقة الخالصة ونظر إلى فيها بعين الرضا لايشوبه سخط .

* * *

حضرات السادة :

يملأ قلبى — وأنا أستقبل باسم الله وتوفيقه العمل معكم — بفيض قوى من الانشراح والرضا ، ولكأنكم قد رددتم على بعض مافات من أيام الفتوة والشباب ، وعدتم بى إلى منزلى الأول الذى هو كما يقول الشاعر موضع الحنين أبداً . ولكأنكم رجعتم بى إلى مرحلة من مراحل الحياة السعيدة قد جاوزتها منذ ثلاثين عاماً أو تزيد وظننتها لاتعود .

تلك هى أولى مراحلى فى الحياة ، يوم أن أتممت دراستى فى الأزهر فأقبلت على البحث فى اللغة العربية وآدابها ، مدفوعاً بآمال كانت تجيش فى صدرى ، وخواطر تنازع وجدانى وكان ذلك مما طوع لى أن أتصدى — على حداثة السن وقرب العهد بتلقى العلم — لتدريس علم البيان وآداب العربية فى الجامع الأزهر .

ولم أكد أبدأ العمل فى هذه الدروس حتى أخذت تتفتح أمام ناظرى أبواب شتى من مباحث اللغة العربية وجدتها محتاجة إلى معاودة النظر وإمعان الفكر ، وبدت لى مشكلات كثيرة يعوزها التحقيق وينقصها البحث ، ولقد توجهت يومئذ بكل ما أملك من نشاط ومن قوة واستعداد إلى التفرغ لهذه المباحث والانصراف إلى درسها وتفحصها . وكان ذلك فى ظنى هو الغرض الأول يومئذ من حياتى والمقصد الأسمى الذى أعمل له .

ولقد بذلت جهداً غير قليل فى البحث والدرس ، وكنت جد سعيد باحتمال التعب فى ذلك وبذل الجهد فيه ، لأنه كان عملا يلائم نزعاتى الفطرية ، تهواه النفس وتميل إليه إذ كان هواية علقتها منذ باكورة الحياة .

كانت بعض هذه المشكلات التى شغلنى البحث فيما تتصل بعلم النحو وما استنبطه علماؤه من قواعد لضبط ما اختصت به اللغة العربية من تغير أواخر الكلمات وسموه إعراباً وبناء ، إذ شعرت بأن فى تلك القواعد كثيراً من التكلف جعلها معقدة ، ومتعسرة . وحدثتنى النفس أيامئذ بأنه لايبعد على من يواصل البحث ويواتيه توفيق الله أن يهتدى إلى استنباط قواعد جديدة للنحو العربى تكون أحسن ضبطاً وأقرب تناولا ، وكان لهذا الخاطر صدى يتردد بينى وبين خلصائى من قبل أن نعلم بما سبقنا إليه فى هذا الباب ابن مضاء الأندلسى وغيره ، ولعل تلك الأصداء ظلت تتجاوب فى صدورنا حتى أعلنت عن نفسها فى كتاب إحياء النحو لصديقى الأستاذ إبراهيم مصطفى عميد كلية دار العلوم الذى كان له فضل السبق فخطا تلك الخطوة الموفقة ومازلت أرجو أن يتبعها هو وغيره بخطوات أخرى مسددة .

هنالك مشكلات غير تلك سنحت لى يومئذ ، ولعلها كانت أهم ماشغل خاطرى واستنفد جهدى ، ولم تكن تتصل اتصالا قريباً بعلم النحو بل كانت تتصل بهذا الفرع من آداب اللغة العربية الذى سموه علوم البلاغة إذ قد وجدت علماء هذا الفن لايختلفون فى أن الغرض الأول والغاية الأخيرة له من علوم البلاغة إنما هو اكتشاف الوسائل التى بها يستطيع المتكلم أن يختار الطريقة التى تجعل كلامه فصيحاً بليغاً أى مطابقاً للغرض وحالا فى موضعه اللائق به ، ومصيباً لموقعه الذى يرمى إليه ، وذلك هو معنى قولهم فى تعريف البلاغة إنهـا مطابقة الكلام لمقتضى الحال . هذا القدر الذى اتفقوا عليه فى تحديد معنى البلاغة وغايتها صحيح من غير شك ولامجال لنقضه أو الانتقاص منه على مانرى .

ولكن لاحظنا أن أولئك العلماء قد انصرفوا منذ العصور الأولى إلى البحث عن هذه الوسائل التى تجعل الكلام بليغاً مستحسناً وعذباً سائغاً . وقد أبلوا فى ذلك بلاء حسناً . وتتابعت العصور فإذا مباحثهم قد انتهت إلى ماتعرفون من أن سر البلاغة قد وقف عند أبواب علم المعانى والبيان والبديع تلك الأبواب التى نعرفها فى الخبر والإنشاء والفصل والوصل ، والإيجاز والإطناب والمساواة ، والذكر والحذف ، وفى المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية وفى ألوان من المحسنات المعنوية واللفظية من تورية وطباق وجناس وحسن تعليل وغيرها .

وجدت أن علماء البلاغة قد قصروا بهذا الوضع نظرهم فى مباحث البلاغة وفى معرفة أسرارها على ما انتهى إليه الأمر فى هذا الفن عند الإمام عبد القاهر الجرجانى إلا ما استحدث بعده من بعض أنواع البديع ومن بعض مباحث أخرى ليس فيها غناء ولا لوجودها قيمة فنية فى هذا المجال ، ولا أحسبهم إلا قد ظنوا أن الكلمة الأخيرة قد قيلت فى هذا الفن ولم يبق بعد ماقالوه بحث لباحث ولا زيادة لمستزيد.

واعتقدت يومئذ ومازلت أعتقد أن بلاغة الكلام وحسنه وروعته لاتنحصر أسرارها فى تلك الأبواب ولاتقف عند الحدود التى انتهى إليها بحثهم .

ولم يخامرني شك في أن هذه الأبواب التي انتهوا إليها عاجزة عن أن تصور لعقولنا المعنى الحقيقي لبلاغة الكلام وحسنه ، وأن تكشف أمام عيوننا الأسرار الصحيحة لبليغ القول ورائعه .

ونحن لانعجز أن نجد في كلام علماء البلاغة أنفسهم شواهد تنطق بأنهم كانوا كثيراً مايقفون مبهوتين أمام آية من القرآن الكريم أو بيت من الشعر أو جملة من النثر . يحاولون أن يردوا وجه البلاغة والروعة فيها إلى باب من أبواب البلاغة المعروفة عندهم فلا يستقيم ذلك لهم إلا على ضرب من التعسف والالتواء وعلى طريقة فيها كثير من الغموض والإبهام ، يكاد الحرج يملأ صدورهم وهم يصورون ما بأنفسهم من وجدان أحسوه وأعجزهم الحال عن تصويره .

ولعل الإمام الجاحظ كان يحوم حول هذا المعنى الذي أشرنا إليه حينما وقف أمام تلك الكلمة المشهورة « روائع الجنة في الشباب » وبهره مافيها من جمال وإحسان ، فقال : إن هاهنا معنى كمعنى الطرب تدركه النفس ولاتحيط به العبارة .

وانظروا إلى مايقوله ابن قتيبة الدينوري عن الروعة التي تلقاك في قول الشاعر :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسحُ
وشدت على حدب المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطي الأباطح

فإنه لم يستطع أن يذكر لهذه الروعة وجهاً إلا أن يقول :

إن هذه الألفاظ أحسن شيء مطالع ومخارج ومقاطع اهـ .

وهذا كلام لا محصول له ولا ينقع في هذا المقام غليلا .

ومثل ذلك كثير تلقاه في كلام عبد القاهر الجرجاني وهو يصول ويجول في معارض البيان ، فتراه يقول مثلا : ومن بديع النظم قول الأول ، وتمثل به أبو بكر الصديق رضوان الله عليه حين أتاه كتاب خالد بالفتح وهزيمة الأعاجم :

تمنانا ليلقانا بقوم
تخال بياض لأمهم السرابا
فقد لاقيتنا فرأيت حرباً
عواناً تمنع الشيخ الشرابا

انظر إلى موضع الفاء في قوله « فقد لاقيتنا فرأيت حرباً اهـ.

وهذا كلام إن كان له معنى فمعناه أن البلاغة في هذين البيتين إنما تقع في البيت الثاني فقط دون الأول ، وفي الفاء الأولى أو الثانية من هذا البيت دون سائره .

ويقول عبد القاهر بعد ذلك في قول ابن الدمينة :

أبيني أفي يمنى يديك جعلتني
فأفرح أم صيرتني في شمالك
أبيت كأني بين شقين من عصا
حذار الردى أو خشية من زيالك
تعاللت كي أشجى ومابك علة
تريدين قتلي ، قد ظفرت بذلك

انظر إلى هـــذا الفصل والاستئناف فى تريدين قتلى ، قد ظفرت بذلك . اهـ .

وهذا الكلام إن كان له معنى فمعناه أن البلاغة فى هذه الأبيات لم تجئ إلا من الشطر الأخير فيها . ويكاد يشط بنا الحديث إن نحن أردنا أن نسترسل فى بيان هذا الذى أردنا أن نقوله من أن البلاغة فى أكثر صورها خارجة عن الأبواب التى اقتصرت عليها فنون البلاغة.

لقد يكفيكم فى الحكم أن تفكروا فى تلك الآيات الكريمة التى هزت مواطن الإعجاب من نفس تلك الفتاة البدوية الساذجة ، وهى قوله تعالى :

« وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً . إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين. وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك ، لاتقتلوه ، عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لايشعرون ، وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ، إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ، وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لايشعرون ، وحرمنا عليه المراضع من قبل ، فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ، فرددناه إلى أمه ، كى تقر عينها ولاتحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لايعلمون » .

أظنكم تتفقون معى — رغم ماحاوله بعض علماء البلاغة فى هذه الآيات وأمثالها — على أن أكثر مقاييس الروعة فيها خارجة عن الأبواب التى قررها علماء البيان .

ولابد أن نقف هنا لنستطرد استطراداً قليلا . إذ نخشى أن يتبادر إلى بعض الأذهان أننا نريد من قريب أو من بعيد أن نغمط قدر علماء البلاغة السابقين أو أن نحط من جلال هذا البناء الذى شيدوه . لذلك نقرر فى صراحة ليس فيها مواربة ولا محاباة أن أولئك السابقين قد بذلوا أقصى مايحتمله جهدهم فى الكشف عن معانى البلاغة وأسرارها . وأنهم قد وفقوا إلى اكتشاف دفائن وكنوز لم يكن من اليسير أن يهتدى إليها الا من استندوا إلى علم غزير وعزيمة قوية وتوفيق من الله كثير . وإن علماءنا رضى الله عنهم قد أقاموا لفنون البلاغة بناء قوياً متيناً إن كانوا لم يصلوا به إلى التمام فلاشك أنهم وضعوا به أساساً صالحاً كل الصلاح لأن تقام عليه صروح كاملة عالية لهذا الفن .

والواقع أن الذى يريد أن يستوفى البحث فى فنون البلاغة وأن يشارف حد الكمال فيها لابد له من أن يبدأ أولا باستيعاب تلك المباحث والأبواب التى وضعها المتقدمون فأحسنوا وضعها وأحكموا ترتيبها . فإذا ماتم له ذلك وجب عليه أن يمد نظره إلى ميدان آخر وراء ذلك ينقل إليه البحث والتنقيب .

يجب على من يريد أن يستوفى هذا البحث

أن يتجه إلى البحث والتنقيب فى فنون البلاغة وأسرارها فى غير لغة العرب أيضاً وعند العلماء الباحثين من غير علماء العربية .

يجب على من يتصدى للبحث فى هذا الفن أن يعتبر أن البلاغة العربية ليست حقيقة مستقلة متميزة بذاتها وإنما هى صنف يندرج تحت نوع البلاغة العامة التى تشمل البلاغة العربية كما تشمل البلاغة فى سائر اللغات .

ولعله من اليسير أن تتفقوا معى على أن البلاغة فى معناها العام فن واسع المدى سعة النفس الإنسانية . وأنه إذا كان هناك من أوجه البلاغة ما يختص بالعربية أو تختص به لغة بعينها فإنه يجب من غير شك أن تكون هنالك أوجه أخرى للبلاغة يشترك فيها العربى وغير العربى على نحو ما نجده فى الفنون الجميلة التى تتوارد على إدراك جمالها والتأثر بها أمم مختلفة ، ثم لا يمنع ذلك من أن يكون لكل أمة خصوصية تتيح لها حظاً مخصوصاً من إدراك الجمال فيها.

وما يمنعنا من ذلك ونحن نعلم يقيناً أن كل لغة من اللغات تعرف البلاغة وينشدها المتكلمون بها وليس أهل فارس ولا أمم الرومان واليونان ولا الشعوب اللاتينية والإنجليزية بأقل شغفاً بالبلاغة وإدراكاً لها وتأثراً بها من الأمة العربية ؟

ومما يسترعى النظر أن علماءنا حين أرادوا تعريف البلاغة جاءوا لها بتعريف ينطبق على البلاغة العربية كما ينطبق على غيرها من اللغات إذ البلاغة عندهم — كما قلنا — هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال . وقد عرفنا أن معنى ذلك وضع الكلام فى موضعه اللائق به وإحلاله المحل الذى ينبغى أن يحله . ولاشك أن ذلك يصدق على بلاغة الكلام العربى كما يصدق على بلاغة الأعجمى سواء بسواء .

أضف إلى ذلك أن أكثر الأبواب التى بنى عليها علماؤنا فنون البلاغة يمكن أيضاً أن تنطبق على سائر اللغات غير العربية . فأبواب التشبيه والمجاز وكثير من أبواب الاستعارة ، وأبواب الإيجاز والإطناب والمساواة ، وأبواب القصر ، وأبواب الفصل والوصل ، وأبواب الخبر والإنشاء ، وكثير من أنواع البديع ، كل أولئك موجود كذلك فى اللغات الأخرى.

ولاشك أننا إذا فتشنا فى مباحث علماء البلاغة فى اللغات الأخرى سنجد عندهم شيئاً ذا قيمة ينفعنا فى هذا المقام .

أخشى أن يثير هذا الكلام ثائرة طائفتين تتنازعان فى أن علماءنا السابقين قد وقفوا على ما عند غير الأمم العربية من مباحث البلاغة أم فاتهم أن يقفوا عليه . سيقول أناس إن مباحث البلاغة التى وضعها علماؤنا مستمدة من مباحث البلاغة عند بعض الأمم الأعجمية خصوصاً اليونان والفرس وسيكون من حجتهم على ذلك بعض ما سبقت الإشارة إليه من تشابه كبير فى تقاسيم هذا الفن وتبويبه .

وسيقول آخرون إن علماءنا السابقين رضى الله عنهم قد نظروا إلى علوم البلاغة

على أنها فن خاص باللغة العربية وحدها ومقصور عليها ومشتق منها وستكون حجتهم على ذلك أن هذه المباحث كانت تقوم فى ذهنهم إلى حد كبير على أساس دينى هو الكشف عن أسرار إعجاز القرآن الكريم . وذلك كاف فى أن يرد نظرهم إلى حدود البلاغة القرآنية التى يحسبونها بلاغة عربية خالصة لاينبغى أن يذهب النظر بعيداً عنها .

وستقوم مذاهب أخرى حول هذين المذهبين يتردد أمرها بين الإفراط والتفريط

أيها السادة :

لانريد أن نقف عند هذا النزاع ولا أن ننتصر لرأى دون رأى ، فهو نزاع لايعنينا الآن ، وسواء علينا أكان علماؤنا السابقون قد عرفوا فنون البلاغة عند الأمم غير العربية أم لم يعرفوها واقتبسوا شيئاً من علماء الأعاجم أم لم يقتبسوا ، وسواء علينا أكان فن البلاغة العربية عربياً خالصاً أم أعجمياً خالصاً أم خليطاً من هذا وذاك ، فلا ريب على أى حال فى أنه يجب على من يريد أن يواصل البحث فى البلاغة العربية أن يتجه إلى دراسة التطورات التى استحدثها علماء الأعاجم فى تلك الفنون ومزجها بما وضعه علماء البلاغة عند العرب عسى أن يتألف من هذا المزيج خلق سوى وصورة للبلاغة تامة .

هناك شىء آخر هو أن البلاغة فى أكمل صورها — قديمها وحديثها عربيها وأعجميها — ليست إلا ذوقا يعرف به صاحبه كيف يصل إلى غرضه من نفس مخاطبه وكيف يدير معه الكلام ليصل بالحسنى إلى التأثير فيه ... هذا الذوق الذى عجز العلماء عن تحديده وعن طرق الوصول إليه ، ومن أجل ذلك قالوا إنه ليس فى الكتب ، هو أيضاً من أهم وسائل البلاغة .

وإذا استطاع العلم الحديث يوماً من الأيام أن يكشف عن حقيقته ووسائله ورسم حدوده فإنا نرجو أن يكون ذلك فتحاً فى علوم البلاغة كبيراً .

وقد يكون لهذا العلم الحديث الذى لاتزال مباحثه عند علماء الأعاجم فى دور التكوين — ويسمونه علم النفس — عمل محمود فى الكشف عن كثير من هذه المباحث وجعلها فى متناول علماء البلاغة ويومئذ نستطيع أن نقيس بلاغة الكلام بمقاييس دقيقة مضبوطة فنعرف لكل كلام قدره ومنزلته من البلاغة فلا يختلط علينا الأمر وتتفرق بنا السبل .

هــذه — أيهــا السادة — بعض الخواطر والأحلام كانت تتوارد على فكرى منذ جيل مضى ، تتراءى أمام ناظرى ، وكانت محبوبة جذابة ، استهوتنى حينا ، وشغلتنى حقبة من الدهر ثم تولت عنى وأعرضت حين وجدت يد الأقدار تصرفنى إلى وجهات فى الحياة جديدة ، وتدفع بى فى جهات مختلفة وتنتقل بى بين منازل نائية .

والآن حين تفضلتم مشكورين بقبولى فى هذا المجمع العظيم أشعر وأنا أبتدئ العمل معكم

فيه بأن شيئاً يشبه هذه الأطياف الجميلة التى كانت أول ما استوعبه النظر وعلق به الخاطر وتفتحت له أبواب القلب ، قد عاد يتراءى أمامى ، يداعبنى من جديد ويحيى فى نفسى وثبات الشباب ومطامحه .

أيها السادة :

لست أزعم أننى حققت فيما مضى شيئاً من هذه المطامح ولا أننى أدركت فى مبحث منها بعض ماتطمئن إليه النفس وتقرّ به العين وما أحسبنى أطمع فى شىء من ذلك اليوم . وبحسبى أن أنفض هذه النزعات التى تجيش فى صدرى وأن أعلن أمرها إليكم لعلها تجد فى تلك البيئة الكريمة وفى هذا المكان الأمين مجالا رحيباً ورعاية طيبة لدراستها وتمحيصها وعسى أن يكون لى فى هذا المجال حظ ضئيل من المشاركة والمعاونة .

ولست أظن أن أحداً يرتاب فى أن هذه المباحث ومايتصل بها مرتبطة أوثق الارتباط بصميم اللغة العربية ، وأنها ذات أثر بعيد فى العمل على سلامتها وجعلها ملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وأنها لذلك داخلة فى أغراض هذا المجمع بل لعلها أجدر بأن تكون من أغراضه فى المنزلة الأولى . وإنى لأرجو أن يكون قد آن لهذه المباحث وأشباهها أن تلقى فى مجمعكم العظيم مقاماً يليق بها وأن تتولاها بالعناية البالغة يدكم القوية بعقولكم الكبيرة ونظراتكم النفاذة وعلومكم الواسعة فتسدوا إلى اللغة العربية وبلاغتها أحسن مايمكن أن يساعد على سلامتها ونمائها وخلودها إن شاء الله .

أيها السادة :

أكرر القول بأن ماشرفتمونى به هو أعز عندى من أكثر ماوجدت فى حياتى ولكأنكم قد رددتمونى إلى منزلى الأول وهيأتم لى أن أتمثل بقول الشاعر :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى
كما قر عيناً بالإياب المسافر

فأكرر لكم الشكر وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً لخدمة اللغة العربية خدمة صادقة يرضى عنها الله جلّ شأنه ويرضى عنها أهل اللغة العربية أجمعين .

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد

فى استقبال حضرة العضو المحترم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى

كان من حظى أن وكل إلى إلقاء هذه الكلمة فى استقبال صديقى القديم ، وزميلى الجديد فى المجمع : الأديب الشاعر الناثر الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى .

ولكن ليس من حقى أن أسميها كلمة تقديم ، فإن المازنى مقدم متقدم ، له من بحوثه وقصائده ومقالاته وقصصه ، رسل شتى تتقدم به إلى كل مكان تصل إليه لغة الضاد .

وليس من حقى أن أسميها كلمة تعريف ، لإنى لو ذهبت أعرف الناس بالمازنى ، لم آمن أن أسمع من العالم العربى كله ، كلمة يستعيرها من الفرزدق ، ليقول لى : العرب تعرف من عرفت . فلا حاجة بالمازنى إلى تعريف .

لكننى أستطيع أن أقول عن المازنى شيئاً جديداً فيما يتصل بى ، وشيئاً طريفاً فيما يتصل بالمجمع ، لأن صلة المازنى بالمجمع صلة سابقة من جهة أعماله وجهوده ، وإن طرأت عليها الطرافة من جهة انتظامه بين أعضائه ، فى العهد الأخير .

• • •

عرفت المازنى منذ نيف وثلاثين سنة ، أى منذ جيل كامل فى عصر النهضة الحديثة ، وقعت فيه حربان عالميتان ، وشجرت فيه حروب لاعداد لها فى ميادين الأدب أو الثقافة أو السياسة ، ولم نكن فى تلك الميادين على انتهاء دائم إلى صف واحد ، ولكننى راض ومغتبط بأن أقول : إنه كان لسماحته وحسن تقدير الفوارق بين اختلاف الآراء ، واختلاف العقول والطباع ، فضل مشكور فى بقاء هذه الصداقة التى أعزها وأعتز بها ، ويسرنى أن تصبح من الصداقات النادرة فى تاريخ الآداب العربية الحديث .

• • •

كان المازنى طالباً بمدرسة المعلمين العليا ، يكتب فى صحيفة الدستور التى كنت أشترك فى تحريرها ، ثم عرفته فيما يصح أن نسميه بمدرسة « البيان » ... وهو اسم المجلة التى كان يصدرها الأديب البليغ الأستاذ « عبد الرحمن البرقوق » رحمه الله ، وكان يكتب فيها نخبة من ناشئة تلك الفترة ، شيوخ هذا الجيل : أمثال محمد السباعى ، ومحمد حسين هيكل ، وعبدالرحمن شكرى . وكنا نزاملهم فى كتابة فصول المجلة. فكنا نتلاقى على مائدة الأدب والمطالعة : نقرأ ابن الرومى ونعارضه ، ونقرأ الجاحظ والشريف الرضى ونختلف فيهما ، ونقرأ وليام هازليت ناقد الإنجليز الأكبر ونرفعه مكانا علياً فوق زمرة النقاد العالميين ، ولا نسمع بشاعر أو كاتب من أعلام الأدب والفكر فى اللغات الأجنبية إلا ذهبنا نلاحقه ونطارده فى كل مايصل إلينا من كتبه . ثم نقتسم نصيبنا منه بالمذاكرة والمشاورة ، كما نقتسمه بالمنازعة والمشاجرة فى أحايين .

ولست أنوى أن أفصل تاريخ هذه الشركة الأدبية ، فإن تاريخها قد أصبح فى ذمة الصحف والأوراق ، وفى ذمة الذين اطلعوا على تلك الصحف والأوراق .

ولكننى أذكر بعد ذلك أننى عرفت المازنى معلماً كما عرفته قارئاً وكاتباً وطالباً ، وزاملته فى التعليم كما زاملته فى التلمذة على فحول الأدباء ... ومن إخواننا فى المجمع من عرفوه كما عرفته فى تلك الأيام ، فلعلهم يذكرون شيئاً مما أذكره فى هذا الساق ، ويستطيعون أن يزيدوا عليه ويتمموه بما علموه .

• • •

إن الطلاب — كما تعلمون حضراتكم —

يمتحنون أساتذتهم قبل أن يعلمهم الأساتذة وقبل أن يمتحنوهم من باب أولى .

ولعلى لا أبخس الأساتذة حقهم إذا قلت : إن هؤلاء الطلاب الشياطين أخبر بفنون هذا الامتحان من كل أستاذ خبير ، لأنهم يمتحنون الأستاذ فى كل شىء ، ولا يقصرون امتحانهم على مادة العلم أو برامج الدراسة : يمتحنونهم فى مقدرة العقل ، وفى مقدرة الخلق ، وفى مقدرة التصرف والتنظيم .

وقد امتحن أخونا المازنى فى كل مدرسة تولى التعليم فيها ، فخرج من كل امتحان ناجحاً موفقاً ، أتم نجاح وتوفيق .

والمازنى كما ترونه اليوم ، هو المازنى كما رأيناه قبل نيف وثلاثين سنة : عيناً بعين ، وقداً بقد ، وإن لم يكن سناً بسن على معنى الحقبة من الدهر . فلم يختلف فيه إلا ابيضاض الشعر ، وشىء من التجعيد فى موضع النضارة والاستواء .

فلما فوجئ التلاميذ برؤيته ، أعدوا له ورقة الامتحان من الوهلة الأولى ، وتساءلوا : ماذا عسى أن يصنع هذا الأستاذ النحيل القليل فى هذا الامتحان العسير الجليل ؟ واختلسوا من حيث لا أدرى قليلا من حمض لعله حمض « الهيدروكلوريك » Hydrochloric Acid وهو حمض يكظم الأنفاس ويطلق السعال والعطاس . فوزعوه على الدويات فى جوانب الحجرة ليضيع الدم جباراً بين المتهمين فيه .

ودخل أخونا المازنى الفصل كما نسميه . فشم رائحة الفأر كما يقول الإنجليز فى أمثالهم – Smelt a rat – وعرف ماينتظره التلاميذ وفعل مالم ينتظروه .

عرف أنهم ينتظرون أن تضيع الحصة فى السؤال والجواب ، وفى الاتهام والإحالة ، وفى السخرية التى يخرجون منها بصفقة الرابح ويخرج منها الأستاذ بصفقة المغبون .

ولكنه لم يصنع شيئاً من ذلك ، ولم يخطر له أن يصنعه .

لم يسأل ولم يتهم ، ولم يبد عليه أنه توجس أمراً أو أحس مايستحق السؤال ، ولكنه عمد إلى نوافذ الحجرة المفتوحة فأغلقها ، وقصد إلى مكانه فاستوى عليه ، ومضى فى درسه كأنه فى حديقة من حدائق الأزهار والرياحين .

وتتابع السعال ، وتلاحق العطاس ، واشتد التأفف ، ونفد صبر التلاميذ قبل أن ينفد صبر الأستاذ ، واستغاثوا به متوسلين أن يفتح النوافذ ، أو يفتح نافذة واحدة ... فكان يجيبهم بأنه البرد ... سعال البرد أو عطاس البرد ... وقد يزيده تيار الهواء . فمن الخير أن تحتملوه ولاتتعرضوا معه للهواء .

ولم يمتحن معدن بحمض من الأحماض ، كما امتحن معدن المازنى بذلك الحمض الكريه . فعلم الممتحنون أنه امتحان كاف ، فلا حاجة بهم بعده إلى تكراره ، ولو احتاج الامتحان إلى بقية باقية لما كرروه . وقد ظفر المازنى

بعد المعركة باسم عسكرى أضفاه عليه تلاميذه وجنوده : وهو اسم « تيمورلنك » ... مستمدين التسمية من مادة التاريخ التى كان يدرسها ، ومن ذلك الجبروت الذى خبروه .

ومن حق المازنى أن أقول : إن نجاحه فى تجاربه قد أفادنى فى زمالته . فكنا نمشى معاً، ونهبط الدرج معا ، ولا أكتمكم أنه منظر يغرى الكبار المتوقرين بالابتسام ، فضلا عن الصغار اللاعبين ، ولكنهم كانوا يغضون عنا، ولايذكروننا بأسمائنا وإنما يتساءلون : هل جاء العشرة ؟ هل خرج العشرة ؟ فإن قيل لهم: نعم خرجوا ، قالوا : الحمد لله !

على أنى أظلم صديقى إذا عزوت مهابته فى التدريس إلى حضور ذهنه وحسن تصرفه وقدرته على نفسه دون غيرها من أدوات التعليم . فقد كان — كما عرفه زملاؤه وتلاميذه — معلماً كامل الأداة ، وربما كان التمكن فى المادة والسرعة فى التحضير أكمل ما فى هذه الأداة.

كان — كما قدمت — يعلم دروس التاريخ فى المدارس الثانوية ، وكان تعليمها بالعربية حديثاً ، وكتبها المقررة لاتغنى عن المراجعة والتلخيص من المصادر الكبرى ، وكان وقت المعلم مزدحماً بالحصص فى اليوم الواحد . فرأينا المازنى يجلس إلى مكتبه : أمامه المرجع الإنجليزى الضخم فى مجلد أو مجلدات ؛ وفى يده القلم ، وبين يديه ورق الآلة الناسخة التى تعرف بالرونيو . فينظر إلى المجلد ، ويترجم مايقرأه فيه ، ويلخصه لنفسه ، ويكتبه بالعربية الفصحى ، ويرسله إلى المطبعة فى وقت واحد فإذا هو بعد هنيهة مذكرات وافية موزعة على التلاميذ .

وأظن أن زميلنا الفاضل — الأستاذ فريد أبو حديد — يذكر هذا كما أذكره ، لأنه كان صاحب المكتب الذى يواجه المازنى ، وكنت صاحب المكتب الذى يليه .

* * *

وأحسب أنى قد استطردت الآن إلى الجانب الذى يتصل بالمجمع من أعمال عضوه الجديد . وهو جانب التمكن من اللغة فى الترجمة والتعبير .

ولست أغلو — ولا أحجم عن التحدى — إذا قلت : إننى لا أعرف فيما عرفت من ترجمات النظم والنثر — أديباً واحداً يفوق المازنى فى الترجمة من لغة إلى لغة ، ويملك هذه القدرة شعراً كما يملكها نثراً ، ويجيد منها اللفظ كما يجيد المعنى والنسق والطلاوة، وقد يغنى التمثيل هنا عن الإفاضة فى الدليل .

فهذه أمثلة لذلك كله من ترجمته لبعض رباعيات الخيام ، وهى مما ترجمه فى سويعات معدودات . ولايخفى أن التمكن من اللغة عمل لايدل عليه شيء كما تدل عليه الترجمة ، لأن المنشئ مطلق فى تفكيره وتعبيره . أما المترجم فله قيود من كلام المنشئ الأصيل ، فلولاقدرة عنده على التصرف بالمعانى والكلمات ، لما استطاع التوفيق بين كلامه وفكر غيره فى هذه القيود . وهذا الذى نراه فى ترجمة المازنى للخيام .

يقول الخيام أو يقول المازنى :

هذه رقعة شطرنج الفضاء
ولها لونان : صبح ومساء
لنقل الخطو بها كيف نشاء
ثم تطوينا صناديق الفناء

• • •

ويقول الخيام أو يقول المازنى :

أبداً يسطر ماشاء القلم
ثم يمضى – نافذ الحكم أصم
ليس يمحو نصف سطر ورع
لا ولا يغسله دمع سجم

• • •

ويقول الخيام أو يقول المازنى :

كرة تذهب فى كل اتجاه
مالها إلا الذى شاء الرماه
إن من ألقاك فى ميدانه
هو يدرى. هو يدرى. لاسواه

• • •

ويقول الخيام أو يقول المازنى :

كم بذرنا حكمة العقل سواء
وتعهدت يكفىّ النماء
وتأمل : ها حصادى كله
جئتُ كالماء ، وأمضى كالهواء

• • •

ويقولان أصلا ونقلا :

خضت فى عهدى غمار الجدل
وسمعت الشيخ يتلوه الولى
غير أنى كنت ألقى أبداً
مخرجى ، بعد عنائى ، مدخلى

• • •

ويقولان :

ها هنا حسبى من كل الطلاب
زق خمر ، ورغيف وكتاب
وتغنين ، فترتد اليباب
مثل همى من فراديس وغاب

• • •

ويقولان :

هات لى الكأس فما يجدى الفطن
كيف يطوى تحت رجليه الزمن
قد مضى الأمس ، ولم يولد غد
فكفانا اليوم مادام حسن

• • •

وهذه أبيات من الشعر ، نظمت رباعيات وترجمت رباعيات ، وليس فى الترجمة فكرة مقحمة أو عبارة محشوة ، وليس فيها معنى ناقص أو فتور فى روح الشعر ومؤداه . بل تراجعها على الترجمة الإنجليزية فتكاد لاترى هنالك كلمة متأخرة عن موضعها ، إلا فيما يقضى به اختلاف اللغتين ... ولو أراد

فتزجيرالد مترجمها إلى الإنجليزية ، أو أراد الخيام ناظمها بالفارسية ، أن يفرغاها فى قالب عربى ، لما استطاعا فى الطلاوة والسلاسة والدقة والنغمة الموسيقية ، أن يبلغا بها فوق مبلغ المازنى من الإجادة فى كل هذه الحسنات.

* * *

على أن التمكن من اللغة والتعبير ، غرض من الأغراض الكثيرة التى تناط خدمتهابالمجمع اللغوى ، وقد ناط المازنى نفسه بها زمناًطويلا قبلأن يتبوأ مكانه فى المجمع للمثابرة على خدمتها . وقد سبقت له فيها دراسات مستفيضة وكانت دراسته لها أوفرمن كتابته فىموضوعاتها وكانت له فى كل منها مقاطع رأى ترتضيها الكثرة من المشتغلين بهذه الموضوعات .

كتب فى موضوع الحقيقة والمجاز ، فأتى برأى الفيلسوف « لوك » الذى يرى أنالألفاظ جميعاً مأخوذة من عالم الحس ثم يتفرع المجاز عليها . ثم أتى برد الفيلسوف كوزان علىهذا الرأى وهو يقول : " سأورد لفظين أسألكم أن تردوهما إلى أصليهما الدالين على ماهو واقع تحت الحس أولها « أنا » — هذه اللفظة فيما أعلم ليست قابلة أن ترد إلى أصل أو أن تحال إلى عناصر أولية ، وليست دالة على فكرة محسوسة . كذلك لفظ « يكون » أولى ذهنى محض ، ولا أعرف لغة يؤدى فيهالفظ « يكون » بكلمة تعبر عن لفظ محسوس . ومن أجل ذلك لا أرى من الصواب أن الرموز الدالة على مايقع تحت الحس هى أصول اللغة " .

ثم توسع فى الاستشهاد برأى كوزان ، وهو لايمنع أن يكون كثير من المجاز مردوداً إلى المحسوسات ، وعقب على ذلك قائلا : " إنهناك نوعين من المجاز : لفظى وشعرى . فأما اللفظى فذلك الذى ينقل فيه اللفظ إلى أشباه ماوضع له ، كالإشراق مثلا يستعمل للشمس والنار والوجه والمعانى ، وأماالشعرى فنعنى به أن يعمد القائل مثلا إلى الشمس فيجعل لها أيديا يرمز بها للأشعة ، أو للسحب فيسميها جبالا أو يشبهها إذا أمطرت بالاناث فيقول مثلا استحلب الريح السحاب " .

* * *

وعرض الأستاذ المازنى غير مرة للبحث فى التجديد والتقليد ، فقال : « لاننكر ما لدراسة الأدب القديم من النفع والعائدة ، وما للخبرة ببراعات العظماء قديمهم وحديثهم من الفائدة والأثر الجليل فى تربية الروح... على أنه مهما يكن فضل القدماء ومزيتهم فليس ثم مساغ للشك فى أنك لا تستطيع أن تبلغ مبلغهم من طريق الحكاية والتقليد ، فإن الفقير لايغنى بالاقتراض من الموسرين » .

ومن تفريقاته بين الفصاحة والبلاغةالشعرية أنه يوكل البلاغة الشعرية بما يصح أن يناجى به الإنسان نفسه ، وإن كتبه لغيره . ويوكل الفصاحة على العموم بما يجرى به التخاطب بين الناس . ثم يقول : « لعل هذا هو السبب فى أن الأمة الإنجليزية لم تنبغ فى شئ نبوغها فى الشعرالذى يرجع فى مرد أمره إلى الإرادة والعاطفة ، وأن الأمة الفرنسية من أفصح

الأمم ... ذلك أن الشعر عبارة عن الإحساس الذى يعترف به المرء لنفسه ساعة الخلوة بها، ويرمز له بما هو أقرب إلى الصورة التى هو بها فى نفس الشاعر . أما الفصاحة فإحساس كذلك ، ولكنه يصب فى أذهان أخرى ويلقى إليها طلباً لعطفها أو التماساً للتأثير فيها ، أو نشداناً لتحريكها وحفزها إلى العمل » .

* * *

ومن فصوله عن التقليد فى الشعر فصل يثبت أنه « ليس الأصل فى الشعر التقليد والحكاية والطبع على غرار من سبق . إذ لو كان ذلك كذلك لاستوجب أن يظهر الفحول فى آخر العصور ، ولما ظهر أحد منهم فى أولها ، ولكنك ترى الشعر فى جاهلية الأمم وبداوتها كالشعر فى حضارتها : لطف تخيل ودقة معنى » .

* * *

هذه المباحث والآراء وماشاكلها قدشغلت المازنى أكثر مما كتب فيها . وقد كتب فيها أكثر مما اشتغل به أناس من الأدباء ، وقد انتهى إلى أحكام تجمع الصواب إلى سعة الأفق وبعد الروية والأناة . فيصح أن يقال إن المازنى بعمله وعلمه عضو قديم فى مجمع اللغة وإنه بمراسم التعيين عضو فيه جديد .

* * *

ولست أحب أن أختم هذه الكلمة قبل أن أنصف المازنى حيث يحتاج إلى الإنصاف . وهو لايحتاج إلى الإنصاف إلا فى موضع واحد : وهو موضع الكلام عن نفسه .

فلم أر أحداً يجور على المازنى كما يجور المازنى على فضله وقدره . وقد طاب له منذ سنوات أن يدأب على الاستخفاف بعمله والاستخفاف بجدواه . فأنكر على نفسه الشاعرية ، وأنكر غناء مايكتب وينظم وماعسى أن يكتب وينظم . وقد تغنى أسماء كتبه عن الاستشهاد منها بما قاله فى تصغير فضله وقدره ،ومن هذه الأسماء حصاد الهشيم ، وقبض الريح !

وقد غالطته أحياناً فقلت له : إن هذه البدعة منه ضرب من المكر الحسن الذى لايستغرب . كأنه أراد أن ينزل عن مكانه ليجلسه الناس عليه ، وأن يجحد حقه ليثبته له الناس .

ولو كان هذا قصده لكان فى كلامه ماهو أقوى جواب عليه ... وذلك حيث قال فى حصاد الهشيم : « واعلم أنك إذا أنزلت نفسك دون المنزلة التى تستحقها لم يرفعك الناس إليها . بل أغلب الظن أنهم يدفعونك عما هو دونها أيضاً، ويزحزحونك إلى ماهو وراءها . لأن التزاحم على طيبات الحياة شديد ، والجهاد والتنازع لايدعان للعدل والإنصاف مجالا للعمل .. »

فالأرجح أننى غالطته حين استفززته بمثل تلك التهمة البريئة ، وأن حقيقة الأمر فى هذه الخصلة أن المازنى يستخف بعمله ، وبغير عمله أحياناً ،لأنه يستصغر حياة الإنسان فى جانب آماد الخلود ومصاير الأقدار ، ولأنه

ينظر إلى أعلا ولاينظر إلى أدنى ، فيقيس ماعمل بما أراد أن يعمل ، فإذا هو دون ماأراد وإن كان فوق ما أراده عاملون آخرون .

وقد هوّن الخطب على نفسه بسليقة فيه ، عهدتها منذ زمن بعيد ، وهى أنه استطاع أن يقسم « أنانيته » قسمين متلازمين . يسخط أحدهما فيتناوله الآخر بالعبث والتعزية ، ويشمخ الشامخ منهما فيغض منه المطمئن الوادع ، ولا يندر فى كتابته أن تقرأ له دلائل هذه التثنية المباركة ، فيقول أحد المازنيين للآخر : « أهذا الذى ركبه الله لك يامازنى بين كتفيك رأس كرءوس الناس ؟ ... » أو يقول : « هب جيلنا كان آخر جيل . أفتظن أن الدنيا كلها تقضى نحبها من أجل أننا نحن قضينا نحبنا ؟ إذن لاتصوب نظرك يامازنى إلى هذه الحيوانات الصغيرة الساذجة التى تبدو لعينيك إذ تطل من نافذتك ، ولاتبتسم إذ تجتلى مظاهرها كأنك تزدريها أو ترثى لأصحابها الذين لم يقرأوا ما قرأت ولم يعرفوا ماعرفت فإنها حافلة بالمتع والعجائب ، كهذه الكتب التى تعنى بها » .

وقد راقه هذا المعنى فى بعض شعبه فنظمه فى قصيدة من الشعر الجزل يقول منها :

إنى أرانى قد حُلْت وانتسختْ
مع الصبا ســورة من السورِ
وصرت غيرى ، فليس يعرفنى
— إذا رآنى — صباى ذو الطرر
ولو بدا لى لبت أنكره
كأننى لم أكنه فى عمرى
كأننا اثنان ليس يجمعنا
فى العيش إلا تشبث الذكر
مات الفتى المازنى ثم أتى
من مازن غيره على الأثر

فقد اتسع إذن أفق الخلود والمثل الأعلى أمام صديقنا وزميلنا ، فأعد له مازنيين اثنين بدلا من مازنى واحد . وله ولا ريب أن يشغل هذا الأفق الرحيب بما يشاء من أقران وأنداد ، يستمدهم من ذات نفسه الفنية .

ولكننا لا نترك له أن يحكم عليه أو عليهما أو عليهم أجمعين ، فيستأثر فى ذلك بالقول الأخير . إلا أن يكون ذلك القول الأخير على وفاق ما قاله فيه قراؤه وعارفوه ، ويقوله كل منصف فى الحكم والتقدير .

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى

سيدى الرئيس ،

سادتى الأجلاء :

كان بودى أن أرزق فى هــذا الموقف شجاعة ، أو أن أستطيع أن أدع الزهو الطبيعى تأخذنى خفة منه لتشريفكم لى بضمى إلى مجمعكم الموقر ، فأقول « زملائى » . وإن معرفتى بما أوتيتم من الفضل ، ومروءة القلب ، وسعة الخلق ، لتخيّل إلىّ ، لا بل تؤكد لى ، أنه يطيب لكم أن تسمعوا منى هــذا النداء ، ولكنى أشعر بما يشعر به الواقف على عتبة قصر لا عهد له بمثله ، فهو يطرقه متهيباً محاذراً ، ويدخله متردداً متلفتاً ، مقدراً لرجله موضع

الخطو ، داعياً ربه فى سره أن يسّره ولا يفضحه ، وأن يعينه بكرمه ومنّه ، على أن يبدو لأهل القصر ، كأنه منهم وإليهم ، ما عرف إلا القصور ، وخفض الحياة بها ، ونعيم العيش فيها ، فبى حاجة إلى وقت حتى آلف مجمعكم الموقر ، وأروض نفسى — بمعونتكم — على السكون إلى معنى الزمالة ، فإنى كالذى اعتاد الأكل من الصينية ، وهو يجلس القرفصاء ، فحمل فجأة إلى مائدة عصرية ، فهو مضطرب ، متوجس ، يخشى أن يغلط أو يخلط ، وعينه تخالس النظر إلى سواه ، لينظر ما يفعلون فيفعل مثلهم ، ولا يكاد ينطق بحرف ، لقلة ثقته بنفسه ، وإشفاقه من أن يصرفه الكلام عن الملاحظة فيقع فيا ينبغى أن يتقيه ، حتى يعتاد ذلك فيطمئن وتسكن نفسه ، فيرسلها على السجية .

ويزيد الرهبة ، ويضاعف الشعور بالحرج أنكم تفضلتم فشئتم أن أحل محل رجل لامطمع لى فى سد الفراغ الذى تركه ، فتشريفكم لى مضاعف ، ولكن العبء مضاعف كذلك . وأصارحكم بأنى أشعر أنى مظلوم . لو كنتم قلتم اخترناك وضممناك إلينا ، على عيبك وتصورك ، ولنا فيك أمل ، لقلت : قوم أحسنوا الظن ، وإن أسرفوا فى الأمل ، فاستوجبوا منى أن أتحامل على نفسى حتى لا أخيب ظنهم ، أما أن أقوم مقام الشيخ أحمد إبراهيم بك ، عليه ألف رحمة ، وأغنى غناءه ، فهذا هو المحال !

لقد رجعت إلى ما تيسر لى الرجوع إليه من كتبه فى الأيام القليلة الماضية ، فدار رأسى وليس الفقه بابى ، وليست لى فيه مشاركة ، وأعترف فأقول إنه ما كان لى به أيسر علم ، ولكنى بعد أن قرأت عشرة من كتبه ليس إلا ، فإن له أكثر من عشرين ، أحس كأنى أصبحت أهلا لأداء امتحان — بالغا ما بلغ من العسر — فى الفقه جملة وتفصيلا . ولا شك أن هذا منى غرور ، ولكنه لاشك أيضاً فى أن قدرة هذا الأستاذ الجليل على تسهيل الصعب ، وتقريب البعيد ، وعلى الدقة فى التعبير ، مع السلامة التامة ، والوضوح العجيب — أقول إن هذه القدرة التى امتاز بها تغرى القارئ بالغرور .

ومن غريب أمره أنه كان بحر علم زاخر ، ولكن قارئ كتبه يخيل إليه ، أن هذا المحيط الأعظم من العلم ، قد صرّ له فى منديل ، أو استودع أنبوبة صغيرة ، اختزل فيها هذا الأقيانوس اللجى الطامى العباب . ولا عجب ، فإن أسلوبه فى البحث والتناول يجعلك تشعر أن درس الفقه أيسر مطلبا من قراءة القصص .

ويغريك بالعكوف على كتبه ، مزايا له جلية : أولها وأظهرها أنه حبر علامة ثقة ، محيط بالأصـــول والفروع ، لا يغيب عنه أو يفوته شىء من المذاهب المشهورة أو غير المشهورة ، وأنه مع سعة علمه وعظم تبحره ليس بالرجل الذى يكتفى بوفاء التحصيل ، وعظم الإحاطة بل يتخذ من رسوخه فى العلم وسيلة إلى الاجتهاد النافع . فتراه فى كتابه فى « الالتزامات وما يتعلق بها من الأحكام فى الشرع الإسلامى » يقول :

« إن فى نصوص كتاب الله والسنة ، ما يفتح الطريق وينير السبيل ، فى كل زمان ومكان ، لكل فقيه موفق إلى التماس ما فيه الصالح والأصلح ، لتنظيم قوانين شرعية تفى بمطالب الناس فى أمور معايشهم ، وتنظيم علاقاتهم ، وإقامة العدل بينهم . »

وفى كتابه « القصاص فى الشريعة الإسلامية وفى قانون العقوبات المصرى » يقول : « هى الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان ، فليس فى أحكامها جمود ، وطبيعتها تأبى عليها الركود ، إذ ليس فيها من الأحكام الثابتة غير القابلة للتغير إلا بعض القواعد التى لا صلاح للمجتمع إلا بها ، وما عدا ذلك فأحكام تقوم على الاجتهاد ، وتساير الزمن فى تقدمه وتطوره ».

ويؤثر التحرز فيقول بعد ذلك « ولكن على أن يكون فتح باب الاجتهاد بنظام يكفل منع الفوضى التشريعية ، ويجعل الاجتهاد حق الجماعة لا حق الفرد ، فبهذا نتقى ضرر الجمود التشريعى ، ونتقى ضرر الفوضى التى تترتب على ادعاء أى فرد أنه مجتهد ، وأن ما أداه إليه اجتهاده ، حكم دينى » .

ومن مزاياه أيضا ولوعه بالمقارنة ، فهو فى كتابه « طرق الإثبات الشرعية » يبين اختلاف المذاهب الفقهية ، ويوازن بينها ، ثم يعقد مقارنة بينها وبين القانون المصرى ثم يبين ما عليه العمل فى المحاكم الشرعية .

• وفى كتابه « أحكام الهبة والوصية وتصرفات المريض » يعقد مقارنة بين المذاهب الإسلامية .

وفى كتابه « أحكام التصرف عن الغير » يتعرض لمذاهب فقهاء الشريعة مقارنا بعضها ببعض ، ويستطرد إلى ما تناولته القوانين الوضعية عندنا من موضوعات كتابه .

وما بى حاجة إلى الاطلاع على ما أسداه إلى المجمع ، فما أشك فى أن سعة علمه وحرصه على الاجتهاد ، ودقة تتبعه للقوانين الوضعية ، وإخلاصه واستقامة نظره إلى الأمور — كل ذلك لا يدع مجالا للشك فى أنه كان من أكبر أعضاء المجمع نفعا — على الأقل جداً فى وضع المصطلحات القانونية ، والاستمداد من الفقه الإسلامى وقد كان فيه أستاذاً لا يشق له غبار ، وإماما إذا شئتم فما والله فى هذا مبالغة ، وإن الآلاف من تلاميذه الذين يشغلون الآن أرفع المناصب ليشهدون بذلك ويقرون به.

فمن أنا حتى أكون خلفاً لهذا الرجل الجليل الذى عاش ما عاش مثالا للاستقامة فى التفكير ، وفى السلوك ، والذى كان حجة زمانه ، ووحيد أقرانه فى البحث والاجتهاد والذى ما كان يعرف غير البحث والنظر ، والتعمق والغوص ؟

إنه ليس يسعنى إلا أن أهز رأسى آسفا لأنى قد وضعت فى موضع سيظل خاليا وأنا فيه ، وليس هذا عتابا لكم — معاذ الله — ولكنه إعراب عن الشعور بالتبعة وعن صحة التقدير لصاحب المحل الذى خلا ، وعن الضعف والقصور فيمن يخلفه .

ولست أحتاج أن أقول إنى شاكر لسيدى الرئيس ، ولسيدى الأخ الأستاذ العقاد ما قالاه

إجمالا وتفصيلا ، فأما سيدى الرئيس فإنه أستاذ الجيل ، وأول من وسع صدر صحيفته فيما أعتقد ، للمذهب الجديد فى الأدب، وكان الأستاذ العقاد على رأس دعاته ، وكنت من الجنود . وأما الأستاذ العقاد فإنه زميل العمر، وفضله على ، قديما وحديثا ، فوق مايعرف ، أطال الله عمره ، وعمرى أيضا بلا حاجة إلى دعاء : فإن هـــذا مفهوم ضمنا ولكن الاحتياط واجب !

ولست أظن أن هذا المجمع الموقر سيفيد منى شيئاً يستحق الذكر ، وإن كنت أعـــد بالاجتهـــاد مخلصاً ، ولكنى واثق أنى أنـــا سأستفيد من المجمع ، ذلك أن مرحلة التطور الطبيعى السريع للغتنا قد انتهت من زمان طويل بعد أن صارت لها حروف تكتب بها وقواعد مضبوطة ، وقوالب مقررة ، وآداب وعلوم، بل بعد أن نزل بها القرآن الكريم ودوّن حفظ ومتى استقرت قواعد لغة من اللغات ، ودونت وصارت لها آداب ، وكتبت بها العلوم ، فإن من العسير تغيير شىء من قواعدها وأوضاعها ، وقد تختلف طريقة الكتابة ، والهجاء ، والنطق ، وتتسع الألفاظ للتعبير أو تضيق ، غـــير أن طريقة تأليف الكلام على معانى النحو لاتتغير ، وكل ما يمكن أن يحدث هو أن يتسع نطاق اللغة ، أى أن يكثر محصولها اللفظى ، وبتوسع الناس فى المجـــاز والاستعارة ، والاشتقاق ، تبعاً لدرجة الحضارة فى الأمة ، ومن هنا تنشأ الحاجة إلى المجامع اللغوية لتتبع حركة الاتساع ومسايرتها وتزويدها بحاجاتها ومطالبها ، وإن كان هذا لا ينفى الاجتهاد الفـــردى ، بل إن هذا الاجتهاد عون كبير للمجامع .

وأنا رجـــل كاتب ، لا أغمط نفسى ولا أقول إنى لم أجتهد ، فإنى أكتب وأترجم منذ أربعين عاماً ، وأعانى أزم التعبير كل هـــذا الزمن الطويل، ويا ما أكثر ما عجزت فأمسكت على ما فى نفسى ، أو انصرفت عن الترجمة ، والمعقول والطبيعى أن أفيد أنا من جهـــدكم المخلص المشترك ، أضعاف أضعاف ما يمكن أن يرجى أن يؤديه فرد مثلى يخشى جداً أن يقعد به القصور أكثر مما يقعد به القصر!

سيدى الرئيس :

هـــل بى أو بكم حاجة إلى الإعراب عن شكرى ؟ أظن أننا جميعاً فى غنى عن ذلك . والسلام عليكم ، والله يوفقكم ويزيدكم توفيقاً !

قرارات المجمع فى هذه الدورة

القرارات العلميـــة

(١) وصف جمع غير العاقل بصيغة فَعْلاء :

وافق مؤتمر المجمع بعد أن استمع لبحث الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين عضو المجمع عن « وصف جمع غير العاقل بصيغة فَعْلاء » على أنه يجوز وصف غير العاقل بصيغة فعلاء إلى جانب الصيغ الأخرى التى يستسيغها الذوق العربى [١] .

(٢) توهم أصالة الحرف :

استمع المؤتمر لبحث للأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى عنوانه « بين اللغة والنحو » وانتهى بعد المناقشة فيه إلى تقرير أن بعض الكلمات العربية جرت على مبدأ توهم أصالة الحرف [١] .

(٣) جواز النحت :

ألّف مجلس المجمع لجنة من بعض أعضاء المجلس والمؤتمر لبحث موضوع النحت ، وقد عرض بحث اللجنة على المؤتمر فوافق بعد مناقشته على جواز النحت عند ما تلجئ إليه الضرورة العلمية [٢] .

القرارات الإدارية والتنظيمية

(١) انعقاد المؤتمر ومنهاج أعماله :

وافق المجلس على تأليف لجنة من حضرات الأعضاء المحترمين : الدكتور منصور فهمى والأستاذ أحمد أمين والأستاذ على الجارم والدكتور أحمد زكى والدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، يضم إليهم الأستاذ المراقب الإدارى للنظر فى تعيين موعد المؤتمر واقتراح ما يعرض عليه من الأعمال [٢] .

وقد عرضت اللجنة مقترحاتها على المجلس ، فقرر ما يلى :

أولا – يكون موعد افتتاح مؤتمر المجمع يوم الاثنين ١٢ من يناير سنة ١٩٤٨ .

ثانياً – برنامج حفلة الافتتاح :

١ – كلمة وزير المعارف .

٢ – كلمة رئيس المجمع .

٣ – كلمة كاتب سر المجمع .

٤ – موقف الأدب العربى من الآداب الأجنبية فى القديم والحديث : بحث للأستاذ عباس محمود العقاد .

---

(١) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (١٨ من فبراير سنة ١٩٤٨) وانظر نص البحث فى هذا الجزء من ص ٢٥٤ إلى ص ٢٥٦

(٢) الجلسة الأولى للمجلس (٦ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

(١) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (١٨ من فبراير سنة ١٩٤٨) ونص البحث فى الصفحات

(٢) الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر (٢١ من فبراير سنة ١٩٤٨) . انظر نص تقرير اللجنة فى هذا الجزء من ص ٢٠٢ إلى ص ٢٠٥

على أن يتصل حضرة الرئيس بحضرات الأعضاء الشرقيين والمستشرقين عند حضورهم للتفاهم معهم فيما قد يلقون من خطب فى حفلة الافتتاح .

وتقرر أن يكون مكان الحفل قاعة جلسات المؤتمر كما جرت عادة المجمع فى كل عام .

ثالثاً — برنامج أعمال المؤتمر :

(ا) البحوث :

١ — بحث الصلة بين الفصحى واللهجات العامية :

ولجنة دراسته تؤلف من حضرات الأعضاء المحترمين : الأستاذ محمد فريد أبى حديد والأستاذ أحمد العوامرى والشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور إبراهيم بيومى مدكور والأستاذ محمد كرد على والأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب (عند حضورهما) .

٢ — بحث تيسير قواعد الإملاء :

ولجنة دراسته تؤلف من حضرات الأعضاء المحترمين : الأستاذ على الجارم والشيخ محمد الخضر حسين والدكتور منصور فهمى والأستاذ زكى المهندس والأستاذ أحمد أمين ، والأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب (عند حضوره) .

٣ — بحث النحت ومدى الاستفادة منه :

ولجنة دراسته تؤلف من حضرات الأعضاء المحترمين : الشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمود شلتوت والدكتور أحمد زكى والأستاذ مصطفى نظيف والشيخ عبد القادر المغربى (عند حضوره) .

(ب) المحاضرات :

١ — الاصطلاحات العلمية فى اللغة العربية وكيف نشأت :

لحضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم بيومى مدكور .

٢ — جهود المتقدمين فى توسيع اللغة العربية والوسائل التى اتخذوها لذلك :

لحضرة العضو المحترم الدكتور أحمد زكى

٣ — نقل العلوم إلى اللغة العربية :

لحضرة العضو المحترم الأستاذ مصطفى نظيف .

٤ — الاصطلاحات الفقهية :

لحضرة العضو المحترم الشيخ عبد الوهاب خلاف .

٥ — الاصطلاحات الكلامية :

لحضرة العضو المحترم الشيخ محمود شلتوت .

٦ — صلة اللغة العربية بلغات الأمم الإسلامية الأخرى (الفارسية والتركية والأردية) :

لحضرة العضو المحترم الدكتور عبد الوهاب عزام (١) .

ثم اعتذر حضرة العضو المحترم الدكتور أحمد زكى إلى المجلس من إلقاء البحث الذى وكل إلى حضرته إعداده عن جهود المتقدمين فى توسيع اللغة العربية والوسائل التى اتخذوها لذلك

(١) الجلسة الرابعة للمجلس (٣ من نوفبر سنة ١٩٤٧) .

لاتفاق موضوعه مع موضوع البحث الذى انتدب له حضرة العضو المحترم الأستاذ مصطفى نظيف . فوافق المجلس على إعفاء حضرته من هذا البحث(١).

وبعث حضرة العضو المحترم الشيخ محمود شلتوت بكتاب إلى رئيس المجمع يعتذر فيه من إلقاء المحاضرة التى عُهِد إليه إلقاؤها عن المصطلحات الكلامية ؛ فوافق المجلس على قبول اعتذار حضرته (٢).

(٢) أعمال المؤتمر فى الدورة التالية :

اقتُرح عند نظر منهاج أعمال المؤتمر أن تحدَّد موضوعات المؤتمر التالى فى الجلسة الختامية للمؤتمر فى هذه الدورة ، وأن يكون ذلك نظاماً يتبع فى كل عام ؛ فووفق على هذا الاقتراح(٣) . ثم وافق المؤتمر على تأليف لجنة لاستخلاص نتائج أعماله وصوغها فى قرارات ولرسم منهاج العمل فى الدورة القادمة ، من حضرات الأعضاء المحترمين : الدكتور إبراهيم بيومى مذكور ، والأستاذ هـ. ا. ر. جب ، والأستاذ ل. ماسينيون .

وقد أشارت اللجنة فى تلخيصها إلى قرارات المؤتمر فى المسائل التى عرضت عليه ، واقترحت أن يشتمل جدول أعمال الدورة الخامسة عشرة على الموضوعات الآتية :

(١) الجلسة السادسة للمجلس (١٧ من نوفبر سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة الخامسة عشرة للمجلس (١١ من يناير سنة ١٩٤٨) .

(٣) الجلسة الرابعة للمجلس (٣ من نوفبر سنة ١٩٤٧) .

١ — البحوث والمحاضرات .
٢ — المصطلحات العلمية .
٣ — تيسير الكتابة العربية .
٤ — المعجم الوسيط .
٥ — المعجم الكبير .
٦ — مجلة المجمع .
٧ — البت فيما أجل من أعمال الدورة السابقة .
٨ — مايستجد من الأعمال .

فوافق المؤتمر على ذلك (١) .

(٣) المصطلحات — طريقة نظرها فى المجلس والمؤتمر . تعريفها . نشرها :

قرر المجلس فى مستهلّ هذه الدورة ألّا تُعرَض عليه المصطلحات التى تضعها اللجان فى علم من العلوم إلا بعد إتمامها والنظر فيها جملة (٢) .

ثم قدّم حضرة كاتب سر المجمع مذكّرة إلى حضرة الرئيس يطلب فيها تأجيل انعقاد المجلس إلى موعد يحدَّد فيما بعد ، حتى يتوفر لدى اللجان العمل الصالح للعرض على المجلس وفقاً للقرار السابق ، وحتى تتفرغ لإنجاز مالديها من أعمال المؤتمر . فعرض حضرة الرئيس هذا الاقتراح على المجلس ، مع مذكرة أعدتها إدارة المجمع بالقرارات التى سبق للمؤتمر والمجلس اتخاذها فى شأن المصطلحات . فوافق المجلس على أن تحال هذه القرارات الى حضرة

(١) الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر (٢١ من فبراير سنه ١٩٤٨) .

(٢) الجلسة الثانية للمجلس (١٣ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

العضو المحترم الدكتور عبد الحميد بدوى لدرسها واستخلاص منهج موحد منها ، وعلى أن يؤجل النظر فى اقتراح حضرة كاتب السر حتى الجلسة التالية إذ يقـــدم حضرة الدكتور عبد الحميد بدوى نتيجة بحثه (١).

وقد وافق المجلس — بناء على اقتراح حضرة الدكتور عبد الحميد بدوى — على المنهج التالى لنظر المصطلحات :

تنظر اللجان الفنية فى المصطلحات العلمية فإذا أتمت لجنة جملة من المصطلحات فى علم من العلوم أو فى فرع منه ، تطبع فى نشرة خاصة تتضمن المصطلحات وتعريفها ومايقابلها فى اللغات الأجنبية ويبين فيها ماجرى استعماله قبلا وما وضع من جديد .

وتوزع النشرة على أعضاء المجمع فى مصر وفى الخارج كما توزع على الجهات العلمية المختصة وعلى المشتغلين بذلك العلم فى البلاد العربية المختلفة وعلى من يطلبون إرسالها إليهم . وينبه فى النشرة إلى أن ما يرى تقديمه من الملاحظات لايجــوز أن يتجاوز تاريخا معينا يراعى فى تحديده أن يعطى مدة معقولة تمكن من تمحيص البحث .

(قرارى المؤتمر فى ٢٣ / ٢ / ١٩٤٦ ، ١٩٤٧/١/١٦ وقرار المجلس فى ١٩٤٦/٣/٢٥ — يراجع أيضا قرار المجلس ١٩٤٦/٤/١).

ومتى وردت الملاحظات أعدت مراقبة المجمع قوائم بنص ما أقرته اللجنة الفنية وما ورد عليها من ملاحظات وعرضتها على اللجنة لإعادة النظر فيها .

ويجوز للجنة فى أى دور من أدوار النظر فى المصطلحات أن تستأنس برأى المجلس فى شأن خطة العمل أو المبادئ التى تأخذ بها أو فيما ترى فائدة فى استشارة المجلس فيه .

(قرار المجلس فى ٢٥ / ٣ / ١٩٤٦)

وترفع اللجنة تقريرا بما تراه إلى مجلس المجمع .

وينظر المجلس فى المصطلحات ويفرز ما يدخل منهـــا فى المعجم ويقر تعريفها ويحفظ ما كان غير شائع فى جزازات للنشر فى معاجم خاصة إذا اقتضى الحال ذلك .

ثم يعرض كل ذلك على المؤتمر ، وما أقره المؤتمر ينشر فى مجلة المجمع وللمجلس أن يأمر بتوزيعه وأن يحدد طريقة التوزيع .

(قرار المؤتمر فى ٢٧ / ١ / ١٩٤٧) (١)

ثم قدمت لجنة المصطلحات الطبية مذكرة إلى المجلس فى شأن تعريف المصطلحات هذا نصها :

« عرض القرار الذى أصدره المجلس فى

---

(١) الجلسة الخامسة للمجلس (١٠ من نوفبر سنة ١٩٤٧) .

(١) الجلسة السادسة للمجلس (١٧ من نوفبر سنة ١٩٤٧) .

١٩٤٧/١١/١٧ وهو الخاص بنشر المصطلحات العلمية مع تعريفاتها على لجنة المصطلحات الطبية بجلسة الأحد ١٩٤٧/١١/٢٤ فرأت أن نشر المصطلحات مع تعاريفها يتعسر تحقيقه لأن اللجنة أتمت من هذه المصطلحات جزءاً كبيراً ، وكان غرضها ولا يزال أن تضع اللفظ العربى الصحيح للمصطلح الإفرنجى سداً لحاجة الطلاب والمدرسين والهيئات العلمية ، وهم فى غير حاجة إلى التعاريف ، ولذلك تشير اللجنة بطبع هذه المصطلحات كما وضعتها وبغير تعريفات.

« أما المصطلحات الشائعة فستقدم تعريفاتها طبقاً لقرار المجمع » .

وقد رأى المجلس إرجاء النظر فى هذه المذكرة[١] . ثم قدم حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم ، عضو المكتب المشرف على المجلة ، اقتراحا إلى المجلس هذا نصه :

« بما أن الضرورة تدعو إلى سرعة نشر المصطلحات التى أقرها المجمع حتى اليوم ، ولما كانت مواد المجلة التى شرع فى طبعها قد احتوت بعض المصطلحات دون تعريف ، نقترح الموافقة على الاكتفاء الآن بما اتبع فى الماضى من نشر مصطلحات المجمع مع ما يقابلها من الألفاظ الأجنبية ، على أن تصدر عند النشر بالعبارة الآتية :

« المصطلحات التى ستعرض على المؤتمر تعاريفها للنظر فيها وإقرارها » .

فتناقش المجلس فى هذا الاقتراح مناقشة مستفيضة ، وانتهى إلى القرارات الآتية :

١ — تصدر المصطلحات عند نشرها فى المجلة بالعبارة الآتية :

« مصطلحات وضعتها لجان المجمع وأقر المجلس والمؤتمر طائفة منها وستعرض تعاريفها على المؤتمر للنظر فيها وإقرارها تمهيداً لإدراجها فى المعجم الذى يعده المجمع » .

٢ — توضع تعريفات للكلمات التى تدخل فى المعجم الوسيط .

٣ — تعرض مسألة تعريف المصطلحات على المؤتمر عند انعقاده[١] .

ونظر المؤتمر فى هذه القرارات ، فوافق على تأليف لجنة من حضرات الأعضاء المحترمين : الأستاذ على الجارم والأستاذ أحمد أمين والدكتور إبراهيم بيومى مذكور والأستاذ ل . ماسنيون والأستاذ هـ. ا. ر. جب لبحث موضوع تعريف المصطلحات والوصول إلى رأى حاسم فيه[٢] .

وقدمت اللجنة مقترحاتها إلى المؤتمر ،

---

(١) الجلسة السابعة للمجلس (٢٤ من نوفمبر سنة ١٩٤٧) .

(١) الجلسة التاسعة للمجلس (٨ من ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة الثالثة للمؤتمر (١٩ من يناير سنة ١٩٤٨) .

فوافق عليها(١) ؛ وهذا نصها :

« اتفقت اللجنة فيما يتعلق بالمصطلحات الجديدة على مايأتى :

١ – يطلب من الخبير أن يقدم للجنة المصطلح مشروحاً شرحاً كتابياً مقبولا .

٢ – على السكرتير الموظف لكل لجنة أن يدون مايدور حول المصطلح من المناقشات والشرح والتوضيح ويلخص ذلك ويعرضه على كاتب سر اللجنة .

٣ – يعرض على المجلس المصطلحات التى أقرتها اللجان مصحوبة بهذه الملخصات يزيدها الخبير فى الجلسة عند الحاجة شرحاً وتوضيحاً ، وعلى سكرتيرية المجلس أن تسجل هذا الشرح مع مايدور فى المجلس من مناقشات .

وهذا لايمنع بالأولى أن تعرض على المجلس المصطلحات المستكملة التعاريف الفنية .

٤ – إذا أقر المجلس هذه المصطلحات نشرت فى الأوساط العلمية بمختلف البلاد العربية مع ملخص لما دار حولها من شرح وبيان .

٥ – تعاد المصطلحات التى أقرها المجلس إلى اللجان المختصة وما أبدى عليها من ملاحظات لتعريفها وصياغتها صياغة نهائية كى تعرض على المؤتمر .

٦ – تعد لكل مصطلح جزازة خاصة يثبت فيها مادار حوله من مناقشات من أول اقتراحه الى أن يتم إقراره من المؤتمر وتنظم هذه الجزازات تنظيما فنياً .

« أما المصطلحات القديمة التى أقرها المجلس والمؤتمر بدون تعاريف والتى لم تنشر بعد فتعاد إلى اللجان المختصة لتعريفها وعرضها على المؤتمر ، ولا مانع من نشرها بدون تعاريف نشراً مبدئياً لتلقى ملاحظات المختصين مع الإشارة إلى ذلك » .

(٤) طبع محاضر المجمع :

فى أثناء نظر المجلس فى موضوع المصطلحات وتعريفها عرضت مسألة طبع محاضر المجمع السابقة التى وردت فيها المصطلحات غير معرّفة ، فرئى ألا يستمر المجمع فى طبع محاضره وأن يكتفى بطبع المجلة ونشرها(١) .

ثم عرضت على المجلس مذكرة من حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم عضو المكتب المشرف على المجلة هذا نصها :

« وافق المجلس فى جلسته المنعقدة

---

(١) الجلستان الرابعة والسادسة للمؤتمر (٢٦ من يناير و ٢ من فبراير سنة ١٩٤٨) .

(١) الجلسة التاسعة للمجلس (٨ من ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

يوم ١٩٤٧/١٢/٨ على ألا تطبع محاضر الجلسات بعد الدورة الخامسة التى أعدت للطبع .

« ولما كانت هذه المحاضر تشتمل على مايجرى فى الجلسات من دراسات لغوية ، ومباحث علمية ، هى توجيه وتمهيد لما يتخذ من قرارات ؛

« ولما كانت هذه المحاضر تتضمن كذلك مايدور من مناقشات وتعليلات لما يستقر عليه الرأى من مصطلحات العلوم والفنون والآداب ؛

« ولما كان المجمع حريصاً على إشراك اللغويين والباحثين والهيئات العلمية فى البلاد العربية وغيرها فيما يصدر من قرارات ، ومايقر من مصطلحات ، كما أن هؤلاء حريصون أيضا على الاطلاع على هذه المناقشات ، ولايتسنى لهؤلاء أن يتبينوا وجهة نظر المجمع ويشاركوا برأيهم إلا بعد الاطلاع على ما استند إليه المجمع من حجة وما آثر من تعليل ؛

ولما كانت محاضر المجمع التى طبعت من قبل لقيت إقبالا من الباحثين وأهل الرأى ، وما برحت تُطلب فى مصر والبلاد العربية ، ويطالع عليها أعضاء المجمع الجدد والأعضاء المراسلون فى الخارج ، ويجدون فيها تسجيلا لسابق جهد المجمع وإيضاحاً لما عالج من مسائل اللغة ومباحث المصطلحات ؛

فلذلك نلتمس أن يعيد المجلس النظر فى شأن محاضر الجلسات ، رجاء الموافقة على أن تواصل إدارة المجمع طبع بقية الدورات .

على الجارم »

فأبدى بعض حضرات الأعضاء رغبة فى مراجعة المحاضر وتصفيتها قبل الطبع ، ووافق المجلس على أن تطبع محاضر الجلسات وأن يُوكل أمر التصفية والمراجعة إلى حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم[1] .

(٥) استعانة لجان المجمع بخبراء لوضع تعاريف المصطلحات :

قدمت لجنة الكيمياء والطبيعة اقتراحاً بتعيين خبيرين مساعدين لها من الحاصلين على درجات علمية ، من موظفى المجمع أو من غيرهم ، لمعاونة أعضائها وخبرائها فى جمع المصطلحات العلمية التى وضعها الإسلاميون المتقدمون واستقراء مدلولاتها ، ووضع التعاريف للمصطلحات التى تقرها اللجنة .

وقد نظر المجلس فى هذا الاقتراح ، ووافق على أن تستعين اللجان بخبراء — من غير موظفى المجمع — لوضع تعاريف المصطلحات وإعداد ما يُطلب منهم إعداده ، على أن يكافئوا على ذلك مكافأة خبراء المجمع المقررة ، بأن يشهدوا جلسات اللجان ، ويُعطوا عنها تلك المكافأة ، بشرط ألا تزيد عن خمس جلسات فى الشهر لكل واحد منهم[2] .

(١) الجلسة السابعة والعشرون للمجلس (٣١ من مايو سنة ١٩٤٨ .

(٢) الجلسة العاشرة للمجلس (١٥ من ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

(٦) تعديل مصطلحات سبق للمجمع إقرارها :

قدمت لجنة الكيمياء والطبيعة اقتراحاً إلى مجلس المجمع هذا نصه :

« رأت لجنة الكيميا والطبيعة — تنظيما لسير العمل ومنعا لما عسى أن يقع من تكرار فى المصطلحات العلمية الجديدة التى تضعها — أن تراجع تلك المصطلحات التى سبق أن أقرها المجلس والمؤتمر .

«وفى خلال هذه المراجعة لاحظت اللجنة أن بين تلك المصطلحات العلمية التى سبق وضعها وإقرارها بعض مصطلحات يعوزها شىء من التمحيص والتدقيق ، وبما أن المجمع قد أصدر فى الماضى قراراً يقضى بأن تكون هذه المصطلحات نهائية بعد مرور سنة على نشرها ، فإن اللجنة تقترح — تحقيقاً للفائدة العلمية — أن يسمح لها بالقيام بهذه المراجعة على أن تعرض على المجلس جميع المصطلحات التى تتناولها بتغيير أو تبديل » .

وقد وافق المجلس على اقتراح اللجنة(١) .

(٧) إنشاء مكتب للتسجيل فى المجمع :

وافق المجلس على إنشاء مكتب للتسجيل برئاسة الأستاذ إسماعيل مظهر ، على أن يمده المجمع بالموظفين حسب طاقته المادية ، وعلى أن يكون عمله تسجيل كل ما يقره المجمع من المصطلحات ، وتبويبها وفقاً لفروع العلوم المختلفة ، وترتيبها ترتيبا فنياً (١) .

(٨) اقتراح وضع معجم عربى للعلوم الطبية :

ورد المجمع اقتراح من عميد الكلية الطبية الملكية ببغداد ، محوّل من الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، فى شأن عمل معجم عربى للعلوم الطبية . وهذا نصه :

« إن قضية وضع المصطلحات العلمية باللغة العربية هى قضية دقيقة على غاية من الأهمية والخطورة لا يمكن أن ينفرد بها قطر عربى واحد دون غيره من الأقطار العربية ، لذا فإننا نقترح :

١ — أن تؤلف فى إحدى الأقطار العربية (ويرجح أن يكون فى مصر) لجنة تسمى (معجم العلوم الطبية) تكون مهمتها طبع معجم شامل للعلوم الطبية وما يتعلق بها من الفروع مرتبطة بأمانة الجامعة العربية .

٢ — أن يشترك فى هذه اللجنة ممثلون عن جميع الأقطار العربية تعرض بواسطتهم المقترحات المقدمة من قبل لجان فرعية تقام فى كل عاصمة عربية فيها كليات للطب وفروعه .

٣ — أن تجتمع لجنة معجم العلوم الطبية مرتين فى السنة على الأقل لغرض جمع ما تيسر من المصطلحات وإقرارها نهائيا وإرسالها للطبع .

٤ — أن تشتغل اللجان الفرعية بوضع المصطلحات بحسب تعليمات تصدرها اللجنة المركزية .

---

(١) الجلسة العاشرة للمجلس (١٥ من ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

(١) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٨ من مارس سنة ١٩٤٨) .

حيث تعين المواضيع التى ينبغى وضع المصطلحات لأجلها .

٥ – اللجان الفرعية فى الأقطار العربية تمثل مدارس الطب والصيدلة ودار المعلمين العالية وغيرها من المؤسسات العالية التى تعنى بتدريس الطبيعيات ويكون مركزها كلية الطب فى العواصم العربية وتحت إشراف عمادات الكليات الطبية .

٦ – يجب أن يكون أعضاء اللجنة المركزية فى القاهرة (مثلا) أعضاء فى مجمع فؤاد الأول لكى تكون لهم الكلمة الأخيرة فى إقرار المصطلحات من قبل المجمع المذكور .

٧ – تقوم حكومات كل قطر عربى بما يتطلبه هذا المشروع من النفقات .

٨ – يكون عمداء كليات الطب فى الأقطار العربية أعضاء طبيعيين فى لجان الترجمة والتأليف والنشر أو فى المجامع العلمية التى توجد فى ذلك القطر ليكونوا حلقة وصل بين هذه المؤسسات واللجنة المركزية وفروعها فى كل مايختص بهذا المشروع لتتم الموافقة على المقررات النهائية .

توقيع

عميد كلية الطب »

وقد عرض هذا المقترح على لجنة المصطلحات الطبية فأجابت بما يلى :

« إن مشكلة توحيد المصطلحات الطبية بين البلاد العربية قائمة منذ سنة ١٩٢٨ ، وكانت تثار فى كل مؤتمر طبى تعقده الجمعية الطبية الملكية سواء فى مصر أو فى البلاد العربية الأخرى ، وكان آخر اقتراح لهذا الغرض أن تتصل الهيئة المركزية فى مصر بالممثلين الدبلوماسيين فى الدول العربية لتأليف اللجان المشار إليها فى الاقتراح المعروض علينا ، ومع ذلك لم تتحقق هذه الأمنية ، وكل ما تم أنه كانت تجرى مناقشات فى المؤتمرات الطبية السنوية أو يقوم بعضهم بإرسال معاجم إلى اللجنة الحالية فى مصر . واللجنة ترسل جميع المصطلحات التى تقرها إلى الهيئات الطبية المختلفة للاطلاع عليها وتعرف آرائها مرحبة بما تبديه من ملاحظات . فالأهداف التى يرمى إليها المقترح محققة فى الوضع القائم الآن ، فضلا عن أنه تنعقد سنويا مع المؤتمر الطبى العربى لجنة خاصة بتوحيد المصطلحات الطبية . »

وعُرِض الأمر على المجلس (١) فقرر أن يكتب إلى الأمانة العامة للجامعة العربية « أن الاتصال بين المجمع اللغوى والهيئات العلمية فى مختلف الأمم العربية ممكن عن طريق المجلة التى تنشر فيها مصطلحات المجمع ، وأن المجمع يجرى فى إقرار هذه المصطلحات على طريقة إرسالها إلى الهيئات ، وطلب ملاحظاتها لتكون

(١) الجلستان الأولى والثانية للمجلس (٦ و ١٣ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

موضعا للدرس ، فالمجمع يعمل على طريقته ، وللأمانة العامة لجامعة العربية أن تنظر فى طريقة للتوفيق بين عمل المجمع وبين ما يراد من اشتراك الدول العربية اشتراكا على نحو خاص » (١).

(٩) اتصال «مجلس الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة» بالمجمع فى شأن ترجمة الكتب الكلاسيكية :

عرض على المجلس كتاب من رئيس مكتب الترجمة الكلاسيكية بمجلس الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة فى شأن ترجمة الكتب الكلاسيكية التى يشير المجمع بترجمتها . وهذه صورة الكتاب :

« باريس فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧

« سادتى :

« لقد سمحت لنفسى بأن أكتب إليكم بوصفى رئيس مكتب الترجمة الكلاسيكية للأنسكو لأطلب منكم لما لكم من دراية كبيرة تحقيق مشروع أنا واثق من أنه سيساعد على إيجاد التفاهم بين الشعوب ويوطد السلام الدائم .

« وربما وصل إلى علمكم أن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد اعترفت بأن « أسس السلام موجودة فى قلوب الناس وفى نفوسهم » وأنها تعتقد أن المعارف البشرية النبيلة ليست منتشرة فى العالم كما ينبغى لها أن تكون ، ولهذا

فقد وافقت بالإجماع على اقتراح يرمى إلى ترجمة الكتب الكلاسيكية إلى اللغات الرئيسية ونشرها .

« ومعنى هذا أنها تقصد أهم هذه الكتب الأدبية والعلمية والفلسفية والدينية وما إليها فى كل بلد ، وعهدت بدراسة هذا المشروع إلى هيئة الأنسكو .

« وهيئة الأنسكو من جهتها حين عقدت اجتماعها الأول العام بباريس فى شهرى نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٤٦ قد وافقت على إيجاد مكتب للترجمة ، وعهدت إليه أن يضع قائمة بالكتب التى تستحق الترجمة والنشر .

«إن ترجمة الكتب الكلاسيكية ترمى إلى إيجاد ثقافة موحدة تستطيع الشعوب كلها المشاركة فيها ، فالأولوية إذاً ستكون كمبدأ عام للكتب التى ترمى إلى نشر التفاهم الحق بين الشعوب والاحترام المتبادل بين الأمم .

« والأنسكو تهتم قبل كل شىء بالكتب التى إن عالجت ثقافة أمة من الأمم ، فإنها تكشف عن ناحية إنسانية فتبرز الوحدة والأخوة بين الناس .

« والأنسكو فى نفس الوقت ترمى إلى ربط الثقافات الغربية بالثقافات الشرقية ، وذلك بترجمة الكتب من هاتين الثقافتين — وعلى هذا فالشرق والغرب يستطيعان أن يزيدا ثروتهما الثقافية وأن يكملا ما فيهما من نقص.

---

(١) الجلسة الثانية للمجلس (١٣ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

« وقد وضع مكتب الترجمة هذه المبادئ نصب عينيه فى دراسته لهذا الموضوع .

« وأول سؤال اقترح هو : من الذى يختار الكتب الكلاسيكية ؟

« ولكى نتجنب كل تقدير ذاتى أو صادر من جهة واحدة ، فإن سكرتارية الأنسكو قد رأت أنه ينبغى لها الاتصال مباشرة بالأمم التى تهتم بهذا المشروع ، والاطلاع على النظم الثقافية للدول المختلفة ، وخاصة تلك النظم التى ترى فيها أنها تمدها بإجابات دقيقة لهذا البحث الذى تقدم ، على الوجه التالى :

١ — ما هى الكتب التى تعدونها كلاسيكية فى نواحى العلم والأدب والفن والفلسفة والدين وما إليها ، وتعتبرونها ممثلة خير تمثيل لثقافتكم ولنبوغكم القومى لتكون جديرة بالترجمة إلى اللغات الأخرى ؟

٢ — وما هى الكتب الأجنبية فى النواحى السابقة التى تعدونها كلاسيكية عالمية ؟ وما هى الكتب التى ترجمت ترجمة مرضية إلى لغتكم — من بين الكتب المذكورة ؟ ثم ما هى الكتب التى يجب أن تترجم أو ترجمت وترون ترجمتها من جديد ؟

٣ — من هم أحسن المترجمين الذين يستطيعون القيام بهذا العمل ؟

« والمعلومات التى تتفضلون بها علينا ، ستكون خير عون لنا فى مهمتنا ، وأملنا وطيد فى التفضل بالرد علينا ، ونرجو أن تقبلوا خالص تحياتنا .

رئيس مكتب الترجمة الكلاسيكية

ن. كازانتزاكس »

وقد وافق المجلس على تأليف لجنة من حضرتى العضوين المحترمين : الدكتور طه حسين والأستاذ عباس محمود العقاد للرد على كتاب مكتب الترجمة الكلاسيكية [١] .

(١٠) تأليف لجنة لوضع كتاب فى النحو على أساس القواعد التى أقرها مؤتمر المجمع :

بحث المؤتمر فى أمر قواعد تيسير النحو التى سبق له إقرارها [٢] وإرسالها إلى وزارة المعارف ، وفى سبل الانتفاع بهذه القواعد ، ووافق على القرارات الآتية :

أولا — تأليف لجنة لوضع كتاب فى النحو على أساس قواعد التيسير التى أقرها مؤتمر المجمع على أن يعرض على المؤتمر قبل إذاعته .

ثانيا — تأليف اللجنة من حضرات الأعضاء المحترمين الدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين والأستاذ على الجارم وندب الأستاذ إبراهيم مصطفى عميد دار العلوم للانضمام إليهم .

---

(١) الجلسة الخامسة للمجلس (١٠ من نوفمبر سنة ١٩٤٧) .

(٢) الدورة الحادية عشرة للمؤتمر . وانظر الجزء السادس من مجلة المجمع من ص ١٨٠ إلى ص ١٩٧ .

ثالثا — استعانة اللجنة بمن ترى ممن لهم دراسة خاصة للنحو.

رابعا — نظر المكتب فى مكافأة من يختارون من خارج المجمع للمعاونة فى هذا العمل. (١)

ثم طلب حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم إعفاءه من عضوية اللجنة، فوافق المؤتمر على هذا الإعفاء، وعلى أن يُضم إلى اللجنة حضرة العضو المحترم الأستاذ زكى المهندس (٢).

(١١) فى لجنة اللهجات :

وافق مجلس المجمع، عند نظره فى البحث الذى قدمه حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبو حديد عن « موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى » على أن يحال هذا البحث إلى لجنة اللهجات، وأن يُضم إليها حضرات الأعضاء المحترمين : الأستاذ عباس محمود العقاد، والشيخ عبد الوهاب خلاف، والأستاذ محمد فريد أبو حديد (٣).

ثم وافق المجلس على ضم حضرة الأستاذ زكى المهندس إلى لجنة اللهجات أيضا (٤).

وعندما نظر المؤتمر فى تقرير اللجنة التى ألفت من بعض حضرات أعضاء المجلس والمؤتمر لبحث موضوع العلاقة بين العامية والفصحى، وافق على أن يُضم حضرات الأساتذة : إبراهيم أنيس، وخليل عساكر، وشارل كوينتز، وعبد الحميد الدواخلى، إلى لجنة اللهجات بوصفهم خبراء، وعلى أن يحال الموضوع من جديد إلى لجنتى « اللهجات » و« الألفاظ والأساليب » (١).

ثم وافق المؤتمر على اقتراح قدّمه بعض حضرات أعضاء لجنة اللهجات بضم حضرة العضو المحترم الأستاذ ا. لتمان خبيراً باللجنة طوال إقامته فى القاهرة، لتستفيد اللجنة من توجيهاته وأبحاثه القيمة فى اللهجات العربية (٢).

(١٢) فى لجنة الأدب :

إعفاء عضو وضم عضوين :

طلب حضرة العضو المحترم الأستاذ الشيخ محمود شلتوت إعفاءه من العمل فى لجنة الأدب معتذراً بحالته الصحية، فوافق المجلس على هذا الإعفاء، وعلى أن يُضم إلى اللجنة حضرتا العضوين المحترمين : الأستاذ على عبد الرازق والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى (٣).

(١٣) فى لجنة المعجم الكبير :

وافق المؤتمر على ضم حضرة العضو المحترم الأستاذ ا. لتمان إلى لجنة المعجم الكبير خبيراً بها مدة إقامته بالقاهرة (٢).

---

(١) الجلسة التاسعة للمؤتمر (١٢ من فبراير سنة ١٩٤٨).

(٢) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (١٨ من فبراير سنة ١٩٤٨).

(٣) الجلسة الأولى للمجلس (٦ من أكتوبر سنة ١٩٤٧).

(٤) الجلسة الثانية للمجلس (١٣ من أكتوبر سنة ١٩٤٧).

(١) الجلسة الثامنة للمؤتمر (٩ من فبراير سنة ١٩٤٨). وانظر نص البحث وتقرير اللجنة فى هذا الجزء من ص ٢٢٠ إلى ص ٢٢٥

(٢) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (١٨ من فبراير سنة ١٩٤٨).

(٣) الجلسة الخامسة عشرة للمجلس (١١ من يناير سنة ١٩٤٨).

(١٤) فى لجنة التاريخ والجغرافية :

عرض حضرة الرئيس على مجلس المجمع المذكرة الآتية التى تلقاها من حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبى حديد :

«حضرة الأستاذ المحترم رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية

« تحية واحتراماً . وبعد . فقد سبق اختيارى عضواً فى لجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية على أساس أنها تتناول التاريخ فيما تتناوله ؛ ثم ألفت لجنة خاصة بالتاريخ والجغرافية واخترت عضواً بها .

« وأرجو التفضل بإعفائى من لجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية ، كما أنى أرجو أن تتفضلوا بالإذن بعرض تأجيل عمل لجنة التاريخ والجغرافية نظراً لأن أعضاء هذه اللجنة لهم من الأعمال فى اللجان الأخرى ما يمكن أن يستوعب كل الوقت الذى يستطيعون تخصيصه للأعمال فى اللجان المختلفة .

« وتفضلوا حضرتكم بقبول أسمى احترامى .

إمضاء : (محمد فريد أبو حديد) »

١٩٤٧/١٠/١٩

فوافق المجلس على إعفاء الأستاذ محمد فريد أبو حديد من عضوية لجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية ، على أن يُترك للجنة التاريخ والجغرافية موضوع تأجيل عملها(١) .

(١) الجلسة الرابعة للمجلس (٣ من نوفمبر سنة ١٩٤٧) .

(١٥) مقترحات تيسير الكتابة العربية :

وافق المجلس فى الدورة الماضية على تأليف لجنة من الخبراء فى الخط والطباعة لنظر مقترحات تيسير الكتابة العربية التى قُدِّمت إلى المجمع(١) . وفى هذه الدورة قدمت إدارة المجمع إلى مكتبه مذكرة فى شأن مكافأة أعضاء هذه اللجنة والمدة اللازمة لبحث تلك المقترحات ، فأحالها المكتب إلى المجلس . وهذا نص المذكرة :

« ألف مجلس المجمع لجنة فنية فى الخط والطباعة من ثمانية أعضاء لتتولى النظر فى مقترحات تيسير الكتابة الذى عقد له المجمع مسابقة بين الباحثين .

« وقد اجتمعت اللجنة حتى الآن عشرين جلسة فى نحو شهرين ونصف شهر ، ونظرت فى نحو خمسة وسبعين مقترحاً استبقت أكثر من ثلثها لإعادة النظر .

« فإذا لوحظ أن المقترحات تبلغ مائتى مقترح أمكن القول بأن اللجنة قد فرغت من نحو الربع من هذه المقترحات .

« وإذا روعى أن اللجنة تعقد ثمانى جلسات فى الشهر أمكن تقدير الزمن الكافى للنظر فى بقية المقترحات بسبعة أشهر .

« فأما من ناحية المكافآت التى تصرف لحضرات

(١) أنظر ص ٤٧ من هذا الجزء .

الأعضاء نظير الجلسات فتقديرها على الوجه الآتى :

ا — يعطى كل عضو خمسة وعشرين قرشاً ومائة قرش عن كل جلسة .

ب — نسبة الحضور فى كل جلسة خمسة أعضاء على الأقل .

حـ — عدد الجلسات المقدرة للفراغ من نظر المقترحات ثمانون جلسة على الأقل .

« وإذن فالمكافأة اللازمة لأعضاء اللجنة ينتظر ألا تقل عن خمسمائة جنيه .

«هذا إن لم تزد نسبة حضور الأعضاء ولم تزد المدة المقدرة لدراسة المقترحات .

« وخلاصة القول أن اللجنة يمتد عملها إلى شهر مايو سنة ١٩٤٨ وأن مكافأتها عن عملها تزيد على خمسمائة جنيه . »

وقد وافق المجلس — بعد مناقشة — على أن يُكتب إلى لجنة الخبراء ما يلى :

« اطلع المجلس على قرار اللجنة بأنها لا تستطيع الفراغ من فحص المقترحات المقدمة إلى المجمع فى المدة التى حددها لها المجلس ، ونظراً لكثرة الاقتراحات ، ولضرورة الإسراع فى الفصل فيها ، يرى المجلس أن يقتصر فيما يعرض على لجنة الخبراء على ما هو جدير ببحثها ، ولذلك يرجو المجلس أن تعيد إليه اللجنة المقترحات التى بين يديها ، ليحيل عليها بعد ذلك ما يرى إحالته منها . » (١)

(١) الجلسة الثانية للمجلس (١٣ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

ثم عُرضت على المجلس مذكرة من لجنة الأصول بزيادة عدد أعضائها ، حتى تستطيع الفصل فى المقترحات المحالة إليها من اللجنة الفنية فى الوقت المقرر ، فوافق المجلس على أن يضم إلى لجنة الأصول حضرات الأعضاء المحترمين : الأستاذ عباس محمود العقاد ، والدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، والأستاذ محمد فريد أبو حديد(١) .

وفى الجلسة الأخيرة للمجلس (٢) ووفق على أن يبلَّغ إلى لجنة الأصول القرار التالى :

« يرغب المجلس إلى لجنة الأصول فى إنجاز النظر فى مقترحات تيسير الكتابة التى اشترك بها أصحابها فى المسابقة ، وذلك لكى يتسنى عرض النتيجة على المجمع فى دورته القادمة » .

(١٦) تمثيل المجمع فى مؤتمرى اللغويين والمستشرقين :

وافق المؤتمر على أن يمثّل المجمع فى مؤتمر اللغويين السادس ومؤتمر المستشرقين الحادى والعشرين ، اللذين تقرر عقدهما بباريس ، حضرتا العضوين المحترمين الدكتور طه حسين والدكتور إبراهيم بيومى مدكور . وذلك إجابة للدعوة التى وجهها القائمون بهذين المؤتمرين إلى المجمع (٣) .

(١) الجلسة الثالثة للمجلس (٢٠ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة السابعة والعشرون للمجلس (٣١ من مايو سنة ١٩٤٨) .

(٣) الجلسة الثانية للمؤتمر — لجنة عامة (١٥ من يناير سنة ١٩٤٨) . والجلسة الثالثة للمؤتمر (١٩ من يناير سنة ١٩٤٨) .

ثم وافق المؤتمر على أن يلقى ممثلا المجمع البحوث الآتية فى هذين المؤتمرين :

١ – يلقى حضرة الدكتور طه حسين البحثين التاليين :

(أ) «إصلاح النحو العربى» بمؤتمر اللغويين

(ب) «محاولات مجمع فؤاد الأول للغة العربية وضع معجم حديث مطول للغة العربية» فى مؤتمر المستشرقين .

٢ – ويلقى حضرة الدكتور إبراهيم بيومى مدكور الموضوعين التاليين :

(أ) «المنطق والنحو العربى» فى مؤتمر اللغويين .

Logique et Grammaire Arabe

(ب) «مبدأ العلية فى علم الأصول» فى مؤتمر المستشرقين .

Causalité dans les Principes du Droit Musulman

على أن يكون لكل من حضرتيهما الحق فى إلقاء بحوث أخرى خاصة تتصل بعملهما العلمى والأدبى (١)

وبعد ذلك ورد المجمع كتاب من حضرة وزير المعارف العمومية هذا نصه :

«حضرة صاحب المعالى رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ؛

أتشرف بإبلاغ معاليكم أن وزارة الخارجية قد أبلغتنا أن لجنة المؤتمرات قد نظرت فى موضوع المؤتمرين الدوليين للغويين والمستشرقين المزمع عقدهما بباريس فى المدة من ١٩ إلى ٣١ يولية سنة ١٩٤٨ ، ورأت ألا يزيد عدد المندوبين الذين يمثلون مصر فيهما على ثلاثة .

ولما كانت جامعتا فؤاد الأول وفاروق الأول سترشحان مندوباً عن كل منهما فالمرجو موافاتنا باسم من يرى المجمع ترشيحه بصفة أصلية واسم من يرى ترشيحه بصفة احتياطية لهذا الغرض ، تمهيداً لاستصدار قرار مجلس الوزراء .

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام .

وزير المعارف »

وقد عرض حضرة الرئيس هذا الكتاب على المجلس ، وأبلغه أن حضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم بيومى مدكور اطلع عليه وطلب إعفاءه ، فوافق المجلس على الاكتفاء بحضرة الدكتور طه حسين بصفة أصلية لتمثيل المجمع فى هذين المؤتمرين ، على أن يبلغ ذلك وزير المعارف العمومية والدكتور طه حسين (١) .

(١٧) تمثيل المجمع فى المؤتمر الطبى العربى التاسع عشر .

وافق المجلس على اختيار حضرة العضو المحترم الدكتور محمد شرف ممثلا للمجمع فى المؤتمر الطبى العربى التاسع عشر الذى تقرر عقده بالقاهرة فى المدة من ٢٣ إلى ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٤٧ (٢) .

(١) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (١٨ من فبراير سنة ١٩٤٨) .

(١) الجلسة الرابعة والعشرون للمجلس (١٠ من مايو سنة ١٩٤٨) .

(٢) الجلسة الأولى للمجلس (٦ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

(١٨) تمثيل المجمع فى لجنة تعريب المصطلحات الهندسية بالمؤتمر الهندسى الثالث :

ورد المجمع الكتاب التالى من جمعية المهندسين الملكية المصرية :

« حضرة صاحب المعالى رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ،

«أتشرف بإخطار معاليكم بأن المؤتمر الهندسى الثالث أصدر قرار « تأليف لجنة خاصة تضم إليها أحد اللغويين المطلعين تكون مهمتها تعريب المصطلحات الهندسية وإرسالها إلى اللجنة العامة للمواصفات والمصطلحات بمصر لتبويبها وتنسيقها وتبادل المقترحات بشأنها مع اللجان الأخرى ونشر هذه المصطلحات لإفساح المجال لمناقشتها من قبل الأفراد وتقديم مايتم الاتفاق عليه منها إلى المؤتمرات القادمة لإقرارها » .

« وفعلا ألفت جمعية المهندسين الملكية المصرية اللجنة الخاصة بمصر وأسندت رياستها للأستاذ محمد شفيق بك عبد الرحمن عميد كلية الهندسة . وقد رأى عزته أن يضم الأستاذ مصطفى نظيف بك إلى هذه اللجنة كممثل لمجمع فؤاد الأول للغة العربية .

«ونرجو من معاليكم الموافقة على هذه الاختيار.

« وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام .

سكرتير اللجنة العامة للمواصفات

١٩٤٧/١٢/١ (توقيع) »

وقد عُرِض هذا الكتاب على المجلس فوافق على أن يكون حضرة الأستاذ مصطفى نظيف ممثلا للمجمع فى اللجنة المذكورة(١) .

(١٩) تمثيل المجمع فى مجلس المعهد الدولى للدراسات الإغريقية :

ورد المجمع كتاب من « مدير المعهد الدولى للبحوث الإغريقية » يطلب فيه من المجمع أن يعين ممثلا له فى مجلسه الذى تقرر عقده فى مدينة الإسكندرية فى شهر مايو سنة ١٩٤٨ ». فووفق على أن يمثل المجمع فى هذا المجلس حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين(٢).

(٢٠) تمثيل المجمع فى الاحتفال بمرور خمسة وسبعين عاما على تأسيس المجمع البولونى للعلوم والآداب :

ووردت المجمع دعوة من « مجلس إدارة المجمع البولونى للعلوم والآداب بكاراكوفيا » لشهود الاحتفال بمرور خمسة وسبعين عاماً على تأسيسه . فوافق المجلس على أن يمثل المجمعَ فى هذا الاحتفال حضرتا العضوين المحترمين : الدكتور أحمد زكى والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى (٢).

(٢١) الترشيح لشغل أربعة كراسى خالية فى المجمع :

نظر مجلس المجمع فى هذه الدورة فى شغل

(١) الجلسة التاسعة للمجلس (٨ من ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة الثالثة والعشرون للمجلس (٢٦ من أبريل سنة ١٩٤٨) .

الكراسى الأربعة الخالية بوفاة أعضاء المجمع السابقين المغفور لهم: الدكتور على إبراهيم باشا ، والشيخ أحمد إبراهيم بك ، والأب أنستاس مارى الكرملى ، والشيخ مصطفى عبد الرازق.

وقد وافق المجلس أولا على أن يُشغل كرسيان من هذه الكراسى الأربعة بعضوين مصريين ، وحدّد موعداً للفراغ من التزكية وفقاً للمادة السادسة من اللائحة (١) ، وقرر « أن يكون الانتخاب بأن يُطلب إلى كل عضو اختيار اثنين من المرشحين ، فإن فازا بالنصاب المطلوب فبها ، وإلا كُررت عملية الانتخاب على النحو السابق حتى تبلغ العمليات أربعاً ، فإن لم يتوافر النصاب لواحد أو اثنين من المرشحين أعاد المجلس النظر فى طريقة الانتخاب (٢) . »

وأجريت عملية الانتخاب ففاز بترشيح المجمع حضرتا الأستاذين : على عبد الرازق وإبراهيم عبد القادر المازنى ، وتقرر إبلاغ اسميهما إلى معالى وزير المعارف لاستصدار المرسوم الملكى بتعيينهما .

ثم ووفق على أن يستقبل الأستاذُ الشيخ عبد الوهاب خلاف الأستاذ على عبد الرازق. ويستقبل الأستاذ عباس محمود العقاد الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى (٣) .

(١) الجلستان الخامسة والسادسة للمجلس (١٠ و ١٧ من نوفبر سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة السابعة للمجلس (٢٤ من نوفبر سنة ١٩٤٧) .

(٣) الجلسة الثامنة للمجلس (أول ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

ثم بحث المجلس فى شغل الكرسيين الباقيين ووافق على أن يُشغل أحدهما بعضو من العراق ، ويُشغل الآخر بعضو من فلسطين (١) . وبعد أن حُددت جلسة للتزكية(١) أجرى الانتخاب ، ففاز بالترشيح حضرتا الأستاذين : خليل السكاكينى (من فلسطين) ، والسيد محمد رضا الشبيبى (من العراق) . وتقرر إبلاغ انتخابهما إلى معالى وزير المعارف لاستصدار المرسوم الملكى بتعيينهما (٣) .

(٢٢) تأجيل الترشيح للكرسى الخالى بوفاة المرحوم أنطون الجميل باشا إلى الدورة القادمة :

وافق مجلس المجمع على أن يبقى باب الترشيح للكرسى الخالى بوفاة المرحوم أنطون الجميل باشا مفتوحاً إلى الدورة التالية ، وأن يُنظر عند ذلك فى تحديد موعد لجلسة الانتخاب(٤).

(٢٣) ترشيح أعضاء مراسلين للمجمع :

فى مؤتمر الدورة السابقة قدم حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد كرد على مذكرة فى شأن اختيار أعضاء مراسلين للمجمع ، فوافق المؤتمر على أن يقدم حضرات الأعضاء أسماء من يرون ترشيحهم لهذا الغرض من علماء البلاد العربية ومن الأساتذة المستشرقين (٥) .

(١) الجلسة العاشرة للمجلس (١٥ من ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة الثالثة عشرة للمجلس (٥ من يناير سنة ١٩٤٨)

(٣) الجلسة الخامسة عشرة للمجلس (١١ من يناير سنة ١٩٤٨) .

(٤) الجلسة الثانية والعشرون للمجلس (١٩ من أبريل سنة ١٩٤٨) .

(٥) الدورة الثالثة عشرة — الجلسة العاشرة للمؤتمر (١٠ من فبراير سنة ١٩٤٧) .

وفى هذه الدورة عُرضت على المؤتمر أسماء الأساتذة الذين زكاهم بعض حضرات الأعضاء العاملين لعضوية المجمع بالمراسلة ، فووفق على أن تعرض هذه الأسماء على المجلس لاتباع ما يقضى به مرسوم المجمع ولائحته فى هذا الشأن (١) .

وقد وافق المجلس بالإجماع على ترشيح حضرات الأساتذة الآتية أسماؤهم أعضاء مراسلين (٢) :

١ ــ الأستاذ جبرييلى (روما)
٢ ــ الأستاذ آربرى (لندن)
٣ ــ الأستاذ لاوست (ليون)
٤ ــ الأستاذ نيبرج (أپسالا)
٥ ــ الأستاذ خليل مردم (سوريا)
٦ ــ الأستاذ شفيق جبرى (سوريا)
٧ ــ الأستاذ محمد بهجة الأثرى (العراق)
٨ ــ الأمير مصطفى الشهابى (سوريا)
٩ ــ الأستاذ طاهر بن عاشور (تونس)
١٠ ــ الأستاذ الشيخ محمد الحجوى (مراكش)
١١ ــ الأستاذ علال الفاسى (مراكش)
١٢ ــ الشيخ محمد نور الحسن (من السودان ومدرس بالأزهر)
١٣ ــ الأستاذ خير الدين الزركلى (الحجاز)
١٤ ــ الأستاذ عبدالله عبد الرحمن الأمين (من موظفى المعارف بالسودان)

(١) الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر (١٠ من فبراير سنة ١٩٤٧) .
(٢) الجلسة الثامنة عشرة للمجلس (٢٢ من مارس سنة ١٩٤٨) .

(٢٤) شارة المجمع وبراءات الاعضاء المراسلين :

اقترح أن تكون للمجمع شارة خاصة به توضع على البراءات التى تعطى للأعضاء المراسلين ، على أن تكتب هذه البراءات بخط جميل على ورق خاص بذلك (١) .

وقد وافق المجلس على هذا الاقتراح ، وعرضت عليه نماذج للشارة وضعها أحد الفنيين (٢) . ثم اقترح ألا يكتفى بالشارة بل يكون لأعضاء المجمع ــ كغيرهم من أعضاء المجامع فى العالم ــ زى خاص للاجتماعات الرسمية ، فووفق على هذا الاقتراح أيضاً ، وألفت لجنة من حضرات الأعضاء المحترمين : الأستاذ أنطون الجميل ، والدكتور أحمد زكى ، والدكتور محمد شرف ، والشيخ محمود شلتوت ، لاختيار أصلح زى للأعضاء وشارة للمجمع (٣) .

ثم وافق المجلس على الاكتفاء بالزى الرسمى والاستغناء عن الشارة ، وضم حضرة العضو المحترم الدكتور أحمد أمين إلى اللجنة (٤) .

(١) الجلستان الأولى والثانية للمجلس (٦ و ١٣ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .
(٢) الجلسة الثالثة للمجلس (٢٠ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .
(٣) الجلسة الرابعة للمجلس (٣ من نوفمبر سنة ١٩٤٧) .
(٤) الجلسة الثالثة والعشرون للمجلس (٢٦ من أبريل سنة ١٩٤٨) .

(٢٥) الانتخاب لرئاسة المجمع :

أجرى الانتخاب لرياسة المجمع وفقاً للمادة الخامسة من المرسوم الملكى المعدّل لمرسوم إنشاء المجمع ، وكان الثلاثة الذين نالوا أكثر الأصوات هم على الترتيب :

حضرة الأستاذ أحمد لطفى السيد ؛ أحرز اثنين وعشرين صوتا ؛

وحضرة الدكتور عبد الحميد بدوى ؛ أحرز اثنى عشر صوتا ؛

وحضرة الأستاذ أحمد أمين ؛ أحرز عشرة أصوات .

فتقرر إبلاغ أسمائهم إلى حضرة وزير المعارف لاستصدار المرسوم الملكى بتعيين أحدهم رئيساً للمجمع(١) .

(٢٦) ترشيح عضوين لمكتب المجمع :

عُرِض على المجلس أمر انتخاب عضو يحل محل المرحوم أنطون الجميل باشا فى مكتب المجمع ، وقد رجع المجلس إلى المادة الثالثة من اللائحة ، ونصها :

« يؤلف المكتب من رئيس المجمع ومن وكيل وزارة المعارف ومن أربعة من أعضاء المجلس يعينهم وزير المعارف بقرار من بين ثمانية ينتخبهم المجلس بالقائمة وبالأغلبية النسبية ويجتمع المكتب كلما دعت الحاجة » .

فووفق على أن يرشح المجلس العضوين التاليين للمرحوم أنطون الجميل باشا فى الانتخاب السابق للمكتب ، وهما حضرتا العضوين المحترمين : الدكتور إبراهيم بيومى مدكور (وقد حصل على تسعة أصوات) والدكتور محمد شرف (وقد حصل على ثمانية أصوات) ليختار معالى وزير المعارف أحدهما خلفاً للمرحوم أنطون الجميل باشا فى عضوية مكتب المجمع (١) .

(٢٧) فى المسابقات الأدبية :

قرر مجلس المجمع أن ينص فى الإعلان عن مسابقات تشجيع الإنتاج الأدبى المقبلة (بعد مسابقة ١٩٤٨ — ٤٩) على أنه لا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية أى متبار سبق أن أجازه المجمع على إنتاج له فى فرع المسابقة المتقدم إليها (٢) .

(٢٨) فى نظام الجلسات والمحاضر :

ووفق على أن تكتب إدارة المجمع إلى حضرات الأعضاء أن يبلغوا المجمع اعتذارهم من الحضور إذا طرأ لديهم مانع منه ، وأن يدرج بجدول أعمال كل جلسة طلب التصديق على محضر الجلسة السابقة لها (٣)

ثم ووفق على أن تستخلص القرارات عند تحرير المحاضر ، ويرفق محضر كل جلسة بما اتخذ فيها من قرارات (٤) .

---

(١) الجلسة الثالثة للمؤتمر (١٩ من يناير سنة ١٩٤٨) .

(١) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٨ من مارس سنة ١٩٤٨) .

(٢) الجلسه السادسة عشرة للمجلس (اول مارس سنه ١٩٤٨)

(٣) الجلسة الثالثة للمجلس (٢٠ من اكتوبر سنة ١٩٤٧) .

(٤) الجلسة الرابعة والعشرون للمجلس (١٠ من مايو سنة ١٩٤٨) .

معجم ألفاظ القرآن الكريم

عُرِضت على المجلس نماذج من عمل لجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم ، لاستطلاع وجوه الرأى فيه ؛ وكان ذلك فى جلستين متعاقبتين : عرض فى أولاهما (١) نموذجان لمادة « بكر » ومادة « بكم » ، وقد لوحظ أنهما يكتفيان بشرح الكلمة شرحاً لغوياً ، دون تفسيرها بحسب ورودها فى الآيات ؛ فقدمت اللجنة نموذجاً ثالثاً لمادة « ترك » ، لوحظ فيه أن يكون وافياً بهذا الغرض ؛ وبعد أن نظر المجلس فى هذا النموذج وافق على أن تجرى اللجنة فى وضع معجم القرآن الكريم على أساس التوسع وفقاً لما أبداه من ملاحظات [١] .

المعجم اللغوى الوسيط

نظر المجلس فى نماذج من المعجم اللغوى الوسيط(٢) ، وفى أثناء البحث عرضت مسألة الكلمات الأعجمية التى لا يعرف أصل ألفها ، وطريقة وضع هذه الكلمات فى القاموس ، ومسألةُ تقارُض بعض الحروف فى اللهجات العربية ؛ فووفق على القرارين الآتيين :

١ – الكلمات الأعجمية التى لايعرف أصل ألفها توضع فى مواضعها بحسب حروفها المكتوبة على أن يُشار إلى ذلك فى مقدمة القاموس[٢] .

٢ – تكون للمعجم الوسيط مقدمة تبين خصائص اللهجات وتحصى الكلمات التى وقع فيها الاختلاف بين قبائل العرب ، حتى لا يُحتاج إلى ذكر كل كلمة فى صلب القاموس[٣] .

المعجم الكبير

كان من بين مقترحات لجنة تنظيم العمل فى المجمع ، التى وافق عليها المجلس فى الدورة الثانية عشرة : " أن تُنشأ لجنة فرعية من لجنة المعجم مؤلفة من خمسة أعضاء للبدء فى وضع المعجم الكبير للّغة العربية ، وأن يُلاحظ فى وضع هذا المعجم – بقدر الإمكان – تاريخ

(١) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٨ من مارس سنة ١٩٤٨) .

(٢) الجلسات الحادية عشرة والثانية عشرة والسادسة عشرة للمجلس (٢٢ و ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٤٧ وأول مارس سنه ١٩٤٨) .

(١) الجلسة الثامنة عشرة للمجلس (٢٢ من مارس سنة ١٩٤٨) .

(٢) الجلسة الحادية عشرة للمجلس (٢٢ من ديسمبر سنة ١٩٤٧) وانظر أيضاً .

(٣) الجلسة السادسة عشرة للمجلس (اول مارس سنة ١٩٤٨) .

الكلمات من حيث نشأتها وأصولها واستعمالها فى النصوص المختلفة، وأن يُقترح على وزارة المعارف إنشاء خمس وظائف من الدرجة السادسة يعين عليها خمسة من الشبان الأكفاء يعمل كل واحد منهم مع عضو من أعضاء اللجنة الفرعية (١) ".

ثم كان مما قرره مؤتمر الدورة الثالثة عشرة عند النظر فى منهاج أعماله: " أن تضع لجنة المعجم اللغوى التاريخى المبادئ اللازمة للبدء فيه وترسم سبيل التنفيذ(٢) ". وقد اتصلت عناية المجلس بأمر هذا المعجم، ونظر نموذجاً لمادة «أبد» وضعه حضرة العضو المحترم الدكتور محمد شرف. ثم رأى ألا يُكتفى بهذا النموذج بل تُعرَض على المجلس نماذج أخرى قبل وضع قواعد العمل فى هذا المعجم(٣).

وفى هذه الدورة رأى مكتب المجمع أن يعرض موضوع المعجم الكبير على المجلس ليضع منهج العمل وطريقته، قبل أن ينظر المكتب فى شغل الدرجات الخمس التى قررت فى الميزانية لوظائف المساعدين.

وقد تناقش المجلس فى طريقة وضع هذا المعجم، ووافق على أن تقترح لجنة المعجم التاريخى خطة العمل، وأن يُضم إليها حضرات الأعضاء المحترمين: الدكتور عبدالحميد بدوى، والأستاذ عباس محمود العقاد، والدكتور إبراهيم بيومى مدكور، والدكتور محمد شرف، والأستاذ محمد فريد أبو حديد، والأستاذ مصطفى نظيف(١).

وألّفت لجنة المعجم اللغوى التاريخى لجنة فرعية من بين أعضائها، وضعت تقريراً عن منهج العمل فى هذا المعجم نظره المجلس(٢)، وهذا نصه:

تقرير

عن منهج العمل فى المعجم الكبير

قد لا يكون ثمت موضوع عنى به المجمع منذ نشأته عنايته بالمعجم اللغوى التاريخى، فكوّن لبحث منهج العمل فيه لجاناً عدة اشترك فيها كثير من الأعضاء بين مصريين وشرقيين أو مستشرقين. وقد قسموا الأدب العربى إلى عصور، مبينين ما يستشهد به فى كل عصر. وحاولوا حصر المعاجم وكتب اللغة التى يرجع إليها؛ واقترحوا على مكتبة المجمع اقتناء طائفة منها. وبحثوا فى ترتيب الكلمات واشتقاقها وتدرجها وتلاحق المواد وتتابعها. وعنوا بالإشارات والرموز التى لا غنى عن استعمالها منعاً للتكرار ورغبة فى التخفيف والاختزال. ولم يفتهم أمر الجزازات وما تكون عليه، فبينوا أبعادها وحددوا

(١) انظر الجزء السادس من مجلة المجمع ص ٢٣٦.
(٢) أنظر ص ٤١ من هذا الجزء.
(٣) أنظر ص ٤٥ — ٤٦ من هذا الجزء.

(١) الجلسة الثالثة للمجلس (٢٠ من أكتوبر سنة ١٩٤٧).
(٢) الجلستان السادسة والسابعة للمجلس (١٧ و ٢٤ من نوفبر ١٩٤٧).

الأمور التى يجب أن تشتمل عليها . ووضعوا فى اختصار القواعد الفنية العامة التى يجب مراعاتها فى تأليف المعاجم وأبوا إلا أن يوضحوها بنماذج فعلية لمواد لغوية تبادلوها فيما بينهم وكانت موضع نقد وملاحظة .

وقد عرض معظم هذه المقترحات على المجلس فأقره ، وطلب اعتماد المال اللازم لتنفيذه . ومع ذلك لا يزال موضوع المعجم التاريخى مجرد فكرة تثار من حين لآخر ، ويحتج لضرورة تنفيذها بأنها من أهداف المجمع الأولى ، وأن قانونه الأساسى قد نص عليها .

ومنشأ ذلك فيما نعتقد أمران : أولهما أن المجمع قد شغل بمعجم الأستاذ فيشر عن معجمه التاريخى ، وتساءل هل يغنى أحدهما عن الآخر ؟ وإذا كان فيشر قد أتم معجمه أوكاد فمن الأيسر أن نكتفى بطبعه ونتقى الأعباء الثقيلة لوضع معجم جديد . ولكنه قد وقف به عند العصر الأموى ، والمعجم التاريخى ينبغى أن يستوعب عصور اللغة كلها ، هذا إلى أن المنهج الذى ارتضاه كان محل مراجعة وملاحظة . وإذن لا بد من معجم آخر يعتمد على معجم فيشر ويتم ما بدأ ، أو ينشأ كاملا من جديد ويقوم بجانبه . وقد قضى المجمع زمناً فى مناقشة هذه المسألة ، وانتهى به الرأى إلى فصل هذين المعجمين أحدهما عن الآخر فللمعجم فيشر أسس بنى عليها ، وغاية يرمى إليها ، والواجب أن ندعه يسير فى طريقه على النحو الذى تصوره واضعه . لذلك أقر طبعه كما هو وتحت إشراف مؤلفه ، واعتمد المال اللازم له منذ خمس سنوات أو يزيد ، وفى الميزانية الحالية مبلغ ١٥٠٠ جنيه لهذا الغرض ، ولكن الحرب وأعقابها حالت حتى الآن دون أن يتولى الأستاذ فيشر الإشراف الذى عهد إليه . وعلى كل حال بقى على المجمع أن ينظر فى معجمه التاريخى ويعد العدة لوضعه .

ولكن من جهة أخرى يخيل إلينا أن البحوث التى تمت فى هذا الشأن من قبل كانت نظرية أكثر منها عملية ، فعنى بالجزازات وتحديدها أكثر مما عنى بمن يتولى ملأها ، ونوقشت المبادئ العامة لوضع المعجم دون أن تعرف الأداة التى تشرف عليه وتخرجه إلى حيز الوجود ، خصوصاً وهو عمل شاق وطويل المدى .

على أن الجانب النظرى نفسه لم يكن — فيما يظهر — متفقاً عليه دائماً تمام الاتفاق . فهل نحن بصدد معجم تاريخى يبحث فيه عن تاريخ كل كلمة وتطورها على مدى العصور ؟ وكيف السبيل إلى تحقيقه وكثير من الكلمات لا تاريخ له وما له تاريخ يعز علينا أن نقف على بعض حلقاته ؟ وهل بهذا المعجم نلغى كل معاجمنا القديمة ونعدل عنها برغم ما اشتملت عليه من بحوث قيمة وثروة نفيسة ؟

أم الأمر مجرد معجم واسع يعول فيه أولا وبالذات على جهود أصحاب المعاجم السابقين ،

وإذا كانوا قد وقفوا باستشهادهم عند العصر الأموى ، فمن الواجب أن نخطو خطوات أخرى ونتتبع الأدب العربى فى شتى مراحله ، ونضيف إلى معجم اليوم ما جدّ من لفظ وما ابتكر من مصطلح ، فنتدارك ما فات علماء اللغة المتقدمين ونكمل ما نقصهم . ويكفى هذا المعجم تجديداً أنه سيوضع بلغة العصر وروح العصر ، وسيجعل من الأدب العربى كلا مرتبط الأجزاء وسلسلة متصلة الحلقات ؟

إن المطلع على محاضر جلسات المجلس واللجان يلاحظ أن هذه النقطة أثيرت غير مرة وكانت موضع نقاش وخلاف . والواقع أن هذا الخلاف ظاهرى ، فإن أى معجم تاريخى لا يذهب واضعوه إلى أنهم يقدمون تاريخا لكل كلمة ، ذلك لأن هناك كلمات كثيرة لا تاريخ لها . والمعجم الكبير يشتمل على تاريخ بعض المفردات وتطورها ، وإن لم يسم باسمه التاريخى . ومهما يكن من شأن هذا الخلاف فإنه كان من العوامل التى وقفت حجر عثرة فى سبيل أن يخطو المجمع خطوات عملية نحو وضع المعجم الكبير .

* * *

وفى رأينا أن وضع هذا المعجم يقوم على أساسين : أحدهما فنى والآخر إدارى ، فلابد من رسم خطة محكمة تبين المصادر التى يرجع إليها ، وتفرق بين المهمل والمستعمل من الكلمات وبين الأصلى والمجازى من المعانى ، وتحدد ما يؤخذ من المصطلحات العلمية والألفاظ الحديثة ، وتبرز ما استحدث من المفردات والتراكيب فى مختلف العصور اللغوية وتشرح كيفية البحث عن أصول الكلمات ومشتقاتها وطريقة ترتيبها .

ومعجم كهذا يتطلب جهوداً متضافرة وعملا مستمراً فى عشرات السنين ، ولا سبيل لتجميع هذه الجهود وتنسيقها واستمرار هذا العمل ودوامه إلا بتكوين هيئة إدارية خاصة تشرف عليه وتتولاه حتى النهاية .

وإذا كان المجمع فيما مضى قد شغل بالجانب الفنى ، فإنه ترك جانباً تقريباً الناحية الإدارية ، ويحسن بنا الآن أن نبدأ حيث انتهى . وتقترح اللجنة أن يكون تنظيم إدارة المعجم على النحو الآتى :

١ — مقرر المعجم وهو عضو من حضرات أعضاء المجمع يختاره المجلس ، على أن يكون لديه من سعة الوقت مايمكنه من الاضطلاع بهذه المهمة الكبيرة ، ومايسمح له بأن يشرف على عمله فى المجمع كل يوم ساعتين على الأقل . وينبغى أن يمنح مكافأة خاصة على هذا التفرغ والعمل المستمر ، ونرى ألا تقل عن ثلاثين جنيها شهرياً .

٢ — سكرتارية مكونة من أربعة أو خمسة من المحررين توضع تحت تصرف المقرر فتعد البحوث المطلوبة وتصبح مركز الدائرة فى هذا العمل الواسع . وينبغى أن تزود هذه السكرتارية بما هى فى حاجة إليه من مراجع وورق وجزازات وصناديق .

وفى الميزانية الحالية خمس درجات لهذا الغرض ، ويجب المسارعة إلى ملئها كى يحل شاغلوها محل من يختارون من المحررين الحاليين لسكرتارية المعجم .

٣ – مساعدون من الخارج ، توزع عليهم أعمال بمكافآت كما حدث فى المعجم الوسيط ويستطيع المقرر أن يستعين بمن يرى من الأدباء أو المشتغلين بالبحوث اللغوية والعلمية فى معاهد التعليم المختلفة ، وأن يقترح ندب من يرى ندبه ممن لهم صلة بوضع المعاجم وتأليفها .

ويمكن البدء بخمسة من المساعدين يمنح كل واحد منهم مكافأة شهرية قدرها ٦ جنيهات كما هو الشأن فى المعجم الوسيط .

٤ – لجنة المعجم ، التى لا بد لها من عقد اجتماعات دورية مرة كل أسبوع لتعرض عليها نتائج الجهود السابقة ، ويحسن أن يعفى أعضاؤها من اللجان الأخرى كى يتوفروا على مهمتهم . فإذا ما أقرت هذه اللجنة جزءا رفع إلى المجلس لينظر فيه بدوره ، وبعد إقراره له يصبح صالحاً لأن يكون مادة من مواد المعجم . وعند هذا فقط يسجل فى الجزازات . وهى بمثابة الأصول المعتمدة التى يعول عليها عند طبع المعجم .

ونعتقد أنه إذا أقر المجلس هذه المقترحات ، ورأى البدء فى العمل فوراً ، فلن تزيد التكاليف المطلوبة فى الجزء الباقى من السنة المالية عن ٥٠٠ جنيه ، وفى الإمكان تدبيرها من بنود الميزانية الحالية ، ولكن ينبغى أن يحسب لذلك حسابه فى الميزانية المقبلة .

* * *

وإذا ما نظمت هذه الهيئة الإدارية ، فواجب المقرر أن يبدأ فيضع المنهج الفنى للعمل فى المعجم على نحو ما يرى وفى ضوء ما أقرته اللجان السابقة ، وأن يعرضه على لجنة المعجم لتقره ويصبح دستوراً يهتدى به فى مراحل السير المقبلة .

عن لجنة المعجم الفرعية

١٩٤٧/١١/١٥ (إبراهيم مدكور)

* * *

وقد قرر المجلس أن يفضى حضرات الأعضاء برأيهم فى اختيار المقرر إلى رئيس المجمع ثم يعرض حضرته أمر اختيار المقرر على المكتب ويعود المجلس بعد ذلك إلى النظر فى الموضوع (١) .

ثم عرضت على المجلس مذكرة من مكتب المجمع فى شأن اختيار المقرر ، وهذا نصها :

مذكرة
برأى المكتب فى اختيار مقرر للمعجم اللغوى الكبير

« عرض على مكتب المجمع بجلسته الرابعة والثلاثين بتاريخ ٣ من ديسمبر سنة ١٩٤٧ ، التقرير الذى أحاله المجلس على المكتب وهو

(١) الجلسة السابعة للمجلس (٢٤ من نوفمبر سنة ١٩٤٧) .

الذى قدمه حضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم بيومى مذكور إلى المجلس عن لجنة المعجم اللغوى الكبير الفرعية وتضمن هذا التقرير اقتراحاً باختيار أحد الأعضاء ليكون مقرراً للمعجم ، يشرف على أعماله ، ويمنح مكافأة لا تقل عن ثلاثين جنيها شهرياً ، وقد قرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٩٤٧/١١/٢٤ إحالة هذا التقرير على المكتب على أن يتصل حضرات الأعضاء بمعالى الرئيس ليبلغوه رأيهم فيمن يختارونه مقرراً للجنة من الأعضاء قبل عرض الموضوع على المكتب ، وأن يبلغ الرئيس المكتب ما انتهى إليه الرأى فى هذا .

« وقد أبدى حضرة الرئيس أن القيام بوضع معجم تاريخى للغة العربية غرض من أغراض المجمع تنص عليه الفقرة (ب) من المادة الثانية من مرسوم إنشاء المجمع . وأن أعضاء لجنة المعجم بالمجمع – وفيهم المقرر – يؤدون عملهم فيه كما يؤدى باقى أعضاء المجمع أعمالهم فى لجانه الأخرى فى ظل نظام المكافآت العام الذى يطبق على جميع الأعضاء فى جميع اللجان .

« وقد ناقش حضرات أعضاء المكتب هذه المذكرة ، وأضاف حضرة العضو المحترم الدكتور منصور فهمى إلى ذلك أن من الممكن ، تخفيفاً للعمل ، أن توزع أعمال المقرر على عدد من الأعضاء الذين يشتركون متعاونين فى القيام بهذه الأعمال فى ظل نظام المكافآة العام دون حاجة إلى مكافأة خاصة ودون حاجة إلى تعيين مقرر من الخارج .

« وبعد تبادل أوجه النظر فى هذا الموضوع . استقر الرأى على ما يأتى :

« أولاً – أنه بما أن المعجم من أعمال المجمع فيجب أن يكون الإشراف عليه لأعضاء المجمع دون سواهم وبدون مكافأة خاصة .

« ثانياً – تخفيفاً لأعباء الإشراف فى هذا المعجم يمكن توزيعه على عدد من حضرات الأعضاء تختارهم اللجنة . »

وبعد نقاش وافق المجلس على مخاطبة وزارة المعارف لندب أستاذ كفء من بين موظفى الوزارة تكون مهمته الإشراف المباشر على أعمال هذا المعجم ، على أن يترك لحضرتى العضوين المحترمين الأستاذ أحمد أمين والأستاذ على الجارم أمر اختيار هذا المشرف والاتصال بمعالى وزير المعارف فى هذا الشأن .

وقد قدم حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم مذكرة إلى المجلس برأيه ورأى حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد أمين فى اختيار أستاذين يشرفان على عمل هذا المعجم ومساعدين يعملون بإشرافهما . وبعد مناقشة مستفيضة فى طبيعة عمل المشرف أو المقرر ونوع صلته بالمجمع وافق المجلس على اختيار

(١) الجلسة التاسعة للمجلس (٨ من ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين مقرراً للمجمع بدون مكافأة — بناء على اقتراح حضرته — على أن يقدم إلى معالى رئيس المجمع تقريراً بما يراه فى شأن هذا المعجم والمشرفين عليه والمساعدين الذين يعملون فيه قبل الجلسة التالية [1] .

وقد عرضت على المجلس فى الجلسة التالية مذكرة من حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين هذا نصها :

« حضرة صاحب المعالى رئيس المجمع اللغوى

« أتشرف بأن أرفع إلى معاليكم أنى أقترح تنفيذاً لقرار مجلس المجمع بشأن المعجم اللغوى الكبير ندب الأساتذة : مراد كامل وإبراهيم الأبيارى وحسين موسى للعمل معى فى إعداد هذا المعجم .

« والأستاذ مراد كامل متخصص فى اللغات السامية تخرج فى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ثم درس فى ألمانيا حتى ظفر بدرجة الدكتوراه الخاصة . وهو الآن أستاذ مساعد بكلية الآداب .

« والأستاذ إبراهيم الأبيارى تخرج فى دار العلوم وأنفق أعظم الجهد فى نشر الأدب العربى القديم وهو الآن يعمل فى اللجنة التى تنشر آثار أبى العلاء . فله دراية دقيقة بالمخطوطات القديمة وحسن الانتفاع بها .

والأستاذ حسين موسى تخرج فى دار العلوم وهو الآن مدرس أول فى المدرسة الخديوية وقد أخرج مع الأستاذ عبد الفتاح الصعيدى مراقب المجمع كتاب الإفصاح وهو خلاصة للمخصص قد رتبت ترتيباً حديثاً ملائماً لروح العصر الحديث . فله دراية حسنة بعمل المعاجم .

« وإذا تم ندب هؤلاء الأساتذة الثلاثة عملت معهم فى إعداد المعجم ورسم خطته ووضع نماذج تطبيقية لهذه الخطط تعرض على المجلس ليقرها . وفى أثناء ذلك يكون اختار الموظفين الآخرين حتى إذا تم هذا الاختيار مضينا فى العمل موفقين إن شاء الله .

« وأرجو أن تتفضلوا فتقبلوا تحيتى الخالصة وإجلالى العظيم .

١٩٤٨/١/٥ (طه حسين) »

فوافق المجلس على أن يكتب إلى الثلاثة المراد انتدابهم ليتصلوا بالدكتور طه حسين لوضع الخطط والنماذج للمعجم اللغوى الكبير كى تعرض على المجمع ، على أن ينظر المكتب فى مكافأتهم مكافأة مؤقتة حتى ينتظم سير العمل [1].

وقد عُرِض على المؤتمر نموذج لمادتى « أبر » و « أجر » وضعه حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين ومعاونوه . وبعد مناقشة قرر المؤتمر ما يلى :

---

(١) الجلسة الثانية عشرة للمجلس (٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

(١) الجلسة الثالثة عشرة للمجلس (٥ من يناير سنة ١٩٤٨) .

أولا – السير فى العمل فى المعجم على أساس النموذج المعروض مع رعاية ما أبدى فى المناقشة من ملاحظات .

ثانياً – أن ينظر مكتب المجمع فى تقدير مكافأة مساعدى الدكتور طه حسين فى عمل المعجم كما ينظر فى شغل وظيفتين لهذا من بين الوظائف الحالية بالمجمع .

ثالثاً – بعد إعداد طائفة من المواد تعرض على لجنة المعجم وتدون فى جزازات ثم تحال إلى المجلس وكذلك ترسل إلى أعضاء المؤتمر جميعاً لتكوين ملاحظاتهم عليها تمهيداً لعرض المواد على المؤتمر(١) .

ثم عُرِض على المجلس بحث فى الهمزة ورسمها أُعِدّ لهذا المعجم ، وبعد مناقشة (٢) ووفق على أن " يُنقل موضوع « رسم الهمزة » فى المعجم الكبير إلى بحث خاص يعقد لرسم الحروف ويوضع فى مقدمة هذا المعجم " (٣)

(١) الجلسة التاسعة للمؤتمر – لجنة عامة (١٢ من فبراير سنة ١٩٤٨) ، والجلسة العاشرة للمؤتمر (١٦ من فبراير سنة ١٩٤٨) .

(٢) الجلسة المتمة العشرين والجلسة الحادية والعشرون والجلسة الثانية والعشرون للمجلس (٥ و ١٢ و ١٩ من أبريل سنة ١٩٤٨) .

(٣) الجلسة الثانية والعشرون للمجلس (١٩ من ابريل سنة ١٩٤٨) .

من تعبيرات المحدثين

قرارات لمجلس المجمع فى استعمال بعض الألفاظ والتراكيب (١)

١ – " التهريج "

كلمة التهريج عربية صحيحة ، فقد ورد فى اللغة : هرّج فى الحديث : خلط فيه ؛ وتضعيف المادة صحيح استناداً إلى ماقرره المجمع من جواز تضعيف الثلاثى للتعدية والتكثير على ألا يقر المجمع مثل هذه الكلمات إلا بعد تمحيصها .

وتستعمل هذه الكلمة فى التخليط سواء أكان تخليطاً للإضحاك أو تخليطاً فى المنطق والرأى مثل التهويش السياسى .

٢ – " أكوام "

كلمة « أكوام » صحيحة جمعاً لكوْم . فقد ورد فى اللغة مايدل على أن الكوم اسم جنس جمعى يطلق على أكثر من واحد ، وأن مفرده كومة . وورد فيها مايؤخذ منه أن الكوم قد يطلق ويراد منه الشيء الواحد ، وجمعه أكوام . وفى الحديث : « حتى رأيت كومين من طعام وثياب » . وهذا دليل على صحة كوم وجمعه أكوام .

٣ – " الطراز "

كلمة « الطراز » بمعنى النموذج صحيحة استناداً إلى ماجاء فى شعر حسان بن ثابت فى قوله :

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم
شُمُّ الأنوف من الطراز الأوّل

(١) درستها لجنة الألفاظ والأساليب وعرضتها على مجلس المجمع فى الجلسات من الثالثة والعشرين إلى السابعة والعشرين (٢٦ من ابريل و ٣ و ١٠ و ١٧ و ٢٤ و ٣١ من مايو سنة ١٩٤٨) .

٤ – " الكستنىّ والقسطلىّ "

وافق المجلس على صحة كلمة « كستنىّ » وكلمة « قسطلىّ » وصفاً للوْن بعد أن استمع لهذا البحث الذى أعده حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبو حديد :

كستنا : كستنىّ اللون ؛

لايوجد هذا اللفظ فى أى كتاب من كتب اللغة العربية لاقديمها ولاحديثها .

وإنما ورد لفظ « قسطنة الهند » فى « قاموس النبات » لأرمناك بدفيان وهى ثمرة تعرف بالإنجليزية باسم Chest-nut وبالفرنسية باسم Chataigne وبالطليانية باسم Castagna والاسم الطليانى أقرب الأسماء للفظ المستعمل فى اللغة العربية الدارجة للثمرة المعروفة باسم « أبو فروة » .

وجاء فى « أقرب الموارد » أن « أبو فروة » هى ثمرة البلوط ، ويقال هو الشاهبلوط المعروف بالكستنا . فاللفظ كما يلوح تعريب للفظ الطليانى الذى ينطق « كستنيا » وقد يكون أهل سواحل مصر وسواها من البلاد التى تتكلم العربية قد سمعوا اللفظ ونقلوه نقلا إذ لم يجدوا لفظاً آخر يقوم مقامه فى لغتهم . فالثمرة « أبو فروة » ليست من ثمار جنوب البحر الأبيض المتوسط فلم يعرفها العرب إلا باسمها المنقول إليهم ممن نزلوا السواحل من

أهل إيطاليا ، وقد يحرّف بعض أهل السواحل هذا اللفظ فيقولون « قسطنة » أو « قسطل » فإن وجود كلمة « القسطل » فى اللغة العربية جعل لفظها مقبولا عندهم خفيفاً على أسماعهم.

ولكن القسطل فى اللغة العربية إنما يطلق على الغبار أو غبار الحرب خاصة فليس له علاقة بالنبات ولا بالثمار .

ولم يرد فى مفردات ابن البيطار لفظ « القسطل » ولا لفظ « القسطنة » ولا لفظ « الكستنا » .

ومهما يكن من الأمر فإن هذا الاسم يطلق على ثمرة غير معروفة فى البلاد التى تتكلم اللغة العربية ولم تكن معروفة فى بلاد العرب وإنما سميت باسم « أبو فروة » لأن قشرتها الداخلية يغطيها خمْل لطيف كأنه فروة . وهذه التسمية يبدو عليها الروح العامى إذ ليس فيها سوى تسمية عامية لمظهر سطحى .

ونحن مخيرون بين هذا اللفظ وبين اللفظ الفرنجى الطليانى . وأبو فروة اسم ظريف مع أنه عامى ولابأس باستعماله إذا أردنا تسمية الثمرة . ولكن النسبة إلى هذا اللفظ تعرضنا للبس كما أنها نسبة عسيرة فلايمكن أن يقال لون فروى ولا أن يقال أبو فروى ولست أتصور صيغة نسبةمن هذا اللفظ يمكن للذوق العربى أن يقبلها.

وأما لفظ الكستنا فإنه وإن كان أعجمياً خفيف على اللسان وإذا جعل آخره تاء مربوطة كانت صورته قريبة من صور الكلمات العربية

ولست أجد مانعاً يمنعنا من أخذ أسماء الفواكه والثمار التى لم يعرفها العرب ولم يتخذوا لها أسماء من قبل . وأغلب الظن أنهم لو عرفوا تلك الثمرة لسموها بالاسم الذى سمعوه من أصحابها .

وقد أخذ العرب كثيراً من أسماء عن الثمار غيرهم كالجوز والبندق .

لهذا لست أرى مانعاً من استعمال لفظ الكستنة أو الكستنا للدلالة على واحدة ثمرة «أبوفروة»وهو عندى أظرف وألطف . ويمكن جمعُه على «كستنات » والنسبة إليه «كستنىّ» .

واللون الكستنىّ لون لا يمكن التعبير عنه ولا وصفه بما هو أدق من هذه النسبة . فإضافة هذا اللفظ إلى اللغة العربية ضرورة لا غنى عنها .

٥ — " تأكدت من كذا "

فى اللغة : أكّدتُ الأمرَ ، فتأكّدَ الأمرُ ، والأمرُ مؤكّد . وأصل المادة معناه الربط والشد . وعلى هذا فالتأكيد لا يقع حقيقة على الأشخاص بل على الأشياء والأمور . تقول : تأكّد الأمر ، ولا تقول : تأكدت منه ولا تأكدته . هذا ما نصت عليه كتب اللغة وما يستقيم فى الاستعمال من غير تأويل.

ولكن بعض الكتاب يقولون : تأكدت من الشيء ، وأنا متأكد منه ، ونحو ذلك . وهذه التعبيرات لا تُصحَّح إلا بتأويل بعيد. فالصواب أن يقال : تأكد لى كذا ، أو تأكد عندى كذا .

٦ — " وبالكاد . . . "

نظر المجلس فى قولهم : «جرى وراءه وبالكاد أدركه » . ووافق على أنه ما دام فى

اللغة كلمة «كئود» ، وهى فعول من الثلاثى ، فلا بد أن يكون هناك الفعل الثلاثى «كأد» بمعنى شق وصعُب ، وهذا يستلزم وجود المصدر وهو الكأد . وإذاً يصحح هذا الأسلوب على أن الألف مسهّلة من الهمزة .

٧ – " وبالتالى . . . "

ونظر المجلس فى قولهم : «فعل كلذا ، وبالتالى يستحق كذا» ، ورأى أنه تعبير دخيل وإن لم يكن خاطئا ، واختار أن يُهجَر هذا الأسلوب ويستعمل مكانه : «فعل كذا ومن ثم أو من ثمة يستحق كذا» ، أو يستغنى عنه بالفاء ، أو يقال : «وبالتلوّ يستحق كذا» .

٨ – " جاء فورا "

ونظر المجلس فى قولهم : «جاء فورا» ، «ودفع الثمن فورا» ، «وجاء فورَ الحين» وفورَ الساعة» ، ولاحظ أن التعبير المألوف فى العربية : «جاء من فوره» بمعنى جاء ولم يُعَرِّج أو جاء من ساعته ؛ «وجاء على الفور» أى لا على التراخى . ورأى المجلس أنه يصح أن يُقال : «جاء فوراً» ، «ودفع الثمن فورا» على الحاليّة ، والفور السرعة وعدم التراخى . وأما قولهم : «فور الحين» «وفور الساعة» فلا وجه لها .

٩ – " ساهم "

بعض الكتاب يتجنب كلمة «ساهم» ، ويستعمل «أسهم» والكلمتان بمعنى واحد ، وهما فى الأصل أخذ سهم فى الميسر بين آخرين ، ثم انتقل المعنى إلى أخذ نصيب مع غيره من الآخذين ، ثم استعملتا أخيراً فى المشاركة فى شىء ما . فالمجلس يرى أن كلتا الكلمتين صحيحة فى معنى المشاركة ، وأنه لا مسوّغ لتجنب الكتاب كلمة «ساهم» .

وقد استأنس المجلس بما ورد فى مقدمة لسان العرب (ص ٣) حيث يقول : " فاستخرت الله سبحانه وتعالى فى جمع هذا الكتاب المبارك ، الذى لا يساهَم فى سعة فضله ولا يشارَك " .

١٠ – " تكاتفوا "

نظر المجلس فى استعمال كلمة «تكاتفوا» بمعنى تعاونوا ؛ ولم ترد هذه الكلمة فى كتب اللغة ، وكل ما جاء فى لسان العرب مما يمكن أن يُنتفَع به هنا هو : الكَتْف : " شدُّكَ اليدين من خلف ؛ وكتَف الرجلَ يكتِفه كَتْفا وكتّفه : شد يديه من خلفه بالكِتاف ، والكِتافُ : ما شُدَّ به . . . ؛ وجاء به فى كِتافَ : أى فى وِثاق " .

ولكن اللجنة رأت قبولها استناداً إلى شيوعها فى استعمال الكتاب المحدثين ، ولأن أقيسة اللغة لا تأباها ؛ كما اشتقوا من العضد «تعاضدوا» ، ومن السنَد «تساندوا» . ففى القاموس فى مادة (عضد) : " العَضْد بالفتح وبالضم وبالكسر وككَتِف ونَدُس وعنق مابين المرفق إلى الكتف ... وتعاضدوا : تعاونوا " . وفى اللسان : " عاضده : أعانه . وعاضدنى فلان على فلان أى عاوننى والمعاضدة : المعاونة " . وفى المعيار : " وتعاضدوا ، على تفاعلوا : تعاونوا " .

وفى القاموس فى مادة (سند) : " وتساند : استند . وساند فلانا : عاضده وكاتفه" . وفى التاج : " يقال : ساندتُه إلى الشىء فهو يتساند إليه أى أسندته إليه ... وفى حديث أبى هريرة : خرج ثمامة بن أثال وفلان متساندين ، أى متعاونين ، كأن كل واحد منهمايسندعلى الآخرويستعين به . وفى الأساس : " ومن المجاز : أقبل عليه الذئبان متساندين وغزا فلان وفلان متساندين " .

جوائز المجمع الأدبيـــة
فى مسابقة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨

وافق مجلس المجمع[1] على تقرير لجنة الأدب عن المسابقات الأدبية لسنة١٩٤٧ـ٤٨ وهذا نصه :

« منذ أن انتهى الميعاد المحدد لقبول الإنتاج الأدبى (وهو آخر نوفمبر سنة ١٩٤٧) أخذت لجنة الأدب تتابع دراسة كل ما قدم إليها من الإنتاج الأدبى فى الشعر والقصة والبحوث الأدبية ، ثم انتهت أخيراً إلى البت فى المسابقات الأدبية على الوجه الآتى :

١ ـ مسابقة البحوث الأدبية

« فى ٦ من ربيع الثانى سنة١٣٦٧هـ (الموافق ١٦ من فبراير سنة ١٩٤٨ م) درست اللجنة آراء حضرات الأعضاء الذين قرءوا البحثين المقدمين فى مسابقة البحوث الأدبية عن الموضوعين الآتيين :ـ

١ ـ مهيار الديلمى وشعره .

٢ ـ البيئة الأدبية فى المدينة أيام بنى أمية.

« ثم قررت منح البحث المقدم عن مهيار الديلمى وشعره للأستاذ على على الفلال ٢٠٠ جنيه .

(١) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٨ من مارس سنة ١٩٤٨).

٢ ـ مسابقة القصة

« وفى الاجتماع عينه درست اللجنة آراء حضرات الأعضاء ، عن الخمس والعشرين قصة التى وردت اللجنة وقرأها الأعضاء ، ثم رأت أن قصة « خان الخليلى » للأستاذ نجيب محفوظ تمتاز بالروعة القصصية الفنية مع ما يلاحظ على أسلوبها ، كما رأت أن قصة « على باب زويلة » للأستاذ محمد سعيد العريان على ما فيها من محاولة فنية مقبولة تمتاز بصدق التاريخ وسلاسة الأسلوب وصفاء الديباجة وصحة اللغة .

« ومن أجل ذلك قررت اللجنة تقسيم مبلغ الـ ٣٠٠ جنيه المرصدة للقصة بالتساوى بين قصة « خان الخليلى » الأستاذ نجيب محفوظ وقصة « على باب زويلة » للأستاذ محمد سعيد العريان .

٣ ـ مسابقة الشعر

« وفى ١٣ من ربيع الثانى سنة ١٣٦٧ هـ (الموافق٢٣ من فبراير سنة ١٩٤٨ م) اجتمعت اللجنة ودرست كل آراء حضرات الأعضاء عن الدواوين الشعرية التى وردت اللجنة وقد بلغ عددها ٣١ ديوانا ، ثم انتهت إلى توزيع مبلغ الـ ٣٠٠ جنيه المرصدة لجائزة الشعر على النحو الآتى :ـ

٨٠ جنيه لديوان «أغاريد السحر» للأستاذ على الجندى .

٨٠ جنيه لما ورد اللجنة فى حدود شروط المسابقة من شعر الأستاذ عثمان حلمى .

٧٠ جنيه لديوان «الملك» للأستاذ محمود حسن إسماعيل .

٧٠ جنيه لما ورد اللجنة من شعر الأستاذ إلياس فرحات (١) . »

واحتفل المجمع بإعلان هذه الجوائز فى مساء الأربعاء ١٠ من مارس سنة ١٩٤٨ ، بدار الجمعية الجغرافية الملكية ، وشهد الحفل مع من شهده من أعضاء المجمع عدد من الوزراء والكبراء والأدباء ، وجمهور من المعنيين بالحركة الأدبية فى أقطار العربية .

وألقى كلمة الشعر حضرة العضو المحترم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، ثم تلاه حضرة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف فتحدث عن حكم المجمع فيما قدم إليه من البحوث الأدبية ، وأعقبهما حضرة الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومى مذكور متحدثاً عن القصة وما أجيز منها هذا العام .

ثم أعلن حضرة الدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع قرار المجلس فى شأن المسابقات الأدبية ، وهنأ السابقين بسبقهم ، وتمنى لهم اطراد النجاح . وبذلك انتهى الحفل .

وفيما يلى نصوص الكلمات التى ألقيت عن الشعر والبحث والقصة :

كلمة الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى عن الشعر

يقول الشاعر :

الشعر صعب ، وطويل سُلَّمُهْ
إذا ارتقى فيسه الذى لا يعلمه
هوت به إلى الحضيض قدمه

فأما أنه صعب فصحيح ، ووجه الصعوبة فيما يبدو لى ، أن الملكة وحدها لا تكفى وأنه لا معدى عن الأداة التى يتسنى بها للملكة أن تظهر وتتبدى ، ولكل فن أداته فأداة الموسيقى مثلا الأصوات المؤتلفة أو المنسقة أو المتجاوبة التى تلائم المعانى المقصودة وتصورها فى نفس السامع على قدرما يدخل فى طاقة الصوت الصرف أن يفعل ذلك ، وأداة التصوير الألوان من بسيطة ومركبة أو متزاوجة ، وأداة الشعر تأليف الكلام على نحو يفيد القارئ أو السامع معانى الجمال أو الجلال التى يراد العبارة عنها .

وأما أن السلم طويل فأحسب أن المراد به — أو على الأقل ما نفهم نحن فى زماننا أنه المراد به — هو اكتساب المرانة والمرونة فى الأداء ، فإن كل فن — ككل صنـاعة —

(١) تبرع الأستاذ إلياس فرحات بقيمة جائزته لإحدى الجمعيات الخيرية .

نكتسب المرونة فيه على الأيام ، ولا يخلو أمره فى البداية من بعض العسر . وأذكر أن المرحوم حافظ إبراهيم كان فى مجلس شهدته، فأوحى إليه الحديث الدائر معنى ارتجله فى بيتين ، فقال له بعضهم « أرتجلتهما أم كنت نظمتهما من قبل ؟ » فقال حافظ « لى أربعون من السنين وأنا أنظم الشعر فكيف لا أقدر على ارتجال بيتين اثنين ؟ » وقد كان حافظ شاعراً ليس إلا ، ولم يكن ممن يعنون أنفسهم بالبحث ، ولكنه أصاب فى جوابه الذى نطق به على البديهة ، فإن سهولة النظم أو سهولة الإعراب عما يدور فى الذهن أو النفس من ثمرات المزاولة الطويلة ، ولا أحتاج أن أقول إن السرعة فى النظم لا علاقة لها بجودة المعنى أو سموه ، فإن هذا شىء آخر مختلف جداً ، وإنما أردت أن أقول إن القدرة على الأداء — سواء أكان المعنى جيداً أم سفسافاً — تزداد بطول المزاولة حتى يمكن أن يقال إن الأمر من هذه الناحية يصبح صناعة .

وليست العبرة فى حسن الأداء ووفائه بكثرة المحفوظ ، وإنما هى بالقدرة على تخير الرموز الدالة على المراد أوفى دلالة ، وكما أن الغنى الواسع الثراء لا يحتاج إلى كل ماله فى مطالب العيش ، كذلك لا يحتاج الكثير المحفوظ إلى كل ما حفظ أو عرف ، وكل ما تفيده الكثرة هنا هو الخبرة بأساليب التعبير وألوانه ، والثقة بالنفس ، والاطمئنان إلى توفر المادة ، على أنها — أى الكثرة — قد تكون مبعث حيرة ، أو تغرى بالإسراف والتظاهر والإغراب ؛ فيجنى ذلك على الدقة والإحكام ويشوه جمال المعانى ، أو يفقدها جلالها وروعتها ، ويصبح الشاعر أو الكاتب أشبه بالمرأة التى تظهر فى حفل من الزينة ، وتحمل كل ما ملكت يداها من حلى ، ولو اقتصدت أو آثرت العطل لما كان ذلك ضائرها ، ولا كان من شأنه أن يغض من حسنها الطبيعى .

ولقد قال النقاد فى شيلر الشاعر الألمانى إن الألفاظ التى استعملها فى قصائده ورواياته الشعرية قليلة ولكنه استطاع بهذا القليل أن يؤدى معانيه جميعاً أحسن أداء وأجمله ، وكان جوتيه معاصره وزميله يمتاز بالثراء اللغوى ، ومع ذلك لا يخلو كثير من شعره من الغموض المتعب ؛ لا لأنه كان أعمق ، فإن العمق ليس عذراً للعجز عن الإبانة ، وما من معنى يدور فى النفس بوضوح الاوفى وسع اللغة أن تكشف عنه ، وذلك لأننا لا نستطيع إلى الآن أن نفكر إلا بمعونة اللفظ ، فإذا دار فى النفس معنى فإنه لا يمكن أن يتضح إلا إذا اتخذ صورته اللفظية ، إذ كان لا يمكن أن يتبدى بغير ذلك ؛ أى مجرداً من اللفظ الذى يكشف عنه ، فإذا جاءت العبارة عن المعنى غامضة ، فإنما يكون ذلك لأن صاحبه لم يستطع أن يجلوه لنفسه ، ولذلك تجىء عبارته عنه مضطربة أو غير دقيقة ، أو غير كافية لإبراز المعنى ، ولا ذنب للغة ، ولا قصور فيها ، لأنك حين تريد العبارة عن شىء فإما أن يكون هذا الشىء قد تجلى لك ووضح وضوحاً تاماً ، وحينئذ يكون قد اكتسى لفظه لأنه لا سبيل إلى معنى بغير لفظ يكتسيه ، وإما أن يكون هذا الشىء لا يزال غامضا فى نفسك ، ومعنى ذلك أنك لم تستطع أن تحيط بجوانب هذا الشىء وأن تتبينه على وجه جلى ،

وأنك لهذا لم تستطع أن تكسوه الثوب الذى يتبدى فيه لك وللناس .

وليس الشعر « علما » كما يمكن أن يتوهم الذى يقرأ قول الشاعر « إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه » وعسى أن تكون القافية قد جنت عليه فى هذا التعبير ، ولو كان الشعر علما لكان أولى بالنبوغ فيه المتأخر دون المتقدم ، ولكن الأمر « يكاد » يكون على النقيض . على أنه ليست هناك قاعدة مطردة ، فالشعراء ينبغون فى عصور البداوة وفى عصور الحضارة على السواء تقريبا ، ولا ضابط هناك ولا قاعدة ولا مقياس يعول عليه ، لأن الأمر فى الشعر ليس مرجعه إلى العلم أو الثقافة أو الحضارة ، بل إلى المواهب الشخصية وإلى الأحوال الاجتماعية التى تساعد على ظهور هذه المواهب. والحقيقة الوحيدة التى يمكننى ، فيما أرى استخلاصها من تاريخ الأدب فى الأمم المختلفة ، هى أن نهضة الأدب فى بلد ما تكون إيذاناً بنهضة عامة فى هذا البلد ، فى كل باب . وقد رأينا مصداق هذا فى تاريخ اليونان والرومان والعرب والفرس ، وإيطاليا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وروسيا ، فما من نهضة قومية فى بلد من هذه البلاد إلا وقد سبقتها نهضة أدبية . ولهذا يخيل إلى ، وإن كنت لا أستطيع أن أجزم بصحة هذا الرأى ، أن حالة البداوة لعلها أعون على ظهور المواهب الشعرية ، على أنى أوثر أن أضيق نطاق هذا الرأى فأقول إن حالة البداوة أعون على رواج سوق الشعر ، وأبعث على الإقبال عليه والاستمتاع به ، وتعليل ذلك يسير ، ولكن شرحه يطول ، والمجال ضيق ، ويكفى أن أقول الآن — وإن كان هذا فى الحقيقة لا يكفى — إن الشعر فى هذه الحالة يكون أشبه بعمل من أعمال الجماعة وأوثق صلة بحياتها العامة ، وهو يقترن فى هذه المرحلة التى تعد إلى حد ما ، بدائية ، بالرقص والموسيقى ، كما يقترن أيضا بمساعى الجماعة وآمالها ومخاوفها ، وقد كانت هذه الفنون الثلاثة فى كل جماعة بشرية فى هذا الطور ، أى قبل أن تتحضر ويحدث فيها التخصص ، مجتمعة غير مفترقة ، وكان الموهوب من أفراد الجماعة يرفع صوته بالكلام الموقع على حركة الرقص ، والذين يتولون الطبل والزمر وغير ذلك ، يتبعون الحركة والصوت ، ويجعلون نقرهم أو نفخهم على مقتضى ما يسمعون ، ويرون ويحسون أيضا .

والشعر فى هذه المرحلة من حياة الأمة يعد كما قلت — أشبه بعمل من أعمال الجماعة أو تعبيرا عن آمالها ونزعاتها ، والغامض المستبهم من غاياتها التى فى نفوسها دون اتضاح. ولست أظن أنى أبعد حين أقول إن الشعر فى هذا الطور يكون مستوحى من حياة الجماعة ، ومردوداً إليها فى الوقت نفسه ، ومن هنا قال العرب ما معناه أن الشاعر كان لسان القبيلة والمنافح عنها والذائد عن حياضها ، ومن هنا أيضا كانت أسواق العرب التى كانوا ينشدون فيها الشعر ويتنافسون فى ذلك ، إلى جانب التجارة .

ثم تتحضر الأمة فيحدث التخصص ، ويذهب كل فن مذهبه ، ولكن الصلة القديمة ما زالت باقية ، فالرقص لا يستغنى عن

الموسيقى ، وإن استغنى عن الشعر . والشعر وثيق الصلة بالموسيقى ، وإن كان لا يفتقر إلى جماعة ترقص وتصفق ، وطبلة تقرع ، ومزمار ينفخ فيه . ومع الحضارة واتساعها ، صارت الفنون ، وفى جملتها الشعر (ذاتية) ، وأصبح الشاعر يستمد وحيه من روحه وتجربته ، ونوع استجابته للحياة .

فالشعر كان عملا من أعمال الجماعة ، أو لعل الأصح أن نقول إنه كان عملا توحى به روح الجماعة وتشجع عليه ، وتشارك فيه حتى لقد ضاعت حقوق التأليف فى بداية هذا الطور ، كما تضيع حقوق التأليف إلى الآن بين جماعات العمال وهم يزاولون ما يكلفون ، ويستعينون على الجهد المطلوب بالغناء والإنشاد والترجيع ، ثم أصبح — أى الشعر — عملا فرديا ذاتيا ، وما زال يستمد بواعثه من روح الجماعة ولكن نطاقه اتسع وأفقه رحب . وتزاوجت فيه العاطفة والعقل وتعددت أغراضه ومناحيه ، وصارت له أصول وفروع وظلال .

وفى كل أمة ، وكل عصر ، يظهر الشعراء ، ولكن أكثرهم ينسون كأنهم ما كانوا . لأن النبوغ لا يؤتاه إلا الأقلون ، ولأن دنيا الشعر — كدنيا الفنون قاطبة — لا يخلد فيها إلا الأعلون أو الذين يقول ڤيكتور هيجو إن حرارة نفوسهم تبلغ درجة الغليان التى ما فوقها درجة وما أكثر من قالوا الشعر فى كل أمة ، وكل جيل من أجيالها ، وما أقل من بقيت حتى أسماؤهم مذكورة . لأن الأوساط لا يحصون وذاكرة الدنيا أضعف وأضيق من أن تعى غير الأفذاذ . والوسط كالردىء فى ميزانها وحسابها ، كلاهما يسقط من الحساب أو يشيل فى الميزان .

ولقد أقام مجمعنا مسابقة للشعر ، فتقدم إليه أكثر من ثلاثين ديواناً ، كلها من الوسط ، ولا غرابة فى هذا فإن الوسط فى كل باب وكل ميدان هو الجمهور الأكبر ، فكان بين أمرين : أن يتشبث بالمثل الأعلى ، وذلك عزيز ، أو أن يؤثر التشجيع ، وسبيله أهدى فآثره ، ونظر فى الشعر الذى عرض عليه ، متسامحاً ، وراعى أمرين : الشاعرية والصورة ، ذلك أن الشاعرية هبة واستعداد وليست بالذى يكتسب ، وإن كانت القدرة على النظم تستفاد ، أما الصورة التى تتبدى فيها المعانى — أى الأداء — فلكة واكتساب فى آن معاً .

وعلى هذا غربل ونخل ، واستخلص أربعة دواوين ستسمعون بعد قليل أسماء أصحابها وما فازوا به من جوائز رؤى توزيعها عليهم وقسمتها بينهم لتعذر المفاضلة الصريحة مع التقارب الشديد .

من هذه الدواوين الأربعة ما يجرى على النهج القديم أو التقليد ، وما يؤثر نهجاً جديداً وما يتبع القديم حيناً وينحرف عنه حيناً ، ولكن فيها كلها اجتهاداً واضحاً ، وإخلاصاً بيناً ؛ وكثير مما تركت إجازته ليس دون هذه كثيراً ولكنه كان لا بد من مقياس للمفاضلة ، وقد قلت إن المقياس هو وضوح الشاعرية وحسن الأداء ووفاؤه ، أو على الأقل سلامته من الشوائب .

وإن المجمع ليرجو أن يكون فيما آثره من التشجيع استحثاث للهمم ، فإن نهضة الأدب بشير لا يكذب بنهضة الأمة عامة ، وما من أمة ينبغ فيها ولو شاعر واحد إلا وذلك إيذان بأنها قاب قوسين أو أدنى من العزة والمجد ؛

كلمة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف
عن البحوث الأدبيـــة

فى عرفنا التشريعى المذكرة الإيضاحية لأى قانون هى النور الذى يجلو مواد هذا القانون ، وهى التى يستعين بها القاضى على فهم مواد القانون حق فهمها ، وتطبيقها على وجهها . ولن يستطيع كل قارئ للقانون أو فاهم له أن يضع مذكرته الإيضاحية ، إنمـــا الذى يستطيع أن يضع المذكرة الإيضاحية للقانون هو من أحاط علماً بجملته وتفصيله ، ووقف على مقاصده ومراميه ، وقارن بين الأحكام التى جاءت فيه وما سبقها من الأحكام ، ووقف على أسباب التعديل أو التغيير أو النسخ . وفى رأيى أن البحث الأدبى فى شاعر وشعره ، أو كاتب ومؤلفه ، ما هو إلا مذكرة إيضاحية يضعها الباحث لهذا الشاعر وشعره ، أو لهذا الكاتب ومؤلفه ، ولا يستطيع كل من درس التاريخ السطحى للشاعر أو قرأ ديوانه أن يكتب مذكرة إيضاحية عن الشاعر وشعره ، إنما يستطيع أن يكتب هذه المذكرة الإيضاحية من درس هذا الشاعر وشعره دراسة طويلة عميقة ، و درس عصره والبيئة التى أنبتته ، ومزاجه والعوامل التى كونت شاعريته ، وخصائصه والطابع الذى امتاز به ؛ هذا الباحث الذى أحاط علماً بذلك كله هو من يستطيع أن يكتب مذكرة إيضاحية عن الشاعر وشعره . وقل مثل ذلك فيمن يبحث كتاباً قيماً من كتب الأدب . فليس من الميسور لأى من كان أن يكتب مذكرة إيضاحية عن كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، أو عن كتاب العمدة لابن رشيق ، أو عن الكامل للمبرد ، إنما يستطيع أن يكتب عن أصل من هذه الأصول الأدبية من امتزج بهؤلاء الأعلام سنين طويلة ، وتمثل عصرهم ، ولمس أغراضهم ، وكأنه عاش فى بيئتهم . وهذا عمل مجهد وعسير ، ولكنه منتج ومفيد . ولقد أحسن المجمع إذ جعل من موضوعات المسابقة البحث الأدبى . فإن كل باحث له كرامة يحرص عليها لا يستطيع أن يتقدم للمجمع ببحث أدبى إلا بعد عناء طويل ، وجهد جهيد وبحث متصل ، يجلى صورة لهذا الشاعر الذى يكتب عنه المذكرة الإيضاحية ، أو لهذا الأصل من أصول الأدب الذى يعرضه للناس .

وكلنا نعلم أن كثيراً من شعر الشعراء وكثيراً مما يكتبه الكتاب لا تنجلى معانيه للقارئ حق الجلاء إلا بدراسة الملابسات التى قيل فيها الشعر أو كتب فيها الأدب . وأقرب شاهد على ذلك أننا الآن بمشاكلنا الحاضرة ، وقضايانا الظاهرة وثوراتنا المتصلة ، نستطيع أن نفهم كثيراً من شعر شوقى وحافظ ، وغيرهما من شعراء هذا العصر ، لأن معانيهم مما نشاهده ونعيش فيه ، ولكننى لا أدرى هل يفهم أهل الجيل القادم مثلا قول شوقى :

ولن نرتضى أن تقد القنـــا
ة ويفصل من مصر سودانها
وحجتنا فيهما كالصبـــا
ح وليس بمعييك برهانها

لا أظن أن من لم يعرف مشكلاتنا القومية الحاضرة ، ولم يعرف الشخص الذى يخاطبه شوقى بهذه الكلمة ، يستطيع أن يفهم من معنى هذين البيتين بعد جيل مانفهمه الآن . لاجرم أن معرفة الملابسات والعوامل والبواعث هى خير معوان على فهم الشعر والأدب حق فهمهما .

• •

فى سنة ثلاثين وتسعمائة وألف طبعت دار الكتب ديوان مهيار الديلمى فى أربعة أجزاء ، ضمت قرابة خمسمائة قصيدة ، تشتمل على نيف وعشرين ألف بيت ، وقد قرأنا الكثير من هذا الديوان وفهمناه ، ولكن كثيراً من شعر مهيار لم يفهم للكثيرين على جليته ، فهو يخاطب أشخاصاً ويثير مشاكل ، لو أحطنا بها خبُراً لكان فهمنا لشعره أدق وأسلم ، واجتلاؤنا لمراميه أوضح وأبين .

ولهذا أعتقد أن هذا الباحث الذى قدم إلينا بحثه الأدبى فى مهيار وشعره وفق إلى حد كبير إذ عنى عناية كبيرة بدراسة عصر مهيار ، وقد عاش مهيار فى بغداد فى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس ، فعكف ذلك الباحث على دراسة عصر ملوك بنى بويه ، من مبدئه إلى منتهاه ، ورجع العوامل التى أحاطت بمهيار وأثرت فى شعره إلى خمسة عوامل :

أولها : فقره . فقد كان فى أكثر شعره يشكو الفقر ويندب سوء الحظ ، وأكثرنا نحفظ له مثل هذه الأبيات :

عيش كلا عيش ونفس مالها
من متعة الدنيا سوى حسراتها
وتودّ حين تود لو ما بدلت
أحبابها من جورها بعداتها
ويزيدها جلداً وفرط تجلد
بين العدا الإشفاق من إشماتها
إن كان عندك يازمان بقية
مما يضام به الكرام فهاتها

ومثل قوله فى قصيدته الحائية :

شد ما منى غرورا نفسه
تاجر الآداب فى أن يربحا
أبداً نبصر حظناً ناقصاً
حيثما نبصر فضلا رجحا
والمنى والظن باب أبداً
تغلق الأيدى إذا ما فتحا
قد خبرت الناس خبرى شيمى
بخلاء وتسمَّوا سمحا

وتكاد لاتخلو قصيدة من قصائد مهيار من شكوى الزمان وندب سوء الحظ . وقد عنى باحثنا ببيان عامل الفقر الذى أثر فى شعر مهيار وبين أن هذا الفقر لم يكن داء خاصاً بمهيار وإنما كان عرضاً عاماً لسوء سياسة الدولة فى عصره ، وذلك أن الدولة فى هذا العهد كانت دولة بؤس وفقر ، وكان ملوك بنى بويه يلقبون بجلال الدولة وشرف الدولة وبهاء الدولة ، والحقيقة أن أكثرهم كانوا شقاء الدولة وبؤس الدولة وفقر الدولة . ولقد ملكنى العجب حين تذكرت مافى كتاب الخراج الذى ألفه أبو يوسف لهرون الرشيد عما كان يجبى من سواد العراق من أموال طائلة ، ورأيت

كيف أصبح هـذا السواد بعد قرن أو يزيد قليلا موطن الفقر ، وموئل البؤس ، ودار الشقاء ؛ عجبا ! كيف تبدلت الحال ؟ فماء دجلة ماغاض ، وسواد العراق ما أملح ، ولكنها العقول أجدبت ، والأيدى شلت ، وليست العبرة بالمكان بل العبرة بالزمان ، وليست العبرة بالأرض بل العبرة بالسكان .

ووضح الباحث عاملا ثانيا من العوامل التى كان لها أثر فى شعر مهيار ، وهو النزاع الذى كان مستعراً بين بنى بويه وبين جيشهم ، وماكان يذكى هذا النزاع من شقاق عنصرى ، فهؤلاء الجند من الترك وأولئك من الفرس ، وماكان يجره هذا النزاع على البلاد من خراب ودمار ، وماكان يتركه من بؤس وفقر ، ولذلك كان مهيار فقيراً ، وكثر فى شعره ندب الحظ وشكوى الزمان .

ثم بين الباحث عاملا ثالثا من العوامل التى أحاطت بمهيار ، وهو الانقسام الدينى إلى سنة وشيعة . ومن أكبر السيئات التى تسجل للملوك بنى بويه أنهم غرسوا شجرة الحزبية الدينية فى الإسلام . وقد نشأ مهيار على دين المجوس ، ثم أسلم وتشيع ، وغلا فى تشيعه حتى قال له بعضهم : إنك بإسلامك انتقلت من زاوية فى النار إلى زاوية ، انتقلت من زاوية المجوس إلى زاوية الروافض .

وعامل رابع بينه الباحث ، وهو الانقسام القومى الذى استشرى فى ذلك العهد ، فقد انتشرت فكرة الشعوبية ، واعتز الفرس بفارسيتهم ، ونطق شعر مهيار بهذه العصبية فى كل مناسبة ومنه هذه الأبيات :

قومى استولوا على الدهر فتى
ومشوا فوق رؤوس الحقب
عمموا بالشمس هاماتهم
وبنوا أبياتهم فى الشهب
وأبى كسرى علا إيوانه
أين فى الناس أب مثل أبى ؟

فإنها تنم عن شعوبيته وعصبيته ، وفى أكثر قصائده ما ينم عنهما .

كذلك منى مهيار بوفاة كثير ممن كان يعتز بهم ويركن إليهم ، وأهمهم الشريف الرضى فقد كان الشريف أستاذه ، وكان تشيع مهيار راجعاً فى الحقيقة إلى تبعيته للشريف وقد كان فقد هؤلاء الأحبة عاملا من العوامل التى أنطقت الرجل بالجيد .

فقد بين الباحث هذه العوامل واستشهد لكل منها بشواهد من شعر مهيار فجلى مهياراً أحسن الجلاء ، ثم زاد بأن عقد موازنات بين مهيار والشريف الرضى فى المدائح ، وبين مهيار وغيره من الشعراء فى جملة موضوعات أهمها الغزل فى الحجيج ، وبذلك رسم هذا الباحث صورة واضحة لمهيار وعصره وأن حاجة مهيار إلى المال لسد عوزه وإلى الجاه لتعزيز تشيعه وشعوبيته يرجع إليها أهم الأسباب فى كثرة مدائحه وإسرافه فى مدحه . وكلمتى فى الختام أنى لو كنت هذا الباحث لأخذت جائزة المجمع وضممت إليها مثلها من مالى ثم عدت إلى هذا الكتاب فاستوفيت مراجعه وعنيت بشواهده وضبطتها وشرحت غريبها وزدت فى الموازنة شيئاً حتى إذا طبع هذا الكتاب بعد مراعاة ما لاحظه زملاؤنا الذين قرءوه كان قد أضاف إلى المكتبة العربية كتاباً قيماً نافعاً .

كلمة الدكتور إبراهيم بيومى مدكور
عن القصـــة

لقد كنا نتوق منذ فجر هـــذا القرن إلى أدب قومى تمليه آمالنا وأمانينا ، ويترجم عن عواطفنا وشعورنا ، ويحلل عاداتنا وتقاليدنا ، ويصور بيئتنا ووطننا ، أدب يحيي معالم الماضى ويبرز مظاهر الحاضر ، ويرسم أهداف المستقبل أدب له خصـــائصه ومميزاته ، وشخصيته ومقوماته بحيث يذكر إلى جانب الآداب الأخرى فيتحدث عن أدب مصرى كما يتحدث عن الأدب الفرنسى والإنجليزى . أدب يعيد إلى العربية مجدها وعزتها فيؤخذ منها كما تأخذ من غيرها ويترجم عنها كما يترجم إليها .

هذه هى الأمنية ، ويسعدنا أن نلاحظ — ولما يمض عليها نصف قرن — أنه قد تحقق منها قسط كبير . فإنتاجنا الأدبى خصب متنوع قد تناول أبواب الثقافة المختلفة ، من علم وفلسفة وتاريخ واجتماع ، واقتصاد وسياسة . كتب بلغة العصر وروح العصر ، فاستساغته النفوس وامتزج بالأفئدة . وبلغ بعض كتابنا وشعرائنا الذروة أو دنوا منها ، فأضحوا ولهم عشاق وأتباع فى مختلف الأقطار الشرقية ، بل لقد امتد أثرهم إلى بعض العواصم الغربية . ونظرة إلى الوراء قليلا كافية للتدليل على ماخطونا فى هذه السبيل من خطوات .

وليس شىء أحب إلى حملة راية النهوض الأول من أن يروا فى الميدان الجنود والأنصار فنى ذلك ما يطمئنهم على ازدهار غرسهم ونجاح دعوتهم ، وما يشعرهم بأن الأمانة التى سهروا عليها قد لقيت من يحسن أداءها ، وأن الرسالة التى اضطلعوا بها قد صادفت من يعرف كيف يتعهدها . وفى مسابقات مجمع فؤاد الأول الأدبية ما يكشف عن جيل جديد يبعث على الأمل ويخلق الثقة فى المستقبل . وإذا كان بعض شباب المتأدبين تنقصه الإجادة ولايعنى بالروية والإتقان ، فنى مثل هذا المهرجان السنوى ما يحفز الهمم ويستثير النفوس .

* * *

ولا شك فى أن القصة باب هام من أبواب الأدب ، كان لها حظها فى الآداب القديمة ثم انتهت إلى منزلة سامية فى الآداب الحديثة . فطغت على الرسائل والمقالات ، وحلت محل القطع الوصفية والاعترافات ، وتكاد تستأثر بالأدب المنثور المعاصر . وإذا كان المسرح قد أخذ بيدها بالأمس ، فإن السينما تفتح اليوم أمامها آفاقا فسيحة . وإذا كان الخيال والخرافة قد غذتها قديما بغذاء شهى جذاب فإن الرحلة والأسفار تمدها الآن بالطريف من أخبار القبائل والشعوب ، والغريب من وصف الكائنات والبقاع .

تساير القصة الناس فى طبائعهم ، وتجرى مجرى الفهم وعاداتهم ، لذلك صادفت هوى

من نفوسهم ، وأضحت من أشد أنواع الأدب تأثيراً فى الجماهير . فيها مناجاة نفسية ، وتخفيف للوعة إن كانت قد أملتها ظروف شخصية ، فإنها لا تلبث بمجرد وصفها أن تصبح قدراً مشتركا وملكا مشاعاً يتبناه كل من اهتدى إليه . وفيها كشف عن مكنون الصدور وخفى الطباع ، يكشف الكاتب فيها نفسه لنفسه أو عن النفس البشرية لقرائه ، ويلمس القارئ فيها أموراً كان يتوهمها دون أن يقف على كنهها أو يجد السبيل إلى التعبير عنها . ومع هذا تحمل شيئاً من طابع السرية وإن نشرت وأذيعت بين الناس ، لهذا يحرص قارئها على أن يختلى بها ويفرغ لها على انفراد وفيها سحر قد ينسى المرء من حوله ، ويصرفه عن طعامه وشرابه ، ويجد فيها من المتاع والأنس ما لا يجده فى حلم لذيذ أو مجلس لم يكدر صفوه مكدر .

والقصة أداة نافعة من أدوات نشر المعرفة والثقافة ، ساغ موردها ، وكثر قراؤها ، فنقلت إليهم فروعا شتى من العلم والفلسفة ، وصورت لهم آيات الفن والحضارة . وهناك أشخاص يرجع قسط كبير من ثقافتهم إلى ما قرءوا من قصص وروايات ، وهناك آراء ونظريات خدمها الأدب القصصى وساعد على نشرها أكثر مما خدمها الباحثون والعلماء . وفى كلمة واحدة يمكن أن يقال إن القصة وسيلة من وسائل اشتراكية العلم وجعله فى متناول الجميع .

وللأدب العربى القديم جانبه القصصى ، وإن كان دون ما يلحظ فى الآداب القديمة الأخرى . ومن يدرى ، فقد يكون القصص الجاهلى قد ضاع فيما ضاع من آثار أدبية أخرى على أن كتب الأدب الكبرى كالأغانى والأمالى والعقد الفريد تحتفظ بأقاصيص مختلفة ، والمعلقات فى قسط كبير منها قصص منظوم . وما أن اختلط المسلمون بالأمم الأخرى حتى تأثروا بقصصها ، كما تأثروا بألوان ثقافتها الأخرى ، وكتاب كليلة ودمنة ، وألف ليلة وليلة من أوضح الأمثلة على ذلك . وقد أنشأوا ضروبا جديدة من الأدب القصصى ، كالمقامات والرحلات ، وفى مقدمتها مقامات بديع الزمان والحريرى ، ورحلة ابن جبير وابن بطوطة .

غير أن القصة مع هذا لم تبرز فى الأدب العربى بروزها فى الآداب الحديثة . ولهذا قام أدبنا القصصى المعاصر أول نشأته على التقليد والمحاكاة والنقل والترجمة . وإذا استثنينا « حديث عيسى بن هشام » ، وجدنا أن القصص والروايات التى صادفت نجاحا فى العقدين الأولين من هذا القرن إنما كانت فى أغلبها مترجمة . ثم أخذت القصة المصرية ترسم لنفسها طريقها ، وتستكمل شخصيتها ، فخطت الأقصوصة رويداً رويدا إلى أن أضحت قصة ، وقرأنا من القصص المصرية المبتكرة ما لايقل روعة وبهاء عن بعض القصص الأجنبية المترجمة ، وأملت عاداتنا وتقاليــدنا وماضينا وحاضرنا على الكتاب قصصا فيه نقد وتحليل وعظة وحكمة . وبدا وادى النيل فى سمائه الصافية وشمسه الزاهية

وطبيعته الهادئة على صورة لوحات فنية أحكم القصصيون صنعها وأجادوا التعبير عنها .

وبذا تعدد القصص المصرى وتنوع ، فنه المسرحى وغير المسرحى ، والخيالى والواقعى ونحا القصاص مناحى شتى ، فنهم من أولع بالحوار يفضله على أى أسلوب آخر ، ومنهم من اختار السرد والرواية المتصلة ، ومنهم من جمع بين هذا وذاك . ويبدو على بعضهم أنه إلى النقد الاجتماعى أميل وفى مناقشة العادات والتقاليد أرغب ، وعلى بعض آخر أنه بالتاريخ ألصق ، يستمد منه مادته ويرسم فى ضوئه أبطاله .

ولا أدل على هذا التنوع من تلك المجموعة التى قدمت لمجمع فؤاد الأول للغة العربية فى المسابقة التى تعرض جوائزها الليلة . فقد أعلن عن هذه المسابقة فى يونيه الماضى ، وحددت نهاية نوفمبر آخر موعد لقبول القصص التى ألفت سنتى ١٩٤٦ و ١٩٤٧ الميلادية ، وبالرغم من هذا التضييق والتحديد تقدم إلى المجمع فى القصة وحدها نحو عشرين متسابقا ، وبأيديهم ما يقرب من الثلاثين قصة . وواضح أن هذا الرقم لا يمثل كل إنتاجنا القصصى فى هذه الفترة ، إلا أن له على كل حال دلالته ، خصوصا والمتسابقون فى أغلبهم شباب أشربوا حب القصة وتعلقوا بأدبها . وفى إقبال الشباب على القصة ما يبعث على الأمل فيها ويؤذن بمستقبلها الزاهر .

* * *

ويعنينى أن أقف عند قصتين اثنتين من هذه القصص الثلاثين أولاهما « على باب زويلة » للأستاذ محمد سعيد العريان ، والأخرى « خان الخليلى » للأستاذ نجيب محفوظ .

فأما الأستاذ العريان فقد تخرج فى مدرسة دار العلوم منذ سبع عشرة سنة أو يزيد ، تفرغ طوالها لتدريس اللغة العربية ، وعنى بتصحيح العبارات وتقويم الأساليب . ويظهر أنه أحس أن مكتبة الطفل المصرى فقيرة ، وأن وسائل سمره وتسليته محدودة ، فاتجه مع بعض زملائه إلى وضع كتب تلائمه ، ووجد فى القصة خير وسيلة لتسليته . وكان من نتائج ذلك « سلسلة القصص المدرسية » التى ظهر منها حتى الآن أربع وعشرون قصة فى أسلوب سهل مبسط .

وإلى جانب مساهمته فى هذه السلسلة ، استقل بمجموعة أخرى قدم فيها اثنتين وثلاثين قصة صغيرة تحت عنوان « من حولنا » وهى أقرب إلى الأقصوصة منها إلى القصة ، تعرض صوراً مصرية ، وتعالج بعض مظاهر حياتنا العامة ؛ وتتجه نحو الكبار فتقابل « القصص المدرسية » التى وضعت خصيصاً للصغار .

غير أن إنتاجه القصصى الهام قد نحا منحىً آخر ، فاتخذ من التاريخ مادته ، وعالج بعض أشخاصه وأحداثه ، يتحدث عنها بأسلوبه ويصورها بفنه . والقصة فى حقيقتها تاريخ للحاضر أو للماضى ، تحكى الواقع

وتبرز معالمه ، وتمزج بين الحقيقة والخيال . وقد شاء الأستاذ العريان أن يقف عند التاريخ المصرى الإسلامى ، فكتب أولا « قطر الندى » التى تصور عصر الدولة الطولونية منذ بدئه حتى نهايته ، ثم أتبعها « بشجرة الدر » التى جاءت عنوانا صادقاً لعهد الدولة الأيوبية .

وها هو ذا يقدم لنا أخيراً « على باب زويلة » التى تعرض لقانصوه الغورى وخليفته طومان باى ، فمن الدولة الطولونية إلى الأيوبيين ، ومن هؤلاء إلى المماليك . ولا شك فى أن القصة الأخيرة تفضل سابقتيها ، فهى أغزر مادة ، وأدق تحليلا وأعظم عناية بالتاريخ ودقائقه . يؤخذ القارئ بأسلوبها العذب وعباراتها الجزلة ، ونسجها المحكم . إلا أنها من ناحية أخرى كثيرة الشخصيات بحيث عز على كاتبنا أحيانا أن يوفيها جميعاً حقها من التصوير والتحليل ، ومتلاحقة الحوادث بحيث يخشى أن تتداخل ويطغى بعضها على بعض .

ومهما يكن من أمر هذه الملاحظة فإن الأستاذ العريان فى صفاء أسلوبه وقوة تعبيره وصدق تصويره واندماجه فى جو الوقائع التى يريد إخراجها قد توفر لديه كثير من وسائل الكاتب القصصى ولهذا استحق جائزة المجمع .

* * *

وأما الأستاذ نجيب محفوظ فقد نشأ نشأة فلسفية ، وتخرج فى قسم الفلسفة بكلية الآداب ، إلا أن أدب القصة قد بهره — فيما يظهر — فشغف به ووجد فيه من رقة الحواشي ما كاد ينسيه جفاف الفلسفة وقسوتها . على أنه يأبى أحيانا إلا أن يفلسف القصة ، ويسبغ عليها ألوانا من النظريات الأخلاقية والآراء السيكولوجية

ولأمر ما قدر له أن يبدأ إنتاجه القصصى بما يصح أن نسميه « القصص الفرعونية » فقد وضع منها ثلاثا متوالية هى : « عبث الأقدار » و « رادوبيس » و « كفاح طيبة » وإنها لبداية موفقة سما فيها خياله سمواً ملحوظاً ، وظهر استعداده القصصى واضحاً ، وأفاد كثيراً من كتاب « مصر القديمة » الذى سبق له أن ترجمه. ولا نزاع فى أن هذه القصص الثلاث تربطنا بالتراث الفرعونى ، وتكشف عن دعامة من دعائم الشعور القومى ، وتغذينا فى ناحية يسرنا أن ندخل فى صميمها ونستمتع بها .

ولا أظن أن كاتبنا يسرف أبداً إن عاد إليها ، وعاود الكتابة فيها ،وتتبع شتى أطرافها .

ولكنه شاء أن ينتقل نقلة واسعة ، فرحل من مصر القديمة إلى مصر الحديثة ، وجاوز طيبة ومنفيس إلى الفجالة والدق . وألف فيما يمكن أن نسميه « القصص العصرية » ثلاثاً أخرى هى « خان الخليلى » و « القاهرة الجديدة » و « زقاق المدق » . وإذا كان يتحدث فى القصص الأولى عن الماضى ويحكى مجد الفراعنة فإنه فى الأخيرة ينغمس فى حياته الاجتماعية الحاضرة ، فيكشف عن كثير من خباياها ، ويعرض منها صوراً تقرب من الواقع كل القرب . ففيها دراسة واقعية تحليلية لضرب من الأخلاق والعادات فى مختلف البيئات ، وتصوير صادق لبعض التقاليد .

و« خان الخليلى » بوجه خاص يعرض أمامنا أياماً عاشها كثيرون منا ويستعيد ذكريات نشعر إزاءها بشيء من العذوبة . وفيها ما يدل على أن الكاتب شرقى صميم فى شرقيته ، قاهرى ملم تمام الإلمام بعوائد مدينته. هذا إلى أنها ترمز للتطور الاجتماعى الذى نمر به ، وتشير إلى مرحلة الانتقال الحضارى التى نجتازها .

كل ذلك فى خيال بديع وتصوير دقيق وتحليل نفسى بارع . وإذا كان فى أسلوب المؤلف ما يدعو إلى نقد أو ملاحظة فإن فنه القصصى معث تقدير واستحسان ، وإذا كانت نشأته الفلسفية قد باعدت بينه قديماً وبين القراءة الأدبية المستفيضة فإن واجبه اليوم وقد تفرغ للأدب القصصى أن يستكمل كل وسائله وأدواته . ومهما يكن من أمر هذه الناحية فإن الأستاذ نجيب محفوظ قد أقام الدليل على مقدرته القصصية ، وفى ماضيه وحاضره ما يؤذن بأنه سيكون من كتابنا القصصيين الممتازين ، ولهذا استحق جائزة المجمع وتقديره .

النحت

اقترحت لجنة إعداد أعمال المؤتمر فى هذه الدورة تأليف لجنة من حضرات الأعضاء المحترمين: الشيخ إبراهيم حمروش ، والشيخ محمود شلتوت، والدكتور أحمد زكى، والأستاذ مصطفى نظيف ، والشيخ عبد القادر المغربى ، لبحث موضوع " النحت ومدى الاستفادة منه "(١) .

وقد عقدت اللجنة عدة جلسات تناولت فيها موضوع النحت من مختلف أطرافه ، وراجعت أقوال المتقدمين فيه ، ثم أسندت إلى فضيلة الشيخ إبراهيم حمروش وضع البحث المطلوب ، فوضعه فضيلته وقررته اللجنة على النحو التالى لهذا . ثم عرض البحث على المؤتمر فوافق على إباحة النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية(١) .

تقرير اللجنة

النحت ضرب من الاختصار وهو أخذ كلمة من كلمتين فأكثر . وقد نحتوا على منهاج الأفعال الرباعية فى الأفعال والخماسية فى الأسماء ، فنحتوا من الجملة فقالوا سبحل سبحلة فى النحت من سبحان الله وحمدل حمدلة من الحمد لله وبسمل من بسم الله ومشكن من ماشاء الله كان ، وحسبل من حسبى الله، ودمعز من أدام الله عزه ،وكبتع من كبت الله عدوك ، وجعفد من جعلت فداك،وحولق من لاحول ولا قوة إلا بالله ، وطلبق من أطال الله بقاءك ، إلى آخر ما جاء عنهم .

ويؤخذ من النحت المتقدم : —

أولا — أنه لا يجب فى النحت الأخذ من كل كلمة من المنحـوت منه فإن الدمعزة والكبتعة لم يؤخذ فيهما حرف من حروف لفظ الجلالة .

ثانياً — أنه لايجب أن تؤخذ الكلمة الأولى بتمامها كما هو واضح .

ثالثاً — أنه لا تجب المحافظة على حـــركات الحروف وسكناتها فى النحت فإن الشين فى مشكنة ساكنة وهى فى المنحوت منه متحركة .

أما ترتيب الحروف فى النحت فهو محل كلام ، فقد ذكر ابن فارس أن حوقل بتقديم القاف على اللام منحوت لاحول ولا قوة إلا بالله وأن الجعفلة منحوت قول جعلت فداك ، ونقل عن بعض العلماء أن عدم الترتيب يكون تفننا .

(١) انظر القرار الأول من « القرارات الادارية والتنظيمية » لهذه الدورة .

(١) انظر القرار الثالث من « القرارات العلمية » لهذه الدورة .

وابن دحية ينكر أن تكون الحوقلة منحوت قولك : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول إن الحوقلة مشية الشيخ الضعيف . قال الشاعر :

يا قوم قد حوقلت أو دنوتُ
وبعد حيقال الرجال المـوت

ويقول أيضاً إن الجعفلة باللام خطأ وإن منحوت جعلت فداك الجعفدة .

وذكر بعض العلماء أن ترتيب الحروف فى المنحوت والمنحوت منه لابد منه ولذلك خطأ العلماء الشهاب الخفاجى فى شفاء الغليل لأنه ذكر الطبلقة بتقديم الباء على اللام .

وجاء عن المتأخرين أنهم قالوا القذلكة من قولهم حين يجمل الحساب بعد تفصيله فذلك كذا .

وقالوا : الحزرمة من الحزم والرأى وقال الزمخشرى : البلكفة من قولهم بلاكيف .

ويقول المؤلفون : الفنقلة من قولهم فإن قيل .

ونحتوا من المركب الإضافى فقالوا فى النسب إلى عبد القيس عبقسى وإلى عبد شمس عبشمى وإلى عبد الدار عبدرى وإلى (امرؤ القيس) الشاعر مرقسى .

وقالوا فى النسب إلى (امرؤ القيس) سما لقبيلة مرئى قال الشاعر :

ويسقط بينهـــا المرئى لغـــوا
كما ألغيت فى الديــة الحـــوارا

وقالوا فى النسب إلى دار البطيخ (محلة ببغداد) دربخى ، وفى التسهيل لابن مالك وشرحه : قد يبنى من جزأى المركب فعلل بفاء كل منهما وعينه ، فإن اعتلت عين الثانى كملت بلامه كما فى عبد القيس ، وإن اعتلت عين الأول كملت بلامه كما فى دار البطيخ فيقال دربخى .

ويجب بناء على القاعدة أن يقال فى النسب إلى دار البطيخ دربطى .

وقالوا فى النسبة إلى سوق مازن سقزنى فقد حذفوا فاء الكلمة الثانية وهذا من تفنتهم فى هذا الضرب فلم يلتزموا فيه طريقة واحدة .

وجاء من هذا النحت قولهم حصكفى نسبة إلى حصن كيفا ورسعنى فى النسبة إلى رأس عين ويقول المتكلمون البهشمية لفرقة تنسب إلى أبى هاشم .

قال ابن فارس فى باب النحت من فقه اللغة : العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار يقولون رجل عبشمى منسوب إلى اسمين وأنشد الخليل .

أقول لهـا ودمع العـين جار
ألم يحزنك حيعـلة المنـادى

من قولهم حى على ، وهذا مذهبنا فى أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت مثل قول العرب ضبطر للرجل الشديد

وصهصلق وصفا للصوت والمرأة أنه من صهل وصلق وفى الصلدم أنه من الصلد والصدم ، قال : وقد ذكرنا ذلك بوجوهه فى مقاييس اللغة .

وقال فى مقاييس اللغة : اعلم أن للرباعى والخماسى مذهبا يستنبطه النظر الدقيق ، وذلك أن أكثر ماترى منه منحوت . ومعنى النحت أن تأخذ كلمتين وتنحت منهما كلمة واحدة آخذة منهما جميعاً بحظ ... فعلى هذا الأصل بينا ماذكرنا من مقاييس الرباعى — ويكون النحت على منهاج الرباعى والخماسى ، وقد حمل على النحت البُرجُد وهو كساء مخطط مأخوذ من البجاد والبرد والجلمور للباقى من أصل السعفة إذا قطعت . من الجذم والجذر وهما الأصل . وجرثومة قرية النمل من جرم وجثم كأنه اقتطع قطعة من الأرض وجثم عليها . وجعفر للنهر من جعف لأنه يصرع مايلقاه من النبات ومن الجفر وهى البئر التى لم تطو أو طوى بعضها .

ولايخفى أن ابن فارس ركب التعسف والشطط فى حمل مازاد على ثلاثة على النحت ، فقد ذكر أن كلمة صهصلق منحوتة من صهل وصلق والصهل والصلق بمعنى واحد وأن جُلْمور منحوت من الجذم والجذر وهما بمعنى واحد أيضاً .

وذكر أن البرجد منحوتة من البجاد والبرد مع أن البجاد هو الكساء المخطط فلا معنى إذا لضم البرد إليه .

وقد حذا حذو ابن فارس بعض الأندلسيين فذكر أن جحفل منحوت من جحف وجفل لأن الجحفل يجحف مايمر عليه ويقشره وأن نهشل منحوت من نهشته ونشلته ... إلى آخر ماذكر . ولايخفى أن الجحف والجفل بمعنى واحد .

النحت بين القياس والسماع

المتقدمون على أن النحت سماعى فيوقف عند ما سمع وليس لنا أن ننحت . ولعل هذا لأن النحت اختراع ألفاظ لم تعرفها العرب فلا تدخل فى لغتهم . وقد نقل عن بعض المتأخرين نسبة القول بقياسته إلى ابن فارس ، قال الخضرى فى حاشيته على ابن عقيل : ونقل عن فقه اللغة لابن فارس قياسيته ، ومثل ذلك نقل عن الشمونى . وقد نقلنا فيما تقدم عبارة ابن فارس فى فقه اللغة وهى لا تفيد القياسية إلا إذا نظر إلى أن ابن فارس أدعى أكثرية النحت فيما زاد عن ثلاثة ومع الكثرة تصح القياسية والاتساع .

ونحن نقول بجواز النحت فى العلوم والفنون للحاجة الملحة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة .

وهــذا نموذج لكلمات منحوتة وضعت لمصطلحات كيماوية وهى من وضع لجنــة الكيميا والطبيعة فى المجمع :

To hydrolise	حلمأ (حلل بالماء)
Hydrolysis, to hydrolyse	الحلمأة ــ حلمأ يحلمئ
Hydrolitic agent	عامل حلمئى
Anhydrous	لامائى
Dehydrate	لمأ
Dehydrated	ملموء
Albuminoid	شبزال ، شبزالى (شبه الزلال)
Alcoholyse, Alcoholysis	حلكح يحلكح حلكحة ، حلكل يحلكل حلكلة (حلل الكحول)
Alkaloid	شبقلى (شبه قلى)
Amphoteric	برمائى (نحت من البر والماء)
Colloid	شبغراء (شبه غراء) شبغروى
Deamination	لأمن (نزع الأمين)
Debromination	لبرم (نزع البروم)
Dechlorination	لكلر (نزع الكلور)
Dehydrogenation	نزجنة (نزع الايدروجين) لدرجة
Carbohydrates	فحمئيات (م. فحمئى) (فحم وماء)

موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى

كان حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبو حديد قد قدّم إلى مجلس المجمع قرب انتهاء الدورة الماضية (١) بحثاً عنوانه « موقف اللغة العامية من اللغـــة العربية الفصحى » ، فوافق المجلس على تأجيل النظر فيه إلى هذه الدورة، إذ ألفت لجنة من أعضاء المجلس والمؤتمر لبحث هذا الموضوع (١) ، وقدمت تقريراً عُرض على المؤتمر (٢) ، فوافق على إحالته إلى لجنة اللهجات على أن تستعين فى عملها ببعض الخبراء المختصين (٣).

وفيما يلى نص البحث وتقرير اللجنة :

بحث حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبى حديد (٤)

ليست اللغة العامية فى اللغة العربية بدعا فى تطور اللغات ، بل هى مثـــل جديد يدل على أن اللغة ماهى سوى مظهر من مظاهر حياة الشعوب . والذى يتتبع تاريخ العربية الفصحى يستطيع أن يدرك أنها كانت تتغير وتتطور دائماً فى ألفاظها وأساليب تعبيرها حتى بعد أن جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم بلغة قريش وخلع عليها نوعا من الثبات جعل تطورها محدوداً .

وقد كان للاتصال بين اللغة العربية والقرآن الكريم أثران :

(الأول) أن اللغة العربية احتفظت بصورة كادت تكون مستقرة مدة تزيد على ثلاثة عشر قرنا . وصار التراث الثقافى المتخلف من تلك القرون كلها ملكا سهل التناول لكل من يقرأ الفصحى إلى يومنا هذا .

(والأثر الثانى) أن اللغـــة العربية منذ استقرت فقدت كثيراً من المرونة الضرورية لتطور اللغات ولا سيما فيما يتصل بالحياة اليومية والمعاملات. فنشأ من ذلك شىء من الانفصال بين لغة الثقافة والأدب والفكر ، وبين لغـــة الأسواق والمعاملات اليومية وما إليها . وما زال ذلك الانفصال يتزايد كلما جدت فى الحياة ظروف تحتاج إلى التعبير والأداء فيما بين بعض الناس وبعض فى زحمة الأعمال حتى أصبح من الضرورى لمن أراد الاتصال بالتراث الثقافى والفكرى أن يتوفر على دراسة اللغة الفصحى وتخليصها من آثار عامية الأسواق والمعاملات . وهكذا أصبحت الفصحى دراسة بعد أن كانت أداة الحياة فى كل ميادينها .

(١) الدورة الثالثة عشرة للمجلس . الجلسة الثانية والعشرون (١٩ من مايو سنة ١٩٤٧) .

(١) انظر القرار الأول من « القرارات الادارية والتنظيمية » فى هذه الدورة .

(٢) الجلسة السابعة للمؤتمر (٥ من فبراير سنة ١٩٤٨) .

(٣) الجلسة الثامنة للمؤتمر (٩ من فبراير سنة ١٩٤٨) .

(٤) انظر القرار العاشر من « القرارات الادارية والتنظيمية » فى هذه الدورة .

وما زال هذا الانفصال يزداد مع تغير الأحوال وتبدل ظروف الحياة لأن اللغة الفصحى قنعت بأن تكون أداة التعبير الفكرى والعلمى . وكانت القداسة التى خلعها عليها القرآن الكريم من أقوى أسباب شدة اتصالها بالدراسة العقلية وقلة قبولها للتطور الذى يبعدها عن صورتها الأولى — نقصد الصورة التى نزل القرآن الكريم بها .

وقد كان من أول ما هجم على العربية الفصحى من آثار تطور الحياة شيوع اللحن فيها . ولهذا الأمر دلالة كبرى فإنه ينم عما شعرت به الشعوب المتكلمة بالعربية من ثقل وطأة حركات الإعراب وصعوبتها على الناس إذا احتاجوا إلى التعبير فى حياتهم اليومية .

وقد كان أصحاب اللغة العربية فى موقف يضطرهم للاختيار بين خطتين :

إما أن يختاروا تطوير لغتهم والبعد بها عن صورتها الأولى وإسقاط الاعراب جملة واحدة وفى هذه الحالة كان الذى ينتج هو أن تستمر اللغة العربية لغة التعامل وتندفع فى تطورها إلى غايته ، وكان هذا لابد يؤدى بها آخر الأمر إلى أن تصير لغة جديدة إلى مدى كبير .

وإما أن يختاروا تجميد لغتهم والمحافظة على صورتها والاقبال على درسها وضبطها والاحتفاظ بكل خصائصها ، وبذلك يحتفظون بوحدتها واتصــال ثقافتها على مر العصور .

ولقد اختاروا الخطة الثانية فى حماسة عجيبة يدل عليها كل ما تخلف من أخبار الرواة والعلماء والخلفاء والأدباء . وكانت حركة ضبط اللغة العربية ودراستها والحرص على بقاء صورتها من أعجب الحركات وأقواها فى تاريخ اللغات كافة . ومنذ اختار أصحاب اللغة العربية هذه الخطة كان لامفر من اتساع الفرق بين لغة أدبية فصحى ميدانها الفكر للخاصة ، ولغة عامية ميدانها الحياة كلها للكافة . بدأ هذا الانفصال منذ أول التاريخ الاســلامى وما زال يزداد حتى بلغ مداه الذى نراه اليوم بين لغة المثقفين القارئين وبين لغة التعامل الحر . وذلك يشبه ما حدث فى بلاد أوربا إذ تطورت اللغة اللاتينية فى الوطن اللاتينى وما يليه من البلاد التى كانت لغة الثقافة فيها هى اللاتينية ، ونشأت من ذلك اللغة الايطالية والفرنسية والاسبانية وتباعدت الصلة بين اللاتينية وبين سلالاتها تباعدا مختلفا يقل فى بعضها ويزيد فى بعضها تبعا لما داخلها من آثار الأقوام الذين مزجوا لغاتهم الأجنبية باللغة اللاتينية الأصلية .

وقد حدث مثل هذا التطور إلى حد كبير فى اللغة اليونانية فإن يونانية اليوم ليست هى اليونانية القديمة وإن كان المصدر لايزال واحدا .

غير أن البعد بين العربية الفصحى وبين العربية العامية لم يكن مثل ذلك البعد الذى نشير إليه بين لاتينية أمس وإيطالية اليوم . فإن الأمم العربية لم تحط بها الظروف التى أحاطت بأمم أوربا فلم يغرقها طوفان من

اللغات الأجنبية كما أغرق اللاتينية والاغريقية طوفان الأمم الجرمانية والسلافية .

ولكن مهما يكن الفرق بين موقف العامية من العربية الفصحى وبين موقف اللغات الأوربية الحديثة من اللغات القديمة ، فإنه من الواضح أن الاتجاه واحد فى نوعه فى الحالين ، وإذا استمر فى سبيله كان من المحتوم أن تصير اللغة العربية الفصحى لغة الكتّاب ، على حين يزيد تطور العامية مع الحياة وتزداد تبعا لذلك شقة الخلاف بينها وبين الفصحى التى تصبح بعد حين فى حكم اللغات القديمة (الكلاسيكية) ولو حدث مثل هذا التباعد لما كان للأمم العربية مفر ولو بعد حين من أن تقف مرة أخرى فى موقف الاختيار بين أحد أمرين كل منهما ينطوى على أضرار كبيرة :

(الأول) أن نختار الاتصال بالتراث القديم الماثل فى اللغة الفصحى ونضحى فى سبيل هذا الاتصال بأعز ما عند أمة حية تتطلع إلى حياة مليئة قوية — وهو اتصال اللغة بالفكر — اتصال الشعب الذى يتكلم بأصحاب الفكر الذين يكتبون. وعند ذلك يكون لامناص لنا من أن نقنع بحركة فكرية منعزلة عن كتلة الأمة وأن نرضى لأنفسنا بديمقراطية سطحية لا تتعدى المظاهر الكاذبة ، على حين تبقى جماهير الأمة فى حالة أمية وعقم عقلى ونفسى.

(والأمر الثانى) أن نختار الحياة الحاضرة والمستقبلة مضحين بكنوز الثقافة القديمة وما فيها من أصول حضارتنا ومثلنا العليا ونقطع مابيننا وبين ماضينا الكريم السامى .
ويكون علينا فى هذه الحالة أن نعود إلى حيث بدأت الأمم أول خطواتها نحو الحضارة إلى أن نستطيع بعد أحقاب طويلة تحصيل ثروة فكرية جديدة تصلح لأن تكون غذاء لعقول أمة حديثة .

والأمران كما هو ظاهر ينطويان على أخطار جسيمة ويوقعان بنا خسائر محققة. فإذا شئنا أن نتجنب الوقوف فى مثل هذا الموقف الذى يضطرنا إلى الاختيار بينهما مرغمين — إذا شئنا ذلك كان لا غنى لنا عن التفكير الجدى الصريح منذ الآن فى الموقف قبل أن يصل إلى مداه .

ونرى أن الخطوة الأولى فى تفكيرنا هى أن نتأمل فى حال هذه اللغة العامية وأن نحاول تحديد خصائصها وما بلغته فى تطورها . ثم نسأل أنفسنا بعد ذلك فى صراحة عما يجدر بنا أن نفعله للمحافظة على حياتنا الفكرية أولا ، ولتجنب كل ما يمكن تجنبه من الخسارة ثانيا .

ولما كانت مثل هذه الكلمة المختصرة لاتتسع للاستقصاء كان المقصود منها هو مجرد الاشارة إلى مايجدر بالبحث أن يتجه إليه من المسائل :

المسألة الأولى

الألفاظ العامية :

لاشك أن الكثرة الكبرى من الألفاظ العامية

إما عربية قرشية صحيحة وإما محرفة عنها تحريفاً قليلا ، وإما عربية من لهجات قبائل أخرى غير قريش أو محرفة عنها تحريفاً قليلا. فمن المعروف أن القبائل العربية التى جاءت إلى مصر فى العصور المختلفة كانت من أصول مختلفة . وكان مقامها فى العواصم والريف وعلى حدود الصحراء سبباً فى وجود لهجات متباينة فى الأقاليم المختلفة . ولكن العامية المصرية — أى التى نشأت حول العاصمة مصر — هى الأكثر انتشاراً . وقد امتزج فيها أثر كثير من القبائل وكان رائدها دائماً التسهيل فى النطق والتيسير فى التداول .

ويستطيع كل منا أن يخلو إلى نفسه ويثبت مايرد على خاطره من الألفاظ المعروفة المتداولة ومنها يتبين أن الألفاظ العامية ليست سوى صور من ألفاظ عربية ليس من العسير أن تصحح بل إنه ليس من العسير أن يرد إليها اعتبارها وترفع عنها الوصمة التى لصقت بها على مر القرون .

فأمامى الآن على مكتبى : قلم . مجلة . كتاب . قزازة حبر . (قارورة حبر) علبة سجاير . حتة بنور (حت الشىء) (البلّور والبِلّور) وقلب اللام إلى النون كثير فى اللغة كما هو معروف فى عنوان وعلوان وقلة الجبل وقنتة واسماعيل واسماعين الخ . . . ورق . منفضة . كبريت . سفنجة . خرامة . تقالة . . . الخ ولو شئت أن أذكر كل ما فى الغرفة لم أجد سوى ألفاظ جوهرها عربى وكثير منها لايزال سليما . على أن اللغة العامية تحتوى على كثير من الألفاظ التى أهملتها الفصحى تعالياً منها . أذكر منها :

طرقة . قفة . سلة . دخّان . مزراب فلان (يطّوح) (أى يتطوح) الخ .

ونرى أن بعد الألفاظ العامية عن العربية مبالغ فيه فالفرق لا يزال ضئيلا بينها وبين الفصحى ومن اليسير تدارك الأمر إذا نحن عنينا بجمع كل المفردات العامية وعنينا بإعادة الاعتبار إلى كل ما يمكن رد الاعتبار إليه وصححنا كل ما يمكن تصحيحه منها بغير إبعاد لها عن صورتها كلما أمكن ذلك . والأمر فى نظرنا يسير إذا عكفت عليه فئة قليلة من الباحثين فاتخذت أحد القواميس العربية البسيطة (كالمنجد) أساساً، واستطردت منه إلى ماهو قريب من ألفاظه فى اللغة العامية حتى تستوعب الألفاظ العامية ثم تقبل عليها بالتصحيح أو الإجازة .

والتحريف فى العامية ناشئ فى أغلب الأحوال من القصد إلى التخفيف فى النطق إذا لم يكن ناشئاً من تأثير لهجة بعض القبائل العربية .

ويحدث أكثر التحريف إما بزيادة حرف كما هو الحال فى (راجل) بدلا من رجل ، باط (بدلا من إبط) ، صباع (بدلا من أصبع) . وإما بتخفيف الهمزة مثل فار (بدلا من فأر) وبير (بدلا من بئر) ... الخ .

وقد يكون باتباع حركة أول الكلمة للحرف اللين الذى فى وسطها مثل : بيت بدل بَيْت وغيط بدل غَيط وكوكب بدل كَوكب ومُولد بدل مَولد .

وقد يكون لمجرد تسهيل النطق مثل قولنا: رُباط وفُخّار وأزميل.

ونلاحظ هنا أن حركة الكسر شائعة فى العامية سواء فى أوائل الكلمات أو أواسطها أو أواخرها.

فنحن نقول: حقِّتنا نِعمل كل يوم شىء ونِستمر ... الخ.

وليس كسر أول المضارع بالشىء الغريب عن اللغة العربية فهو فى لهجة بهراء وأظنه فى لهجة أسد.

وهناك تحريف شائع فى العامية وهو كسر آخر الاسم المضاف إلى ضمير المؤنثة المخاطبة مثل قولنا: وانتِ ماليك.

وضم آخر الإسم المضاف إلى هاء الغائب دائماً مثل قولنا: كتابُه.

وفتح آخر المضاف إلى المخاطب المفرد: كتـابَك.

وإسكان آخر المضاف إلى هاء الغائبة أو الجمع الغائب مثل: كتابْها وكتابْهم ..الخ

وفى لهجات العرب كثير من مثل هذا نذكر منها لهجة لخم التى تكسر ما قبل كاف المخاطبة المؤنثة.

ومن التحريف الشائع إبدال بعض الحروف بأخرى أسهل فى النطق مثل: بعتّر بدلا من بعثر — تلاته بدلا من ثلاثة. اتاوب بدلا من تثاءب. اتمطع بدلا من تمطى. فضل (ظل) سابت (ثابت) .. الخ.

ويلاحظ هنا أن العامية تضيف فى كثير من الحالات ألفاً فى أول بعض الكلمات تسهيلا للنطق مثل اتمتع بدلا من تمتع — اتاكل بدلا من تآكل .. الخ..

وكذلك تخفف النطق بإبدال الحرف المضاعف ياء مثل قولنا: (مدّيت) وحطيت وفكيت وبليت الخ وهذا شائع فى بعض لهجات العرب.

وتحذف العامية جزءاً من حروف الجر فى مثل قولنا: ع الرف — ف البيت — م السوق الخ. وهذا شائع فى بعض لهجات العرب أيضاً.

والخلاصة: أن أكثر الألفاظ العامية إما صحيحة قرشية وإما صحيحة فى لهجة من لهجات العرب وإما محرفة تحريفاً قريباً يقصد به التسهيل.

وهذا يدعو إلى الاعتقاد أنه من اليسير رد الألفـاظ العامية إلى الفصحى إذا راعينا شرطين:

١ — إجازة كل ما يمكن إجازته.

٢ — رد اللفظ إلى أقرب صورة فى الفصحى.

وليس مثل هذا الاتجاه مأمون العاقبة إلا إذا أخذناه بالرفق والتدرج وتوسلنا فيه بإقبال الأدباء عليه بغير تحرج منه.

المسألة الثانية

قواعد اللغة العامية :

تسير اللغة العامية على قواعد تكاد تكون مطردة نضرب لها أمثلة فيما يلى :

١ – فهى مثلا تتبع طريقة مطردة فى تركيب العبارات المنفية : ماجاش – ماراحش – مش حاييجى – ما اعرفش – مش حاعرف – ماكتبتش – ماكتبناش . الخ .

ويبدو عند النظرة الأولى فى هذا صدى لما عرف فى لهجات العرب ، ولكنا لسنا فى موضع مناقشة أصل هذا التركيب ، فلا نقصد سوى أن نشير إلى أن هذه قاعدة عامة مطردة تسير العامية عليها .

٢ – صيغ الماضى والمضارع والاستقبال محددة :

كتب – بيكتب – كان بيكتب – حايكتب.

وللمضارع صيغة عادية أخرى مثل قولنا لما يكتب – بكره يطلع الصيف الخ .

٣ – يستعمل الفعل المطاوع فى محل المبنى للمجهول :
ينضرب – ينكتب – ينفرش الخ .

٤ – هناك قياس وسماع فى جمع الأسماء وأكثر ذلك مستمد فى الأصل من اللغة العربية أو سائر على غرارها – فنقول مثلا :

مدرسة . مدارس . مكتب . مكاتب . راجل. رجاله . امرأه . نسوان . بيت . بيوت الخ .

ولكن هناك شبه قياس فى مثل : أودة – أود . شونة – شون . بدله – بدل . سكة – سكك . الخ .

٥ – تستعمل الياء والنون دائما فى الجمع السالم :

حداد–حدادين . نجارين . خبازين . مدرسين فاكرين . ناسيين . رايحين . الخ .

٦ – خفة النطق باللفظ هو أول ما يعتبر فى الكلمة سواء أكان ذلك فى حركة الحروف أو فى بناء الكلمة . فمثلا نقول فى جمع بَدله – بِدل . ولكنا نقول فى جمع يَفْطه يُفط لا يِفَط .

٧ – التشابه فى شكل الكلمات أو التقارب فى الأشكال له أثر فى صيغة الجمع . فمثلا نقول: مصباح – مصابيح . مفتاح–مفاتيح . ونقول أيضا : فدان–فدادين. شباك–شبابيك. كتكوت – كتاكيت . الخ .

ويلاحظ أن الخروج عن أحد الأوزان السماعية أو القياسية يكون له من الوقع ما للخطأ اللغوى فى الفصحى .

فإذا قال فرنجى مثلا فى جمع شباك : شباكات أو شبابك . أو لو قال فى جمع قلم: قلوم بدل أقلام لكان قوله غريبا .

وهكذا يمكننا أن نقول إن اللغة العامية قد كونت لنفسها قواعدها النحوية والصرفية وأصبحت لها صورها وأصولها المعترف بها . فالخروج عنها يعتبر خطأ .

٨ — هناك بعض فروق صغرى مثل ضغط حرف العلة فى الفعل الأمر مثـل : قول . بيع — الخ . وهناك مميز عظيم يفرق بين العامية والعربية عنـد النظرة الأولى بغير فحص أسلوب أو حرفيات الكلام .

فإن العامية تقف فى أواخر الكلمات كلها بالسكون ولا تعرف الإعراب .

على أنها مع ذلك تحرك أواخر بعض الكلمات بقصد تخفيف النطق ووصل الكلمات بعضها ببعض . فمثلا نقول : لما رحتِ له فى البيت لقيته ركبِ العربية .

وهناك الحركات التى تلازم الضمائر ، فمثلا نقول فى خطاب الرجل :

ده كتابَك — وللمؤنث ده كتابِك
ده كتابهم — دى كتابتْهم دى كتابتكم
دى كتابتنا .

ويلاحظ أن هذه الحركات ثابتة تلازم كل منها الضمير الخاص بها فى كل الأوضاع ، فنقول مثلا : شفتُكم كلُّكم — انتو رحتو كلُّكم، دا بيت الناس كلُّهم . أكلت الفاكهة كلُّها — جت الناس كلُّها — كلام الناس كلُّها . فالعبرة بقولنا كلهم أو كلها ، أى بالضمير اللاحق .

ونحن نقول : ربُّنا يفتح عليك . وربَّك كريم . وللأنثى — ربِّك كريم . ولهم ربُّهم . ويعرفوا ربُّهم . ولكو أجر عند ربُّكم . فالعبرة هنا بالضمير اللاحق للكلمة ولا تتغير الحركة بتغير موضع الكلمة فى الجملة .

المسألة الثالثة

أسلوب اللغة العامية :

ليس أسلوب اللغة العامية هو عين أسلوب العربية الفصحى وإن كان قريبا منه . فهناك فروق كثيرة نذكر منها البعض على سبيل التمثيل :

١ — نقول فى العربية عادة : جاء محمد وكتب لى أخى كتابا وهكذا . وذلك بتقديم الفعل على الفاعل ، فإذا قدمنا الفاعل وابتدأنا به كان لنـا فى ذلك قصد . وأما فى العامية فالمعتاد أن نقول : محمد جه وأخويا بعت لى جواب وهكذا .

٢ — إذا أردنا النفى فى العربية قلنا : ما جاء فلان أو لم يكتب لى أخى . وأما فى العامية فنبدأ دائما بالاسم فنقول فلان ما جاش ، وأخى ما كتبش لى جواب الخ .

٣ — فى الاستفهام نستعمل فى العربية أسماء الاستفهام أو حروفها ، فنقول : هل جاء محمد ؟ ومن كتب هذا ؟ وأما فى العامية فلا نستعمل حروفا بل نكتفى بنغمة الصوت فنقول : هو محمد جه . أو نكتفى بأن نقول : محمد جه ؟ بغير تفريق بين صيغة الإخبار

وصيغة الاستفهام . وأما أسماء الاستفهام فنستعملها أحيانا مقدمة فى العامية كقولنا : مين قال كده ؟ ونستعملها أحيانا مؤخرة مثل قولنا : أعمل ايه ؟ بدلا من قولنا : ماذا أعمل ؟

٤ – تكثر فى العامية العبارات التى تدل على حركة النفس والإشارات واللفتات وهذا لشدة امتزاجها بالحياة اليومية .

فنحن نقول : « لأ يا شيخ ؟ » إذا سمعنا خبراً غريباً .

ونقول : « إيه » ؟ مع إطالة اليـاء للدلالة على التحدى أو عدم المبالاة الخ .

وسأورد عبارة عامية فى وصف حالة لبيان ما فيها من اللفتات والإشارات التى أقصدها :

« كنت مرة ماشى فى الطريق رايح للوزارة . وبصيت لقيت الدنيا بردت والمطر نزل زى القرب ووحلت الأرض وبقت حاجة عيضنة . وكنت مستعجل وعندى ميعاد مهم فركبت تاكسى عشان أوصل فى ميعادى . وحطيت إيدى فى جيبى عشان أطلع فلوس أدفع أجرة التاكسى ما لقيتش المحفظة . يا خبر ! أعمل ايه فى دى الوقعة ؟ يا ترى أكتب للسواق سند والا أنزل أدور على حد يدفع لى الأجرة والا والا ، وفضلت طول الطريق محتار مش عارف أعمل ايه لحد ما وقف التاكسى ونزلت والعرق نازل من جسمى ومش عارف أقول ايه للجدع اللى بص لى وقال ٢٠ قرش يابيه . وبصيت هنا وهنا أبحث عن واحد صاحبى فالاقيتش إلا ... » الخ الخ .

ومثل هذا الأسلوب لا يتفق والأسلوب العربى المعتاد ، فمن سايره من الكتاب كان قصده تقريب أسلوبه من العامية .

ومن الممكن استقصاء الخصائص التى تميز الأسلوب العامى باستعراض العبارات المختلفة واستخلاص الأصول التى تسير وفقها .

ومهما يكن من الأمر ؛ فإنما نريد أن نوجه النظر إلى أن اللغة العامية قد ابتكرت لنفسها نظاما كاملا فى تعبيرها وأصبح الخروج عنه خروجا عن طريقة معترف بها .

ومن ثم يمكن أن نقول إن العامية قد كادت تصير لغة قائمة بنفسها فى قواعدها وفى أسلوبها . فإذا أردنا أن نردها إلى الفصحى كان علينا أولا أن نحصر تلك المميزات لكى نلتمس السبيل الطبيعية المؤدية إلى غايتنا . فقد نجد عند حصر هذه الأساليب أن فيها ما يساعد على تطوير اللغة الفصحى نحو ما هو أسمى مع الاحتفاظ بسلامتها ، فنكسب بذلك مكسبا مزدوجا .

المسألة الرابعة

الأدب العامى :

١ – العنصر الأول من المسألة :

عندما اضطرت الحياة الشعوب المتكلمة بالعربية إلى تطوير لغتها شعرت هذه الشعوب

فى الوقت عينه أنها مهددة بالحرمان من التعبير الأدبى منذ بعدت الشقة بينها وبين اللغة الأدبية . والشعوب لا يمكن أن تحيا بغير تعبير عن خلجات نفسها فى الأغانى والأناشيد والأمثال والعبر . فوجد الموهوبون من عامة الشعب وبعض الأدباء المتصلين بالشعب أن اللغة التى يتخاطبون بها ويتعاملون ويفكرون فى حاجة إلى أن تؤدى ما يحتاج إليه الناس من التعبير . وأخذوا يحاولون مرة بعد مرة أن يجعلوها أداة أدبية — فتحللوا من الأساليب الأدبية المعروفة فى اللغة الفصحى لأنها لا تلائم تلك اللغة الساذجة المبسطة التى تولدت منها . فاخترعوا الموشحات والمواليا والدوبيت والكان كان والقوما والزجل وهى جميعاً أوزان تناسب مقاطع العامية وتحللها من الإعراب .

ومن المشاهد أن هذه الأساليب الأدبية العامية نشأت فى كافة الأقطار العربية على اختلاف فيما بينها بحسب ما يناسب لهجات الأقوام المختلفة . وقد كان هذا الاتجاه نحو اتخاذ العامية وسيلة للتعبير الأدبى من أخطر ما ظهر فى تطورها . فلو كانت العامية لا تزيد على أنها استخدمت أداة للتعامل فى الأسواق والحياة اليومية لكان أمرها هيناً . ولكنها منذ برهنت على صلاحها للتعبير الأدبى صار من الممكن أن تنطلق فى سبيلها متباعدة عن الفصحى حتى ينتهى بها الأمر إلى الاستغناء عنها . بل إن جمال أساليب التعبير العامى إذا بلغ مداه كان أجدر أن يسترق القلوب لأن تلك الأساليب أقرب إلى النفوس والأفهام من الفصحى لشدة اتصالها بحياة الكافة .

ولقد كان من أكبر ما عمل على تقويض أركان اللاتينية ظهور كتاب مبدعين فى اللغات القومية ، الأوربية وقد كانت تلك اللغات عامية فى وقت من الأوقات بالنسبة للغة اللاتينية فقد ظهر دانتى فى إيطاليا وكتب روائعه بلغة قومه ، وكذلك فعل تشوسر وشكسبير فى إنجلترا ، وسرڤانتيز فى أسبانيا ، وتغنى التروبادور بالعامية فى فرنسا . وأمثال هؤلاء هم الذين أغنوا شعوب أوربا عن اللاتينية وجعلوها لا تتردد فى خلعها عن عرشها . ولئن بقيت اللاتينية فى المدارس والمعاهد الثقافية قروناً بعد ذلك ، فقد كان محتوماً عليها أن تنقرض وتدفن فى بطون الكتب على رفوفها بعد حين . ولقد احتفظت اللاتينية بشىء كثير من الإجلال القديم لها بوصفها لغة الثقافة والعبادات ، ولكنها لم تلبث أن تعرضت لثورة كبرى من جماهير الشعوب والمفكرين والمصلحين ، لأنهم رأوها تقيد حركة النهضة الفكرية . ولما زاد التراث الأدبى فى لغات أوربا الحديثة (العامية) على توالى الزمن ، قويت حجة الثائرين على اللاتينية لأنهم وجدوا ما يغنى الشعوب عن ثقافتها . فلم يبق لها اليوم إلا أثر تاريخى لا يكاد يمس جماهير الشعوب الأوربية فى حياتهم .

ولكنا لانخشى على العربية الفصحى أن يكون مآلها هو مآل اللاتينية ، وذلك يرجع إلى عدة أسباب :

١) أن العامية لم تستطع إلى الآن أن تتسامى إلى آفاق الفكر العليا ، فإنها لم تزد بعد على أن

تكون وسيلة للتعبير الساذج والأحاسيس البدائية ، ولم يظهر بعد فيها أمثال النوابغ الذين أنتجوا روائعهم الخالدة بلغاتهم الأوربية الحديثة الدارجة .

(٢) أن الفارق بين العامية والفصحى لم يبلغ شيئاً يقرب من الفارق بين اللغات الأوربية الدارجة وبين اللاتينية. فما زال التفاهم ممكنا فى سهولة بين المثقف وغير المثقف بلغة سليمة بسيطة فصحى .

وهنا موضع الأمل الكبير فى الإصلاح .

غير أننا لاينبغى لنا أن نتجاهل الخطر الماثل فى لياقة اللغة العامية وصلاحيتها كأداة للتعبير الأدبى ، فهو إن كان اليوم من ذلك محدوداً ، فقد يكون غداً أقوى ، وقد تصبح أقدر على الأداء الأدبى السامى من الفصحى إذا فتن الشباب المثقف بالإنتاج الفكرى باللغة العامية وعملت أجيال منهم على الارتفاع بها إلى المستوى الأدبى الذى يجعلها لغة فكر وتعبير صحيح . وليس يجدينا أن نقاوم عوامل الحياة بالعنف والقسر لأن الطبيعة تأبى كل عنف ، وهى أقوى من كل قوة . ولسنا نملك أن نقاومها إلا بأن نطيعها ونعرف أسرارها ثم نتجه بها ومعها إلى حيث نحتال أن نصل بها . والذى يجعلنا نحرص على اللغة الفصحى واضح لايحتاج إلى بيان . فلو لم تكن العربية لغة القرآن الكريم ولو لم تكن كنوزنا القديمة هى أكبر ماتملك من ثقافة إنسانية لكان من الهين علينا أن نقبل على هذه العامية بكل جهودنا ، فنسمو بآدابها ونودعها ثمار كل مافى شعوبنا من عبقرية ، فتصبح هى لغتنا ولاضرر علينا أن تكون لنا لغة ليست هى الفصحى .

ولكن الخسارة التى تقع علينا من وراء هذا التحلل أفدح من كل مايمكن أن نجنيه فى جهودنا لمدة قرون طويلة . فلسنا نرضى أن نبعد عن لغة القرآن الكريم ولا عن لغة سلسلة الأدباء والمفكرين الذين ندين لهم بأكثر ماعندنا من عناصر السمو . ولنا فوق هذا مندوحة عن هذا التحلل إذا نحن واجهنا المشكلة فى أناة وحزم وتبصر ، وحاولنا أن نجد منها مخرجاً. فهل ثمت أمل فى أن نجد ذلك المخرج من المشكلة ؟ لعل فيما نثيره هنا من المسائل مايوضح لنا الطريق الذى يخرجنا منها .

٢ — العنصر الثانى :

إذا نحن نظرنا إلى اللغة العامية وجدناها هى الأخرى على وشك أن تبلغ فى تطورها إلى انفصال جديد بين لغة المتأدبين ولغة العامة .

فإذا نظرنا إلى الأزجال القديمة وجدناها لاتزال سهلة على أكثر العامة يمكنهم فهمها والتمتع بها . ولكنها ليست اليوم من صميم لغتهم ، فقد كانت قريبة إلى الفصحى لايكاد ينقصها إلا حركات الإعراب .

ولنضرب لذلك مثلا وهو مواليا قديم ينسب إلى صفى الدين الحلى :

طرقت باب الخبا قالت من الطارق
فقلت مفتون لاناهب ولا سارق
تبسمت لاح لى من ثغرها بارق
رجعت حيران فى بحر أدمعى غارق

* * *

وقال :

ياحادى العيس أزجر بالمطايا زجر
وقف على منزل احبابى قبيل الفجر
وقعت فى حبهم يامن يريد الأجر
ينهض يصلى على ميت قتيل الهجر

• • •

وقال آخر :

عينى اللى كنت أرعاكم بها باتت
ترعى النجوم وبالتسهيد اقتاتت
وأسهم البين صابتنى ولا فاتت
وسلوتى عظم الله أجركم ماتت

• • •

ولآخر :

هويت فى قنطرتكم ياملاح الحكر
غزال يبلى الأسود الضارية بالفكر
غض إذا ما انثنى يسبى البنات البكر
وإن تهلل فما للبدر عندو ذكر

• • •

ومن قول القبارى أبو عبد الله خلف بن محمد وهو من علماء عصر قلاوون ، قال فى زجل طويل :

ومن أساء لك كن أنت محسن
واستعمل الصبر فهو أنفع
وانظر بجذع النخيل فى روضه
يحمل ثمره أزهر وأينـــع
إذا رجمته بحجر يجود لك
بالتمر حتى تأكل وتشبـــع
قمنا ضربنا مثـــــل وقلنـــا
كان ليـــه بتحمل دا الذل كله
تجود بتمرك لمن أساء لك
قال كل من هو يعمل بأصله

• • •

ثم أخذت لغة الأزجال تنحدر تدريجياً وتبعد عن الفصحى فى لفظها وتركيبها .

فمن كلام ابن عروس — وهو من عصر نهضة الأدب التى أعقبت أيام إبراهيم بك ورضوان بك وعلى بك الكبير — قال من زجل طويل :

إن رعيت ارعى نـــوار
والمر لاترعى فيـــه
وان ركبت اركب مهـــار
أصيـــل بايدك مربيـــه

• • •

النـــــدل له طعم مالح
وله خصايل ذميمـــة
القـــرب منه فضايح
والبعـــــد عنــه غنيمـــة

• • •

ولكن الأمر لم يخل من السمو إذا كان القائل من العلماء ، وعلى هذا فالأسلوب والألفاظ فيهما بعد واضح عن الفصحى .

فمن كلام الشيخ الفحام وهو من عصر محمد على باشا :

قال فى زجل رائع :

فى بحر جسنك والغرام والجمال
كام فى محاسن منهلك من هلك
وإن كان عذولى شبهك بالهلال
يابـــدر من لا يعرفك يجهلك
فى بحر عشقك زاد شجونى شجن
من مدمعى بحر الجوى قد وفى
وجه منادى الشوق على ســأل
بالوجد والبلبال وطال واكتفى
ونبت أشجانى لعب به هواك
وصرت غارق فى لجاج الهلك
وإن كان عذولى شبهك بالهــلال
يابـــدر من لايعرفك يجهلك

• • •

ولكن الأزجال المتأخرة تقرب إلى لغة العامة ، وإن كانت تلك اللغة لاتزال تسبقها إلى تطور بعد تطور ، وهى دائماً مستمرة فى الانفصال عن العربية الفصحى .

فمن كلام عبد الله نديم من زجل انتقادى طويل :

اسمع حكاية تهدى الشوق لابن الــذوق
وتعجب الإنسى والجـــان
رأيت جدع فى إيده مكبه زى القبـــه
فقلت أهـــلا بالمنصان
مديت له إيدى أكشفهـــا لجـــل أعرفها
قال إرتجع يا شيخ رســـلان
فقلت له بـــدى انفـــرج حـــد محرج ؟
قال لى تعالى فى البســـتان
طاوعت شورته ومشينا على رجــلينا
حتى رأينا غصن البان . . . إلخ

• • •

ومن كلام الشيخ النجار ، وهو من الجيل الماضى (أواخر القرن الماضى) :

قال فى زجل طويل :

ياللى انت فى حسنك عديم المثل
وأنا بحبى فيك ضرب بى المثل
وفى غرامى شرح حالى طويل
لوكنت أحكى لك على اللى حصل
ياللى الغزالة وهى شمس الضحى
من نور ضيا خدك بقت فى خجل
ياللى الغزال من لفتتك فى التفات
ومن سواد عينيك أعاره الكحل
ياللى الغزل فى وصف حسنك غلا
سعره وشعره فيه مذاق العسل
أصبحت من وجدى عليل ياجميل
أهوى الغزالة والغزال والغزل

إلى أن قال :

سحر الجفون طلسم على ناظرى
وما انفتح للوصل باب مطلبه
فى القفر استأنس بوحش الفــلا
والدمع زادى كل يوم واشربه
ولذ لى ذلى وعذب العــــذاب
ومُر صبرى كام حلى مشربه
والجسم من جفنه السقيم صار عليل
ورق من خصره النحيل وانتحل

وقد بدأت فى العصر الحديث حركة نحو الارتفاع بلغة الزجل ، ولكن هذا يبعدها من العامة ، وكانت هذه الحركة ترمى إلى إغناء العامية بالأدب الصحيح .

فللأستاذ حسين مظلوم ترجمة طريفة لرباعيات الخيام يقول فيها :

نبه النايم على فرش الأمـــــل
كم أمل فى حلم تفسيره الأجـــل
فوز بكأس الصفو دى الأيام دول
والحياة يومين سرور يوم وارتحال
بعد كاس الأنس يوم كاس القدر

غرد الطاير بألحـــان النـــــديم
فى طلوع الشمس بالصوت الرخيم
املا كاسك واغتنم صافى النسيم
دى سنين العمر غايتها الزوال
ما ارتفع طير فى السما الا انحدر

* * *

ومن هذا المثل يظهر أن اللغة العامية إذا أرادت أن تعالج موضوعاً أدبياً بعدت عن لغة العامة ، فلا هى عربية سليمة ، ولا هى عامية بحتة .

ومن هذه الأمثلة يمكن أن نرى كيف أن اللغة العامية نفسها تتعرض لمثل الخطر الذى تعرضت له اللغة الفصحى ، فهى دائماً فى تطور وتجدد تساير العصور المختلفة إسفافاً أو سمواً ، فإذا تخلف فيها نوع من الأدب الشعبى عن عصر من العصور ، لم يلبث أن يبعد كثيراً أو قليلا عن لغة الكلام فى العصور التى تليه .

ولعلنا نستطيع أن نستخلص مما سبق بعض أمور :

(١) أن اللغة العامية ألفاظها عربية على الأكثر مع شىء كثير من التحريف فى النطق بقصد التخفيف والتيسير .

(٢) أن أسلوبها قد استقر على صورة اعتادها الناس ، وفى ذلك الأسلوب خلاف كبير للأسلوب العربى الفصيح .

(٣) أن اللغة العامية لاتزال تتطور عصراً بعد عصر ، وأن هذا التطور ناشئ من حياة الناس ، فهى وليدة الحياة نفسها ، وفيها من المرونة كل ما للكائن الحى .

(٤) أنها أداة صالحة للتعبير الأدبى الساذج ، فإذا أرادت التعبير عن المعانى الدقيقة السامية كان لا مفر لها من الاقتراب من الفصحى .

(٥) أن العامية ليست مجرد مسخ أو تشويه للعربية بل قد أصبحت لغة قائمة بذاتها ، ولها قواعدها وأصولها . وإذا شذ عنها شاذ عد ذلك خروجاً عن طريقة مقررة .

وهنا لابد أن يعرض لنا سؤال طبيعى ، فإذا كانت العامية قد تطورت حتى بلغت هذا المدى فهل من الممكن أن نقف هذا التطور ؟

فهناك الألفاظ المحرفة والدخيلة . وهذه أهون المشاكل ، لأنه لايتعذر أن تردالألفاظ إلى الصحة وأن يقبل من الدخيل مالا غنى عنه.

ولكنا نصطدم بعد ذلك بعقبات أكبر من هذه الألفاظ . فهناك قواعد العامية وأساليبها التى استحدثتها فى تطورها وهى لصيقةبحياتنا نفكر بها ونتحدث ويفضى بعضنا إلى بعض بخلجات نفسه بوساطتها . فالتغلب على ذلك يتطلب هدماً ثم بناء . وستبقى هذه الأساليب العامية المستقرة دائماً ماثلة فى الأذهان تسبب العثرات وتجذب المتكلمين والكتاب إليها . ولكن ليس معنى هذا أن الأمر قد استعصى على العلاج . فإننا إذا درسنا كل قواعدالعامية وحصرنا كل خصائصها كان من الممكن القصد إلى كل واحدة من هذه الخصائص لعلاجها . ونرى أنه من الضرورى فى هذا الأمر أن نتوسل فى العلاج بالرفق والتدرج ، وأن نعمل على تيسير الأساليب الصحيحة بحيث تكون قريبة إلى التعبير الطبيعى ولاسيا فيا نكتبه للصغار الناشئين . فهذا التدرج وحده هو الذى يمهد السبيل إلى جعل لغة الكلام تقترب من اللغة الفصحى .

وهنا موضع بعض أسئلة لانجد بدا من طرحها :

(١) كيف يمكن التغلب على الصعوبة الكبرى وهى أول صعوبة قابلت المتكلمين بالعربية — أعنى صعوبة الإعراب وخصوصاً حركات أواخر الكلمات ؟

(٢) ألا يمكن أن نقبل فى الفصحى غير ما يصح فى لغة قريش ؟

(٣) هل نجعل الأصل هو منع مالم يستعمل فى الفصحى من قبل أم نجعل الأصل إجازة كل مايمكن إجازته ، مادام قائماً فى لغة الحيـــــاة ؟

(٤) ألا يمكن أن نتجرد من التحيز إلى أساليب القدماء فى الكتابة والتعبير إذا كانت لاتعبر حقاً عن إحساسنا وتفكيرنا ؟

إن الأسلوب ماهو إلا القالب الذى نصوغ فيه أفكارنا ونصور فيه مشاعرنا . فهو من إملاء الإحساس والنفس . ويمكننى شخصياً أن أقول إن كثيراً من الأساليب العامية أصدق أداء للمشاعر من بعض الأساليب القديمة . فوضوح الصور وتتابع الأحاسيس لاتحتمل التقييد بأسلوب تقليدى .

ولو استطعنا أن نتجرد من قيود الأساليب المنقولة لسهل علينا تطوير الفصحى بحيث تقترب من العامية خطوة جريئة فى الطريق السوى ، بغير أن يعود ذلك بضرر على الفصحى بل يكسبها قوة وشباباً .

هذه إشارات قليلة إلى موقف العامية من الفصحى ، لم أقصد بها سوى أن أثير بعض مشاكل لتكون موضعاً لبحث أعمق وأجدى وتفكير أدق وأحصف .

تقرير لجنة العامية والفصحى

عرضه حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبو حديد

قرئ على هيئة المجلس فى أواخر الدورة الماضية بحث فى موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى ، ورأى المجلس أن يجعل موضوع ذلك البحث من بين مايعرض على المؤتمر فى مفتتح هذا العام .

وكان ذلك البحث عبارة عن تتبع تاريخى لنشأة اللغات العامية من أمهاتها الفصحى والعوامل التى تؤدى إلى ذلك وكيف نشأت اللغة العامية العربية من الفصحى وما طرأ عليها من تغيير فى ألفاظها وأساليبها .

ولاحاجة بنا إلى بيان ماقد ينتهى إليه الأمر من وجود لغتين فى أمة إحداهما للحديث والمعاملات اليومية والأخرى للكتابة والتعبير عن الآراء والمشاعر الدقيقة . فإن الفرق الذى بين لغة الحياة اليومية ولغة الفكر إذا زاد واتسعت معه شقة الخلاف بين المتخاطبين باللغة العامية وبين الكاتبين باللغة الفصحى لم تلبث الأمة أن تنقسم فى ثقافتها إلى قسمين متباينين : قسم منهما يتمثل فى القلة المثقفة التى أتيح لها تعلم الفصحى والإلمام بما فيها من آثار الفكر السامى والفن الرفيع ، وقسم آخر يتمثل فى عامة الأمة ممن لم يستطع أن يتعدى حدود اللغة العامية الشائعة فى الحياة اليومية والمعاملات

ونحن نعيش فى عصر شعاره الديمقراطية والتضامن الاجتماعى ، فلا يمكن أن تستقر حياتنا الحديثة على مثل هذا الانقسام فى الأمة الواحدة فإن المفكرين والأدباء ونوابغ الفن إنما هم رواد الحياة ولاقيمة لهم إلا أن تكون أفكارهم وأن يكون أدبهم وفنهم هبة للكافة يؤثر فى عامة الناس وخاصتهم على السواء . ولاتستطيع أمة أن تشارك فى الحياة السليمة فى وقتنا هذا إلا إذا كانت تسايرها كتلة واحدة يشيع فيها روح واحد وتتأثر بتيارات فكرية وعاطفية واحدة .

من أجل هذا كان من واجب كل حريص على سلامة الحياة فى مصر والبلاد المتكلمة بالعربية أن يعمل على رتق ذلك الفتق الذى أصاب الألسنة العربية ، حتى تتمكن أفكار قادة الفكر أن تصل إلى صفوف الأمة جميعاً وتتجاوب أصداء التفاعل بين المفكرين والأدباء وبين كتلة الأمة ، ويزول ذلك الحجاب الذى كان ولايزال يفصل بين القلة المفكرة الشاعرة وبين الكثرة العاملة المنتجة .

إن أكبر عيب نشكو منه فى آدابنا وفنوننا وأفكارنا فى الشرق العربى الحديث هو أن آدابنا وفنوننا وأفكارنا محصورة فى دائرة ضيقة تقتصر على عالمها الضيق المحدود .

فأدبنا لايزال فى برجه المغلق لم يستطع بعد أن يتصل بالحياة اتصالا وثيقاً ، مع أن ميدانه الطبيعى الأكبر هو تلك الحياة دون غيرها . ولايزال جمهور الأمم العربية يعيش بمعزل عن ميادين المفكرين والأدباء والفنانين ، فإذا هو حاول أن يقترب منها قامت دونه موانع كثيرة أهمها أن اللغة التى يعبر بها المفكرون بعيدة عن إدراكه ، فإذا هو أدرك منها طرفاً كان غامضاً لايستأثر بوجدانه ، فيرتد عنها عاجزاً خائباً قانعاً بما يجده فى لغته العامية من أدب ضئيل سطحى ، ومن أفكار متخلفة من عصور الجمود والخمول واليأس الماضية .

وقد أشار البحث الذى ألقى فى أواخر العام المنصرم إلى الخطورة التى تنطوى عليها هذه الحال . فإن جمهور الأمة لايستطيع أن يعيش بغير غذاء من الفكر والعاطفة ؛ فالفراغ محال فى الوجود ، وإذا لم يمتلىء الفضاء بالهواء الصافى الذى يبعث الحياة فلا بد أن تملأه مادة أخرى لاتحتوى على مايحتويه الهواء الصافى من عناصر الحياة . وتدل ظواهر الأحوال على أن اللغة العامية قد أخذت تستحدث لنفسها أدباً مستقلا وإن كان متصفاً بالسطحية والضآلة وقد كانت العامية فى أول الأمر قريبة من الفصحى ثم زاد البعد واتسع الخلاف بينهما على مر العصور . فإذا لم يجد جمهور الأمة سبيلا إلى الأدب الصحيح والفكر السليم والفنّ السامى لم يجد أمامه إلا أدبه الضحل . فإما أن يتاح له من المفكرين من يرتقى به فى اللغة العامية فيزيد بذلك الشقة بين الفصحى والعامية وإما أن يبقىَ الجمهور فى سجن أدبه الضئيل السطحى . وكلا الأمرين شر لاشك فيه . ففى الحالة الأولى — إذا ما أتيح للعامية من المفكرين والأدباء من يرتقى بأدبها وفنونها انتهى الأمر إلى القطع بين حاضرنا وماضينا ، ولم تلبث البلاد العربية أن يستحدث كل منها لغة تستقل فينقطع مابينها من روابط لاشك أنه من الخير أن تستمر وتقوى . وأما فى الحالة الثانية — إذا لم يتح للعامية من يرتقى بآدابها وفنونها بقيت جماهير البلاد العربية فى حالة من الحرمان الفكرى والعاطفى ، فلا هى قادرة على إدراك الفصحى السابقة إدراكاً كاملا ولاهى تجد ما يغنيها فى لغتها العامية ، وبذلك لا تستطيع أن تتضامن مع القلة المفكرة فى بناء حياة حديثة سليمة .

فالطريق الواضح هو بغير شك أن تكون لغة الفكر ولغة الحياة واحدة ، أو على الأقل أن تكون لغة الفكر قريبة سهلة التناول يستطيع الكافة أن يدركوا كل ما بهـا من ظلال المعانى .

وليس هذا الاتجاه جديداً ، فقد بدأ المفكرون يتجهون إليه من عهد بعيد ، وبذلت جهود كبيرة مشكورة فى سبيله . ولكن الأمر ما زال محتاجاً إلى أن نستقر فيه على رأى قاطع ، وأن نتجه إليه مستوضحين غرضنا ووسائلنا . ويخيل إلى أن الطريقة المثلى هى أن نعرف أولا هذه اللغة العامية التى يتكلم الكافة بها ، فنحن وإن كنا نستخدمها فى حياتنا اليومية لا نعبأ إلا قليلا

بدراسة حقائقها وخصائصها ، ولا أقل من أن نعدها بمثابة العليل الذى نحاول أن نجد له سبيل الشفاء، ولا يمكن أن يوصف دواء لعليل حتى نعرف مواطن علته أولا. ماهذه العامية؟ وما مقدار بعدها عن الفصحى فى ألفاظها ؟ وما مقدار بعدها عن الفصحى فى أساليب تعبيرها ؟

وإنه لمن دواعى الغبطة أن البلاد العربية تظهر أعظم الاهتمام بكل مايتصل بلغتها : وقد بلغ من ذلك الاهتمام العظيم أن الناس يغضبون لكل مايُشتم منه أن هناك محاولة للمساس باللغة العربية الفصحى من قريب أو من بعيد، حتى أنهم ليذهبون أحياناً مع الوهم فى تصور المساس باللغة العربية ، مبالغة منهم فى الحرص على سلامتها . وهذا بغير شك مما يغتبط به كل حريص على اللغة الفصحى، فإن احترام الشعب للغته وغيرته عليها هما أقوى مايحفظها وفيهما أكبر ضمان لحيويتها .

فالآراء كلها متفقة على أن الواجب حفظ اللغة الفصحى وتعميمها حتى تكون لغة الشعوب العربية جميعاً . كما أنه من المتفق عليه أن تكون هذه اللغة الشريفة سليمة بليغة تؤدى وظيفتها فى ربط الأفكار والاتصال الوجدانى بين كل طبقات الشعوب المتكلمة بها .

ولكن هناك نوعاً من الغموض حول مايقصده الناس إذا هم تكلموا عن العربية الفصحى ، وأغلب ظنى أننا إذا اتفقنا على معنى الفصاحة زالت من سبيلنا عقبة من أكبر العقبات التى تعترض سبيل إصلاح لغتنا، وهان علينا التقريب بين العامية والفصحى .

لست فى حاجة إلى البرهان على أن اللغة العربية الفصحى كانت فى صورتها الأولى من أوضح اللغات وأبسطها أسلوباً . ولكن جاء وقت على كتاب العربية كانوا يتعمدون فيه أن تكون كتابتهم بعيدة عن البساطة والسلاسة التى كان العرب الأوائل يتكلمون بها .

ولست أريد أن أطيل فى تفصيل مالاضرورة للإفاضة فيه من هذا المعنى، وحسبى أن أقتطف لحضراتكم بعض فقرات من كتاب لأحد أفاضل الكتاب (عليه رحمة الله) وقد كان معتبراً من فحول الكتاب فى عصره، ولايزال بعض المتأدبين يحتذون حذوه ويعدونه لهم إماماً .

جاء فى أحد كتبه فى مقال يتحدث فيه عن الفقر والفقراء :

«أظنهم (أى الأغنياء) يقولون إن فى الأرض شيئين بمعنى واحد : قبور الأموات فى بطنها وأكواخ الفقراء على ظهرها . وليس من فرق بينهما فى النسيان لأنه يشملهما جميعاً. وإنما الفرق بينهما فى حاليهما المتناقضتين ، هذا قبر ميت وهذا قبر حى ، نعم صدقوا وبروا وقالوا حقاً : أليسوا جفاة القلوب غلاظ الأكباد ؟ وإلا فما الفرق بين موت منسى كموت الغريب وحياة منسية كحياة الفقير إلا على الفرق الذى لايبالى به هؤلاء الأغنياء حين يكون لأحدهم ظاهر حى وضمير ميت».

وقال فى موضع آخر :ـــ

« ففقر فلان التاجر الغنى مثلا ليس هو فى الحقيقة أن لايصيب القوت ولايجد المأوى كغيره من الفقراء وإنما هو المتاجرة فى الآمال بعد الأموال ، وقبض الريح بعد قبض الربح واستقبال الأبواب والجدران بعد استقبال الأصحاب والجيران، وهلم من هذا الباب الذى يفتح من جهة الغنى على سائر الجهات الثلاث للحياة البائسة وهى الفقر والمذلة والألم . وإنما هو رجل ككل رجال المال متى خرج المال من يد أحدهم خرج سمه من أفواه الناس وخرج حبه من قلوبهم الخ ... »

وقال فى موضع آخر :

« هذا هو الفقر فى أو هامهم . ولكن لاتنس أنه فقر فقط . فقر المال المترابط فى مكانه أو الذاهب فى حلوق الأرض وبين أضلاعها . أما سائر الناس فهم عند هؤلاء أهل دعوى يُزنون بكل ريبة ويقرفون بكل تهمة إذ ينتحلون الفقر ويدعونه ليعادوا نعمة الغنى بالحسد . فالجوع فقر والمرض فقر والتعب فقر والضجر فقر واشتهاء ماليس هم فقر وقلة الأصحاب فقر ، وحتى لو أن أحدهم أخطأته زوجه لنسب ذلك إلى الفقر . وبالجملة فكونهم ليسوا كالأغنياء هو الفقر . »

وقال فى حديث له عن التوفيق بين قوة الفرد وقوة المجموع :

« غير أن هذه الوسائل (أى وسائل التوفيق بين قوة الفرد وقوة المجموع) لم تكن ولاتزال إلى عهدنا ـــ عهد الاشتراكية العلمية ـــ إلا ثورات مهما كانت فإنها أشبه شىء بجموح الحيوان إذ يحمى أنفه فيجمح ثم يسترسل فى جماحه ثم يشتد ثم يعتز صاحبه على رأسه ويملك نفسه منه . ثم ماذا ؟ ثم يسكن مكرها بعد أن جمح راضياً . فان لم يسكته الألم من صاحبه أسكته التعب من نفسه ، لأن التخلص من شىء فى فطرة الإنسان وانتزاعه من فورة فى نفسه لا يكون بالتخلص من الإنسان بعينه . »

ولو شئت أن آتى بأمثلة كثيرة من هذا الصنف لخرجت عن الحدود فى مثل هذا البحث .

وحسبى أن أقول إن العرب لم يكونوا فى أول الأمر يتحدثون بمثل هذه الأساليب . لقد كانوا يتكلمون على أسلوبهم الطبيعى الساذج ليعبروا عن المعانى التى يحسونها ويسمعوا منْ أرادوا أن يبلغوه ماعندهم من تلك المعانى .

ولو أننا قرأنا ما ألفه الشعراء من الشعر فى الجاهلية لما وجدنا فى اللغة العربية غموضاً ، إلا أن يكون لفظ قد أهمل اليوم وكان من قبل معروفاً ، فصار عندنا غريباً بعد أن كان عندهم مألوفاً .

ولست فى حاجة إلى ضرب الأمثال من ذلك فالأمر واضح لايحتاج إلى برهان .

قال امرؤ القيس :—

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعر الآرام فى عرصاتها
وقيعانها كأنه حب فلفل
كأنى غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرات الحى ناقف حنظل
وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لاتهلك أسى وتجمل
وإن شفائى عبرة أن سفحتها
وهل عند رسم دارس من معول
وفاضت دموع العين منى صبابة
على النحر حتى بل دمعى محملى
الخ .

فهذا الشعر على ما فيه من غرابة بعض الألفاظ لاعوج فى أسلوبه ولا تكلف ، فإنى أستطيع أن أترجمه إلى اللغة العربية الحديثة السهلة بغير أن أبدل موقع كلمة من جملة ، اللهم إلا أن أضيف لفظاً هنا أو أحذف لفظاً هنـاك .

فإذا نحن تحدثنا عن اللغة الفصحى كان أجدر بنا أن نتحدث عن هذه الفصحى السلسة الصحيحة لاعن تلك الفصحى المزيفة التى لجأ إليها الأعاجم متأثرين بأساليب لغاتهم العربية ، فانحرفوا بها عن مسالك العربية الأصلية .

وأستطيع أن أقول أن أساليب اللغة العربية الفصحى ماتزال حية بيننا فى عاميتنا الأنها وراثة الذين كانوا يتكلمون بالفصحى . حقاً إن أساليب اللغة العامية قد دخلها كثير من التحريف والتبديل على توالى العصور ولكنها فى روحها وتكوينها عربية لاشك فى عروبتها . فإذا أمكن أن نشك فى لغة بعض الكتاب ونشك فى نسبتها إلى العربية السهلة الفصحى فإننا لانستطيع أن نشك فى الألسنة التى تتوارث التعبير جيلا بعد جيـل .

فاللغة العامية فى الشعوب العربية جزء من تراث أجدادنا العرب الخلص وإن كان ذلك التراث قد دخل إليه التحريف والتبديل كما قدمنا .

والطريقة السليمة لإصلاح مادخل عليه الفساد هو أن تنظر إلى هذه اللغة الموروثة فى صفوف الأمة ونعمل على درسها كما أشرنا إليه من قبل ، حتى نتبين منها الصحيح والفاسد وحتى نعرف مدى ما داخلها من ذلك التحريف والتبديل .

وقد سبقت نخبة من الفضلاء الغيورين على اللغة العربية فأقبلت على اللغة العامية تدرسها وتحاول أن ترد ألفاظها وعباراتها إلى السلامة وقد سمعنا طرفاً من هذه السيرة فى حديث حضرة العضو المحترم فضيلة الأستاذ عبد القادر المغربى فى مفتتح هـذه الدورة ، وقد نستطيع أن نقول كما قال حضرته إن أكثر جهود هؤلاء الفضلاء قد ضاعت سدى . فما هى العلة التى حالت دون وصولهم إلى القصد الذى كانوا يقصدونه ؟

يلوح لنا أن السبب فى ذلك أن بحوثهم كانت تتجه إلى أشياء بمفردة تعرض لهم عفو الخاطر فى مناسبة من المناسبات . فإذا خطر لهم خاطر فى شأن لفظ من الألفاظ العامية عطفوا عليه وحاولوا أن يجدوا لفظاً آخر فصيحاً يحل فى مكانه ، والطريقة التى يلوح لنا أنها الطريقة المثلى هى أن ننظر إلى العامية فى مجموعها وأن نمسحها مسحاً كما يمسح المهندس ميداناً من الميادين ليعرف حدوده وخصائص سطوحه ومعادن أرضه .

فإذا ماتبين للباحثين ما فى العامية من خصائص وطبائع أمكنهم أن ينظروا فى الحقائق التى تبدو لهم وتكون عند ذلك أحكامهم شاملة سليمة .

ويلوح لنا فى هذا الموضوع بعض أصول نرجو أن نعرضها للمناقشة لعلها تكون جديرة بأن تتفرع عنها أحكامنا :

(١) فالألفاظ والعبارات ما هى إلا مطايا للمعانى والمشاعر الإنسانية . فإذا أردنا أن نصل بها إلى حيث نريد كان أول ما نقصده منها الوضوح والتحديد .

والألفاظ ليست تلك القطع الجامدة الميتة التى نجدها دفينة فى القواميس لكل منها معنى يعبر عنه لفظ آخر من نفس عالمه بل هى كائنات حية وإن كانت حياتها فى عالم الصور .

فإذا نحن أخرجنا الكلمة من عالمها ونزعناها من صورها لم تلبث أن تصير جسداً هامداً كالحيوان المائى إذا أخرجناه من عنصره . والكلمة كذلك يعتريها ما يعترى كل كائن حى من التأثر بما يحيط بها فى عالمها . وليس من الوهم أن نقول أن لكل كلمة هالة تحيط بها فى عالمها تجعلها تحمل من ظلال المعانى الدقيقة ما لا يمكن أن تحيط به التعريفات فى قواميس اللغة .

فإذا نحن نطقنا بالكلمة أو استعملناها فى كتابتنا ، حملت معها تلك الظلال الدقيقة ، وأثارت فى الأذهان صوراً تحيط بها ظلال من المشاعر التى تثيرها هالتها . واسمحوا لى أن أعرض مثالا من اللغة الفصحى يوضح هذا المعنى :

قال الشاعر يذكر أخاه بريداً وقد هلك :

أحقاً عباد الله أن لست لاقيا
بريداً طوال الدهر ما لألأ العفر

وقوله طوال الدهر ما لألأ العفر تحمل للسامع صورة العفر وهى ترعى فى الأودية المعشبة وهى لا تدرى أن بريداً وأخاه يرصدان لها ويعدان السهام لرميها . فالشاعر إذ يذكر أخاه ويحزن لأنه لن يراه طوال الدهر يدخل فى قوله ذكر هذه الظباء العفر التى كانت تلألئ بأذنابها إذ هما يمرحان معاً فى الأيام الصافية فى الصحراء الفسيحة ذات الهواء الصافى والشمس اللامعة — وذلك اللفظ يعبر عما أحسه الأخوان فى حياة بريد من نشوة الشباب والحياة . ويعبر عما أحسه الشاعر من اللوعة إذا ما تذكر أخاه الفقيد الذى كان يتمتع فى صحبته بمثل هذه اللذة البارعة .

وهكذا كل لفظ يحمل حوله من الصور ما يتداعى فى الأذهان كلما ورد فى عبارة ويحمل من المشاعر ما تثيره تلك الصور فى القلوب . والاستعمال فى الحياة هو الذى يحمل الألفاظ تلك الظلال الدقيقة من المعانى فكلما كان اللفظ أكثر استعمالا فى الحياة كانت الهالة المعنوية التى تحيط به أكثر اتساعاً وظهوراً .

ولهذا يمكن أن نقول إن اللفظ المستعمل فى الحياة هو الأداة القوية فى التعبير الواضح الحى . ومن ثم كانت الألفاظ الشائعة بين الناس هى المفضلة عند من يريد الدقة ووضوح التعبير فى البيان .

فإذا نحن سلمنا بهذا الأصل أمكن أن نخلص منه إلى نتيجة هامة ، وهى أن اللفظ المستعمل على ألسنة الناس إذا كان عربياً فصيحاً كان أولى الألفاظ بالاستعمال لأنه اللفظ الواضح المحدود المعنى ، ولا بد أن نعيد إليه اعتباره فلا نعده سوقياً ولا مبتذلا كما يفعل بعض كتابنا .

وأما إذا كان اللفظ غير فصيح كان أولى بنا أن نرده إلى صورته السليمة مع بقائه للدلالة على معناه فهو أولى من أى لفظ غير معروف للناس نستخرجه من القواميس ليحل فى مكانه .

هذه هى النتيجة الأولى التى نبسطها وهذا يتأتى لنا إذا نحن درسنا كل ألفاظ العامية شيئاً بعد شىء حسب نظام شامل نقصد به الاستيعاب والاستقصاء .

وهناك أصل آخر نبسطه لكى نرتب عليه نتيجة أخرى : فإن الحياة قد دعت إلى استعمال كثير من الألفاظ الجديدة بين أفعال وأسماء وحروف ، وإذا نحن مسحنا اللغة العامية ذلك المسح الشامل الذى أشرنا إليه ودرسنا ما تستعمله الأقطار العربية فى شرق العالم وغربه أمكن أن نعرف الأنواع الآتية من الألفاظ :

١ — الألفاظ التى تستعملها الشعوب العربية جميعاً أو تستعملها كثرة من تلك الشعوب ولا ذكر لها فى كتب اللغة . وهذه تدعو الضرورة إلى إدخالها فى اللغة لأن شيوعها فى الأقطار العربية قرينة على أنها عربية الأصل وإن أغفلتها كتب اللغة . واسمحوا لى أن أعرب عن معنى كثيراً ما يدور فى نفسى ، وهو أننا نعتمد على قواميس اللغة اعتماداً كلياً ، فما ورد فيها آمنا به ولم نقف لحظة لنناقش فيه ، مع أن الإنسان لم يوهب العصمة ، وقد يفوت أصحاب القواميس جميعاً أن يحيطوا بما استعمله العرب فى حياتهم ويمكن أن نقطع بأن اللغات المستعملة فى البلاد العربية تحتوى على كثير من الألفاظ التى لم يهتد أصحاب القواميس إليها ؛ فاستعمال لفظة فى كثير من الأقطار العربية قرينة على عروبتها أقوى من دلالة القواميس وما ورد فيها .

٢ — الألفاظ التى لا تستعمل إلا فى قطر واحد من الأقطار العربية . وهذه إذا كانت تعبر عن معان لا يوجد فى العربية ما يحل محلها نظر فى إدخالها إلى اللغة ؛ أما إذا وجد عنها بديل فى اللغة الفصحى أحل فى مكانها وأذيع على ألسنة المتكلمين وأقلام الكتاب . وقد أخذت فى سبيل دراسة يسيرة للغة العامية أقصد

أن أبين بها نموذجاً لطريقة مسح اللغة العامية . وهى وإن كانت دراسة أولية ضحلة يمكن أن تشير إلى نوع من النهج الذى قد يوصلنا إلى غاية محدودة. فقد بدأت بالأفعال الثلاثية العامية وأثبت ما أعرفه منها فى اللهجة القاهرية بحسب الطاقة فى الإثبات ، وبقدر ما وصل إليه علمى بتلك اللهجة القاهرية . واستخلصت من ذلك بعض نتائج سأعرض على حضراتكم طائفة منها . فإذا نحن فحصنا هذه الأفعال فحصاً تاماً عرضناها على البلاد العربية الأخرى ، وقرنا بها ما هو مستعمل فى اللهجات الأخرى فى غير القاهرة ، لعلنا نصل من هذه المقارنة إلى ما نبغى من النتائج التى تساعد على السمو بالعامية وتقريب اللهجات فى شتى البلاد العربية . وسأعرض على حضراتكم بعض النتائج التى استخلصتها من بحث مجموعة الأفعال الثلاثية التى سبقت الإشارة إليها :

١ – أحصيت مجموع الأفعال الثلاثية العامية التى وصل إليها جهدى فى الإثبات فوجدتها ١٧٥٦ فعل .

وقد وازنت بين هذا العدد وبين عدد الأفعال الثلاثية فى اللغة الفصحى فوجدت الفرق عظيما ، فإن عدد الأفعال الثلاثية فى قاموس متوسط كالمحيط (بحسب طاقتى فى الإحصاء) قد بلغ ٤١٨٠ فعل .

وقد وازنت بين عدد الأفعال الثلاثية العامية وبين الأفعال الثلاثية فى قاموس صغير كالمصباح المنير فى البابين اللذين أولهما حرفا الهمزة والياء ، فوجدت أن عـــدد الأفعال العامية المبدوءة بالهمزة ٢٣ ، فى حين أن عدد الفصحى فى ذلك القاموس ٦٠ ؛ وأن عدد المبدوءة بالياء فى العامية ٧٥ فى حين أن عدد الفصحى منها ٩٧ .

فالأفعال الثلاثية فى العامية أقل بكثير من الأفعال الفصحى ، ومعنى هذا أنها تقصر عن أداء كثير من المعانى التى يمكن أن تؤدى بالفصحى . وهذا نقص واضح يدل على أن الضرورة تقضى بأمرين : الأول – تصحيح كل ما يمكن تصحيحه من الأفعال العامية وتداولها ، ثم يعمل على إذاعة استعمال كثير من الأفعال الثلاثية الفصحى التى لا نظائر لها فى اللغة الشائعة حتى تتداولها الألسنة فى الحياة اليومية ، وبذلك تصحح اللغة المستعملة وتزيد ثروتها وتكون أقدر على الأداء .

٢ – وجدت أن العامية قد أدخلت مجموعة من الأفعال التى لا أصل لها فى العربية . وبعض هذه الأفعال يمكن إرجاعه إلى أصول أجنبية والبعض الآخر يحيط به إبهام لا يسهل استجلاؤه .

فإذا كان الفعل مستعملا فى كثير من الأقطار العربية كما أشرت من قبل كان من المستحسن أن نعده عربياً وإن لم يكن مكتوباً فى كتب اللغة كما تقدم . وأما إذا لم يكن مستعملا إلا فى قطر واحد فإذا كان فى الفصحى ما يغنى عنه ويمكن أن يسهل على الألسنة فى الاستعمال عملنا على إحياء ذلك الفصيح وإماتة الدخيل ، وأما إذا كان لا يوجد فى الفصحى ما يغنى عنه أدخلناه فى اللغة ما دام قد صقل فى الاستعمال وأصبح فى صورة عربية مستساغة .

ويمكن أن أعرض هذه الأمثلة من الأفعال التى أولها حرف الباء :

بصم . بصّ . بطح . بطّط . بلص . بلف . بهط .

ويمكن النظر فى مثل هذه الأفعال بعد المقارنة مع الأفعال المستعملة فى الأقطار الأخرى فلعلنا نجد فيها ما لانستغنى عن إدخاله فى لغتنا .

٣ — وجدت أن الفرق ضئيل بين الأفعال العامية والفصحى . فلا تزال العامية محتفظة فى أفعالها بكثير من دلائل الفصاحة مع تحوير قليل كما سنبين بعد هذا .

فأوزان الأفعال العامية هى الأوزان المعروفة فى الفصحى ، فالماضى فى الغالب على وزن فَعَل والمضارع فى الغالب على أوزان يفعُل ويفْعَل ويفعِل . مع فارق واحد وهو كسر حرف المضارعة فى لهجة القاهرة وضمها فى بعض اللهجات الأخرى فنحن نقول نصر ينصر فتح يفتح منع يمنع ...الخ .

وقد أحصيت عدد الأفعال الصحيحة التى أولها حرف الباء فوجدتها (٤٥) من جملة الأفعال وعددها (٧٥) وأما باقى الأفعال فمحرفة ماعدا خمسة أفعال لا أصل لها فى الفصحى .

٤ — وأكثر الأفعال العامية على وزن فَعَل يفعِل وعددها (٧٣٥) فعلا مثل :

كتَب يكتِب — جلَس يجلِس — حبَس يحبِس — ...الخ .

ويليها ما كان على وزن فعَل يفعُل مثل :

نصَر ينصُر — قعَد يقعُد — فرَك يفرُك — ...الخ ، وعدد هذه الأفعال (٤٧١) .

ويلى ذلك ما كان على وزن فعَل يفعَل — مثل ضرَب يضرَب — فتَح يفتَح — منَع يمنَع الخ . وعدد هذه الأفعال ٣٥٣ فعلا ، ومما يلاحظ أن أكثر هذه الأفعال حلقية العين أو اللام كما هو الحال فى باب فتح فى الفصحى . فالشبه هنا عظيم وهو ناشئ من أن فتح عين المضارع الحلقى العين واللام أمر تقضيه الطبيعة وليس مجرد اتفاق وسماع ويلى ذلك فى الكثرة الأبواب الآتية :

فعِل يفعَل : مثل ركِب يركَب ، كبِر يكبَر ، فرِح يفرَح ، وعدد أفعال هذا الباب ١٠٨ .

فعُل يفعَل : مثل قدُم يقدَم ، وتُمر يتَمر ، قصُر يقصَر ... الخ . وعدد أفعال هذا الباب (٩٥) .

ويلاحظ أن أكثر أفعال هذين البابين مما يدل على قيام الصفة لا إحداث الفعل ، وهذا هو الشأن فى أكثر أفعال بابى فرح يفرح ، وكرم يكرم ، فى الفصحى . فإن كثيراً من الأفعال التى على وزن فرح وكرم تدل على قيام الوصف فى الفاعل مثل هرم وكبر وصغُر . وقد يكون للفعل الواحد صيغة على وزن فعَل وأخرى على وزن فعِل ويكون معنى الصيغة الأولى وهى فعل أن الفاعل أتى

بالفعل ومعنى الصيغة الثانية (فعِل وفعُل) أن الفاعل متصف بالوصف فيقال مثلا خزّن الشىء ويقال خزِن اللحم إذا تغير ، ويقال ركَن إليه إذا مال وركِن الشىء إذا سكن ، ويقال صرم الشىء قطعه وصرُم صار قاطعاً ، ويقال ندل الشىء نقله وندِلت يده إذا اتسخت من أى شىء نقلته أو تناولته وهكذا .

فالشبه عظيم هنا مع فارق فى ضبط حركات الأفعال بين العامية والفصحى .

وهناك أفعال قليلة من أوزان أخرى تكاد تكون فى حكم الشاذة : أولا — فعِل يفعِل مثل كذِب يكذِب ، ولبس يلبس ، ومسك يمسك ، ومشى يمشى ، وجرى يجرى ، وتكاد هذه الأفعال تكون « مثله الوحيدة » . ثانياً — فعَل يفعَل وأظنها لهجة غير شائعة فقد يقول البعض قدّم يقدّم ، كبر يكبر . ولا يوجد فى العامية فعِل يفعُل كما أنه لا يوجد فى الفصحى فعِل يفعُل .

فالأوزان فى العامية هى خمسة وكلها من الأوزان المعروفة فى الفصحى وليس هناك من فارق إلا باب كرم يكرم فلا نظير له فى العامية القاهرية .

٥ — الفعل المضارع العامى الذى على وزن يفعِل بكسر العين كثيراً ما يستعمل للتعدية وذلك أنه فى الأصل مضارع الفعل المتعدى بالهمزة ولكن العامية كثيراً ما تحذف الهمزة وتجعل الماضى ثلاثياً .

فالفعل بعد يبعد فى العامية هو اللازم ولكن بعد الشىء يبعده متعد وكذلك مثال تلف الشىء يتلفه وتلف الصبى الشىء يتلفه . وكثيراً ما يحل المضعف فى الماضى محل المهموز ، فيقال دخّل ولا يقال (أُدخل) ويقال فى المضارع يدخل ويقال قعّد فلان الناس وخرّج ولبس الخ

٦ — يوجد فى العامية كثير من آثار اللهجات العربية غير القرشية . فكسر حرف المضارعة لغة الحجاز فى بعض صيغ الأفعال ، فيقال أبى يِأبى وقد جعلتها العامية قاعدة مطردة . وفى لغة طيىء يقال بقا يبقى بدلا من بقى يبقى . وكذلك نسا ينسى وفنا يفنى . والعامية تتبع هذه اللهجة .

٧ — تتساهل العامية فى أوزان المضارع فتجوز استعمال صيغتى يفعِل ويفعُل للفعل المضارع فيقال مثلا برَك يبرِك وبرَك يبرُك ويقال برم يبرُم وبرم يبرِم . ويقال كتب يكتُب وكتب يكتِب صقَل يصقِل وصقل يصقُل وطمر يطمِر وطمر يطمُر . وهذا التساهل موجود فى الفصحى ، فالقاعدة المتبعة فى العربية أن كل فعل لم يرد له وزن سماعى على فعل يفعُل أو فعل يفعِل يجوز فى مضارعه الرفع والخفض .

٨ — تميل العامية إلى التبسيط وجعل القواعد مطردة بغير استثناء كثير ، فهى تثبت فى المضارع فاء الفعل إذا كان معتلا بالواو مثل وعدته أوْعِدُه ويقال وضع يوْضَع ، وضح يوضح الخ مع أن العربية الفصحى تفرق بين أمثال وعد ووضع فتسقط منها الفاء فى المضارع فيقال يعد ويضع فى حين أنها تثبت الفاء المعتلة بالواو فى أفعال أخرى مثل وحمت المرأة توحَم وولع يولع ووهِم يوهم ... الخ .

هذا شىء مما تيسر لى بحثه فى هذه الشهور الماضية منذ ألقيت بحثى السابق على هيئة المجلس الموقر لم أقصد به إلا أن أبين أننا إذا قصدنا

إلى دراسة اللغة العامية وتوفرنا على معرفة خصائصها أمكن أن نخرج من بحثنا على طائفة من النتائج لها دلالة وفائدة فى إصلاح لغتنا.

فاذا نحن بدأنا مثلا بالأفعال الثلاثية حتى فرغنا منها عمدنا إلى الأفعال الرباعية المجردة ثم الأفعال المزيدة ثم المشتقات ثم الأسماء والحروف، وكلما فرغ البحث من طائفة أخذنا فى الإعداد للموازنة والمقارنة باللهجات الأخرى غير لهجة القاهرة .

وقد ينتهى بنا الأمر إلى إعداد قاموس للألفاظ العربية الصحيحة التى يحتاج إليها الناس فى كل البلاد العربية ويستعملونها فى حياتهم ، فتكون هدية للمعلمين تساعدهم فى تعليم الأجيال من النشء، كما أنه يكون هاديا لمن أراد الكتابة لجماهير الأمة .

وقد نظرت اللجنة التى ألفها المجلس لإعداد هذا البحث فى هذا الأمر فى جلسات عدة وانتهت فى مناقشاتها إلى بعض مقترحات تعرضها على هيئة المؤتمر الموقر وهى :

١ ـ ضرورة دراسة اللغة العامية دراسة شاملة تتدارك مافات الجهود السابقة التى بذلت فى هذا السبيل ، وذلك لمعرفة خصائصها وهذه الدراسة تعين على تقريب الشقة بين العامية والفصحى .

٢ ـ من عوامل التقريب بين العامية والفصحى ومن عوامل ضبط الأداء أن يفضل اللفظ الشائع المستعمل على ألسنة الناس فى الأقطار العربية على أى لفظ آخر من ألفاظ المعجمات غير شائع الاستعمال ، بشرط ألا يكون اللفظ المستعمل نابياً .

٣ ـ وترى اللجنة ألا تقف الدراسة عند قطر واحد من الأقطار الشرقية بل يجب أن تكون دراسة مقارنة مستوعبة للهجات العامية فى مختلف الأقطار الشرقية ، كى يمكن التقريب بينها جميعاً وبين اللغة الفصحى ، وحتى يكشف عن كل ما يمكن الاستفادة منه فى إنهاض اللغة العربية.

٤ ـ وتوصى اللجنة بأن تبدأ فى المجمع وتحت إشراف لجنة الألفاظ والأساليب بدراسة العامية القاهرية لتكون نموذجاً لما يرجى من دراسات للهجات فى الأقطار الأخرى .

٥ ـ والعامية كالعربية لها مفرداتها وأساليبها والدراسة يجب أن تستوعبهما معا ، ولكن اللجنة ترى أن تبدأ ببحث المفردات أولا وإذا ما انتهت منها بحثت الأساليب .

وسبيل تنفيذ هذا ، حصر الأفعال الثلاثية فى اللهجة العامية القاهرية بطريقة ترتيب الحروف الأبجدية التى تجرى عليها بعض معجماتنا العربية كالمصباح المنير .

٦ ـ هذه الدراسة ممكنة ، وينبغى أن يبدأ فيها بحصر الألفاظ العامية فى مختلف الأقاليم وقد بدئت فعلا محاولة فى بعض عامية القاهرة أظهرت أمرين :

(ا) أن فى الإمكان وضع قاموس لمفرداتها

(ب) أن أبواب الفعل الثلاثى فى العامية لاتكاد تخرج عنها فى الفصحى من حيث الوزن والاستعمال .

٧ ـ ولاشك أن كل هذه الأحكام مؤقتة وقابلة للتعديل كلما اتسع نطاق البحث فى الأقاليم المختلفة .

صلات اللغة العربية واللغات الإسلامية (الفارسية والتركية والأردية)

لحضرة العضو المحترم الدكتور عبد الوهاب عزام(*)

كان بين العربية واللغات الساميات عامة وبين لغات الأمم المجاورة ، ولاسيا الايرانيون صلات عرف بعضها فى النقوش الأثرية وفى ألفاظ فارسية دخلت فى اللغات السامية قبل الإسلام وأخرى سامية انتقلت إلى الفارسية.

ولست أعرض هنا لهذه الصلات فهى ضئيلة إذا قيست بالصلات الكثيرة البينة التى ربطت اللغة العربية ولغات الأمم الإسلامية الأخرى فى لغة الخطاب ولغة العلم والأدب .

وذلكم موضوع عالجته مرات فى أبحاث مختلفة . وأجمل فى هذا البحث القول فيه إجمالا يمهد للتفصيل والاستقصاء لمن يشاء .

— ١ —

فتح العرب المسلمون إيران وما يليها شرقاً وشمالا ، وانساحوا فيها واستقروا فى أرجائها وكانت لهم الدولة والسلطان .

وقد دخلوا هذه الأقطار لنشر دين له كتاب وشرائع وعبادات لغتها العربية ، ونشأ هذا الدين علوماً لغوية ودينية لغتها العربية كذلك .

ودخل الفرس فى الإسلام سراعاً وتلقوا الدين وكتابه وسننه وشاركوا العرب فى الثقافة التى نشأها الإسلام ، والحضارة الإسلامية .

وقد عقمت أو كادت الفارسية التى كانت شائعة فى إيران قبل الإسلام وهى المسماة بالفهلوية زهاء مائتى سنة بعد الفتح الإسلامى فلم يؤلف بها الا قليل من الكتب أكثرها دينى وكانت العربية وحدها فى هذه الحقبة لغة الدواوين ولغة العلوم الدينية واللغوية والتاريخية وغيرها . أى لغـــة الحضارة والثقافة فى ذلك العصر .

وفى أواخر القرن الثالث الهجرى شرع الفرس يكتبون بلغتهم . وكان الشعراء أسبق إلى اتخاذ الفارسية . وتلاهم مؤلفون ترجموا عن العربية فى التاريخ والدين كما ترجم تفسير الطبرى وتاريخه فى عهد الدولة السامانية (٢٦٠ — ٣٨٩ هـ) .

وكانت حاضرة هذه الدولة بخارى وأكثر ملكها فى خراسان فكانت بعيدة عن مراكز الحضارة العربية فى العراق وما يليها فحييت فيها الفارسية وأدبها قبل الأقطار الأخرى القريبة من العراق .

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الرابعة للمؤتمر (٢٦ من يناير سنة ١٩٤٨) .

فالدولة البويهية التى نشأت بعد الدولة السامانية ودامت بعدها (٣٢٠ – ٤٤٧ هـ) كانت فى سلطان اللغة العربية ، وكان ملوكها ينظمون الشعر بها ، ولم يؤثر عنهم ميل إلى غيرها وكان وزراؤهم من عظماء أدباء العربية وناهيك بابن العميد وابن عباد والوزير المهلبى.

وقد قال أبو الطيب فى مدح ابن العميد يوم النيروز :

عربىٌّ لســـانه فلسفى
رأيه فارســـية أعيـــاده

ترعرع الشعر الفارسى فى خراسان وانتشر فى سائر إيران ونبغ شعراء كثيرون ونظمت القصة القومية الكبرى : « الشاهنامة » فى القرن الرابع الهجرى . ولكن الشعر العربى بقى كذلك ذائعاً مزدهراً إلى القرن السادس الهجرى .

وبقيت العربية غالبة على النثر الأدبى فلم ينبغ للفرس كاتب فى تلك القرون يقاس إلى كبار كتاب العربية فى إيران كالصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمذانى وأبى بكر الخوارزمى.

وألف الفرس فى علوم شتى ولكن استمرت العربية غالبة بل كادت تستأثر بالتأليف إلى غارات التتار فى القرن السابع الهجرى . وقل التأليف بها من بعد على مر العصور ولكنه لم ينقطع حتى عصرنا هذا .

— ٢ —

وهذه اللغة الفارسية التى كتب بها الفرس منذ أواخر القرن الثالث الهجرى قد نشأت فى حضانة العربية ، وترعرعت فى سلطانها فكتبت بالخط العربى واشتملت على ألفاظ عربية تزيد على الألفاظ الفارسية أحياناً إذ كانت العربية قد تسربت إلى لغة الخطاب فى إيران كلها ، وغلبت عليها فى الحواضر الكبرى ، وكانت قد استأثرت باصطلاحات العلوم والفنون حقباً طويلة .

فلما كتب الفرس بلغتهم حاكوا العرب فى الموضوعات والأساليب ، فحاكوا العربية فى الشعر والنثر ، وألفوا بلغة اصطلاحاتها كلها عربية ، وكثير من ألفاظها غير الاصطلاحية عربية كذلك .

وكان الشـــعر أكثر حظاً من الألفاظ الفارسية ، ويليه النثر الأدبى ، ثم اللغة العلمية ويكاد الناظر فى الكتب يقرأ لغة عربية لولا علامات الجمع وصيغ الفعل وتركيب الجمل.

واستمر هذا واضحاً فى الفارسية منـذ صارت لغة أدب وعلم إلى عصرنا هذا .

وإليكم أمثلة من كتاب كتب فى القـــرن الخامس الهجرى ، ومن مجلة إيرانشهر التى كانت تنشر فى برلين قبل سنين :

فى مقال الطب من چهار مقالة وهو كتاب مؤلف من حكايات فى موضوعات مختلفة .

« ماليخوليا علتى است كه أطبا در معالجت أو فروماند . أكرچه أمراض سوداوى همه مزمن است ليكن ماليخوليا

خاصيتى دارد بدير زائل شدن . وأبو الحسن ابن يحيى اندر كتاب معالجت بقراطى كه اندر طب كس چنان كتابى نكرده است ، برشمرد أزائمه وحكما وفضلا وفلاسفه كه چند أزايشان بدان علت معلول كشته اند . أما حكايت كرد مرا أستاد من الشيخ الإمام أبو جعفر بن محمد كه يكى را أزأعزه آل بويه ماليخوليا بديد آمد وأورا درين علت صورت بست كه أو كاوى است » .

وفى العدد ٧ من مجلة إيرانشهر ص ٣٨٧ من مقال عن التربية والتعليم :

« يكى أز أسرار تفوق نژاد أنكلوساكسون همين است كه اين ملت انقلابات سياسى ودينى وأدبى را هميشه استقبال ميكند . يعنى راه تكامل را پيموده يك جريان آزاد بمقتضيات آن ميدهد . ونميكذاردكار بانقلابه بهاى شديد وكسيختن رشته استقلال وعظمت وتسلط خود بكشد ، ازين جهت است كه در مملكت انكلستان منتها درجه آزادى ومحافظه كارى باهم راه ميرود وأقوام مختلف باطبايع واحتياجات وتمايلات مختلف خود ، در زير شهير سياست اين قوم بسرميبرند ... »

— ٣ —

وما يقال فى اللغة الفارسية يقال فى اللغة التركية الإسلامية فى فروعها الشرقية والغربية التى صارت لغة ثقافة :

كانت العربية لغة العلم فى تركستان الشرقية والغربية . ولا يتسع المقال لذكر المؤلفين فحسبى أن أشير إلى العلماء والأدباء الذين ينسبون إلى بخارى وخوارزم وسمرقند وفرغانة والشاش .... الخ .

وكانت العربية منذ انتشر الإسلام وتمكن فى هذه البلاد لغة الثقافة وحدها. فلما ازدهرت الفارسية فى إيران وشاركت العربية على النحو الذى ذكرت آنفاً كان لها فى تركستان شأن عظيم ولاسيما فى المدن الكبيرة . وقد نشأ كثير من طلائع شعراء الفرس فى تركستان فأبو جعفر الرودكى أول شاعر كبير بالفارسية ينسب إلى رودك إحدى قرى سمرقند ، وبعض شعراء ذلك العصر الأول ينسبون إلى بخارى.

وكانت الآداب والعلوم بين العربية والفارسية فى تركستان على النحو الذى ذكرت فى إيران أو قريباً منه . ولم يكن للتركية إذ ذاك شأن .

وحسبى هنا أن أذكر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ ، ومكانته ومؤلفاته فى العربية غنية عن التبيين . ولما كتب مقدمة الأدب ليعرف أهل تلك الأقطار اللغة العربية شرح الألفاظ العربية بالفارسية ولم يتعرض للتركية .

وقد دون بالتركية الشرقية كتب قليلة متفرقة منذ القرن الخامس الهجرى ولكنها لم تصر لغة ثقافة إلا فى قرون متأخرة . وقد نظم على شير نوائى من أدباء القرن التاسع الهجرى منظومات عدة بالتركية ، وكتب كتاباً سماه مقايسة اللغتين يعنى الفارسية والتركية . حاول فيه أن يثبت أن التركية لاتقل عن الفارسية صلاحية للأدب والعلم ، وألف كذلك معجماً عربياً جمع فيه

أمهات المعاجم العربية سماه مجمع الأبحر . في أواخر القرن التاسع الهجري كان هذا الأديب يمهد الطريق للغة التركية وينظم فيها كثيراً ، ولكن لم يقتف أثره كثيرون . وبقيت منظوماته والسيرة التي كتبها لنفسه ظهير الدين بابر مقيم الدولة المغولية في الهند ، أعظم مانظم ونثر في اللغة التركية الشرقية لغة چغتاى زمنا طويلا بل إلى عصرنا هذا .

وهذه اللغة التركية نشأت في سيطرة العربية والفارسية . فحكمها حكم الفارسية في وضوح تأثير العربية فيها .

وكذلك القول في اللغة التركية الغربية — اللغة العثمانية — التي هي أوسع فروع التركية علماً وأدباً .

وقد دون بها في القرن السابع الهجري وتطورت كثيراً من بعد .

— ٤ —

وفتح العرب السند في القرن الأول الهجري ودام سلطانهم هناك نحو قرنين . فانتشرت العربية هناك وأثرت في اللغة السندية .

ثم فتحت الهند في القرن الرابع الهجري فتحها السلطان محمود الغزنوي وامتد سلطان الدولة الغزنوية هناك ثم خلفتها الدولة الغورية ونشأت في داخل الهند دول إسلامية كثيرة حتى جاءها في القرن العاشر فاتح داهية عبقري هو محمد ظهير الدين بابر من سلالة تيمورلنك فأقام أعظم الدول الإسلامية في الهند . وهي الدولة التيمورية التي يسميها الأوربيون المغولية. وقد امتد سلطانها على الهند كلها حينا . ولم تجتمع الهند كلها لسلطان واحد إلا في حكم هذه الدولة . وقد استمرت إلى سنة ١٢٧٥ﻫ (١٨٥٧ م) .

وكانت العربية منذ استقرت الحضارة الإسلامية في الهند لغة تأليف . ولم ينقطع التأليف بها على اختلاف الأحوال إلى عصرنا هذا .

وكان للفارسية شأن كبير بين مسلمي الهند كذلك . وكانت لغة الدولة والأدب في عهد التيموريين . ولاتزال آثارهم شاهدة بما كان للعربية والفارسية من شأن ، الأولى للدين والثانية للأدب . ولايزال أدباء الهند المسلمون يدرسون الفارسية وينظمون بها .

ثم نشأت اللغة الأردية وترعرعت شيئاً فشيئاً منذ القرن العاشر الهجري ولم ينبغ فيها كبار الشعراء ويكثر التأليف بها إلا منذ قرن ونصف .

والأردية مزيج من السنسكريتية والعربية والفارسية والتركية . وأثر الفارسية فيها ألفاظها وأساليبها وموضوعاتها قوى واضح.

ويتبع هذا تأثير العربية فيها إذ كانت الفارسية متأثرة بالعربية إلى الحد الذي بينت قبلا .

تلكم صلات العربية واللغات الإسلامية ذات الشأن . والذي دعاني إلى إلقاء هذا المقال في المجمع أن الألفاظ العربية في هذه اللغات لم تبق كما أخذت من العربية في عصور سيطرة اللغة العربية ، بل صارت هذه الألفاظ من اللغات التي دخلت فيها ، وتطورت وزادت بالتجوز والاشتقاق وغيرهما .

وهى اليوم فى زيادة ولها أعظم الشأن فى الترجمة من اللغـــات الأوربية ومقابلة الاصطلاحات الحديثة . وكثير من الألفاظ العربية المستعملة اليوم فى الفارسية والتركية والأردية لم تكن مستعملة فى هذه اللغات ولا فى اللغة العربية قط أو لم تكن مستعملة للمعانى التى تستعمل لها فى هذا العصر . كما يستعمل العرب ألفاظ لغتهم فى المعانى الحديثـــة واصطلاحات العلوم والفنون المستحدثة .

وربما ينقل أهل هذه اللغات فى هذا العصر عن العرب ما يضعون أو يشتقون من ألفاظ.

ومن أمثلة استعمالهم الألفاظ العربية ابتداء فى الترجمة عن لغات أوربا استعمال الأتراك كلمات «الحقوق» مقابل droits و«بين الملل» مقابل international و«تحت البحر» مقابل sous-marin و«دارالفنون» مقابل university

ومن أمثلة الأخذ عن العرب فى العصر الحاضر استعمال الترك «طيارة» واستعمال الفرس «جريدة» و «مجلة» أحياناً .

وحسبى هنا أن أذكر كتاباً وضعته أمامى وأنا أكتب هذه الكلمات . وهو كتاب فى علم النفس ترجمه من الفرنسية إلى التركية الأستاذ المرحوم أحمد نعيم الذى كان أستاذاً بجامعة اسطنبول وعضواً بلجنة التأليف والترجمة فى تركيا . والكتاب مكتوب بلغة تغلب فيها الألفاظ العربية . وقد ذيل المترجم الكتاب بثبت لاصطلاحات علم النفس التى تضمنها الكتاب فى مائة صفحة ، كلها اصطلاحات عربية قديمة أو حديثة استعملها الترك أو المترجم وحده حين الترجمة من اللغات الأوربية . وهى أكثر من ألفى مصطلح أرجو أن تكون ذات جدوى على دارسى علم النفس باللغة العربية وأن تنال عناية المجمع ليقرها كلها أو بعضها .

وإليكم هذا المثال من متن هذا الكتاب :

« تصديقلك تعريفى — تصديق وبا حكم » مفكره نك ملاحظة وتأمل حالنده كى فعلى خاصته اطلاق أولونور . هرنه زمان تفكر ايدرسه ك وحدته unité ارجاع ايتديكمز باطنى بر اثنينيت dualité حقنده براحتساس وشعور مز أولبور . مثلا بركوبك كوروب بو كوبكى ملاحظة ايده جك أولورسهم «شوكورديكم شىء بركوبكدر» ديرم. بومثالده بر اثنينيى تركيب ايدن عنصرلردن برى موضوع posé ومحكوم عليه sujet أولان « شوكزرديكم شىء » مفهوميلر . ديكرى ايسه برموضوعه اسناد ايديلن apposé محكوم به أولان محمول attribut أولوب أوده كوبك مفهوميلر . محمولى موضوعه، محكوم بهى محكوم عليه حملدن ، حكمى اسناد دن عبارات أولان فعل تركيبى يه دال أولان لفظ فعلدر . نته كيم قضيه proposition نده تصديقلك ، حكمك عباره سى يعنى بيان لفظيسيدر » .

ويتبين من هذا أن الأمم التى تتكلم هـــذه اللغات تشارك الأمم العربية فى عصرنا هذا فى وضع كلمات عربية لاصطلاحات العلوم والفنون . وهو أمر جدير بعناية المجمع ينبغى أن ينظر فيه ليمد صلاته إن شاء إلى هذه الأمم غير العربية أيضاً .

الاصطلاحات الفقهيــة

لحضرة العضو المحترم الشيخ عبد الوهاب خلاف(*)

وجدت فى عهد رسول الله وأصحابه مجموعة من الأحكام الشرعية العملية لعدة وقائع حدثت لأفراد الناس وجماعاتهم . بعض هذه الأحكام دلت عليها آيات قرآنية وبعضها دلت عليها أقضية الرسول وفتاويه . وبعضها دلت عليها أقضية أصحابه وفتاويهم فى الخصومات والوقائع التى ليس فيها نص فى القرآن ولم تمض من الرسول فيها سنة .

ولكن ماكانت هذه المجموعة من الأحكام تسمى علم الفقه ، وما كان العلماء بها من الصحابة يسمون الفقهاء ، وما استعملت فى التعبير عن هذه الأحكام ألفاظ اصطلاحية خاصة ولا صيغ علمية معينة ، بل كانت عبارات هذه الأحكام على النمط العربى العام فى التعبير عن سائر الأغراض . وأهم الأسباب لهذا مايأتى :—

أولا — أن هذه الأحكام (ماعدا أحكام القرآن) لم تدون ولم يوجد مايستلزمه التدوين من تخير الألفاظ أو التزام الأساليب ، بل كانت الأحكام تتناقل مشافهة كما يتناقل غيرها من كل مايتناقله الناس . وكذلك لم يكثر الاختلاف فيها اختلافاً يلجئ إلى التزامات .

ثانياً — أن المسلمين كانوا أقرب إلى بساطة البداوة ويسرها ، وكانت وقائعهم قليلة ، والذى كان يهمهم أن يعرفوا كيف يقومون بما طولبوا به من عبادات ، وما كان يهمهم أن يعرفوا أى أجزاء العبادة ركن وأيها شرط وأيها فرض وأيها سنة . وكان يهمهم أن يعرفوا التصرف المباح لهم والتصرف المحظور عليهم ، فأما تعريف العقد وأركانه وشروط حجتيه وشروط نفاذه وشروط لزومه فما عنوا بشىء منها .

توضأ رسول الله ورأى أصحابه وضوءه فتوضئوا كما توضأ وما سألوه أى هذه الأفعال فرائض الوضوء وأيها سنة .

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى أصحابه صلاته فصلى أصحابه كما رأوه يصلى وما سألوه أى هذه الأفعال أركان الصلاة وأيها شروطها وأيها واجباتها وأيها سننها .

وكذلك صام وزكى وحج وأدى أصحابه عباداتهم كما رأوه وكما سمعوا منه . وباع واقترض وارتهن وتزوج وباشر عقوداً وتصرفات وباشر أصحاب الرسول منها ماأحل واجتنبوا ماحظر وما سألوا عن فرض وواجب وعلة وسبب وتعريف وتكييف قانونى .

مضى القرن الهجرى الأول ولم تظهر اصطلاحات فقهية ولم تأخذ الأحكام القانونية أية صيغة علمية ، وكانت الأحاديث والآثار

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثامنة للمؤتمر (٩ من فبراير ١٩٤٨)

فى الأحكام كالأحاديث والآثار فى الأخلاق والعقائد وغيرها ليس لها ألفاظ اصطلاحية خاصة .

غير أنه روئيت من أقوال الرسول وأفعاله ظاهرة كانت أساساً لاصطلاحات فقهية جديدة ظهرت فيما بعد .

تلك الظاهرة هى أن رسول الله لما بين ما فى آيات القرآن من إجمال بالسلطة التى خولها الله له بقوله جل ثناؤه « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم » فسر بعض الألفاظ بغير معانيها اللغوية وبين أن المراد منها حقائق شرعية فصلها بأقواله وأفعاله .

فبين أن الصلاة فى قوله تعالى : « أقيموا الصلاة » ليست بمعناها اللغوى وهو مطلق الدعاء بل معناها عبادة خاصة بينها بفعله وقال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » .

وبين أن الحج فى قوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت » ليس بمعناه اللغوى وهو مطلق القصد بل معناه قصد البيت فى أشهر معلومات بإحرام وطواف ووقوف وقد بينه بفعله وقال : « خذوا عنى مناسككم » وكذلك بين المراد من الصيام والزكاة والطلاق .

وقد اختلف العلماء فى الألفاظ التى استعملت فى حقائق شرعية غير معانيها اللغوية هل هذا الاستعمال بطريق نقل هذه الألفاظ من معانيها اللغوية إلى المعانى الشرعية الاصطلاحية ، أو هو بطريق تخصيص هذه الألفاظ ببعض ماوضعت له لغة .

وتوضيح هذا أن الصيام لفظ موضوع لغة للإمساك عن أى شىء فيصدق على الإمساك عن الكلام « إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسياً » وعلى الإمساك عن الطعام والشراب وعلى الإمساك عن القراءة ، فلما استعمل الشارع لفظ الصيام فى قوله تعالى : « كتب عليكم الصيام » فى الإمساك عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس تساءلوا هل نقل اللفظ من معنى إلى معنى أو خصص اللفظ ببعض معانيه ؟ والذى يظهر لى أنه الصواب أن هذا نقل لا تخصيص ، لأن الشارع جعل للفظ الصيام حقيقة خاصة يدل عليها عند الإطلاق ولايدل على غيرها إلا بقرينة ، وهذا آية النقل والوضع الجديد . وأما تخصيص العام فلا يخرج اللفظ العام عن دلالته على العموم ، بل هو الأصل فى دلالته والتخصيص هو المحتاج إلى القرينة ، فحيث لاتوجد القرينة فاللفظ العام حقيقة فى العموم — فهنا نقل والذى سوغه أن المنقول إليه من أفراد المنقول عنه . وسواء أكان هذا من باب النقل أو التخصيص فالذى لاريب فيه أن الرسول استعمل بعض ألفاظ النصوص فى غير ما وضعت له لغة ، وأراد منها حقائق شرعية اصطلح المسلمون على فهمها منها ، بحيث هجر المعنى اللغوى للفظ وصار لايفهم منه إلا بقرينة ، كأن اللفظ صار حقيقة فى معناه العرفى الشرعى ومجازاً فى معناه الوضعى اللغوى . وعلى هذا تقرر فى علم أصول الفقه وفى علم أصول القانون أنه إذا ورد فى النص لفظ يحمل على معناه العرفى الشرعى أو القانونى لا على معناه اللغوى إلا إذا دلت قرينة على إرادة معناه اللغوى ، كما فى قوله تعالى : « إن الله وملائكته

يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه » فالقرينة دالة على أن المراد من الصلاة معناها اللغوى وهو الدعاء .

ابتدأ القرن الهجرى الثانى وابتدأ فيه عهد التدوين ، وأول مابدئ بتدوينه السنة لأن عمر ابن عبد العزيز كتب فى خلافته إلى والى المدينة أبى بكر محمد بن عمرو بن حزم : « انظر ماكان من حديث رسول الله فاكتبه فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء . » وكتب بمثل هذا إلى محمد بن شهاب الزهرى ، فبدأ تدوين السنة بعد أن مضى القرن الهجرى الأول كله وليس بين أيدى المسلمين مدون غير القرآن . وأقدم مجموعة مدونة فيها السنة وصلت إلينا موطأ الامام مالك بن أنس دونه بناء على طلب الخليفة المنصور حوالى سنة ١٤٠ هـ . وإنما أشرت إليه هنا لأن مالك بن أنس دون فى موطئه مع مادونه من سنن الرسول آثار الصحابة وفتاويهم وأقضيتهم فهو كتاب حديث وفقه معا ، وهو مرتب على أبواب الفقه ، والقارئ فيه يقرأ الأحكام ببساطتها الأولى حاولا لمسائل خالية من الاصطلاحات والاختلافات والتعريفات .

وكان البدء فى تدوين السنة فاتحة البدء بتدوين الأحكام القانونية ، ولهذا دونت فى القرن الهجرى الثانى عدة مجموعات فى الأحكام نشير بالاجمال إلى بعض ماوصل إلينا منها :—

دون محمد بن الحسن الشيبانى المتوفى سنة ١٨٩ هـ صاحب أبى حنيفة كتب ظاهر الرواية الستة : المبسوط . والزيادات . والجامعان الكبير والصغير . والسيران الكبير والصغير . وهو يروى فيها عن أبى حنيفة مباشرة أو عن أبى يوسف عن أبى حنيفة . وقد دونها ببغداد وهى أصول الفقه الحنفى .

ودون عبد السلام بن سعد القيروانى الملقب سحنون « المدونة » فى الفقه المالكى ، وهو يروى فيها عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك ابن أنس ، وهو ممن عاصروا مالكا ولكنه ماوصل إلى المدينة إلا بعد وفاته . ومن المأثور عنه قوله : قاتل الله الفقه ، عاصرنا مالك بن أنس وأخذنا فقهه عن ابن القاسم .

وأملى الإمام الشافعى بمصر على أصحابه كتابه الأم وهو أصل الفقه الشافعى .

وهذه المدونات فى الأحكام فى القرن الهجرى الثانى تكاد تكون على نمط الأحكام فى القرن الأول ، غير أنها ظهرت فيها ظاهرتان : إحداهما كثرة الأسئلة عن وقائع فرضية ووضع أحكام هى أجوبة لأرأيت وألا ترى . والثانية كثرة التعليل للأحكام وإتباع الحكم بسنده ولكن ماظهرت فيها اصطلاحات ولا صياغة علمية إلا نادراً . وكذلك الحال فيما دون فى القرن الثالث مثل كتاب هلال المشهور بهلال الرأى فى الوقف وهو متوفى سنة ٢٤٥ ، وكتاب الخصاف فى الوقف وهو متوفى سنة ٢٦١.

ومن قرأ أحكام باب معين فى السنة ثم قرأه فى مبسوط الإمام محمد ثم قرأه فيما دون بعد ذلك فى القرن الرابع والخامس أو مابعدهما تبين أن أحكام الفقه تطور ترتيبها والتعبير عنها تطوراً واضحاً .

مثلا — السَّلَم وهو نوع من البيع الثمن فيه عاجل والمبيع آجل كأن يشترى رجل مائة إردب من القمح بسعر الإردب ثلاثة جنيهات ويسلمه ثمنها الآن على أن يسلمه القمح من حصاده ويسمونه بيع الدين بالعين أو بيع مثمن آجل بثمن عاجل .

فى السنة — « نهى رسول الله عن بيع الإنسان ماليس عنده ورخص فى السَّلَم . قدم رسول الله المدينة وهم يسلفون فى الثمار السنة والسنتين والثلاث ، فقال من أسلف فى شىء فليسلف فى كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم . »

فى مبسوط محمد — « إذا سلم الرجل فى الطعام كيلا معلوماً وأجلا معلوماً وضرباً من الطعام وسطا أو جيداً أو رديئاً واشترط المكان الذى يوفيه إياه فيه فهذا جائز وإن ترك شيئاً من هذا لم يشترطه فالسلم فاسد .

وإن كان رأس المال دراهم غير معلومة فالسلم فاسد لأنهما إن تتاركا لم يدر ما الدين الذى عليه أو وجد فيها درهماً زائفاً لم يدر ما هو من الثمن .

وإذا اشترط طعام قرية أو أرض خاصة ولا يبقى طعامها فى أيدى الناس فالسلم فاسد لأنه أسلم فيما ينقطع من أيدى الناس . »

وهكذا انتظم الباب عدة جزئيات . أكثر التعبير فيها لا بأس بالسلم فى كذا ولا خير فى السلم فى كذا . ويلمح القارئ أن العبارة فيها التصريح باشتراط شروط وفساد السلم إن لم يشترط فيه هذه الشروط وهذا بدء صياغة عبارات الأحكام بصيغة جديدة .

وفى البدائع للإمام الكسائى الملقب بملك العلماء المتوفى سنة ٥٨٧ هـ : الكلام فى السلم فى تعريفه وبيان ركنه وشرائط الركن وما يجوز من التصرف فى المسلم فيه وما لا يجوز — « السلم والسلف لفظان معناهما واحد ، فإذا قال رب السلم اسلمت إليك فى كذا أو أسلفت وقال المسلم إليه قبلت تم ركن السلم .

وأما شرائط الركن فمنها نوع يرجع إلى نفس العقد ومنها نوع يرجع إلى البدل ، فالذى يرجع إلى نفس العقد فشرط واحد وهو أن يكون العقد باتاً عارياً عن شرط الخيار للعاقدين أو لأحدهما . . . .

وأما الذى يرجع إلى البدل فأنواع ثلاثة نوع يرجع إلى رأس المال خاصة ، ونوع يرجع إلى المسلم فيه خاصة ، ونوع يرجع إليهما جميعاً وهذا بيانها . . . »

فمن قابل بين صيغة الأحكام فى السنة وصيغتها فى أول العهد بتدوينها وصيغتها فيما دوّن بعد هذا فى القرن الرابع وما بعده يتبين أن الأحكام الفقهية قد ظهرت فيها اصطلاحات كثيرة لم تكن معروفة من قبل فى القرنين الهجريين الأول والثانى ، وأنها فى ترتيبها وتبويبها وتعليلها ظهرت فيها صناعة وفن لم يكونا معهودين فيها من قبل .

اصطلحوا على تقسيم الحكم إلى تكليفى ووضعى ، وعلى تقسيم التكليفى إلى فرض وواجب

ومندوب ومحرم ومكروه ، وعلى تقسيم الوضعي إلى سبب وشرط ومانع ، ووضعوا كل لفظ من هذه الألفاظ الحقيقية لمعان شرعية محدودة وفرقوا بين الركن والشرط والعلة والسبب وقسموا شروط العقد إلى شروط انعقاد وشروط صحة وشروط نفاذ وشروط لزوم فما فقد شرط انعقاد فهو الباطل ، وما فقد شرط الصحة فهو الفاسد ، وما فقد شرط النفاذ فهو الموقوف ، وما فقد شرط اللزوم فهو غير اللازم أو غير البات .

وكل باب من أبواب الفقه وضعت فيه ألفاظ كثيرة لمعان اصطلاحية غير معانيها اللغوية . فى الإرث السبب والشرط والمانع والتعصيب والحجب والعول وحجب الحرمان وحجب النقصان . وفى الدعاوى تخصيص القضاء ودفع الدعوى ويمين الاستظهار والحجر . وفى الأصول مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة وتخريج المناط وتنقيح المناط وتحقيق المناط .

وكل لفظ اصطلحوا على وضعه للدلالة على معنى عرفى بينوا أصل وضعه فى اللغة وبينوا معناه الذى نقل إليه . ولهذا يقولون فى كل باب القول فى اللغة الزيادة وفى الاصطلاح الفقهى زيادة سهام أصحاب الفروض عن أصل المسألة . الكفالة لغة الضم وفى الاصطلاح ضم ذمة إلى ذمة فى المطالبة . الوقف فى اللغة الحبس وفى الاصطلاح حبس العين عن أن تكون ملكا لأحد من الناس والتصدق بمنفعتها وإذا عرض لهم مسمى ولا عهد للعرب به ولا لفظ فى اللغة العربية ينقل إليه استعملوه بنفسه . ولهذا جاء فى متون الفقه : وكرهت السفتجة ، وقالوا إنه لفظ فارسى والمراد به أن تقرض إنساناً مالا ليسلمه المقترض فى بلد آخر إلى إنسان يريد المقرض توصيله إليه ، وغرضه من الإقراض أن يأمن خطر الطريق ، ولهذا جعله قرضاً لا أمانة وجمعوا اللفظ ، قال ناظم الكنز : وكرهت سفاتج الطريق وهى حوالة على التحقيق .

واستعملوا المسكة ، والكردار ، والكدك ، والخلو ، والمرصد .

ومرادهم بالمسكة مايقوم به الزارع فى الأرض من حرثها وإعداد ريها وخدمتها للزراعة وهذا يكسبه حق الأولوية على غيره بأن يزرعها .

ومرادهم بالكردار مايحدثه الزارع فى الأرض من بناء أو غراس أو ردم حفر ، وهذا أيضاً له حق الأولوية بزراعة الأرض .

ومرادهم بالكدك مايحدثه التاجر فى حانوته من بناء وغيره على وجه القرار . وهو يجعل للتاجر حق البقاء بالحانوت ويقدمه على غيره مادام يدفع أجر المثل .

ومرادهم بالخلو مايدفعه المستأجر إلى متولى الوقف من مال ليصرفه فى مصلحة الوقف .

ومرادهم بالمرصد دين للمستأجر على الوقف يصرفه فى عمارته بإذن المتولى .

ومن درس الفقه تجلى له أن علماء الفقه أغنوه بالألفاظ الاصطلاحية ولم يعرض لهم

معنى إلا اصطلحوا على الدلالة عليه بلفظ عربي ينقلونه عن معناه اللغوى إلى معناه الاصطلاحى لأى مناسبة، وإذا لم يجدوا للمعنى لفظاً عربياً اصطلحوا على الدلالة عليه بلفظه غير العربى وماضاقوا بأى معنى .

والذى خلص لى من هذا البحث :—

أولا — أن الاصطلاحات الفقهية نبتت فى القرن الهجرى الأول، وضع بذورها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقله بعض الألفاظ العربية من معانيها اللغوية إلى حقائق عرفية شرعية ولكن هذا النبات مانما ولا ترعرع وزادت فروعه إلا من القرن الثالث الهجرى . فكأن الرسول كما شرع أسس الأحكام شرع أسس الاصطلاح واستعمال الألفاظ .

وثانياً — لا أستطيع أن أحدد بالضبط متى بدأ ظهور هذه الاصطلاحات ومن أول من وضعها . ولكن الذى أرجحه أن ظهورها بكثرة كان فى القرن الثالث الهجرى . والذى أجزم به أنه لم يبدأ بوضعها مجمع لغوى ولا أية جماعة وإنما بدأ الأفراد والناس تابعوا واستعملوا فتكون الاصطلاح .

وثالثاً — لعل أظهر الأسباب التى يرجع إليها نمو الاصطلاحات أولا هو التدوين، فإن التدوين يقتضى تحديد المعانى فى ألفاظ تدون للدلالة عليها — وثانياً صبغ الأحكام بالصبغة العلمية فإن هذا اقتضى نقلها من حلول جزئية إلى قواعد وضوابط، وهذا اقتضى جمع كل ماأمر به تحت عنوان واحد هو الواجب، ومانهى عنه تحت عنوان واحد هو المحرم، وطبيعة الصناعة والفن تقتضى الخلق والابتكار — وثالثاً المدنية التى ازدهرت فى الدولة الإسلامية من أواخر القرن الهجرى الثانى . فهذه المدنية كان لها أثر فى كل شىء ، فالفقهاء تأثروا بها فى لبسهم وأكلهم وكل مظاهر حياتهم ، ومن المحال أن لايتأثروا بها كذلك فى تفكيرهم وتعبيرهم، ومن المحال أن لايتبادلوا وسائر العلماء كثيراً من الألفاظ والعبارات . وكل إنسان يعيش فى بيئة يتأثر حتما عقله ولسانه وخلقه وقلمه بما فى بيئته سواء أشعر بها أم لم يشعر — وثالثاً كثرة الاختلاف بين فقهاء الحجاز وفقهاء العراق فإن هذا الخلاف يعينهم على إمعان النظر فى أدلة الأحكام ومصادرها، وتحديد مايدل عليه الدليل وتمييزه عن غيره، وهذا أدى إلى وضع اصطلاحات . ولهذا نرى أنهم كما اختلفوا فى نفس الأحكام اختلفوا أيضاً فى الاصطلاحات ففقهاء العراق يفرقون بين الفرض والواجب بحسب الدليل: فما دل على طلبه حتما دليل قطعى الورود فهو الذى يطلق عليه الفرض ، ومادل على طلبه حتما دليل ظنى الورود فهو الذى يطلق عليه الواجب . وفقهاء الحجاز لايفرقون بين الفرض والواجب فكل ماطلبه الشارع طلباً حتما فهو واجب أو فرض لفظان مترادفان إلا فى الحج فيقولون ما طلبه الشارع ولا جبر له إذا فات فهو فرض كالوقوف بعرفة وماطلبه الشارع ويجبر بدم إذا فات فهو واجب كطواف القدوم . وفقهاء العراق يفرقون بين الفاضل والفاسد فى المعاملات ويسوون بينهما فى العبادات، وفقهاء الحجاز لايفرقون بين الفاضل والفاسد لا فى المعاملات ولا فى العبادات .

ورابعاً – أن السعة التى سار فيها الفقهاء فى الاصطلاحات الفقهية خلفت لنا ثروة ضخمة ظهر أثرها واضحاً جلياً فى دراسة العلوم القانونية باللغة العربية، وتشريع القوانين باللغة العربية، وفى كتابة الأحكام وأسبابها، فما شعر مدرس ولا مقنن ولا قاض بأى ضيق، واللجنة القانونية فى المجمع وجدت بيسر مرادفات من اللغة العربية للألفاظ القانونية الفرنسية، والقواعد الرومانية الفقهية عربت بيسر إلى اللغة العربية .

ولو عنى العلماء فى تلك القرون بالطب والهندسة والرياضة عنايتهم بالفقه لخلفوا لنا ثروة فيها أراحت المجمع ولجانه من كثير من العنـــــاء .

نقل العلوم إلى اللغة العربية

لحضرة العضو المحترم الأستاذ مصطفى نظيف(*)

سيدى الرئيس — سادتى

كلفت أن أتكلم اليوم عن نقل العلوم إلى العربية . وهو موضوع عام غير محدود رأيت أن أقصر الحديث فيه على مسائل معينة لى فيها وجهة نظر ؛ بعضها عن النقل القديم وبعضها عن النقل الحديث . وتجنبت عن قصد جانباً هاماً من موضوع النقل القديم وهو الذى يتصل بأشخاص المترجمين ، والكتب التى ترجموها فى فروع العلم المختلفة .

والمسائل التى يتناولها حديثى اليوم هى خمس مسائل :

أولها ملابسات النقل القديم . فمجمل أثر العلوم المنقولة فى غيرها من علوم النهضة فى الإسلام . ثم مجمل أثر ذلك فى اللغة . أما عن النقل الحديث فلابساته أيضاً ، ثم ما لعله نستطيع أن نستفيده فى شأنه من أعمال المتقدمين أو أن نستهدى فيه بهديهم.

فأقول :

تبعت النهضة العلمية فى الإسلام لوناً من الثقافة يعرف بالثقافة الهلينية ، كانت مزيجاً من ثقافة يونانية تمت بصلة إلى الفلسفة اليونانية وبصلة إلى علوم العصر الإسكندرى ومن نزعات ونزوات ونحلات دينية شرقية .ولكنها لم تكن مجرد اتصال أو استمرار لهذه الثقافة . ولم تكن إحياء للفلسفة اليونانية ولعلوم العصر الإسكندرى على صورة خالصة مما امتزج بهما من نزعات . ولم تكن أيضاً مقصورة على فلسفة اليونان وعلوم العصر الإسكندرى بل امتدت إلى ثقافة الفرس وعلوم أهل الهند . ثم هى أيضاً قد استحدثت علوماً لم يكن لها وجود من قبل . فهى نهضة علمية لها مقوماتها الذاتية الخاصة . بدأت من جديد فى بيئة جديدة لدى قوم كانوا على الفطرة لم يكن لهم دراية يؤبه لها بشىء اسمه العلم بمعنى «سيانس» ولم تكن لهم تقاليد علمية موروثة . أقدموا على هذا الأمر أو هو عرض لهم هذا الأمر وليس لهم من عدة يتخلونها له ، كل ما كانوا يملكون دين يؤمنون به ولغة يحرصون عليها.

وللإسلاميين المتقدمين مذاهب وآراء فى تقسيم العلوم التى شملتها تلك النهضة وتبويبها وتبيان النسب والعلاقات بينها . يفيدنى ويكفينى فى حديث اليوم أن أقسم تلك العلوم قسمين : أحدهما أضمنه العلوم التى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة الإسلامية ومستلزماتها الدينية والدنيوية وهى علوم اللغة وعلوم الشريعة وعلم الكلام وأسمى هذه العلوم العلوم الإسلامية أو زيادة فى التمييز : العلوم الإسلامية العربية .

والقسم الآخر أدرج فيه علوماً ولو أنها توطنت فيما بعد فى البيئة الإسلامية العربية فقد كانت أصولها مجلوبة من الخارج . وأضمن هذا القسم الفلسفة بأقسامها المعروفة فى ذلك العصر والعلوم التعليمية بفروعها المختلفة

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة العاشرة للمؤتمر (١٦ من فبراير سنة ١٩٤٨) .

والصنعة أى الكيمياء وما سمى وقتئذ صناعة كصناعة الطب وصناعة العقاقير وما إلى ذلك. وهى جميعاً علوم لاضير فى أن أسميها كما قد سميت من قبل علوم الأوائل وأسميها أيضاً «العلوم المنقولة» بالمعنى الذى بينته لا بالمعنى المفهوم من تقسيم العلوم إلى نقلية وعقلية. وكلا الاسمين يدلان على هذه العلوم فى إبان المرحلة التى أعنى بها فى حديث اليوم.

والنهضة العلمية فى الإسلام تعد بحق فى تاريخ العلم مرحلة من مرحلاته المزدهرة. وهى قد تأصلت وسأشير إلى ذلك فيما بعد على أسس ودعائم من العلوم المنقولة. فأسبابها موصولة بالأسباب التى أدت إلى نقل العلوم.

وقد ذكروا لذلك أسباباً كثيرة ولكنى أرى ضرورة التمييز بين أسباب هى من قبيل العوامل المساعدة، ويندرج تحتها كل ما يقال عن الظروف الشخصية والاستعداد الفطرى والشغف بالعلم وجميع الظروف المواتية الأخرى، وبين أسباب هى من قبيل القوة المحركة الدافعة وهى تنجم عن حاجة ملحة أو ضرورة ملزمة تقتضيها مطالب الحياة. فما من نهضة علمية فى عصر من العصور أو فى أمة من الأمم إلا وكان لها من مطالب الحياة ومقتضياتها فى ذلك العصر أو فى تلك الأمة دافع قوى إليها. وليس يكفى فى النهضات العلمية الجماعية العوامل المساعدة وحدها وإنما يجب أن يكون من ورائها ضرورة تلزم بالاستعانة بالعلم فى شؤون الحياة ومايعرض من شؤون الحياة.

فما كاد الإسلام يتجاوز حدود مهده الأول حتى قامت دولة شاسعة الأنحاء، اقتضت سياسة أمورها ومصالح الأفراد والجماعات فيها أعمالا كإنشاء المدن وعمارة المبانى وشق الترع والقنوات ومد الطرق والمسالك وجباية الخراج ومسح الأرضين وضبط الدواوين وإنشاء الأساطيل والتفنن فى أساليب الحروب. ثم اقتضت طبيعة الحياة الإسلامية نفسها وتكاليف الشريعة أموراً كتوقيت المواقيت وضبط الشهور وتعيين سمت القبلة وقسمة المواريث وتوزيع الحصص — أعمالا وأموراً شتى من هذا القبيل تتصل بفروع من العلوم المختلفة لم يكن للمسلمين دراية بها من قبل، اضطرتهم الحياة الجديدة إلى مباشرتها والأخذ بتسلمها والمران عليها.

وليست النهضات العلمية عند الأمم بدايتها كما يظن أول وهلة، العلوم البحتة، وإنما هى تتدرج إلى العلوم البحتة عن طريق العلوم التطبيقية ذات الصفة النفعية.

وأيضا فمن جراء انتشار الإسلام واختلاط المسلمين بغيرهم من أهل البلاد التى فتحوها أخذ المسلمون يتعرفون بمواضع الخلاف وأسباب التفرقة والتباين بين المذاهب والفرق المختلفة، واللذين دخلوا فى الإسلام من أهل البلاد نشروا عفواً أو قصداً بين المسلمين ما تنطوى عليه ثقافاتهم من أهواء ونزعات. فأخذ يظهر بين المسلمين شبهات من نوع الشبهات التى كان يجادل المنافقون بها النبى نفسه وإنما على صورة أقوى وآكد. فلئن كانت لهم القوة المادية على كبتها والحد منها فلم تكن لهم أول الأمر الملكة على معالجتها بطريق النظر والاستدلال ودفع الشبهة بالدليل والحجة، فأدركوا حاجتهم أيضاً إلى الإحاطة بما يعينهم على ذلك من علوم.

وعلى هذه الصورة وجد الدافع : الدافع إلى تعلم العلوم ذات الصفة التطبيقية النفعية التى قضت بها الأمور الدنيوية ، والدافع إلى تعلم العلوم ذات الصفة النظرية التى قضت بها الغايات الدينية .

وقد كانت الظروف مواتية .

فمع أن العصر الإسكندرى من تاريخ العلم كان قد قضى عليه قبل ظهور الإسلام حين قضى على متحف الإسكندرية فى القرن الثالث بعد الميلاد وعلى مكتبة السيرابيوم فى أواخر القرن الرابع فقد كانت توجد فى مدينة الإسكندرية نفسها مدارس صغيرة أو دوائر علمية ضيقة يذاكر فيها بعض فروع العلم ويدرس فيها الطب ويعنى فيها بتلخيص بعض المؤلفات فى المنطق والفلسفة والطب والتعليق عليها أو شرحها . واستمرت هذه المدارس جيلا إثر جيل إلى أوائل العصر الإسلامى.

كذلك أدرك الإسلام مدارس من هذا القبيل كان يعنى فيها ببعض فروع العلم فى بعض مدن الشرق كالرها ونصيبين وقنسرين وجنديسابور وحران . وكانت توجد فى بعض الأديرة أسكولات ولو أن التعليم فيها كان دينيا فقد كان يمتد أحياناً فيشمل بعض المنطق ومبادئ الفلسفة

ومن هذه المدارس مدرسة قنسرين وقد كانت فى إبان فتوح العرب للعراق أكبر موضع لتعليم علوم اليونان . وكان على رأسها وقتئذ « سويرس سيبوخت » أسقف دير قنسرين وكان رجلا ذكياً واسع الاطلاع معنياً بفلسفة أرسطو متبحراً فى الفلك والجغرافيا ذا علم ودراية ببعض علوم أهل الهند وكان له أثر ولو أنه غير مباشر فى النهضة العلمية فى الإسلام . أثر عنه رأيه فى أن العلم لاينبغى أن يكون حكرة فى أمة دون غيرها ، وأذكر أنى قرأت مرة فى بعض المراجع أنه أول من أجاز للمسيحيين أن يعلموا المسلمين العلم .

ومن هذه المدارس مدرسة جنديسابور وقد أثرت بالمباشرة تأثيراً عميقاً فى النهضة العلمية فى الإسلام وخصوصاً فى الطب بفضل من أنجبتهم هذه المدرسة من أطباء آل بختيشوع وعلمائهم، وقد خدم الطب فى الإسلام منهم سبعة أجيال امتد بهم الزمن ثلاثة قرون متوالية.

ولأذكر أيضاً من بين هذه الدوائر العلمية دائرة حران وكان بها فريق من عبدة الكواكب عرفوا فيما بعد بالصابئة ، عنوا بالطبع بعلم النجوم والرصد وببعض فروع العلم التعليمى .

ويرجع إلى أصحاب هذه المدارس والدوائر العلمية وأمثالها ولمن تتلمذ عليهم الفضل كله فى تعريف المسلمين بعلوم الأوائل . وبهم كان المسلمون يستعينون لافى الطب وحده بل فى كل أمر يعرض لهم له اتصال بفرع من فروع العلم بصفة عامة .

وعندى أن نقل العلوم إلى العربية لم يبدأ كما يظن عادة فى صدر الدولة العباسية ولم يبدأ كما يظن أيضاً بترجمة الكتب .

فهو أولا قد بدأ منذ أن اتصل العرب بأصحاب هذه المدارس ومن إليهم . ولايعوزنا الدليل على أن نقول إن هذا الاتصال كان موجوداً حتى فى عصر النبى نفسه. فالحارث بن كلدة الثقفى تعلم الطب فى فارس ومارس صناعته فى أيام النبى والخلفاء الأربعة ومعاوية . والنضر بن الحارث تعلم الطب عن أبيه ولكنه رحل إلى فارس وغيرها وأخذ عمن اختلط بهم.

من العلماء والرهبان أشياء من علوم الأوائل كان يجادل بها النبي ويقاوم بها النبوة .

وثانياً ، إن نقل العلوم إلى العربية قد بدأ بالمشافهة – بالتعليم ، التعليم بطريق الكلام المسموع لا اللفظ المقروء . فثمة قرائن تدل على وجود حركة تعليمية علمية منذ أوائل العصر الأموى ، كان نظام التعليم فيها أشبه بالدروس الخصوصية عندنا وكان القائمون بالتعليم فيها من غير المسلمين . حسبي أن أذكر من تلك القرائن مايروى عن خالد بن يزيد بن معاوية : قيل إنه اتصل بماريانوس الراهب الرومى ليعلمه الصنعة وقيل إنه استعان باصطفن القديم (كما يسميه ابن النديم) ليشرح له بالعربية بعض كتبها كذلك مايروى عن ماسرجويه الطبيب الإسرائيلي يقول ابن أبي أصيبعة إنه تولى فى الدولة المروانية تفسير كتاب أهرن إلى العربية وهو كتاب فى الطب ألفه صاحبه باللغة السريانية .

ولكن لم يصلنا الكثير من أنباء الحركة التعليمية العلمية فى عصر بنى أمية حتى تشكك المتشككون فيما يروى عن خالد بن يزيد . ولكن الواقع الثابت أن ازدهار صدر الدولة العباسية وعلى الأخص عصر المنصور بكثير من العلماء والأطباء من المسلمين ومن غير المسلمين يدل على أنه كانت ثمة حركة تعليمية علمية سبقت العصر العباسى بجيل أو يزيد على أقل تقدير . كانت هى الوسيلة الطبيعية التى بدأت تنتشر بوساطتها علوم الأوائل فى البيئة الإسلامية وكانت هى الطريق الطبيعى الذى سلكته هذه العلوم إلى اللسان العربى .

قلت لم يصلنا كثير من أنباء هذه الحركة التعليمية فى ذلك العصر ، فمواضع التعليم المشهورة فى الإسلام جاءت جميعاً فى عصور متأخرة . وعلى قدر ماوصل إليه علمى أن كل مايعرف عن هذه الحركة مرده ما رواه ابن أبى أصيبعة عن الفارابى . إذ هو من كلام له عن ظهور الفلسفة وبقاء موضع التعليم فى مدينة الإسكندرية عند ظهور الإسلام . قال :

« فانتقل التعليم من الإسكندرية إلى أنطاكية وبقى بها زمناً طويلا إلى أن بقى معلم واحد فتعلم منه رجلان وخرجا ومعهما الكتب . فكان أحدهما من أهل حران والآخر من أهل مرو . فأما الذى من أهل مرو فتعلم منه رجلان أحدهما إبراهيم المروزى والآخر يوحنا بن حيلان . وتعلم من الحرانى إسرائيل الأسقف وقويرى . وسارا إلى بغداد . فتشاغل إبراهيم (١) بالدين وأخذ قويرى فى التعليم . وأما يوحنا بن حيلان فإنه تشاغل أيضاً بدينه . وانحدر إبراهيم المروزى إلى بغداد فأقام بها وتعلم من المروزى متى بن يونان الخ ... »

أما انتقال التعليم من الإسكندرية إلى أنطاكية فقد كان بحسب رواية ابن أبى أصيبعة فى خلافة عمر بن عبد العزيز على يد « ابن أبجر » وكان طبيباً ماهراً من أهل الإسكندرية أسلم على يد عمر بن عبد العزيز حين وجوده فى مصر قبل توليه الخلافة . فلما أفضت إليه الخلافة نقل التدريس إلى أنطاكية وحران وتفرق فى البلاد . واستطب عمر ابن أبجر هذا وجعله من المقربين عنده .

وقد حقق المغفور له ماكس مايرهوف هذه المسألة ، ويرى أنه صار بعد ذلك للتعليم

(١) كذا فى الأصل . والسياق يدل على أن المقصود «إسرائيل»

مدارس كان المشتغلون بالعلم والفلسفة يلقبون أصحابها بلقب « رؤساء مدارس » .

وقد كان القائمون بالتعليم أكثرهم من النصارى ، واعتمدوا فى صناعة التعليم على مراجع سريانية وأخرى يونانية ، ومن بين هؤلاء المعلمين من كانت كل مؤلفاته بالسريانية . ويكاد يكون من المحقق أنه كان للتعليم لغتان السريانية حيث كان يتلقى العلم النصارى من أهل هذه اللغة ، والعربية حيث كان هؤلاء يعلمونه أهل العربية . وأرجح أن التعليم استمر مدة ليست بالقصيرة بهاتين اللغتين .

وكان من الطبيعى أن ترتب على هذه الحركة التعليمية وضع مختصرات ومذكرات باللغة العربية يستعان بها فى أغراض التعليم .

وكان من الطبيعى أيضاً حين أخذ يتسع نطاق هذا التعليم وأخذ المتتلمذون يتعمقون فى تعلم العلوم أن يظهر إلى جانب هذه الحركة التعليمية رغبة فى اقتناء كتب الفلسفة والعلوم والطب وجمعها من أنحاء البلاد ومن خارج حدود البلاد من بلاد الروم والهند ، ونقلها إلى العربية . وقد شارك فى هذه الرغبة الأفراد ، وشاركت فيها الدولة ممثلة فى أشخاص الخلفاء ، « هى رغبة بذل فى تحقيقها مجهود مشكور » ويمتاز بها بحق صدر الدولة العباسية .

واتخذت العناية بجمع الكتب وترجمتها إلى العربية مظهرها الرسمى فى الدولة ، فى أيام المنصور والرشيد والمأمون والمتوكل .

ويروى القفطى وغيره أنه قدم على المنصور فى سنة ست وخمسين ومائة رجل من الهند اسمه « منكا » قيم بالحساب المعروف بالسندهند فى حركات النجوم . وكان معه كتاب قال إنه اختصره فى هذا الموضوع . فأمر المنصور بترجمته وأن يتخذه العرب أصلا فى حركات الكواكب . وتولى ترجمته محمد بن إبراهيم الفزارى وعمل منه كتاباً سماه المنجمون السندهند الكبير . ولعله أول كتاب فى الفلك ترجم إلى العربية . والمعروف أنه فقد . والمعروف أيضاً أن فلكيي الإسلام ومنهم الخوارزمى نهجوا طريقته إلى حين ، حتى ترجم كتاب المجسطى وتداولوه ووقفوا على أسراره . ومن المرجح أن ذلك الكتاب كان وسيلة من وسائل تعريف الإسلاميين بالأرقام الهندية وبطرق الحساب الهندى .

وقد استخدم المنصور أبا يحيى البطريق فى ترجمة أجزاء من كتب بقراط وجالينوس فى الطب .

وفى عصر الرشيد أنشئت خزانة الحكمة ، ولما فتح المسلمون فى أيامه أنقره وعمورية وبعض بلاد الروم الأخرى نقلوا منها كتباً فى علوم مختلفة ، فجعل الرشيد يوحنا بن ماسويه أميناً على ترجمتها ورتب له كما يقول القفطى كتاباً حذاقاً يكتبون بين يديه .

وأهم ماترجم فى عصر الرشيد المجسطى لبطليموس . وقد حاول ترجمة هذا الكتاب أكثر من واحد من علماء العصر . وعنى يحيى ابن خالد البرمكى بإخراجه . ويقول ابن النديم إنه فسره له جماعة فلم يتقنوه . فندب لتفسيره أباحسان وسلماً صاحب بيت الحكمة فاستعانا ذلك بالنقلة المجودين وأخذا بأفصح النقل وأصحه .

أما المأمون فقد حاول أن يسلك الطرق

الدبلوماسية للحصول على الكتب من جهة وليستوفد من بلاد الروم العلماء من جهة أخرى . فأرسل إلى « ثيوفيلوس » ملك الروم يطلب إليه أن يوفد إلى بغداد « ليو » أحد علماء الرياضيات المشهورين فى القسطنطينية ، فأبى ملك الروم .

ولعل المأمون قد استعان بعد ذلك بانتصاره على ملك الروم فى الضغط عليه مرة أخرى ، وهذه المرة للحصول على بعض الكتب ، فابن النديم يروى أنه كانت بين المأمون وبين ملك الروم مراسلات . وقد استظهر عليه المأمون فكتب يسأله الإذن فى إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المدخرة عندهم فأجاب بعد امتناع . ومن طريف ماقيل فى هذا الصدد مارواه القفطى فى أن ملك الروم استشار أحد الرهبان فى تسيير الكتب إلى المأمون فقال له الراهب « سيرها فإنك تثاب عليه فإنها مادخلت فى ملة إلا وزلزلت قواعدها » .

وقد نشأ المأمون خزانة الحكمة تنشئةجديدة لعلها أكسبتها منعة أو صفات جديدة جعلتها مؤسسة علمية عرفت ببيت الحكمة .

ويرى بعض أفاضل المحققين من المعاصرين أن بيت الحكمة قد بولغ فى شأنه،وأنه لم يكن معهداً يتصل به مكتبة ويتصل به مرصد كما يقال،وأن كل ماتدل عليه النصوص التى بين أيدينا أنه كان مكتبة فحسب .

وإنى أرى أن ثمة أموراً إذا روعيت فى جملتها تكفى للدلالة على مايخالف هذا الرأى.

فخزانة الحكمة لو كان قد أريد بها منذ بدايتها أن تكون داراً لخزن الكتب فحسب لما عنى الرشيد بأن يختار لها عالماً فلكياً نشأ فى بيت اشتهر بالفلك هو أبو سهل الفضل بن نوبخت. ولما عنى المأمون من بعده بأن يختار لها أعظم علماء الرياضة والفلك فى عصره وأقصد أبا عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى .

وأيضاً يكاد يكون من الثابت عقلا أن إدارة الترجمةالتى تولاها فى أيام الرشيد يوحنابن ماسويه وتولاها فى أيام المأمون حنين بن اسحاق كانت ملحقة بخزانة الكتب ، وكانت على أقل تقدير تغذيها بما يترجم من الكتب اليونانية والسريانية .

وقد تبين لى أن صاحب الفهرست يذكر فى مواضع مختلفة من كتابه ثلاثة من علماء ذلك العصر هم سلم أو سلما أو سلمان كما يسميه القفطى وسهل بن هارون وسعيد بن هارون ويتبع اسم كل واحد منهم فى كل موضع يرد فيه الاسم بالعبارة « صاحب بيت الحكمة » كأن صاحب بيت الحكمة عبارة تدل على صفة أو لقب يميزهم .

كذلك تبين لى أن ابن القفطى أورد فى كتابه أسماء أربعة من مشهورى علماء العصر نص صراحة على أنهم كانوا من بين أعضاء بيت الحكمة . هم يحيى بن منصور وكان من أشهر علماء الفلك فى أيام المأمون ، وبنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن،وكانوا من قادة علماء الرياضيات . فابن القفطى يقول عن بنى موسى بلفظه :

«عند موت أبيهم أوصى بهم المأمون إسحاق ابن إبراهيم المصعبى وأثبتهم مع يحيى بن منصور فى بيت الحكمة » .

ومن الثابت أيضاً أن المأمون لما عزم على رصد الكواكب تقدم إلى يحيى بن منصور هذا كما يقول القفطى وجماعة من العلماء وأمرهم بإصلاح الآلات والقيام بالرصد فى جبل قاسيون بدمشق وفى الشماسية ببغداد .

فههنا جماعة من العلماء وصلتنا أسماؤهم نعرف أنه تولى منهم أمر خزانة الكتب أو خزانة الحكمة اثنان ، وتولى منهم رياسة الترجمة اثنان ولقب منهم ثلاثة بلقب صاحب بيت الحكمة أحدهم وهو سلم كلف بإصلاح ترجمة المجسطى ونعرف أربعة منهم بأسمائهم قد عينهم المأمون فى بيت الحكمة . ونعرف أن لأكثرهم تآليف وتصانيف فى الطب وفروع العلم المختلفة ، وأن واحداً منهم كان على رأس فلكيي المرصد فى عصر المأمون .

فلا مجال للشك فى أن بيت الحكمة كان مجمعاً لطائفة من العلماء العاملين عنى فريق منهم بإخراج العلوم إلى العربية ، وعنى فريق منهم بالرصد واتخذوا للرصد موضعين أحدهما فى بغداد والآخر فى دمشق وعنى فريق منهم بالبحث والتأليف ، شأنه كشأن متحف الإسكندرية ومكتبتها فى حكم البطالمة .

وقد كان للنشاط العلمى لأصحاب بيت الحكمة والمثبتين فيه والمتصلين بهم ومن تتلمذ عليهم شأن كبير فى نشر علوم الأوائل باللغة العربية وتأصيل النهضة العلمية فى الإسلام .

ولقد كان للعلوم المنقولة إلى العربية وانتشارها لدى الإسلاميين فى ذلك الحين أثران : أحدهما هو من جنس الأثر الذى يحدثه نشر العلم بمعنى «سيانس» فى التفكير على الوجه العام ، هو من قبيل الغاية الثقافية التى تبتغى فى الوقت الحاضر من تعليم العلوم ، وكان لهذا الأثر مظاهره المحسوسة فى ذلك العصر حتى فى رجال الأدب .

والأثر الثانى مظهره الأخذ بطرائق النظر وأساليب البحث التى تجرى عليها العلوم المنقولة والاستعانة بمسائل هذه العلوم فى تنشئة العلوم الإسلامية العربية نفسها . ولست أريد الخوض فيما استفاده علم الكلام وعلم الفقه من هذه العلوم المنقولة ، ولا فى أثر المنطق فى علم النحو وإنما أريد أن أقف قليلا لأبين أن الظروف التى اكتنفت نشأة علم النحو وعلم اللغة لم تكن مقطوعة الصلة بالعلوم المنقولة وأصحابها مع ما بينهما من بعد وفارق .

فثمة ملابسات لها وزنها اكتنفت نشأة علم النحو العربى . فقد كان يعقوب الرهاوى من معاصرى أبى الأسود الدؤلى . وهو من يعاقبة السريان تتلمذ على « سويرس سيبوخت » وبرع فى الفلسفة واللاهوت والنحو والتاريخ . ألف فى النحو السريانى كتاباً اقتبس فيه الحركات ، والنقط ويدل فى رأى الإخصائيين (ومرجعى فى هذا صارتون) على معرفة بالنحو اليونانى .

ومحاولة أبى الأسود واقتباس الحركات والنقط فى العربية كلاهما بدآ فى البصرة . وكانت البصرة فى ذلك الحين موضع التقاء العرب بالفرس والسريان وأهل الهند . وكانت لغة العلم والمعرفة فى ذلك العصر اللغة السريانية .

ثم إن محاولة أبى الأسود فى وضع علم النحو كانت لاشك بدائية ، فلم يرق علم النحو إلى

مرتبته كعلم من العلوم إلا بعد مضى قرن أو يزيد ، بعد أن تعرف المسلمون بالمنطق اليونانى وأخذوا يتعلمونه ، وبعد أن ظهر فى البصرة نفسها الخليل بن أحمد وأخذ عنه سيبويه .

ثم إن هناك أيضاً ظروفاً وملابسات اكتنفت نشاط الخليل بن أحمد تلفت النظر أكيداً .

فالطريقة التى سلكها الخليل فى حصر ألفاظ اللغة حصراً عددياً لم تكن على التأكيد قريبة المنال فى ذلك العصر . والليث بن المظفر نفسه كما يستفاد من أقوال له رواها ابن النديم تعذر عليه فهمها على الرغم من أن الخليل شرحها له مراراً وتكراراً أياماً عدة .

والفكرة التى بنيت عليها طريقة الخليل هى الفكرة التى ينبنى عليها فى الجبر موضوع التباديل والتوافيق . وهو موضوع بدأ دراسته فى إبان النصف الأول من القرن السابع بعد الميلاد أى فى إبان الفتوح الإسلامية ، العالم الهندى الرياضى « براهما جوبتا » . ثم إن الخليل اعتمد فى كتاب « العين » ترتيب المخارج . فحذا فى ذلك حذو الهنود فى ترتيب حروف لغتهم .

وصاحب مفتاح السعادة يروى عن الخليل قوله : « أريد أن أعمل نوعا من الحساب تمضى به الجارية إلى البقال فلا يمكن أن يظلمها » .

ولنذكر مع هذا كله أن البصرة كان يلتقى فيها المسلمون بأهل الهند .

وأيضاً فإن الخليل بن أحمد كانت له معرفة بعلم الموسيقى ، وله فيه كتاب النغم وكتاب الإيقاع ومعرفته بعلم الموسيقى يسرت له كما هو معروف ومذكور ، وضع علم العروض . فالخليل لم يكن مقطوع الصلة بالنشاط العلمى عند السريان فى عصره .

تلك هى الملابسات التى لفتت نظرى وهى تدل على أن الخليل كانت له معرفة بشىء قليل أو كثير من علمى الحساب والموسيقى .

فهل كان إلى جانب أثر المنطق فى علم النحو العربى أثر أيضاً لبعض فروع التعليم على نحو من الأنحاء فى تنشئة علوم اللغة نفسها ؟

طبيعى أن يكون للنهضة العلمية فى الإسلام أثر فى اللغة . وأثر النهضة العلمية فى الإسلام فى اللغة يرجع جله فى نظرى إلى العلوم المنقولة إما بالأصالة والمباشرة وإما بالتبعية والواسطة .

فالعلوم المنقولة والعلوم التى كان للعلوم المنقولة أثر فى تنشئتها ووضع طرق النظر فيها ، هذه جميعاً قد تناولت معانى ومدلولات لم يكن يتسع لها أفق التفكير عند عرب الصحراء من قبل . فلم يكن مندوحة من أن توجد لها فى وسائل التعبير دلالات ازدادت بها اللغة ذخراً فى الألفاظ المفردة ودقة فى أداء المعانى بالألفاظ المركبة .

وقد جرى تأثر اللغة بالنهضة العلمية فى الإسلام على وجوه ثلاثة كما هو معروف :

أحدها التعريب فصار فى اللغة ألفاظ أعجمية عربت أكثرها لأسماء النباتات

والحيوانات والأحجار والعقاقير والأمراض وبعض أسماء العلوم والآلات وما إلى ذلك .

والثانى التعارف على معانى جديدة لألفاظ عربية ولمشتقاتها إما بالتخصيص وإما بالنقل.

والثالث ابتكار صيغ جديدة تركيبية واشتقاقية ليست كما يقال عربية الأصل .

ولو أن اللغة قد تأثرت على هذا الوجه الذى اقتضته ضرورة مسايرتها لحاجات العلوم المختلفة فى ذلك العصر فإن التأثير الذى انتابها لم يكن تطورا بمعنى الاستحالة والتغير . فاللغة العربية احتفظت بكيان توافرت فيه مشخصات ذاتية معينة .

إن قيل إن هذه لم تكن جميعاً من مقومات لغة واحدة بالذات ، احتفظت العربية بصورتها فليس ذلك بقادح فيما أقول مادامت العربية قد ألبست ولو تعمدا وقسرا منذ أول أن بدأت تتعرض إلى هذه المؤثرات صورة معينة أصبحت هى الصورة الطبيعية للعربية التى نعرفها الآن .

فلغات الصحراء لو أنها كانت قد تركت وشأنها فى ظروف بيئتها الصحراوية الأولى لكانت قد استنفدت غرضها وتحجرت من قديم . ولو أنها تركت أيضاً من غير ضابط وماعرض لها من عوامل أوجبت مسايرتها لحاجات العصر لتبلبلت تبلبلا من المؤكد كان قد أخرجها عن صورة العربية التى نعرفها الآن .

إنما قدر أن يفرغ للعناية بها علماء ضبطوا على قدر ما أتاحت لهم ظروفهم وأتاح لهم اجتهادهم أصولها . ووضعوا وضعاً لم يخل الأمر فيه من تحكم ، قواعد وأحكاما تراعى لا لتقييد نموها الطبيعى بل للاحتفاظ لها بصورة استخرجوا مثالها على الأخص من لغة القرآن الكريم .

وتلك القواعد والأحكام ولو أنها بدأت بكونها أوصافا للغة صارت قوانين مطالباً أهل اللغة باتباعها .

إذن تناول اللغة عاملان : أحدهما طبيعى وهو عامل النمو ، والآخر تقييدى إرادى يعمل نحو حفظ الصورة على المثال المختار . وعندى أنه كان من الخير العظيم ومن مظاهر عناية الله بهذه اللغة أن تدارك أمرها منذ أول الأمر علماء اللغة قبل أن يفلت العنان من أيديهم ، وأن تعارف أصحاب العلوم المختلفة بل أهل العربية عامة على تلك القواعد والأحكام الموضوعة ، فالتزموها ولم يحاولوا الخروج عنها أو التحرر من قيودها .

ولو أنهم فعلوا إذن لانتاب هذه اللغة تطور لا بمعنى النمو والاتساع بل بمعنى الاستحالة والفساد ، ولما قدر للعربية التى نعرفها الآن أن يثبت أصلها وتتسع وتنمو فتصير لغة العلم والمعرفة والحضارة فى العالم حقبة من الدهر ، بل ولما اتيح لها أن تبقى والحياة تنبض فيها إلى يومنا هذا .

هذا ما أحببت أن أذكره عن النقل القديم .

أما عن النقل الحديث فنحن فى موقف يشبه إلى حد موقف الإسلاميين فى صدر الدولة الإسلامية . ولكن مع الفارق .

فالمتقدمون نقلوا علوم الأوائل ونحن ننقل علوم المعاصرين .

وعلوم الأوائل كانت محددة مدونة وجدها الإسلاميون فى حالة ركود وخمود .

وعلوم المعاصرين فى خلق جديد من بعد خلق . فى حركة ليست مستقرة ولامتزنة نحن بوصفنا أصحاب لغة لانشارك فيها بل وقوف نرقبها عن بعد .

وأيضا قام بنقل علوم الأوائل قوم ماكادوا يجتازون مرحلة النقل حتى أصبحوا هم أنفسهم أهل العلم . فصار لهم الحكم والقول الفصل فى فرض لغتهم على العلم نفسه . ثم إن لغتهم كانت لغة القوة والسلطان فلا غرابة فى أن سيطرت وسادت وصارت وحدها لغة العلم والحضارة طوال ماكان أهلها محتفظين بعلومهم إلى جانب احتفاظهم بقوتهم وسلطانهم .

ونحن أهل العربية فى موقفنا اليوم لانزال فى مرحلة التلمذة . نحصل مانحصل من العلم المعاصر المتجدد بلغة أصحابه . فندرس ونفكر بغير العربية . ومانعلم بالعربية فهو القليل من المبـــادئ .

فى حين أن المعلمين السريان كانوا يتلقون العلم بالسريانية أو اليونانية ولكنهم بحكم الظروف كانوا يعلمونه بالعربية .

والدولة وقتئذ شاركت فى إخراج العلوم إلى العربية وجعلته أمراً تكفلت على قدر مايلائم ظروف ذلك العصر برعايته وتيسير سبله .

فإخراج العلوم إلى اللغة العربية أراه فى الوقت الحاضر أشبه بالهواية إن عنى به بعض الأفراد فللتسلية — عملا لم يبدأ بعد على صورة العمل القومى الذى تعنى به الجماعة وتعنى به الدولة .

هذه هى الملابسات فى الواقع ونفس الأمر حسبما تبدو لى .

ولكن لامانع من أن نبحث عن الكيفية التى يتسنى بها إخراج علوم المعاصرين إلى العربية .

وعندى أنه لامندوحة من ثلاثة طرق لايغنى بعضها عن الآخر ، وإنما يتطلب الأمر سلوكها جميعـــاً .

أحدها الاستفادة بما استطاعه المتقدمون . فلست أشك فى أن العربية وقد كانت لغة العلم والمعرفة حقبة من الدهر قد استغرقت المعانى العلمية والفلسفية التى اتسع لها أفق التفكير إلى إبان عصر النهضة فى أوربا . ولست أشك فى أنها زاخرة بمصطلحات تدل على كثير من المعانى والمدلولات التى تتناولها العلوم الحديثة وأراها أدل على تأديتها من ألفاظ غيرها شائعة الآن .

والطريق الثانى التعريب واستعمال اللفظ الأجنبى .

والتعريب قد أقره المجمع ولكنه اشترط فيه شرط الضرورة . وهو فى نظرى شرط معطل لامنجز . فمن أيسر اليسير التشكيك فى

قيامه ، إذ يكفى العثور على لفظ عربى يمس المعنى المقصود عن قرب أوعن بعد، بالواسطة أوبالمباشرة، بتكلف أومن غيرتكلف، بالحقيقة أو بالمجاز – يكفى هذا للتدليل به على انتفاء الشرط وعدم جواز التعريب . لذلك أرى أن نكون عمليين فنستبدل بشرط الضرورة شرط الحداثة ، أى أن يكون المعنى الذى يجوز فيه تعريب اللفظ الأجنبي أو إدخاله فى اللغة من مستحدثات العلوم الحديثة أو أن يكون المدلول من مكشوفاتها . وهو أمر فى مقدور المشتغلين بالعلوم أن يقطعوا فيه بحكم . ومن السهل أن يتحقق المجمع صدق الحكم فيه إذا أتم استقراء المعانى الفلسفية والعلمية التى تناولها الإسلاميون فى كتبهم ومؤلفاتهم .

والطريق الثالث هو فى نظرى أوعرالطرق وله شعب منها أن يستعان للتعبير عن المعانى المؤلفة أو المدلولات المركبة متى وجدت لبسائطها أو لأجزائها ألفاظ عربية أو ألفاظ معربة بقواعد تنتحى للنحت سواء أكان النحت من لفظين أم أكثر .

ومنها أن يستعان فى ذلك باللفظ المركب ، وفى كلتا الحالتين يقتضى الأمر تبيان السبيل إلى الاشتقاق من اللفظ المنحوت أو المركب وإلى النسبة إليه وإلى صيغ جمعه وما إلى ذلك .

وأيضاً فإن حاجات العلوم الحديثة لاتوفى كلها بالنحت أو بالتركيب . بل لعل الأمر فيها قد يحتاج أيضاً إلى الاستعانة بصيغ عربية تخصص للدلالة على معانى معينة تخصيصاً تجيزه معانى بعض الألفاظ الواردة على تلك الصيغ . وهذه ناحية ليس من السهل التنبؤ عن أبوابها بادئ ذى بدء . وإنما يحضرنى فيها مثال عرض فى بعض اللجان ونبه إليه زميلنا الدكتور أحمد زكى .

فى علم الطبيعة مثلا مدلولات ومعان تقسم أنواعاً أو تميز أجناساً بصفة أو بمعنى يشترك فيه أفراد النوع الواحد أو أنواع الجنس الواحد . فقد تكون تلك الصفة أو المعنى المشترك الوحدة فى الكتلة أوالوحدة فى المكان أو فى الترتيب على نسـق مقرر معتمد . أو الوحـدة فى الجهد أو الطاقة أو الدرجة أو ما إلى ذلك .

وفى اللغة يقال عن الأشياء التى صفتها المشتركة الوحدة فى الجنس إنها متجانسة وفى الشبه إنها متشابهة وفى الشكل متشاكلة وفى الوزن متوازنة وفى السمت متسامتة وما إلى ذلك . فلم لانقول للدقائق المكشوفة حديثاً التى صفتها المشتركة الوحدة فى الكتلة إنها متكاتلة وفى المكان إنها متماكنة وللأشياءذات الجهد الواحد إنها متجاهدة وللذات الطاقة الواحدة متطاوقة ، فنخصص صيغة متفاعل لهذا المعنى ؟

فى اعتقادى أن الحاجة إلى حلول ذات صفة عامة للمشكلات القائمة هى أشد إلحاحا وأولى بالعناية من الحاجة إلى استكمال وضع مفردات الألفاظ لمفردات المصطلحات . أنا لا أنكر ما فى هذا العمل من الفائدة . ولكنه فى نظرى يأتى فى المرتبة الثانية من الأهمية . ولاينبغى أن يكون غاية فى ذاته بل ينبغى أن ينظر فيه

على الوجه الذى يتعرف منه بالمشكلات الكلية فيبحث عن حلولها الكلية لا على الوجه الذى يكتفى فيه بمجرد وضع اللفظ للمصطلح . وخصوصاً أن أمر المصطلحات المفردة موكول بطبيعة الحال إلى المشتغلين بالعلوم . وهم قوم إن لم أقل لهم ذوقهم الخاص فإن لهم تقديرهم لمستلزمات صناعتهم وملابسات أعمالهم .

فهاهنا طرق ثلاثة ، أحدها ينكشف به ذخر مخبوء . والثانى تزداد به اللغة ذخراً جديداً ، والثالث تنفتح به فى اللغة أبواب هى أشبه بالأبواب المغلقة إذا هى فتحت لا خطر منها على سلامة البنيان .

وصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء

لحضرة العضو المحترم الشيخ محمد الخضر حسين(*)

جرى اختلاف بين أدباء العصر فى صحة عبارة وقعت فى منثور الكتاب ، ومنظوم الشعراء ، منذ عهد بعيد وهى العبارة التى يوصف فيها الجمع بصيغة فعلاء .

وأول مناقشة جرت فى هذا كانت بين الأستاذ فريتس كرنكو العربانى الجرمانى ، والأب أنستاس الكرملى حيث كان الأب أنستاس يستعمل فى مجلته « لغة العرب » فعلاء وصفاً للجمع كأن يقول: الأشجار الخضراء، بدلا من الأشجار الخضر ، فأنكر عليه الأستاذ كرنكو بدعوى أن هذا الاستعمال خطأ ، ورد عليه الأب أنستاس بأن من مزايا لغة العرب وصف المنعوت المجموع من غير العاقل بصفة المفردة المؤنثة ، وأورد شواهد فيها وصف الجمع بصفة فاعلة نحو الأيام الخالية ، وقطوفها دانية . وتناولت الصحف والأندية الحديث عن هذه المسألة باحثة عن وجه الحق فى هذه العبارة ، فبدا لى أن ألقى نظرة فاحصة بين نظراتهم حتى أثق بفصاحة هذا الوصف، وتناولته من حيث القياس والسماع ، فكان ملخص البحث ونتيجته مايأتى :—

يقول علماء العربية : يجوز وصف الجمع المكسّر لغير العاقل بالمفرد المؤنث ، غير أن وصفه بالمفرد المؤنث بالتاء كثير شائع ، ووصفه بالمفرد المؤنث بالصيغة قليل . والمراد من المؤنث بالصيغة ماكانت علامة تأنيثه ألف التأنيث المقصورة أو الممدودة . فالحكم الذى قرروه عام ، ولكنهم اقتصروا فيما رأينا على التمثيل بما فيه ألف التأنيث المقصورة ، قال أبو البقاء فى الكليات : « والجمع المكسر لغير العاقل يجوز أن يوصف بما يوصف به المؤنث ، نحو : مآرب أخرى وهو قليل » ثم قال « والجمع يوصف بالمفرد المؤنث بالتاء وهو شائع ، وقد يوصف بالمفرد المؤنث بالصيغة كما فى قوله تعالى: « من آيات ربه الكبرى » .

ومازال الناس يحملون ماقرره علماء العربية من جواز وصف جمع التكسير لغير العاقل بالمفرد المؤنث على عمومه ، دون أن يتعرض أحد لمنع وصفه بفعلاء .

وورد وصف الجمع بصفة فعلاء فى أشعار هذا العصر كما قال الأستاذ خليل مطران فى رثاء شوقى :—

يجلو نبوغك كل يوم آية
عذراء من آياته الغـــراءِ

فقد وصف الآيات وهى جمع بغراء .

وقال أيضاً :—

النيل يجرى من عميق دافق
من حيث ينبع فى الربا الشماءِ

وقال الأستاذ بشارة الخورى فى رثاء شوقى :—

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (١٨ من فبراير ١٩٤٨) . انظر القرار الأول من « القرارات العلمية » فى هذه الدورة .

قاموا على سرر الأعراس وانتبهوا
على صياح بكىّ الطرف عائرهِ
على مآتم من طير ومن شجر
خرساء كالقبر غرقى فى دياجره

فوصف المآتم وهى جمع بقوله خرساء :

وورد وصف الجمع بفعلاء فى كثير من شعار المولدين قبل هذا العصر كما قال القاضى فاضل عبد الرحيم (١).

متكفــــن بمــلابس
حمــراء وهى تعــود خضرا

وقال برهان الدين القيراطى المتوفى سنة ٧٨١ :

شرف الله أحمدا سيد الخلـ
ق بأسنى المواهب الحسناءِ

وقال :

قد تشرفت حيث صغت قريضاً
فى معانى صفاتك العليــــاء

وقال الإشبيلى (٢) :—

أفديه أن أخذ الطلا منه وقد
دعت الكرى أجفــانه الوطفاءُ

وقال مهيار الديلمى :—

راكب العز فى مفاوزها اليهـ
ـــماء سارِ لايركب التغريرا

فوصف المفاوز وهو جمع باليهماء ، قال صاحب الأساس : « مفازة يهماء » مافيها ماء ، وقال اليازجى : « وبوده أن يكون فداء عن أياديهم البيضاء » .

وورد فى أشعار المولدين فعلاء خبرا عن ضمير يعود على جمع ، كما قال أبو تمام :—

هيا حسن الرسوم وماتمشى
إليها الدهر فى صور البعــادِ
وإذ طير الحوادث فى رباها
سواكن وهى غنــاء المراد

فقوله غناء المراد خبر عن الضمير العائد إلى الرسوم أو إلى رباها .

وقال ابن هانئ :—

طويت لى الأيام فوق مكايد
ما ينطوى من فوقها الأعداءُ
ماكان أحسن من أياديها التى
توليك إلا أنهــا حســناء

وقال أبو الطيب المتنبى :—

هضاب لبنان وكيف بقطعها
وهو الشتاء وصيفهن شتــاءُ
لبس الثلوج بها علىّ مسالكى
فكأنها ببياضها ســــوداء

فقوله سوداء خبر عن الضمير فى قوله (فكأنها) وهذا الضمير عائد على الثلوج أو على المسالك .

وورد خبرا عن الضمير العائد إلى جمع بعد الأخبار عنه بالمفرد المؤنث بالتاء كما قال ابن هانئ :—

لولا مشيب بفودى للفؤاد عصا
أنضيت فى مهمة التشبيب لى قلصا
واستوقفت عبراتى وهى جارية
وكفاء توهم ربع الحبيب قصا

---

(١) معاهد التنصيص ج ١ ص ١٩٧ .
(٢) كتاب تراجم بعض أعيان دمشق لابن شاشو ص ٢٢١.

وجرى على هذا ، المرحوم حافظ إبراهيم فقـــال :ـــ

يستنطق الآلام وهى دفينة
خرساء حتّى تنطق الآلامُ

فأخبر عن الضمير العائد إلى الآلام بفعلاء بعد أن أخبر عنه بالمفرد المؤنث بالتاء . ونسج على هذا المنوال المرحوم مصطفى صادق الرافعي فقال : « وترد الأمواج نقية بيضاء كأنها عمائم العلماء » .

وورد خبراً عن ضمير يعود عن اسم جمع ، كما قال ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ فى طير أبابيل من سورة الفيل: ثم اختلفوا فى صفتها فقال بعضهم كانت بيضاء ، وقال آخرون كانت سوداء ، وقال آخرون كانت خضراء ، والطير اسم الجماعة مما يطير والواحد طائر .

وورد فعلاء فى أشعارهم حالا من الجمع كما قال ابن الخطيب :(١)

ولك الجوارى المنشآت وقد غدت
تختال فى برد الشباب وترفـــل
جوفاء يحملها ومن حملت به
من يعـــلم الأنثى وماذا تحمـــل

فقوله جوفاء حال من الجوارى المنشآت أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هى أعنى الجوارى .

وقال الطغرائى يمدح أبا الفضل أسعد بن محمد بن موسى :ـــ(٢)

قد قلت للمزجى قلائصه
حدباء يعرق لحمها الجدبُ

فقوله حدباء حال من جمع وهو قلائصه.

ووردت وصفاً لجمع محذوف بعد وصفه بصفة المؤنث بالتاء قال المتنبى :ـــ

وبساتينك الجيـــاد وما تحمـــ
ـــل من سمهرية سمـــراء

وقال الأبيوردى :ـــ

ولو استطيل على الحمام بعزة
رفعت له اليزنيـــة السمراءُ

واليزنية : الرماح نسبة إلى ذى يزن .

وملخص البحث أن علماء العربية أطلقوا فى صحة وصف جمع غير العاقل بصفة المفردة المؤنثة ، فيدخل فى إطلاقهم وصفه بفعلاء ، ولم نر أحداً منهم خص هذا الحكم بصيغتى فاعلة وفعلى ، ثم إن الوصف بها ورد فى كلام العلماء والأدباء كثيراً كما ورد فى عبارة ابن جرير الطبرى وورد فى شعر أبى تمام والمتنبى مايدل على صحته ، وقد قال صاحب الكشاف اجعل مايقوله أبو تمام بمنزلة مايرويه ، وقال الشهاب الخفاجى فى شرح درة الغواص: اجعل مايقوله المتنبى بمنزلة مايرويه . ثم إن قياس فعلاء على فعلى وفاعلة فى صحة الوصف بهما من الأقيسة التى تتلقاها اللغة العربية على الرحب والسعة .

وبناء على هذا أقترح على مؤتمر المجمع الموقر أن يصدر قراراً فى صحة التركيب الذى يوصف فيه جمع غير العاقل بصيغة فعلاء ، قطعاً للمناقشة التى تدور حول هذا الأسلوب.

(١) نفح الطيب ج ٤ ص ١٧٥ .
(٢) مختارات البارودى ج ١ ص ٩٢ .

بين اللغة والنحو

لحضرة العضو المحترم الشيخ عبد القادر المغربى (*)

لدى بحثان فى موضوعين لغويين نحويين يتجهان فى طريقة إخراجهما اتجاها فيه تشابه وفيه تعاكس . أحدهما عنوانه (توهم الأصالة) أى توهم أصالة الحرف الزائد فى بعض كلمات من اللغة خولف فيها القياس. والبحث الآخر عنوانه (توهم الزيادة) أى توهم زيادة الحرف الأصلى فى بعض كلمات من اللغة خولف فيها القياس أيضاً. وقد بنى على كل من التوهمين حكم .

أما البحث الأول أعنى (توهم الأصالة) فقد نبهنى إليه خبر رواه صاحب الأغانى عن عمارة بن عقيل من شعراء البادية فى القرن الثالث للهجرة .

كان عمارة هذا ممن يطرأ على الحضر فتؤخذ عنه اللغة : سمعه أبو حاتم السجستانى يوما يقول فى شعر له : (الأرياح) بالياء فى جمع ريح فقال له أبو حاتم : هذا لايجوز إنما هو الأرواح بالواو. فقال عمارة معتذراً لقد جذبنى إليها (أى إلى أرياح) طبعى . أما تسمعهم يقولون (رياح) فأجابه أبو حاتم نعم ، ولكن هذا شيء وذاك شيء آخر. أقول . والفرق بين الشيئين معروف لديكم فلا حاجة إلى تفصيله . فعمارة توهم أصالة الياء فى (ريح) أى ظنها أصلية لا منقلبة عن واو فقال فى جمعها أرياح والقياس أرواح .

وقد استملحت ماجاء فى هذه الرواية من خبر هذا الأعرابى القح فرأيت أن اقترضها وأستنبط منها قاعدة لغوية عامة أسميها قاعدة (توهم الأصالة) أخرّج عليها ماذكره علماء اللغة فى تأويل بعض الكلمات المخالفة للقياس فى صيغتها وأضيف إلى كلماتهم التى ظفرت بها كلمات أخرى من بابها كنت أهتدى إليها من وقت إلى آخر . وأجعل كل ذلك مقيساً بموجب قاعدة (توهم أصالة الحرف الزائد).

وعلماء اللغة وإن كانوا أنكروا على عمارة قوله (أرياح) ولم يرضوا منه اعتذاره بانجذاب طبعه إليها — فإنهم عادوا هم أنفسهم فقدروا توهمه وانجذاب طبعه قدرهما وجعلوا يعللون ماخالف القياس فى الكلمات بما اعتذر هو به أعنى بتوهم أصالة الحرف الزائد . حتى أنهم سوغوا أرياح فى جمع ريح وعللوه بالتوهم وقاسوا عليه (أعياد) فى جمع (عيد) وإن كان القياس أن يقال (أعواد) بالواو لأن أصل (عيد) عود لكن العرب توهموا أصالة الياء فيها أى فى (عيد) فجمعوها على أعياد . وهو عذر عمارة نفسه فى قوله (أرياح).

وهاكم أيها السادة مثالا آخر مما خرجوه على قاعدة التوهم قولهم (تمنطق) فعلا مشتقاً من كلمة (منطقة) ومعنى تمنطق شد المنطقة على وسطه وكان القياس أن يقال تنطق من دون ميم لكنهم توهموا أصالة (الميم) الزائدة فى منطقة وانجذب طبعهم إلى إقحامها (أى الميم) فى صيغة الفعل فقالوا (تمنطق) على

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (۱۸ من فبراير ۱۹٤۸) . أنظر القرار الثانى من « القرارات العلمية » فى هذه الدورة .

نحو صنيع عمارة بن عقيل فى توهمه وانجذاب طبعه فى أرياح . ولا يخفى أن هذا التوهم لا يؤخذ به فى تعليل كل كلمة خالفت القياس ويكون فيها حرف زائد، وإنما يؤخذ به فى بعض الكلمات مما يكثر دورانه على الألسنة بحيث يخيل إلى الناطقين به أنه اسم جامد، ككلمات ريح وعيد ومنطقة وغيرهما مما ذكرته المعاجم، عدا ما لمسته أنا من هنا وهناك حتى بلغ مجموعه أكثر من خمسين كلمة ، وهو مقدار كاف فى اعتقادى لتبنى عليه قاعدة توهم أصالة الحرف الزائد وآخر تلك الكلمات ما سمعته هنا (أى فى مصر) مما ينتظمه بحثى هذا ويدخل فى موضوعه قول بعض الكتاب (تمجمع وتمجمعوا) يريد انتخب وانتخبوا أعضاء للمجمع وقول أديبة مشهورة (مُصيف) فى تصغير من اسمه (مصطفى) كل ذلك من توهم أصالة (الميم) فى كلمتى (مجمع) و (مصطفى) وانجذاب طبعهم إلى إدخالها فى صيغة فعليها على غير القياس والقياس (تجمع) و (صفى) .

وعلماء اللغة لم يزيدوا فى تعليل مخالفة القياس فى هذه الكلمات بأكثر من قولهم (توهم أصالة الحرف) من دون أن يشيروا إلى أن هذا التوهم قاعدة يصح القياس عليها. أما أنا فقد اقتحمت العقبة وجعلتها قاعدة مقيسة لكثرة الكلمات التى ظفرت بها كما أشرت آنفاً. وسأفرد لهذا البحث بحث (توهم أصالة الحرف) مقالا أسهب فيه الشرح وسرد الكلمات التى قلت إننى ظفرت بها وأتلوه عليكم فى إحدى جلسات المجمع من عام قابل إن كان فى العمر بقية .

أما حديثى فى هذه الجلسة فهو فى الموضوع الآخر المشابه للبحث الأول من جهة والمعاكس له من جهة أخرى كما أشرت إليه فى صدر المقال ، وقد سميته (توهم الزيادة) أى زيادة الحرف الأصلى فى الكلمة بحيث يسوغ لنا هذا التوهم استعمال تلك الكلمة وإن كانت مخالفة للقياس فى صيغتها . وقد نشأت لدىّ الفكرة فى هذا البحث (أعنى بحث توهم الزيادة) من عهد قريب ولذا لم يعلق بكفى من شواهدها إلا كلمتان وثالثة أخرى .

(الكلمة الأولى)

قول العرب (أشياء) فى جمع شىء . والإشكال فى هذا الجمع أنهم منعوه من الصرف مع أن صيغته وهى صيغة (أفعال) ليست من صيغ الجموع التى اعتبروها علة مانعة من الصرف : فالخليل وسيبويه قالا فى تعليل منع (أشياء) من الصرف إن أصلها (شيئاء) وإن الألف والهمزة فى آخرها للتأنيث وإنها أى شيئاء جمع لشىء كما أن قصباء الممنوع من الصرف جمع لقصب . لكنهم (أى العرب) قلبوا أو يقال قدموا همزة شيئاء الأولى وقالوا أشياء فبقى أشياء على رغم هذا القلب ممنوعاً من الصرف لا بعلة أنه جمع بل بعلة ما فى آخره من ألف التأنيث الممدودة .

وقال الأخفش والفراء مثل قول الخليل وسيبويه من أن أشياء ممنوع من الصرف لمكان ألف التأنيث الممدودة فى آخره لكنهما خرجا (أشياء) ليصح منعه من الصرف تخريجاً آخر فقالا : إن وزنه ليس فعلاء كقصباء كما قال الخليل وسيبويه وإنما وزنه (أفعلاء) كأنصباء فى جمع نصيب فأشياء إذن أصلها أشيئاء حذفت همزتها الوسطى فأصبحتَ أشياء وبقيت ممنوعة

من الصرف لمكان ألف التأنيث الممدودة فى آخرها.

وفى كلا القولين تعسف وفى تخريجهما إبعاد وتكلف . وكأن الكسائى رحمه الله لاحظ هذا منهما فرأى رأيا فى منع صرف أشياء فيه تقريب وفيه تسهيل وفيه مقابلة الواقع وجها لوجه من دون مراوغة . لكن قوله جاء مدمجاً رأيت تبسيطه على هذه الصورة .

إن وزن أشياء (أفعال) وليس وزنه شيئاء ولا أشيئاء وهو جمع لشىء . كما أن أفياء جمع لفىء وأفياء مصروف لأن همزته الأخيرة أصلية لازائدة للتأنيث فيكون أشياء مثله (أى مثل أفياء) مصروفا . لكنهم منعوه من الصرف لأمرين :

(الأمر الأول) لكثرة استعماله وتكرره فى كلام الناس فمنعوه ابتغاء التخفيف .

(والأمر الثانى) مشابهته (أى مشابهة أشياء) لحمراء . هذا ماقاله الكسائى وقد أصاب . ولا أفهم من قوله (مشابهة أشياء لحمراء) إلا أن العرب لبس عليهم أمر همزة أشياء الأخيرة فتوهموها زائدة كزيادة همزة حمراء ولاسيما أن قبلها ألفاً كألف حمراء . وحمراء ممنوعة من الصرف فتكون (أشياء) مثلها ممنوعة.

وهذا ماجعلنى أقول إن منع أشياء من الصرف إنما وقع بناء على توهم الزيادة أى زيادة همزتها الأخيرة وإلا فهى أصلية محضة كهمزة أفياء .

وبهذه الطريقة نكون قد وقعنا على قاعدة جديدة فى اللغة أو فى النحو فيها لين وفيها سهولة وفيها تخفيف ورحمة ونسميها (قاعدة توهم الزيادة) بحيث يصح لنا أن نخرج عليها بعض الألفاظ التى خولف فيها القياس .

هؤلاء علماء اللغة رضوا لأنفسهم أن يقولوا تمنطق بناء على توهم أصالة الميم فى (منطقة) فلماذا لانرضى لأنفسنا أن نقول إن منع حرف (أشياء) كان بناء على توهم زيادة الهمزة فى آخرها استئناساً بقول الكسائى ثم نتخذ من قوله مستنداً لرأينا ؟

(الكلمة الثانية)

والكلمة الثانية المضروبة على غرار (أشياء) فى كون منعها من الصرف مبنيا على القاعدة التى سميتها (توهم الزيادة) — قولهم (براء) على وزن (غراب) فى جمع (برىء) وبديهى أن الهمزة فى آخر (برىء) أصلية لأنه وصف من البرء فيكون (براء) الذى هو أحد جموع (برىء) منونا مصروفاً لاممنوعاً من الصرف لعدم وجود علة المنع فيه . لكن قوماً منعوا (براء) من الصرف لأنهم استبعدوا أن تكون جمعاً لبرىء مالم يكن أصلها (برءاء) بهمزتين بينهما ألف مد : الهمزة الأولى أصلية والثانية لإفادة الجمعية والتأنيث . فبرءاء إذن جمع مضروب على غرار فقهاء فى جمع فقيه وكرماء فى جمع كريم ونحوها ، وهذه الجموع ممنوعة من الصرف لمكان ألف التأنيث فتكون (برءاء) أيضاً ممنوعة ، غير أنها (أى برءاء) لم تبق على حالها وإنما تلاعبوا بها فحذفوا همزتها الأولى وأصبحت (براء) على وزن غراب وبقيت بعد هذا الحذف ممنوعة من الصرف كأصلها الذى هو (برءاء) .

وفى هذا التخريج لمنع الصرف تعسف صارخ كما لايخفى . والأحجى بالقبول أن نخرج منع (براء) من الصرف — عند من يقول به — على قاعدة (توهم الزيادة) أى توهم زيادة الهمزة التى فى آخرها لإفادة التأنيث وبسببها منعت من الصرف وإن كانت الهمزة

فى الواقع ونفس الأمر أصلية كأصالة همزة أشياء.

ومحصل القول أن علماء اللغة خرجوا بعض الصيغ الشاذة على قاعدة توهم الأصالة كجمع أرياح وفعل تمنطق، وأنا خرجت هذين الجمعين (أشياء) و (براء) الممنوعين من الصرف على قاعدة سميتها (توهم الزيادة) محاكاة لتسمية القاعدة الأولى، وإذ قد تقرر فى علم الأصول أنه لابد فى الاجتهاد الدينى من سند مأثور يستند إليه المجتهد فقد جعلت مستندى فى إثبات قاعدة توهم الزيادة قول الإمام الكسائى فى تعليل منع صرف (أشياء) : (إنها أشبهت حمراء) وهذه المشابهة جرت إلى الاشتباه . والاشتباه والتوهم أخوان رضيعا لبان. وغرضى مما عرضته أن يكون لدينا قرار فى أن منع الصرف فى (أشياء) و (براء) إنما جرى على توهم زيادة الهمزة فيهما فمنعا وهذا القرار يؤدى بالطبع إلى شىء من تيسير قواعد اللغة العربية . أو تيسير (عملية) الإعراب على الأقل : فبدل أن يقول الطالب فى إعراب قوله تعالى: (لاتسألوا عن أشياء) إن أشياء ممنوعة من الصرف لمكان الهمزة الزائدة فى آخرها وهو قول كذب حبريت — يقول الطالب إن (أشياء) ممنوعة من الصرف لتوهم زيادة همزتها الأخيرة . وهذا التوهم حق لاريب فيه بدليل منعها (أى منع أشياء) من الصرف . ويسهل حينئذ تغيير الضابط المشهور من قولهم (موانع الصرف تسع كلما اجتمعت) إلى قولنا (موانع الصرف عشر) .

(الكلمة الثالثة)

ويمكننى أن أعد من أمثلة (قاعدة توهم الزيادة) كلمة جرى (توهم الزيادة) فيها على نمط آخر غير ماجرى عليه فى (أشياء) و (براء) وهى كلمة (الأملاك) جمعاً لملك مراداً به واحد ملائكة السماء. فإن القول المشهور فى تصريف (ملك) أن أصله (مألك) مشتقاً من (الألوكة) بمعنى الرسالة . والفعل منه (ألكه) . إذا أبلغه الرسالة . فحدث فى (مألك) قلب أى تقديم وتأخير وقيل ملأك ثم حذفوا الهمزة تخفيفاً فقيل (ملك) . ويجوز إبقاء الهمزة مع تسهيلها ألفا فيقال (ملاك) وقد غلب هذا التسهيل فى اللهجة النصرانية : ملاك الرب وبأملاكى كما غلب حذف الهمزة فى اللهجة الإسلامية وفى القرآن (إن هذا إلا ملك كريم) .

ثم إن ملأك وملاك يجمعان على ملائكة وهو القياس ، أما ملك المستعملة فى اللهجة الإسلامية فتجمع أيضاً على ملائكة باعتبار أن الجموع ترد الأشياء إلى أصولها إذ أن أصل ملك ملأك كما مر . لكن العرب كما جمعوا ملك على ملائكة جمعوه أيضاً على (أملاك) . وجمعه على أملاك ليس قياساً لأن القياس أن ترد الجموع الأشياء إلى أصولها وإذا رد ملك إلى أصله قيل ملأك ويكون جمعه ملائكة لا أملاك فكيف جمع على أملاك إذن ؟ جمع على أملاك بناء على أن العرب توهموا الهمزة فى ملأك زائدة لا أصلية وأن ميم (ملك) ولامها وكافها هى كل حروفها وما كان على وزن فَعَل صحيح الحروف يجمع على أفعال كفرس على أفراس وفلك على أفلاك . وهكذا جمع (ملك) على أملاك بناء على توهم زيادة الهمزة فى (ملأك) ولولا هذا التوهم لوجب أن يقال فى جمعه ملائكة، أما الآن فله (أى لملك) جمعان جمع جاء على الأصل المقيس وهو ملائكة وجمع غير مقيس وقد جاء على توهم زيادة الهمزة وهو أملاك.

هذا ما رأيت عرضه على الإخوان الكرام والسلام

نشأة المصطلحات الفلسفية فى الإسلام

لحضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم بيومى مدكور(*)

يقوم العلم على دعائم ثلاث . موضوع ينحصر فيه ، ومنهج يدور البحث على أساسه وطائفة من القوانين والقواعد يصوب إليها ويرتكز عليها . فالبحوث غير المحدودة الموضوع ليست من العلم وإن مهدت له ، والتى لا منهج لها لا تمت إلى العلم الحقيقى بصلة. وقيمة كل علم فيما يشتمل عليه من قواعد ، وما ينتهى إليه من قوانين ونظريات ، وأسمى العلوم وأرسخها أدقها قوانين وأثبتها قواعد . ويمكن أن نلخص نشأة العلوم فى جهود متلاحقة ومحاولات مستمرة ترمى إلى تحديد موضوعاتها ورسم مناهجها .

والمصطلحات والصيغ جزء من المنهج العلمى تساعد على التخصص وتعين على حسن الأداء وإذا كان للجماهير لغتها فإن العلماء يحرصون على أن يتميزوا بألفاظ خاصة بهم . خصوصاً وهذه الألفاظ ترمز لمدلولات دقيقة ومتشعبة وفى ذكرها ما يكفى لاستحضارها ، وإن لم يتفق عليها أضحى المجهود العلمى مجرد مناقشة لفظية قد لا يكون وراءها طائل فالمصطلحات العلمية تقرب المسافة بين الباحثين ، وتوفر المجهود ، وتصرفه كله إلى صميم البحث بدل أن يضيع فى حواشيه ، وتزيل كثيراً من أسباب الخلاف ، وقد لاحظ ليبنتز — بحق — أن كثيراً من الخلافات العلمية يرجع إلى سوء فهم للمداول اللفظى .

وللمصطلح أيضاً قيمته من الناحية التعليمية فهو يجمع المتعلمين على دلالات واضحة ، وييسر لهم استساغة الحقائق العلمية فى قوالبها اللفظية الثابتة . وكم يلاقى النشء وشباب المتعلمين من بلبلة واضطراب حينما يجدون أنفسهم أمام مصطلحات متناقضة أو متعارضة تتغير من كتاب إلى كتاب أو من أستاذ إلى أستاذ !

فالمصطلحات ضرورة علمية ، ووسيلة هامة من وسائل التعليم ونقل المعلومات .

* * *

ولم تتكون المصطلحات الفلسفية الإسلامية دفعة واحدة ، بل مرت بأدوار عدة ونشأت نشأة الفلسفة نفسها . فبدت أول الأمر محدودة ضعيفة مترددة ، فكادت تقتصر على ألفاظ قليلة يؤخذ بها حينا ثم يعدل عنها حينا آخر ولكنها ما لبثت أن نمت وترعرعت وتعددت وتعقدت واختلفت مدلولاتها باختلاف الفلسفات والفلاسفة . وإذا شئنا أن نعرف مصادرها وكيفية تكوينها ، فجدير بنا أن نتجه إلى ناحيتين هامتين : المعتزلة من جانب وجماعة المترجمين من جانب آخر .

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر (٢١ من فبراير ١٩٤٨)

ويعتبر المعتزلة دون نزاع المؤسسين للمدرسة العقلية الأولى فى الإسلام. بدءوا بدءاً دينيا ، ولكنهم — وقد حكموا عقولهم وغلبوا حرية الرأى على التسليم والتقليد — انتهوا إلى بحوث عقلية خالصة ، وأضحوا مفكرى الإسلام الأحرار . فلاءموا بين العقل والنقل ، وفلسفوا الدين قبل أن يُعرف الفلاسفة . ووضعوا دعائم علم الكلام ، أو فلسفة الإسلام الإلهية ، على أنهم لم يقفوا عند الإلهيات ، بل كانت لهم نظريات فى الطبيعة والسيكلوجيا والأخلاق وقضوا نحو مائة وخمسين سنة ، من أخريات القرن الأول الهجرى إلى أوائل الربع الثانى من القرن الثالث ، يدافعون عن الدين ويردون شبه الزنادقة والملحدين ، وينهجون نهجاً عالياً فى الجدل والمناظرة ، ويقدمون آيات بينات فى الإفحام أو الإقناع .

وليتهم استمروا جميعاً يناضلون باسم العقل وفى سبيل الدين كما صنع معتزلة البصرة ولكن معتزلة بغداد أبوا إلا أن يخلطوا الدين بالسياسة فاقتربوا من المأمون كل القرب ، وشاءوا باسمه أن يفرضوا على الناس آراءهم وتعاليمهم ، وتحولت حرية الرأى فى أيديهم إلى تحكم واستبداد . ومحنة خلق القرآن أصدق شاهد على ذلك ، وقد لاقى بعض المسلمين — وعلى رأسهم أحمد بن حنبل — مالاقى بسببها من عنت وإرهاق .

بيد أن السياسة لاتكاد تعطى حتى تأخذ ولاتكاد تؤيد حتى تخذل ، وما إن جاء المتوكل حتى أخذ مجد المعتزلة فى الأفول . وحل الجمود والمحافظة محل اليسر والطلاقة . ولم يقف الأمر عند هذا ، بل حمل الناس على آرائهم فحاربوها وعلى آثارهم فأبادوها ، وبذا قضوا على معظم مؤلفات مدرسة تعد من أكثر مدارس الإسلام إنتاجاً .

وهذا فى أغلب الظن من أهم الأسباب لنقص مادتنا أحيانا فى الاعتزال والمعتزلة ؛ وسر مايلحظ من قلة المصادر المباشرة فى هذه الناحية . إلا أنا نعتقد أن هناك كتابين نشرا أخيراً يمكناننا من تدارك كثير من هذا النقص ، ونعنى بهما « مقالات الإسلاميين » للأشعرى و « نهاية الإقدام » للشهرستانى . وفى ضمهما إلى كتاب « الانتصار » للخياط وبعض كتب القرون الأخرى مايسمح بإعطاء فكرة واضحة عن كبار المعتزلة واحداً واحداً .

وفى ضوء هذه المصادر نستطيع أن نقف على كثير من المصطلحات التى لجأ إليها المعتزلة. وكان طبيعياً أن يصطلحوا ، فقد بحثوا وأثاروا مشكلات عدة كان لابد لهم أن يعبروا عنها ويختاروا للدلالة عليها الألفاظ الملائمة .ولانشير هنا إلى اصطلاحاتهم الخاصة كالعدل والتوحيد والصلاح والأصلح ، والحسن والقبيح العقليين والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين . وإنما نشير إلى تلك المصطلحات التى تبناها الفلاسفة من بعدهم ، وبقيت تردد فى المدارس المختلفة ، كالجزء الذى لايتجزأ أو الجوهر الفرد والجسم والروح ، والجوهر والعرض . والحركة والسكون . ولهم تعبيرات تحمل صدى أرسطو وتردد آراءه ، كذلك الذى يعزى إلى أبى الهذيل العلاف فى قوله : « الله عالم وعلمه ذاته » .

فلدى المعتزلة إذن مصطلحات فلسفية كما أن لديهم فلسفة ، وإذا كان التفكير الفلسفى الإسلامى قد نبت على أيديهم ، فليس غريباً أن تنبت معه الألفاظ والعبارات التى تؤديه. وأوضح مايلحظ على هذه الألفاظ أنها عربية خالصة ، ذلك لأن واضعيها تمكنوا من اللغة تمكنا تاماً ، فاستطاعوا أن يتخيروا لكل معنى أحسن لفظ يلائمه . وبلاغة واصل وأبى الهذيل والنظام والجاحظ كانت مضرب المثل ومبعث الإعجاب .

وأما المترجمون فقد بدءوا أيضاً مهمتهم قبل أن يظهر الفلاسفة ، واستمروا يعالجونها بعد ظهورهم وعلى مقربة منهم . وإنا لندع جانباً ما حوول من ترجمات فى أخريات القرن الأول الهجرى على يدى خالد بن يزيد وعمر بن عبد العزيز ، وبعبارة أخرى ماترجم فى عهد بنى أمية ، فقد كان محدوداً للغاية . والعباسيون هم الذين دفعوا الترجمة الإسلامية دفعة قوية وشاركهم فى ذلك العظماء والوجهاء ، ومضت تسير فى طريقها نحو قرنين أو يزيد . فاختاروا المترجمين الأكفاء وبذلوا جهوداً كبيرة فى البحث عن الكتب القيمة ، وأنشئوا بيت الحكمة ليقيم فيه المترجمون وتحفظ آثارهم .

وقد استوعبت الترجمة الإسلامية ألواناً شتى من الثقافة والمعرفة فترجمت كتب علمية وفلسفية ، وأخرى أدبية ودينية . وأفاد المسلمون من الثقافات الكبرى التى سبقتهم — شرقية كانت أو غربية — ونقلوا عن اللغات الآتية : العبرية والسريانية والفارسية ، والهندية واللاتينية ، واليونانية . ولم يكتفوا بأصل ولا ترجمة واحدة للمؤلف الواحد ، بل حاولوا أن يجمعوا له عدة أصول وأن يترجموه غير مرة كى ينقلوا إلى العربية فى أدق صورة ممكنة أفكار الأمم الأخرى .

ولسنا فى حاجة أن نعرض لما نعم به هؤلاء المترجمون من حظوة لدى الخلفاء والأمراء ، فقد بعث فى طلبهم إلى جهات عدة ، وأغدقت عليهم النعم من كل جانب . ويكفى أن نشير إلى أن الرشيد أعلن فى حاشيته يوما ، أن من أراد منه شيئاً فليسأل جبريل بن بختيشوع الذى لايرد له طلبا . ويحكى أن حنين بن إسحق كان يبيع مترجماته للمأمون بما يعادل وزنها ذهباً ، ولئن كان فى هذه الرواية ضرب من المبالغة ، فإنها تدل قطعاً على مدى عناية الخلفاء بالمترجمات والمترجمين .

لم يقف المسلمون فى البحث عن المترجمين عند جنس ولا عقيدة معينة ، فكان منهم الفرس والهنود ، والصابئة واليهود والمسيحيون. غير أن هناك جهات ثلاثا لها شأنها ، قد غذت المسلمين بكبار المترجمين وأقوم الكتب العلمية والفلسفية وأنفعها ؛ ونعنى بها الإسكندرية وجنديسابور وحران . ففى الإسكندرية بدئت أول ترجمة فى الكيمياء والطب دعا إليها خالد بن يزيد ، والكيميـــاء الإسلامية مستمدة فى أغلبها من الإسكندرية ، والطب الإسلامى فى أساسه جالينوسى أو بعبارة أخرى إسكندرى ذلك لأن الإسكندرية قد احتفظت بمعظم مخلفات جالينوس . ومدرسة الإسكندرية أو الأفلاطونية الحديثة ذات أثر واضح فى مختلف المدارس العقلية الإسلامية . وباختصار نعتبر

الإسكندرية همزة الوصل بين أثينا وبغداد.

وأما جنديسابور فكانت مقر تلك المدرسة الطبية المشهورة التى أسسها كسرى الأول ، ومنها استمد المسلمون الكثير من أطبائهم ومترجميهم ، وخاصة آل بختيشوع الذين كان لهم شأن يذكر فى تاريخ الترجمة والطب العربى.

وأما حران فكانت ملجأ الوثنية اليونانية بعد أن أعاق جوستينيان المدارس الفلسفية فى الغرب . وقد أمدت المسلمين بطائفة من العلماء والمترجمين ، على رأسهم ثابت بن قرة، والبتانى الفلكى والرياضى ، وابن وحشية صاحب الفلاحة النبطية .

فعن هذه المدن الثلاث صدر معظم المترجمين وخاصة جماعة النساطرة واليعاقبة الذين أبقوا على الدراسات الفلسفية فى الشرق . ودون أن نسترسل فى الحديث عن هؤلاء المترجمين وما أكثرهم ! نخص بالذكر مدرسة لها خطرها ، وهى مدرسة حنين بن اسحق التى قضت نحو قرن فى جمع المؤلفات القيمة المكتوبة باليونانية والسريانية ، وترجمتها ترجمة دقيقة . فقد ضمت حنيناً ، وابنه اسحق ، وابن أخته حبيشاً ، والحجاج بن مطر ، ويحيى بن البطريق ، وقسطا بن لوقا ، وفى هذه هذه المدرسة كانت تترجم الكتب القديمة ، وتعلم اللاتينية والسريانية لتلاميذ أتموا ما بدأ أساتذتهم ، فكان يترجم من اليونانية إلى العربية رأساً ، أو منها إلى السريانية ، ومن هذه إلى العربية .

وقد كان حنين وابنه إسحق يعرفان الفارسية واليونانية والسريانية والعربية ، وقد رحل حنين إلى القسطنطينية للبحث عن الكتب القديمة ، وقضى هناك عامين للتمكن من اللغة اليونانية ، ويصرح بأنه أعاد فى شيخوخته ترجمة ما سبق له أن ترجمه فى شبابه ، أو ما ترجمه سابقوه ومعاصروه ترجمة ناقصة ، وأنه كان يحرص الحرص كله على أن يقيم ترجمته على أصول يونانية . وإذا كان قد عنى بالمترجمات الطبية ومؤلفات جالينوس خاصة ، فإن ابنه إسحق قد وقف معظم جهوده على المترجمات الفلسفية وكتب أرسطو وشروحها بوجه خاص ، فترجم ما يزيد على نصف ما عرف منها فى العربية وحرر ما سبق ترجمته منها . ولا أدل على هذا من أن الأب ألف الأسلوب الجالينوسى ، بحيث كان يستطيع الحكم على مخطوط طبى ما بمجرد قراءته إذا كان من وضع جالينوس أم لا . أما الابن فقد أضحى حجة فى المترجمات الفلسفية ، ويشهد لذلك ما ورد فى مخطوط ترجمة « الأورجانون » الموجود بالمكتبة الأهلية بباريس ، والذى أخذنا عنه صورتين فتوغرافيتين محفوظتين بمكتب جامعة فؤاد الأول إذ يشار فيه إلى أن لإسحق ترجمة أخرى سابقة لمنطق أرسطو تسمى « الدستور » ، وهى بهذا تعتبر حجة المترجمين . ويمكننا أن نقرر بوجه عام أن إسحق وأباه هما أكبر مترجمى الإسلام .

ومادمنا بصدد المترجمات الفلسفية فإنه ينبغى أن نشير إلى شخصيتين أخريين لها أيضاً شأنهما وهما أبو بشر متى ويحيى بن عدى اللذان عاصرا الفارابى ، بل لقد تتلمذ لأولها وكان

أستاذاً للثانى . وقد ساهم هذان العالمان مساهمة واضحة فى ترجمة الكتب الفلسفية ، وإتمام ماقام به إسحق بن حنين ، وكانت لها قدم راسخة فى ترجمة الكتب المنطقية ، وكثيراً ما أشير إليهما فى مخطوط « الأورجانون » الذى تحدثنا عنه من قبل .

ولقد عرف المسلمون الفلاسفة السابقين لسقراط ، وأنصاف السقراطيين ، والسوفسطائيين والشكاك ، والرواقيين ، والأبيقوريين ، إلا أنهم لم يترجموا لهؤلاء جميعاً شيئاً يذكر ، ولم يستوقفهم إلا مؤلفات أفلاطون وأرسطو وما عليها من شروح ، فترجم من محاورات أفلاطون بيقين الجمهورية ، والنواميس ، وطيماوس ، والسوفيسط ، والسياسى ، وفيدون ، ودفاع سقراط ، وعربت كتب أرسطو كلها تقريباً . ولكى يفهم أرسطو جيداً كان لابد من ترجمة كتب شراحه ، فبدئ بثيوفرسطس ، وعنى عناية خاصة بالإسكندر الأفروديسى أو فاضل المتأخرين كما كان يسميه ابن سينا .

ولم يقف المسلمون عند مؤلفات جالينوس الطبية ، بل ضموا إليها كتبه الفلسفية لما لها من صلة بأفلاطون وأرسطو معا . وكان لشراح الإسكندرية أثر فى تفهم النظريات الأرسطية ، بل ربما كانوا أقرب إلى المسلمين وأكثر قبولا من الشراح القدامى وخاصة فورفوريوس ، وثامسطيوس ، وسمبليقوس ، ويحيى النحوى .

وإذا ما شئنا أن نحكم على هذا المجهود العظيم ، وجدنا أن هؤلاء المترجمين قد ضموا إلى الدقة والنزاهة المقدرة العلمية واللغوية فكانوا أمناء فى نقلهم دقيقين فى عملهم ، يتحرون المصادر ويتثبتون منها كل التثبت ، وإذا كانوا قد أخطئوا فى نسبة مؤلف إلى غير واضعه فتلك أحوال نادرة على أنهم ربما انساقوا إليها تحت تأثير من سبقوهم ، كما حدث فى كتاب « الربوبية » الذى أثبت البحث أخيراً أنه إنما عزى إلى أرسطو خطأ قبل الإسلام وعلى أيدى السريان الأول

وأما كفايتهم العلمية فيشهد لها أنهم لم يكونوا مجرد نقلة ، وإنما كانوا يلمون بالنواحى التى يترجمون فيها . وقديماً سماهم ابن النديم العلماء المترجمين وعد الشهرستانى كثيرين منهم بين الفلاسفة . وحديثاً أطلق عليهم البارون كارا دى فو لقب الموسوعيين أو أصحاب دوائر المعارف Encyclopédistes ويظهر أنهم لم يكتفوا بهذه الثقافة الواسعة المتشعبة ، بل شاءوا أن يضيفوا إليها تخصصاً فى بعض المواد وبعض المترجمات . فحنين بن اسحق طبيب تفرغ للطب وتخصص تقريباً فى المترجمات الطبية ، وبوجه أخص فى مؤلفات جالينوس. وابنه إسحق فيلسوف عنى بالمترجمات الفلسفية وكان له فى ترجمة كتب أرسطو منزلة ممتازة وثابت بن قرة رياضى اتجه خاصة نحو المترجمات الرياضية . وترجمته « لعناصر » إقليدس معروفة مشهورة .

وقد ترك هؤلاء المترجمون من المؤلفات ما يبين نواحى ثقافتهم : ويبرز فى وضوح مستواهم العلمى . وكان لهم شغف خاص بما سموه « المداخل » فمدخل فى الطب وآخر فى

الرياضة وثالث فى الموسيقى ، وهكذا .وكأنهم بذلك يحاورون فورفوريوس فى مدخله الذىشاء أن يقدم به « لمقولات » أرسطو .

ومهما يكن من أمر هذه المداخل ، فإنها مضمومة إلى مؤلفاتهم الأخرى تعتبر إحدى نقط البدء الهامة فى الحركة العلمية والفلسفية فى الإســـلام .

وأما مقدرتهم اللغوية فتبدو فيما وصلنا من مترجماتهم ومؤلفاتهم . حقاً أنهم لم يتمكنوا من اللغة تمكن المعتزلة ولكن فى أسلوبهم وضوح وبساطة تعين على فهم المعنى المراد . وعبارة مخطوط « الأورجانون » الذى أشرنا إليه من قبل سهلة مستساغة وإن لم تخل من ركاكة أحيانا . والمهم أنها ترجمة صادقة لما كتبه أرسطو ، فقد قورنت بالأصل اليونانى وثبتت سلامتها ودقتها . ولقد قام برجشتراسر بدراسات مقارنة من هذا النوع فيما ترجمهحنين ابن اسحق ، وانتهى إلى أن هذا المترجم كان حريصاً كل الحرص على أن يؤدى الأصل الذى يترجمه أصدق أداء فى اللغة العربية ولو أساء إلى جمال أسلوبه بعض الإساءة،فالدقة مستوفاة بحيث تشعر القارئ بأن المترجممتمكن من ألفاظه وتعبيراته كل التمكن . وماقيلعن حنين يمكن أن يقال عن مترجمين آخرين .

على أن هؤلاء المترجمين —كما أسلفنا — ماكانوا يعملون فى انفراد، بل كانوامتضافرين متعاونين ، ويمكن أن يقال أكثر من هذا إنهم كانوامتنافسين متسابقين يرمى كل واحدمنهم إلى أن يسبق أقرانه ويقدم أصدق ترجمة ممكنة لما يوكل إليه ، فإن لم يوفق أعيدت ترجمته أو صححت ونقحت . وإحصائية واحدة كافية فى توضيح ذلك ، فثلاثة وعشرون شخصاً اشتركوا فى ترجمة كتب أرسطو ، وكان نصفهم أو يزيد يجيد اليونانية والعربية وقد ترجموا له عشرين مؤلفاً ، وقدموا لها ٨٨نصاً أى بمعدل أربعة نصوص أو يزيد للمؤلف الواحد ، وفى هذا مايسمح بمقارنة وموازنة كافية .

* * *

وقد ساهم هؤلاء المترجمون مساهمة فعالة فى تكوين المصطلحات الفلسفية إلى حد أن قسطاً كبيراً مما تخيروه من الألفاظ لايزال مستعملا إلى اليوم . ومخطوط « الأورجانون » وهو من أقدم المترجمات الفلسفية التى وصلتنا يشتمل على مصطلحات منطقية لاتكادتختلف عن المصطلحات التى استعملها الفلاسفة والمناطقة اللاحقون . ولقد حرص المترجمون على أن يستمدوا مصطلحاتهم من العربيةأولا ، فاستعاروا ألفاظاً ذات دلالات لغوية معروفة وشاءوا لها أن تؤدى معانى جديدة على طريق المجاز العربى . وقد يلجئون إلى مصطلحات العلوم الأسبق تكويناً فيستعملون بعضهاللتعبير عن بعض المعانى الفلسفية ، فلفظة « الحكم » و « القضية » مثلا عرفتا لدى الفقهاء قبل أن تعرفا لدى المناطقة .

واشتراك مصطلحات بين علوم مختلفة أمر ملحوظ فى اللغة العربية ، وقد أشار إليه الخوارزمى قديماً فى«مفاتيح العلوم » فلاحظ أن

هذه الاصطلاحات والمواضعات تؤدى معانى مختلفة على حسب العلوم التى تستعمل فيها ، فالرجعة لغة المرة من الرجوع وعند الفقهاء الرجوع فى الطلاق وعند المتكلمين مايزعمه الشيعة من رجوع الإمام بعد غيبته أو موته ، ولهذا اللفظ دلالات أخرى عند الكتاب والمنجمين . وليس بلازم أن تكون هناك صلة وثيقة بين المدلول اللغوى والمدلول الاصطلاحى وإن تلمست بعض الملابسات أحيانا .

وإذا لم يجد المترجمون فى العربية اللفظ الملائم مباشرة استعانوا بالنحت والاشتقاق لخلق ألفاظ تؤدى المعانى الجديدة ، وكان لهم فى المصادر الصناعية فسحة كبيرة كالهوية والماهية . وقد يضمون لا النافية إلى كلمة ما ليكونوا منهما لفظاً جديداً كاللاأدرية واللانهائية . وهذا تركيب غير مألوف فى اللغة العربية

فإن أعوزتهم الألفاظ العربية لجئوا إلى اللغات الأجنبية فعربوا بعض كلماتها وكان نصيب الفلسفة من هذه الألفاظ غير قليل فعن اليونانية أخذ مثلا هيولى ، اسطقس ، فنطاسيا ، ناموس . ومن السريانية استعيرت كلمة « ميمر » بمعنى باب أو فصل ، وسمع الكيان أو « شمعا كيانا » ترجمة لعنوان كتاب الطبيعة لأرسطو . وأما الألفاظ الفارسية المعربة فقد استعمل منها قسط كبير كالهندسة والجوهر . يقول الخوارزمى « إن أكثر هذه الأوضاع (المصطلحات) أسام وألقاب اخترعت أو ألفاظ من كلام العجم عربت » .

وهذه الألفاظ الدخيلة تحمل ولاشك تارة الأصل الذى صدرت عنه ولذلك استعين بها أحياناً على كشف بعض الحقائق وتحقيق بعض المسائل . ومن ذلك ما حاوله بومشترك من التدليل على أن كتاب « الربوبية » قد نسب إلى أرسطو خطأ فى السريانية قبل أن تعرف هذه النسبة فى العربية .

ولم يكن المترجمون موفقين دائماً فيما تخيروا من ألفاظ ، لهذا عدل عن بعضها إلى ألفاظ أخرى ، والمصطلحات العلمية فى حركة مستمرة تبعاً لتحرك العلوم أنفسها . ومن أمثلة ذلك لفظة « أوسيا » (Ousia) اليونانية فقد ترجمت أولا بكلمة « عين » العربية واستمرت هذه الكلمة الأخيرة مستعملة إلى عهد الأشعرى إلا أنها من الألفاظ المشتركة التى لاتدل نصا على معنى معين ، لذلك عدل عنها إلى كلمة « جوهر » الفارسية التى قدر لها أن تقضى على الأولى وتحل محلها نهائياً .

* * *

تلك فى اختصار بعض جهود المعتزلة والمترجمين فى تكوين المصطلحات الفلسفية . وإذا كنا نرجع إلى هذا الماضى لننقب عنه . فما ذلك إلا لنعرفه على وجهه ونستعين به على تجاربنا الحاضرة . وفى نشأة المصطلحات الفلسفية الإسلامية دروس ما أجدرنا أن نفيد منها ، وفى مقدمتها أمور ثلاثة :

أولها — أن للترجمة شأناً أى شأن فى وضع المصطلحات الجديدة واختيارها ، فكلما كان المترجم متمكنا من اللغة التى ينقل عنها واللغة التى ينقل إليها كان أقدر على تخيل اللفظ الملائم وكلما خضعت الترجمة لإشراف ومراجعة من

أطراف عدة كانت أعون على نقل الأفكار الأجنبية نقلا محكماً . وكذلك كان الشأن فى الترجمة الإسلامية . فقد كانت وليدة تضافر وتعاون ونتيجة مجهود مشترك لم يخل من تنافس وتسابق ونقد وملاحظة . وإذا كانت ترجماتنا الحديثة فى أغلبها ثمرة أعمال فردية فإن فى النشر مايضعها موضع النقد والملاحظة ، وفى استعمال مصطلحاتها فى التأليف والدراسة ما يصفيها وينقيها . لهذا ينبغى أن نلاحظ هنا جهود المؤلفين والمترجمين المعاصرين قبل أن نقر مصطلحاً من المصطلحات الحديدة . وإذا كانت مهمة المجمع فى أساسها التسجيل فواجبنا وواجب الخبراء معنا أن يتتبعوا جهود المعاصرين أولا إن فى مصر أو فى البلادالعربية ففى هذه الجهود مايذلل بعض الصعاب التى تعرض لنا . ورب مصطلح مشهور يؤدى المعنى المراد منه بوجه ما ، خير من مصطلح جديد يخلق خلقاًوإن كان أدق فى الدلالة على معناه .

وإذا كنا ندعو إلى تسجيل المصطلحات المعاصرة فنحن فى حاجة أمس إلى حصر المصطلحات القديمة . والعلوم العربية ملأى بالمصطلحات التى لم تنشر ولم تعرف بعد على وجهها ، وهذا تراث لايصح أن نهمله أو نضيعه ، وقد نجد فيه مايغنينا عن نحت أو اشتقاق أو تعريب . وما أجدرنا أن نحيى هذه المصطلحات القديمة ونخرجها إلى سوق التداول العلمى الحاضر !

فعند دراسة عالم أو فيلسوف إسلامى نعنى بمصطلحاته بقدر مانعنى بآرائه ونظرياته ، وعندنشر مخطوط أو إعادةطبع كتاب قديم نأخذ أنفسنا بإبراز مافيه من ألفاظ فنيةومصطلحات. إنا إن فعلنا أحيينا معالم تراثنا القديم وكشفنا عما فيه من ثروة ، ويسرنا على المشتغلين بالعلوم الحديثة تخير مايلائمها من اصطلاحات .

وأخيراً رسم لنا مترجمو الإسلام سنة صالحة فى الأخذ بها توفير للجهد وقضاء على بعض أسباب التعارض والاضطراب . وذلك أنهم اتقوا ما استطاعوا الإسراف فى وضع المصطلحات الجديدة ، فكلما وجدوا اللغةالعادية قادرة على أداء معنى من المعانى اكتفوا بها ، ولم يبحثوا عن مصطلح خاص . وبذا وقفت اصطلاحاتهم عند النظريات الكبرى والقضايا الثابتة فقدر لها أن تحيا (ويؤخذ بها إلى اليوم) أما أن يوضع لكل فكرة لفظ جديد ولكل معنى مصطلح خاص ففى هذا مافيه من الإثقال والبلبلة خصوصاً إذا كان من اليسير أداء هذا المعنى باللغة العادية . وهذه ملاحظة لها شأنها فيما نعانيه من آراء ونظريات حديثة ، إن فى الكيمياء والطبيعة أو فى علم النفس مثلا . فمن بين هذه النظريات مالم يستقر بعد ، ومن هذه الآراء مالايزال موضع خلاف بين الباحثين ، وقد لايلتزم أصحاب هذه الآراء التعبير عنها بألفاظ ثابتة بل يغيرونها بتغير المواطن والكتب فمن العبث إذن أن نتعجل نحن فنقف على أمثال هذه الآراء ألفاظاً خاصة مع أنه قد يقضى عليها بعد حين . وما أشبه هذا بالبحث عن الكمالى فى الوقت الذى لانجد فيه السبيل إلى الضرورى !

ومن الإسراف أن نأخذ عالما أو فيلسوفاً ما ، فنحاول أن نغلب مصطلحاته على الآخرين مع أنه لايمثل إلا حلقة واحدة من حلقات التفكير العديدة فى مادة ما . وقد لايكون رأيه المعتد به اليوم ، وفى هذا مافيه من التعصب وضيق الأفق . فلنضع مصطلحاتنا بقدر ولنقف عند الآراء الثابتة والنظريات المستقرة خشية أن ننغمس فى ترف لاجدوى لنا منه الآن .

الأستاذ أنطون الجميل

رزئ المجمع بوفاة عضو من أعضائه العاملين وأديب من أدباء العربية الأفذاذ . المغفور له الأستاذ أنطون الجميل ؛ اختطفته يد المنية فى أثناء انعقاد المؤتمر ، أوفر مايكون نشاطاً ، وأصدق مايكون جهاداً فى خدمة العربية وآدابها ، فكان لفقده صدى من الأسف العميق ، تجاوبت به نفوس أصدقائه وزملائه إذ أعلن حضرة الرئيس نعيه وخلو مكانه فى المجمع .

وقد أقام المجمع حفلا لتأبين الفقيد الكريم فى مساء يوم الأربعين من وفاته ، ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ هـ ، الموافق ٢٢ من فبراير سنة ١٩٤٨ م ، بدار الجمعية الجغرافية الملكية ، فأمه عدد من رجالات مصر والشرق وجمهور من أهل العلم والفضل والأدب .

وافتتح الحفل حضرة الدكتور فارس نمر . أكبر أعضاء المجمع سناً ، فأعلن أن حضرة الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيس المجمع لم يستطع الحضور لانحراف ألم بصحته ، ثم ارتجل حضرته كلمة أشاد فيها بما كان للفقيد من مكانة وماتحلى به من خلق كريم . وعلى أثر ذلك ألقى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى عضو المجمع كلمة التأبين ، ثم ألقى الأديب بدر الدين الجارم قصيدة والده الأستاذ على الجارم عضو المجمع . ثم وقف حضرة الدكتور فارس نمر فشكر للحاضرين تلبيتهم للدعوة وترحم على الفقيد الكريم .

وتلى هذا كلمة الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى وقصيدة الأستاذ على الجارم :

خطاب الأستاذ المازنى

أرجو أن تمهدوا لى العذر إذا قصرت — وسأقصر لامحالة — فى توفية فقيدنا الكريم حقه فإن من الصعب أن يحيط المرء بجوانب حياة حافلة . ومن السهل أن يحجب الحديث الماثل ماكان فى شرخ الشباب وعنفوانه ، وأن يذهل النجاح فى آخر العمر المقسوم — وللأعمار قسمة وحظوظ — عن الجهود المضنية التى بذلت فى أول العمر والتى بلغت صاحبها هذه القاصية من التوفيق . ثم إن عهدى بالفقيد العزيز يرجع إلى حقبة من الزمن تتجاوز ربع قرن . حلاوة المودة فى شطرها الأخير لاتعدلها إلا اللهفة على معرفته فى شطرها الأول ، والذكريات تتزاحم على الخاطر والمرء لايدرى أيها أولى بالتقديم وأحقها باستيجاب التعظيم وأعونها على رسم صورة لهذه الشخصية الجميلة التى كأنما كان قد عناها القائل فى الشاعر الألمانى هينى : إن الله سبحانه وتعالى لما صور روحه وتمثل له سبحانه لطفها وجمالها قبّلها . وكان فى أول العهد به يصدر مجلة الزهور مع الأديب اللبنانى المشهور المرحوم أمين تقى الدين ، وكنت أحرص على اقتناء مجلته فحدثتنى نفسى — وأنا أذكر هذا للعبرة المستفادة منه ولإظهار جانب

من أخلاق الفقيد — أقول حدثتنى نفسى أن أنشر فيها شيئاً من شعرى ، فبعثت إليه بقصيدة ورسالة أسأله فيها عن قيمة الاشتراك ، فبعث إلى برد يعتذر فيه من عدم نشر القصيدة وينبئنى أنه سيرسل إلى المجلة بالمجان . أظن أن هذه الحادثة وحدها كافية فى دلالتها على ماكان عليه الرجل من خلق ومن صراحة فى الرأى ومروءة فى القلب وأدب ليس كمثله أدب فى زماننا إلا فى الندرة القليلة والفلتة المفردة . وأعترف أن رسالته هذه إلىّ كانت بعض ما تأدبت به .

وقد عطل مجلته هذه لما نشبت الحرب العالمية الأولى . واتفق بعد سنة أو سنتين من نشوبها أن أصدر كل من الأستاذ العقاد ومنّى جزءاً ثانياً من ديوانه ولم نبعث بهدايا من الديوانين إلى أحد — ولا حتى إلى الصحف فيما عدا المقتطف — وإذا بأنطون الجميل يكتب صفحة كاملة فى جريدة الأهرام عن الديوانين ينصفنا فيها على غير معرفة شخصية بنا . ولاتنسوا أن صفحة فى ذلك الوقت كانت نصف الجريدة .

وقد ذكرت هذا لا لأنه شهادة للشاعرية للأستاذ العقاد أو لى بل لأرسم خطا فى الصورة التى أرجو أن تكون صادقة التمثيل للفقيد العزيز وشخصيته .

وأذكر حادثة أخرى ترسم خطاً آخر .. لما تولى رياسة التحرير فى جريدة الأهرام دعانى إليه وقال لى « إن كاتباً مثلك لاتكفيه صحيفة واحدة لأن مطالب الحياة أكثر من أن تتكفل بها صحيفة ، فما رأيك فى أن تكتب للأهرام مقالات متى شئت وفى أى موضوع شئت وبتوقيع أو بغير توقيع ولك ماتطلب من أجر؟» فشكرته وقبلت . وما كانت بالأهرام حاجة إلىّ أو إلى سواى ولكنها مروءة الرجل . واصلت الكتابة وجاءت وزارة المرحوم توفيق نسيم وألغت الدستور الذى كان يسمى « دستور صدقى » ولم تعد دستور سنة ١٩٢٣ ، وبقيت البلاد فترة بغير نظام حكم ، فكتبت إلى الأهرام مقالين متتابعين بإمضاء « هو » خلاصتهما فى بضع كلمات أن دستور صدقى صدر باطلا فإلغاؤه يعيد الدستور الذى كان قائماً قبله وأنه لايجوز فى أى حال أن تظل البلاد بغير نظام حكم . وقد كان للمقالين ضجة وتوهم كثيرون أنهما لسياسى كبير فقال لى أنطون بك — كما كان يومئذ — إن ما حدث من الضجة يكفى وقد نشرتُ مقاليك وأنا أعرف سلفاً ماسيكون لهما من أثر ، وإلى هنا ويحسن السكوت لأسباب منها أننا قد نبهنا إلى مايجب فلا داعى إلى الإسراف بعد ذلك ومنها أنى لا أحب للأهرام أن تدخل فى جدل حزبى فإنه لايليق بها ولا يكون مقبولا منها . وقد نشرت رأيك فاقنع بذلك والصبر طيب والاعتدال أطيب .

ســـــادتى :

كل مافى حياة هذا الراحل الكريم خطوط جميلة فى صورة بديعة جملة مايفيد متأملها الإخلاص والأمانة واستقامة النهج وإيثار السلام وحب الإنصاف .

ولد أنطون الجميل فى بيروت سنة ١٨٨٧ وتعلم فى كلية الآباء اليسوعيين وأتمن على

وجه الخصوص اللغتين العربية والفرنسية وليس هذا كلاما يقال فى تأبين فقيد، أى كلاما قد يحمل على محمل المبالغة، فإن الواقع أنه عين بعد تخرجه فى هذه الكلية نفسها مدرساً للبيان العربى . ولم يقتصر جهده على التعليم فقد كان يكتب أيضاً فى « جريدة البشير » التى كان يصدرها الآباء اليسوعيون فى ذلك الزمان، وفى سنة ١٩٠٦ نشر كتيبا اسمه « البحر المتوسط والتمدن» ولم أطلع عليه ولكنى سمعت به من غير واحد ، ومعقول أن تكون طبعته محدودة فى زمن كان لايطبع فيه من خير كتاب أكثر من ألف نسخة ، ومعقول ألا يعاد طبعه فقد نزح مؤلفه إلى مصر فى السنة التالية أى فى عام ١٩٠٧ ثم حدث الانقلاب العثمانى فى سنة ١٩٠٨ كما هو معروف ، وهو الانقلاب الذى قام على أثره نظام الحكم الدستورى فى الدولة العثمانية فنشر الفقيد فى نفس العام كتابا سماه « أبطال الحرية » سرد فيه قصة الانقلاب وتحدث عن رجاله ثم عمل فى الجريدة الفرنسية «البيراميد» التى كانت تصدر عن دار الأهرام ، ونشر مسرحية أسماها « السموأل أو وفاء العرب » كان قد ألفها فى بيروت قبل نزوحه أو هجرته إلى مصر ، واشترك فى تمثيلها هناك واشترك أيضاً فى تمثيلها فى مصر فى حفلة خاصة مع فريق من إخوانه الأدباء اللبنانيين والسوريين.

وما بعجيب أن يعنى بالسموأل خاصة فإن فيه منه مشابه ، فما كان موقف السموأل فى هذه القصة المشهورة مظهراً للوفاء فحسب بل كان فيه إلى جانب ذلك حرصه على حسن السمعة وطيب الأحدوثة وأنه ليس بالرجل الذى يؤتمن فيخون أو يفرط أو يستخف بما دخل فى ذمته . وكذلك كان أنطون الجميل فما عاهد فنقض عهداً ولا اؤتمن فخان أو استهان بما حمل ولا استودع سراً فأذاعه أو حتى أشار إليه . ولقد صدق الأستاذ العقاد فى قوله يصف حرصه على كتمان الأسرار حتى صار كل امرئ يودعه سره وينصرف مطمئناً إلى بقائه مطوياً :

وأقدر خلق على أن يـذيع
قد كان أقدرهم فى اكتتـام
وأكثر ما استودعته النفوس
أودعه اليوم جوفُ الرغـام

ولقـد كان يحدثنا عن الوزراء الذين تعاقبوا على وزارة المالية ويصف لنا مزية كل واحد منهم ، وكان من أعرف الناس بهم لأنه كان سكرتير اللجنة المالية ، فلم أسمع منه إلا خيراً، ولست أذكر أنه روى لنا شيئاً مما يدخل فى باب الأسرار .

وقد أسلفت أنه كانت له مجلة أدبية اسمها « الزهور » وكان يصدرها كل شهر مرة مع الأديب اللبنانى المرحوم أمين تقى الدين، وكانت مثالا لحسن الطبع وأناقته . ولست أذكر أنى وقعت فيها على غلطة مطبعية واحدة حتى ولا فى الشكل . وكان لا ينشر الشعر فيها إلا مشكولا . أما النثر فكان يكتفى فيه بما لا غنى عنه أو بما يكسب المجلة رونقاً. وكانت المجلة تمثل نزعته وما يؤثره لنفسه من نهج فى الحياة فما دخلت قط فى جدل ولا أثارت مسألة خلافية ولا تعرضت للمناضلة بين الأدباء والشعراء الأحياء منهم والأموات ، وكان همها التعريف ونشر المطوى وإذاعة البراعات .

ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فكف هو وصاحبه عن إصدار المجلة . وحدثنى ذات ليلة قال ما معناه — فما أستطيع أن أزعم أنى أسوق كلامه بحروفه — « رأيت إعلاناً من وزارة المالية، أو لعله قال من رياسة الوزراء ، عن وظيفة مترجم يعقد لها امتحان ، فقلت أتقدم ففعلت فنجحت فى الامتحان وعينت » .

وكانت هذه فاتحة أعماله فى الحكومة المصرية. ولم يقل وهو يحدثنى عن ذلك إن نجاحه كان بتفوق عظيم . ولست أعرف من اللغة الفرنسية إلا ما يعرفه عامة الناس من عبارات التحية والتوديع والشكر ، ولكنى كنت مرة أزور صديقاً لى فى جريدة الأهرام وكان الصديق يترجم بياناً لبعض إخواننا العرب يراد نشره فى صحف فرنسا ، وأقبل علينا أنطون بك فسأل الصديق عما هو فيه وعرف الموضوع وتناول الأصل والترجمة فقال : « لا . هذا لا يصلح » وتناول ورقة وترجم البيان فى دقائق وهو واقف دون أن يضرب على كلمة أو يغير حرفاً . ثم دفع بالترجمة الفرنسية إلى الصديق وانصرف ، فأراها هذا لصحفى فرنسى كان عنده فدهش الرجل لاقتدار أنطون وامتلاكه ناصية هذه اللغة الأجنبية وسرعته فى الأداء مع هذا الإحكام .

وقبل أن يدخل فى خدمة الحكومة نشر فى أخريات سنة ١٩١٤ مجموعة من الشعر بعنوان « مختارات الزهور » حلاها بصور الشعراء الذين اختار لهم وقدم لكل واحد منهم بكلمة موجزة عنه .

وقد ظل يعمل فى وزارة المالية إلى سنة ١٩٣٢ ، وكان فى السنوات الأخيرة من عمله فى الحكومة سكرتيراً للجنة المالية ، وكان موضع ثقة كل وزير من كل حزب ، ولست أرى من المبالغة أن أقول إنه هو كان لجنة المالية فقد كانت مزيته الإخلاص فى العمل والجد فيه والمثابرة عليه . ونحن جميعاً نعرف رجال حكومتنا ومبلغ إقبالهم وعكوفهم على العمل فإذا وجدوا رجلا كأنطون الجميل لا يكل ولا يمل ولا يفتر وتأبى له ذمته أن يقصر فمن هذا الذى لا يكسل اعتماداً عليه وثقة به ؟

وألح عليه المرحوم تقلا أن يتولى منصب سكرتير تحرير «الأهرام» ، فقد كان المرحوم الأستاذ داود بركات مرهقاً وكانت صحته سيئة ، فقبل فلما توفى المرحوم داود بركات وكان من خيرة الصحفيين تولى أنطون الجميل رياسة التحرير ومن كان أحق بها منه ؟ فصار الأمر كله إليه ولم يعد حتى لصاحب الأهرام عمل غير التفكير والتدبير .

وليس ذلك لأن أنطون الجميل كان رجلا طاغياً أو نزاعاً إلى الاستبداد . كلا ، بل لأنه كان ذا ذمة تأبى عليه التقصير ونشاط عجيب لا يسمح له بالهدوء والراحة وحب للعمل وإقبال عليه يعز نظيرهما فى الشباب بله الكهولة وكان يشعر بأن كرامته الشخصية توجب عليه أن يتوفر على كل عمل يتولاه ، فلا عجب إذا طرح العبء عليه كل عامل معه ومن ذا الذى يرى رجلا سلطه الله على نفسه فلا يزال يضربها بالسياط وهى مثقلة بالأعباء وهو معتبط بثقل ما يحمل لا يشكو ولا يتبرم ثم لا يأتى إليه حمله ؟ ومن ذا الذى يرى مثل هذه

الأمانة والذمة وهذا الإخلاص النادر للواجب ولا يكل إليه كل شيء وينام مطمئناً قرير العين ؟

وقد كانت هذه سيرته فى مجلس الشيوخ فقد كان أكثر أعضاء اللجنة المالية عملا وأوفرهم نشاطاً،وليس فى قولى هذا ما يغض من قدر أحد من زملائه لأن المسألة مسألة حيوية دافقة تدع صاحبها غير قادر على السكون .

وقد كان فى وسعه أن يبدد هذا الفيض من الحيوية الزاخرة فى وجوه شتى ، وأن يدعها تتدفق فى مجار ومسارب أخرى كما يفعل كثيرون ممن أوتوا حظاً وافراً من النشاط ولكنه كان رجلا جاداً همه العمل وفيه وبه وحده يستنفد ما حباه الله من قوة وجلد ونشاط .

هذا إلى الظرف واللطف والأدب والوداعة وسعة الأفق والحلم ومروءة القلب ، مع الصراحة التامة فى غير عنف أوجفوة ، مع التحرز والدقة فى تخير الألفاظ واجتناب كل ما فيه مساءة والتواضع الجم الذى لا يشوبه شائبة من كبر مضمر ،واحترام الذات احتراما مرجعه إلى الثقة بالنفس دون اغترار،وصحة التقدير للتبعات والمسئوليات وإيثار الإنصاف والحسنى فى كل حال وتوخى ما فيه السلام والوئام حتى لقد كان يسمى رسول السلام ، والحرص على المحاسنة دون المخاشنة عن عقل وحكمة طبع لا عن ضعف أو خور أو جبن .

وقد رأيته مراراً وهو يعمل فى جريدة الأهرام التى استطاع بمجهوده وشخصيته أن يعلى مقامها ويرفع شأنها،ورأيت كيف كان يقرأ كل حرف حتى الإعلانات،وكيف كان إذا أراد أن يراجع أحد المحررين يذهب إليه فى مكتبه ويناقشه ويجادله ويكلمه كلام الند للند ، ولا تأخذه عزة ولا يستكبر أن يغير رأيه أو يعدل عما بدا له لأول وهلة إذا اقتنع بغير ذلك .

ومن أدل آثاره على أدبه وإيثاره المساناة مع الدقة فى توخى الحق كتابه عن شوقى الشاعر ،وهو عبارة عن محاضرتين كان ألقاهما ثم جمعهما وجعل منهما كتاباً،وقد كتبت عنه وقلت فيه ما معناه إن رأيه كرأيى فى هذا الشاعر وكل ما بيننا من اختلاف لا يتجاوز أسلوب التعبير : فأنا رجل أقول ما أريد أن أقول فى صراحة — أو على بلاطة كما يقول العامة — وهو رجل لبق يحسن أن ينقد بصيغة تفيد المدح . وقد وصف الأستاذ العقاد أدب الجميل فقال إنه « أدب الصالون »يريد أنه فيما يكتب يتحرى اللفظ المصقول والعبارة المهذبة والكلمة التى تخف على النفس ولا تسك السمع ،ولف الحرير على المعنى الذى يخشى أن يكون ثقيلا أو غير سائغ .

وله كتاب آخر ليس من تأليفه ترجمه عن الفرنسية واسمه « الفتاة والبيت » وقد قررته وزارة المعارف فى مدارسها ولا أدرى ألا يزال مقرراً أم عدل عنه .

إن هذا الرجل كان مثالا للرجل الجاد — وما أقل الجادين وأندرهم — والرجل الجاد هو الذى يكرم نفسه وقومه وينزهها ويترههم

عن العبث ، ويقدم الواجب حتى على الحق ويدرك تبعاته وينزل على ماتقتضيه ، ويعرف للناس حقوقهم فلا يغمطها وفضلهم فلايجحده ويحسن تقدير القيم الحقيقية للأشياء والحوادث فلا يغالى بها ولا يستخف ، ويؤثر القصد والإنصاف والحسنى فى كل حال ، ولايجهل مزية المروءة ولايصدر إلا عن وحيها فى قوله أو فعله ،ويلهو إذا لها لهواً بريئاً لايذهله عن واجبه وتبعاته .

ولقد كان أنطون الجميل مثالا حسناً للرجل الجاد — عرفته وهو شاب ، واتصلت به وهو يدرج فى مجده إلى منتهاه ، فما رأيت اختلافاً أو تفاوتاً بين الرجلين . فأنطون الجميل الشاب هو أنطون الجميل الكبير الذى كانت حجرته ندوة أدبية وسياسية يلتقى فيها كثير من ذوى الشأن فى الأدب والعلم والسياسة وهو عاكف على عمله يحيى هذا ويلاطف ذاك ، ويشارك فى الحديث ولاينسيه ذلك أمانة العمل التى فى عنقه . والرجل فى ملتى هو الذى يحسن تقدير الأمانة التى يحملها كائنة ماكانت ، ومتى رأيته يحسن ذلك فدعه وثق به ، وكن على يقين أنه لم يفعل إلا خيراً ولن يصدر فيما يقول أويفعل إلا عن شعور بالواجب وإدراك لمقتضياته .

وقد كان أنطون الجميل قدوة فى هذا . فإذا أسينا له وعليه فإنا والله لمعذورون . ألستانديرالعين فنجد مكانه خالياً لا فى جريدة الأهرام وحدها بل فى الصحافة كلها وفى المجمع وفى المجتمع ؟

مكان نده خال ، رحمه الله ولطف بنا فى رزئنا فيه فإنا والله لمحزونون ، طيب الله ثراه وأجزل ثوابه !

يا صـــديقى !

قصيدة الأستاذ على الجارم

حن شـــعرى إلى اللقاء وأنّا
أين ألقـــاك ليت شعرى ؟ وأنّى؟
ضربت بيننـــا المنون بســـور
حجبته العقول عنهـــا وعنـــا
تتـــلاقى به الدمـــوع حيـــارى
وتغوص الظنون فيــــه فتضنى
كم حوى من ورائه زهـــرات
وغصوناً ريا المعـــاطف لدنـــا
كم حوى من ورائه عبقريـــــا
ـت ، ورأيا عصب الشباة وذهنا
كم حوى من صحـــائف لم تتمم
وأناشـــــيد لم تعش لتغـــــنى
وأمان زغب تطير إلى القبـــــــ
ـــر ، خماص الحشا، فرادى ومثنى

* * *

حجب السور خلفـــه لى رجاء
خانه الدهر فى صبـــاه وأخنى
أسكتته قوارع الموت لحنـــــا
ولوته زعازع الموت غصنـــــا

هو فى البدر حينما يسطع البد
ر ، وفى الروض حينما يتثنى
مابكاء الأطفال أجدى عليه
لا ولا الصبر والتجلد أغنى
فيه أسعدت كل باك بدمعى
وأعرت الثكلى الحزينة جفنا
كلما مرت النوادب صبحا
ضرب القلب بالجناح وحنا
يا شبابا فقدت فيه شبابى
أدرك الواله الشجى المعنى

•••

قد وأدت الرجاء فى هذه الدنـ
يا ، فلا أرتجى ولا أتمنى
وعبرت الستين أو ما علاها
فرأيت الميلاد موتا ودفنا
من يعمر يجد أخلاءه فى الـ
أرض أوفى ممن عليها وأحنى
يذهب الأمس بالرجال فينسو
ن ، وتمضى القرون قرناً فقرنا
ريشة فى مهامه البيد طارت
أين طارت ؟ الله أعلم منا
وخضم الماضى يعج بمن فيـ
ـه ، ويغشى قوماً ، ويغمر مدنا
وظعون المتون منذ سليل الطيـ
ـن تطوى الصحراء ظعناً فظعنا
سفن تلتقى على شاطئ الغيـ
ـب ، لتلقى هناك سفناً وسفنا
ما لنا غير أن نقول حيارى
بلسان الدموع : كانوا وكنا

لا تقل إن صالح الذكر يبقى
كل شىء فى الدهر يبقى ليفنى
ما غنائى بالذكر يبقى جميلا
حين أمسى تحت الصفائح رهنا
ما رجائى والسيف أضحى حطاما
أن أرى بعده نجاداً وجفنا

•••

قد فقدنا «أنطون» بالأمس، والحز
ن على فقده يجدد حزنا
أخذته فجاءة الموت أخذاً
ريع من هوله الصباح وجنا
ما حنى الرأس مرة لعظيم
فأبى أن يراه للسن يحنى
أنجم أشرقت فأطفأها المو
ت ، كما تطفئ المصابيح وهنا
ما على الدهر لو تريث حينا
أو على الدهر مرة لو تأنى
كل يوم نرثى وندب حتى
صار ندب الرجال فى مصر فنا
ورحا الموت لاتنى تملأ الأر
ض ضجيجاً ، وتنثر الناس طحنا
نسى الشعر فى صراع الرزايا
رنة الكأس والغزال الأغنا
شغلته مآتم ونعوش
عن هوى زينب ، وعن وعد لبنى
كم سلونا عن صاحب بحبيب
فإذا بالحبيب يخلف ظنا
نتداوى من لاعج الشوق بالشو
ق ، ونطوى أسى لننشر شجنا

•••

مات «أنطون» وانقضت دولة المجـ
ـد ، وكانت به تعز وتغنى
وغدا عبقر وواديه أضغا
ثاً ، وعادت رجاحة الرأى أفنا
ورأينا الأقلام يشققن صدراً
بعده حسرة ويقرعن سنا
تندب الكاتب الذى يرسل القو
ل قوى الأداء معنى ومبنى
لا ترى لفتة به تجبه الذو
ق ، ولا لفظة تخدّش أذنا
موجز زاده الوضوح جمالا
والتخلى عن الفضالات وزنا
أين ذاك الخلق السميح ؟ كأن لم
يك بالأمس يملأ الأرض حسنا
والبشاشات ؟ أين منى سناها ؟
والأفاكيه من هناك وهنّا
والسياسات ؟ والدهاء الذى كا
ن سلاحا حينا وحينا مجنا ؟
أين ذاك الصدر يحمل العتـ
ـب، عظيما ، وليس يحمل ضغنا
كم غزته الخطوب دهم النواصى
وهو أصفى من الصباح وأسنى

* * *

يا أخى ، هل يليق أن تدخل البا
ب أمامى وأنت أصغر سنا ؟
قف تأخر ، قد كنت تعلى مكانى
ماجرى ؟ ما الذى ببالك عنا
كنت بالأمس كنت بالأمس روحا
مرحاً ضاحكاً ، وصوتاً مرنا
كنت معنى من الشباب وإن شا
خ ، وعزماً لم يعرف الدهر وهنا
تملأ الأرض والزمان حياة
هادئ النفس وادعا مطمئنا
تبذل الخير لم يكدر بمن
وكثير منا إذا منّ منا

* * *

مجمعُ الضاد كنت للضاد فيه
علماً يحسر العيون وركنا
كنت « مصباحنا المنير » إذا عمـ
ـت سبيل ، وطال ليل وجنا
كنت يوم الجدال بالحجة البيـ
ـضاء تمحو سحائب الشك دكنا
عفة فى اللسان صيرت الأيـ
ـام تشدو بمدحك اليوم لسنا
تبلغ الغاية القصية ما أد
ميت جرحاً ، ولا تعمدت طعنا
كل قرن لدى النضال يرى فيـ
ـك لمعنى الوفاء للحق قرنا

* * *

حسرتا للفتى إذا قارب الشو
ط طوته المنون غدراً وغبنا
كلما مد للكمال يديه
صد عنه الكمال كبراً وضنا
إن قوينا عقلا ضعفنا جسوماً
ورأينا فى الموت برءاً وأمنا
وشئون الحياة شتى ولكن
حبنا للحياة أعظم شأنا
لو يعيش الإنسان عمر السلحفا
ة لأغنى هذا الوجود وأقنى

ما الذى نرتجيه والعمـر طيف
إن فتحنا العينين بأن وبنـا ؟
نحن فى هـذه الحيـاة ثمـار
كل شىء إن أدرك النضج يجنى

***

يا أخى هل تجيب إن هتف الشو
ق حبيباً صدق الوفاء وخدنا ؟
إن أكن منك دانى القلب بالأمـ
س ، فروحى لروحك اليوم أدنى

أتراني إن حان حينى قمينـا
أن أرى فى ذراك ظلا وسكنا ؟
نم قريرا ، فإن فى ضجعة القبـ
ـر سلاماً للعاملين ويمنـا
وجد الساهر المجد وسـاداً
ورأى الطائر المحلق وكنـا
إن يكن فى الحياة معنى من الصفـ
ـو ، فما للحياة بعـدك معنى

مرســـوم

بتعيين عضوين عاملين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

نحن فاروق الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على المرسوم الصادر فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ بإنشاء مجمع (فؤاد الأول) للغة العربية المعدل بالمرسوم الصادر فى ٢٨ مايو سنة ١٩٤٠ .

وعلى المرسومين الصادرين فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٣٣ و ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٠ بتعيين أعضاء عاملين فى المجمع المذكور .

وعلى المرسوم الصادر فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٦ بزيادة عدد أعضاء المجمع العاملين إلى أربعين عضواً .

وبناء على ماعرضه علينا وزير المعارف العمومية ، وموافقة رأى مجلس الوزراء .

رسمنـــا بمـــا هو آت :

مادة ١ — يعين الأستاذ محمد رضا الشبيبى والأستاذ خليل سكاكينى عضوين عاملين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية فى المكانين اللذين خلوا بوفاة المرحوم الأب أنستاس مارى الكرملى والمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق .

مادة ٢ — على وزير المعارف العمومية تنفيذ هذا المرسوم ويعمل به من تاريخ نشره بالجريدة الرسميـــة .

صدر بقصر القبة فى ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٧ (٢٦ يناير سنة ١٩٤٨) .

(فاروق)

بأمر حضرة صاحب الجلالة

وزير المعارف العمومية
(السنهورى)

رئيس مجلس الوزراء
(محمود فهمى النقراشى)

جلسة افتتاح المؤتمر

واستقبال العضوين الجديدين

الأستاذ السيد محمد رضا الشبيبي والأستاذ خليل السكاكيني

كان مقرراً أن تعقد جلسة افتتاح المؤتمر فى الساعة الحادية عشرة من يوم الثلاثاء ٦ من صفر سنة ١٣٦٨ (الموافق ٧ من ديسمبر سنة ١٩٤٨) وأن تلى هذه الجلسة حفلة استقبال العضوين الجديدين الأستاذ السيد محمد رضا الشبيبي والأستاذ خليل السكاكيني اللذين عينا فى مكان المرحومين الأب أنستاس مارى الكرملى والشيخ مصطفى عبد الرازق .

وقبيل الموعد المحدد حضر من أعضاء المؤتمر الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيس المجمع ، والدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع ، والأستاذ على عبد الرازق والدكتور فارس نمر والدكتور على توفيق شوشة والدكتور أحمد أمين والأستاذ مصطفى نظيف والسيد حسن القاياتى والشيخ إبراهيم حمروش وسيادة حايم ناحوم والدكتور أحمد زكى والأستاذ عباس محمود العقاد والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى والأستاذ زكى المهندس والشيخ عبد الوهاب خلاف والأستاذ على الجارم والأستاذ محمد فريد أبو حديد والشيخ محمود شلتوت والأستاذ أحمد العوامرى والشيخ عبد القادر المغربى والأستاذ هـ. ا. ر. جب والأستاذ السيد محمد رضا الشبيبي والأستاذ خليل سكاكيني .

واعتذر من التخلف عن هذه الجلسة الدكتور عبد الرزاق السنهورى .

واعتذر من التخلف عن شهود جلسات المؤتمر الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف والأستاذ محمد كرد على لأسباب صحية .

وقد شهد الاحتفال جمع كبير من رجالات الدول العربية ورجال التعليم من جامعة فؤاد الأول ووزارة المعارف ومن العلماء والأدباء ومندوبون من الصحف والمجلات ومحطة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية لإذاعة الخطب .

ولما حل الموعد أعلن حضرة الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيس المجمع افتتاح المؤتمر وألقى كلمته ، ثم تبعه حضرة الدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع فأناب عنه الأستاذ محمد شوقى أمين المحرر بالمجمع فى إلقاء كلمته . ثم أعلن الرئيس ابتداء حفلة استقبال العضوين الجديدين ، فوقف الأستاذ عباس محمود العقاد فألقى كلمته فى استقبال الأستاذ السيد محمد رضا الشبيبي ، وتبعه الأستاذ السيد محمد رضا الشبيبي فألقى كلمته ، ثم وقف الدكتور منصور فهمى لإلقاء كلمته فى استقبال الأستاذ خليل سكاكيني ، وتبعه الأستاذ خليل سكاكيني فألقى كلمته . وبذلك أعلن انفضاض الاحتفال العلنى ، ودعى أعضاء المؤتمر إلى الاجتماع وحدهم ، وتقرر فى اجتماعهم أن يعقد المؤتمر جلساته فى الساعة الحادية عشرة من صباح أيام السبت والاثنين كل أسبوع ، وأن يدرس المؤتمر فى يوم السبت المقبل مشروع تيسير الإملاء .

وانفض الاجتماع وقد بلغت الساعة منتصف الأولى بعد الظهر .

كلمة حضرة الأستاذ أحمد لطفى السيد

رئيس المجمع

أيها السادة الزملاء :

أعلن افتتاح المؤتمر ، وأحييكم فى هذه المناسبة أطيب تحية ، وأرجو لكم توفيقاً فيما بين يديكم من الأعمال .

وإنه لمن دواعى الاغتباط أن نلتقى بإخواننا القادمين من أنحاء الشرق والعرب ، وأن نستقبل فى هذا اليوم زميلين جديدين ، هما معالى السيد محمد رضا الشبيبى ، والأستاذ خليل السكاكينى .

ربما يكون من الفضلة أن نكرر أن هذا المجمع مثابة بحث ودرس ، فيه تعالج مشكلات اللغة وقضاياها ، وتقرر الحدود للمعانى العلمية على اختلاف فروعها . فهو بهذا الاعتبار هيئة علمية بحتة ، تعمل بروح جامعية صرفة ليس من شأنها أن تنفذ قراراتها إلا مايكون من عرضها على الهيئات العلمية ، ونشرها فى المطبوعات والمعجمات . ويسرنا أن فى المجتمع العربى دلائل واضحة على صدق الرغبة فى تقبل أعمال المجمع بقبول حسن .

وبهذه المناسبة أشير إلى أن المجمع قد اتخذ العدة للشروع فى وضع المعجم اللغوى الكبير ووائق على النموذج الذى رسم له . وقدعرض زميلنا الدكتور طه حسين بك مقرر المعجم ذلك النموذج على مؤتمر المستشرقين الذى انعقد فى الصيف الفائت ، ورغب إلى أعضائه فى موافاة المجمع بما يعن لهم من ملاحظات .

وقد كان مقرراً أن يفرغ المجمع من المعجم اللغوى الوسيط فى مرعد مضى ، ولكن أبطأ به أن المجمع رأى إمداد هذا المعجم بطائفة من المصطلحات العلمية ، وأسماء المسميات المتداولة الآن ، حتى يكون نافعاً للعصر الحاضر .

وسيجمل لكم كاتب سر المجمع سعادة الدكتور منصور فهمى باشا ماقام به المجمع من أعمال فى العام الماضى ، وبرنامج العمل فى هذا المؤتمر .

كلمة حضرة الدكتور منصور فهمى

كاتب سر المجمع

عقد مؤتمر المجمع فى دورته الماضية اثنتى عشرة جلسة فيما بين الثانى عشر من يناير سنة ١٩٤٨ والعشرين من فبراير سنة ١٩٤٨. وقد ألقيت فى هـذا المؤتمر محاضرات وبحوث ، ودرست مقترحات . فأما المحاضرات فقد تناولت صلة اللغة العربية باللغات السامية ، ونقل العلوم الأجنبية إلى العربية ، ونشأة الاصطلاحات الفقهية ، ونشأة المصطلحات الفلسفية ، وملاحظات بين اللغة والنحو . وأما البحوث فقـد كانت فى الإملاء . وفى النحت . وفى موقف العامية من الفصحى . وفى جواز وصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء . وقد انتهى المؤتمر إلى إقرار جواز النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية ، كما أنه أجاز وصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء إلى جانب الصيغ الأخرى التى يستسيغها الذوق العربى ، فيقال : جنات خضراء ، كما يقال جنات خضر ، وكلاهما فى نظر المجمع صحيح . وفى أثناء هذه البحوث رأى المؤتمر أن يوافق على توهم الأصالة فى بعض الحروف العربية ، وذلك تيسيراً للاستعمال فى بعض الكلمات التى ذاعت وكانت موضعاً للانتقاد أو التى يتعذر الاشتقاق منها بالرجوع إلى أصولها ، فمثلا يجوز أن نقول : تمنطق أى لبس المنطقة كما يقال تنطق ، وعلى هذا يجوز أن يقال - تمذهب . وأما المقترحات فقد رأى المؤتمر تكوين لجنة لوضع كتاب فى النحو وفقاً لقواعد تيسيره، التى أقرها المؤتمر من قبل .

وإنى أحسب أن ثلاثة قرارات فى ثلاثة أصول تيسر الاستعمال الجارى ليست بالعمل القليل لمؤتمر انعقد شهراً وبعض شهر ، وكانت هذه بعض أعماله .

ولما انفض المؤتمر استأنف المجلس اجتماعه الأسبوعى فدرس فيما درس نماذج من معجم ألفاظ القرآن الكريم ومن المعجم اللغوى الكبير ومن المعجم اللغوى الوسيط وأبدى فى هذه النماذج كلها ملاحظات تساعد اللجان المختصة على النهوض بعملها . ونظر المجلس فيما انتهت إليه لجنة الأدب من وضع مسابقات لتشجيع الإنتاج الأدبى للعام الماضى وأعلنت النتائج فى حفل علنى وزعت فيه الجوائز المقررة ، وكذلك وافق المجلس على عقد مسابقات لهذا العام أرصدت لها جوائز أخرى . وعرض على المجلس تقرير للجنة الألفاظ والأساليب تناول طائفة من الكلمات الدائرة فى الاستعمال مثل : كم أنا سعيد ، وقابلته رأساً . والمقارنة بمعنى الموازنة ، وبالكاد أدركه . فحقق المجلس تلك التراكيب وغيرها . ودرس المجلس طائفة من ألفاظ الحضارة الحديثة ومن ألفاظ الطب وتعريفاتها، وكذلك عنى المجلس باختيار أعضاء مراسلين له ، فعين أربعة عشر

عضواً مراسلا من السودان ومراكش وتونس وسورية والعراق والحجاز ومن إيطالياوانجلترا وفرنساوالسويد . وقد أتمت إدارة المجمع طبع الجزء الخامس من المجلة والمجموعة الخامسةمن محاضر الجلسات . وقد أجاب المجمع الدعوة إلى الاشتراك فى مؤتمر اللغويين والمستشرقين وفى اجتماع المعهد الدولى للدراسات الإغريقية وأناب عنه من يمثله فيها .

أما نشاط اللجان فإنها واصلت اجتماعاتها، فلجنة معجم ألفاظ القرآن ترجو أن تنتهى من وضع المعجم فى آخر هذه الدورة . ولجنة المعجم اللغوى الوسيط توشك أن تعد المعجم للظهور . ولجنة المصطلحات الطبية أقرت نحو ثمانمائة مصطلح فى الطفيليات والأمراض الباطنية . ولجنة جمع المصطلحات من الحياة العامة جمعت نحو ألفين وستمائة كلمة مما يدور فى المتاجر وألف وخمسمائة كلمة فى الهندسة الميكانيكية وستمائة كلمة فى الموسيقى ، وسبعمائة كلمة فى اللاسلكى والطيران والنقش وغير ذلك ، وثلاثمائة فى الرسم الهندسى ، ومائتين وخمسين من كلمات السكك الحديدية وجملة من ألفاظ علم النفس ، والمصطلحات الفلكية ، والكلمات العسكرية . ولجنةالكيمياء تعيد النظر فيما سبق إقراره من مصطلحات وتضع لها التعريفات . ولجنة العلوم الرياضية والهندسية أيضاً أتمت تعديل المصطلحات التى أقرت من قبل ووضعت عدداً من المصطلحات المعرفة.ولجنة علم النفس والتربية والمنطق أقرت عدداً من المصطلحات المعرفة. ولجنة اللهجات وضعت برنامجا للعمل ، وستعرض على المؤتمر فى هذه الدورة بعض بحوثها وتقريراً لدراسة اللهجات الحديثة فى مصر والأقطار العربية. ولجنة الأصول ماضية فى دراسة مقترحات تيسير الكتابة التى اشترك بها أصحابها فى مسابقة المجمع ، وستعرض تقريرها على المجلس بعد فراغها من دراسة المقترحات .

وأما لجنة الأدب فقد عقدت مسابقاتها التى أشرت إليها ، وهى تفحص مايقدم إليها من الإنتاج الأدبى لإجازته فى حدود الجوائز المقررة ، أو للتنويه به .

أما منهج المؤتمر فى هذا العام فهو بحث فى تيسير قواعد الإملاء ، وبحث فى المعجم الوسيط ، وبحث فى المعجم الكبير ، وبحث فى النحو العربى ، وبحث فى ألفاظ الحضارة الحديثة . ولكل من هذه البحوث لجنةتستوفى درسه قبل عرضه على المؤتمر .

كذلك رئى أن تقدم إلى أعضاء المؤتمر مجموعة من المصطلحات العلمية المعرفةليبدوا رأيهم فيها فى غير جلسة من جلسات المؤتمر.

وكذلك تقرر أن تلقى أثناء انعقاد المؤتمر محاضرات على النحو الآتى :—

(١) التحسينات التى أدخلت على المعجمات الأوربية الحديثة ، ومدى استفادة المعاجم العربية منها .

(للأستاذ ماسينيون)

(٢) المنطق والنحو العربى .

(للأستاذ الدكتورإبراهيم بيومى مدكور)

(٣) النهضة الأدبية العربية فى العراق .
(لمعالى السيد محمد رضا الشبيبى)

(٤) أهم النتائج التى انتهى إليها مؤتمر المستشرقين .
(للدكتور طه حسين)

(٥) محاولات وتجارب فى تيسير النحو .
(للأستاذ خليل سكاكينى)

* * *

والآن وقد فرغت من تلخيص أعمال المؤتمر والمجلس واللجان ، أحب أن أشير إلى أن المجمع بما اتخذ من خطة فى دراسة الإنتاج الأدبى وتشجيعه مالياً وأدبياً قد عقد الصلة بينه وبين نخبة من شباب الأدباء اشتركوا فى مسابقاته ، وشاركوه فى أهدافه ، ومن ثم تنتقل أغراض المجمع على أقلام أولئك الأدباء إلى جمهور القراء الكبير . كما أن الألفاظ التى يقرها المجمع قد انتقلت إلى بيئاتها العلمية فى المعاهد والمدارس والجامعات ، وتلك البيئات هى المعنية بهذه المصطلحات وهى التى تدور على ألسنتها لغة العلم التى يعمل المجمع على خدمتها بجهود لاشك أن هؤلاء العلماء يقدرونها له . ويضاف إلى ذلك كله أن البحوث التى تجرى فى مختلف اللجان قد تتطلب من الجهود مايشعر به أعضاؤها ومن يتصل بهم من الخبراء ، ومن يعنيهم الأمر من باحثين ودارسين . وإن هذه الجهود المباركة لتقتضى مهلة من الزمن للتحقيق والتدقيق الجديرين بالعمل العلمى . وعلى أية حال فثمرات المجمع حين يراد أن ينالها الجمهور هى أشبه شىء بالمادة المخصبة التى يحملها نهر فياض بعيد مابين منبعه ومصبه ، فلا بد من مراحل زمنية ومكانية يقطعها ذلك النهر لكى تصل خيراته ومخصباته إلى نهايتها عند الجماهير .

فأقلام الأدباء ومجالس العلم ومعاهد الدرس كلها مراحل لابد أن تأخذ من الزمن مهلته لكى تظهر آثارها فى الجمهور الواسع المتعجل المترقب لدانى الثمرات .

وفق الله العاملين فى المجمع وأنجح مسعاهم فى خدمة العربية !

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد في استقبال السيد محمد رضا الشبيبي عضو المجمع

صاحب المعالى الأستاذ محمد رضا الشبيبي الذى نستقبله اليوم ، عضو عامل فى مجامع العلم والأدب ، يصح أن يقال فيه إنه يدخل هذا المجمع من أكثر من باب واحد ، لأنه شاعر ناقد ، باحث لغوى ، ناشر للعلم واللغة ، معنى بآثار اللغة العربية قديمها وحديثها .

هو شاعر فصيح اللفظ ناصع المعنى سليم العبارة ، ينظم الشعر فى أغراض شتى ولا يقصره على غرض واحد : ينظمه فى الأخلاقيات والوطنيات ، وفى الحوادث الكبرى ، وفى المعانى التى اصطلح المحدثون على وصفها بالمعانى الغنائية .

ومن أمثلة شعره فى هذه الأغراض قوله من قصيدة نونية سارت فى الشرق العربى مسير الأمثال عن فتنة الناس فى هذا الزمن :

فتنة الناس وُقينا الفتنا
باطل الحمد ومكذوب الثنا
رب جهم حوّلاه قمرا
وقبيح صيّراه حسنا
أيها المصلح من أخلاقنا
أيهذا المصلح : الداء هنا
كلنا يطلب ما ليس له
كلنا يطلب ذا ؛ حتى أنا
ربما تعجبنا مخضرة
أربع فى الأصل كانت دمنا

لم تزل ويحك ياعصر أفق
عصر ألقاب كبار وكنى
حكم الناس على الناس بما
سمعوا عنهم وغضوا الأعينا
فاستحالت — وأنا من بعضهم
— أذنى عينا وعينى أذنا
أخطأ الحق فريق بائس
لم يلومونا ، ولاموا الزمنا

ومن أمثلة شعره فى طلائع الحرب العالمية الأولى :

طلائع يوم الوعد أنجزت الوعدا
وأذهلن جيلا ما أعاد ولا أبدى

* * *

خراب سيغدو الغرب مهدّ ظهوره
كما كان للعمران قبلئذ مهدا
وماغاية الغبراء إلا خرابها
إذا استفحل العمران واضّايقت حدا
خبت غير موراة نفوس وما خبت
بها الحرب إلا أنها وريت زندا

ومن قوله فى النقد وحرية الرأى :

مالى أنافح عن رأى أفوه به
فما فتحت فمى إلا رفعت يدى ؟
يا قاضيا باضطهادى هبك تفعله
فالحق قيد لسانى غير مضطهد

حب الحقيقة يصبيني وإن كبرت
وزج بي حبها في ماضغي أسد
قالوا أتكره نقد الناس ؟ قلت نعم
إذا استعار عدوى ثوب منتقد
مقلدون بما فاهوا وما كتموا
عرفت داءهم عرفان مجتهد

وقال يخاطب الناشئة :

ياشبابا درسوا فاجتهدوا
لينالوا غاية المجتهد
وعد الله بكم أوطانكم
ولقد آن نجاز الموعد
أنتم جيل جديد وجدوا
لعصور مقبلات جدد
كوّنوا الوحدة لاتفسخها
نزعات الرأى والمعتقد
أنا بايعت على أن لا أرى
فرقة . هاكم على هذا يدى
عُقَد العالم شتّى فاحصروا
همكم فى حل تلك العقد
لتكن أفكاركم مبدعة
دأبها إيجاد مالم تجد

ومن شعره فى المعانى العنائية :

تفاهمنا : عينى وعينك لحظة
وأدركتا أن القلوب شواهد
أحاديث لم تلفظ ، وللنفس منطق
وجيز ، وألفاظ اللسان زوائد
وما طال عهدى بالقصيد ، ومن رأى
لكم نظراتى قال هن القصائد
دواوين هذا الشعر تفنى وللهوى
ـــهوى الروح ـــ ديوان من الشعر خالد

ومما لاينسى فى هذا المقام أن أديبنا الكبير — وهو علم من أعلام الوطنية والشعر فى العراق — قد نشأ منذ شبيبته الأولى عربياً يذكر كل وطن عربى حيثما ذكر وطنه ، ويشغل باله بأشجان مصر والشام كلما شغلته أشجان الرافدين ، وهو القائل عن محن البلاد العربية حين نكبت فى استقلالها :

ماذا بنا وبلدى الديار يرادُ
فُقِدت دمشق وقبلها بغداد
بردى وأودية الفرات ودجلة
والنيل غص بمائها الوراد

والقائل قبل ذلك :

ماعذر طائفة أضاعت مصرها
أن لا تضيع شامها وعراقها

ومن حق رجل تجيش نفسه بهذه العاطفة الشاملة أن يشمله كل قطر عربى وطنا عارفاً لقدره ، معترفا ببره ، لأنه فى وطنه حيثما نطق عربى بلغة الضاد .

* * *

والأستاذ الشبيبى يتصرف فى مذاهب النقد كما يتصرف فى مذاهب الشعر .

وقد أعانه على تمييز الكلام وتصحيح النقد بحث طويل فى الأدب واللغة ، واطلاع واسع على التاريخ وفنون المعرفة ، ولاتحصى شواهد هذا البحث وهذا الاطلاع فهى كثيرة منوعة ولكننا نذكر عنايته «بالمأنوس من لغة القاموس» ولانزال على ذكر من بحثه القيم — فى مهرجان

أبي العلاء — عن أصول اللزوميات قبل التزامها فى قصائد الشاعر الحكيم . وقدعرف عن هذا العالم الفاضل أن البحث يشغله عن كل شاغل حيث حل أو ارتحل ، فما هو إلا أن نزل بالشام فى بعض رحلاته حتى توفر على دراسة كتاب ابن الفوطى البغدادى مؤرخ الشرق والعراق ، واستنقذ تاريخ هذا المؤرخ الكبير من زوايا الترك والإهمال ، وقد تمكن ببحثه وتنقيبه من إحياء كثير من المخطوطات كإحصاء العلوم للفارابى ، وكتاب «الإفادات والإنشادات» من إملاء أبى إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبى ، و«تسمية أبطال العرب وقاتليهم فى الإسلام» عن كتاب مختصر تذكرة الوزير ابن حمدون . وأوجب على نفسه نشر آثار اللغة والأدب والتاريخ ، قبل أن يوجب عليه عمله فى وزارة المعارف ورئاسة المجمع العلمى ببغداد .

على أن الأستاذ الشبيبى يشارك فى مباحث أخرى غير مباحث اللغة والأدب والتاريخ ، ومن مباحثه التى لم تطبع تاريخ للفلسفة من أقدم عصورها، وكتاب فى فن المناظرة ، وكتاب عن فلاسفة اليهود فى الإسلام ، وقد بلغ من اشتغاله عن نفسه أنه يبذل مايبذل من جهود فى نشر آثار العلماء والفضلاء ، ولا يبذل جهداً منها فى نشر آثاره ، وكلها — قياساً على ماظهر منها — جدير بالنشر والتسجيل .

واسم الشبيبى علم يشترك فيه نخبة من الأعلام فالشيخ جواد الشبيبى ، والده رحمه الله ، عالم شاعر جليل ، والشيخ محمد باقر الشبيبى ، أخوه ، كاتب شاعر أديب ماضى القلم فى ميدان الأدب والسياسة . لاجرم تسرى سليقة الأدب والمعرفة فى هذا الفرع الباسق من تلك الدوحة المثمرة ، ولاجرم نستقبله فى مجمعنا عضواً عاملا وعنواناً صادقاً للثقافة العربية فى العراق وفى سائر الأقطار ، ونحتفى به من حيث أقبل ، لأنه على أبواب العلم جميعاً حقيق بالحفاوة والترحاب .

كلمة حضرة العضو المحترم السيد محمد رضا الشبيبى

ياحضرة الرئيس ،

أيها الأساتذة الأجلاء ،

أرى لزاماً على . وقد غمرتمونى بلطفكم الجزيل ، وظنكم الحسن الجميل فى المؤتمرين السنويين ، السابق منهما واللاحق ، أن أشكر لكم هذا الصنيع والفضل الجسيم .

كان على أن لا أتخلف عن المؤتمر الماضى ، ولكنها الصوارف والعوائق القاهرة . فمعذرة إلى حضراتكم ، وأرجو أن أكون عند حسن ظنكم فيما يستأنفه المجمع من هذه المؤتمرات إن شاء الله .

من بواعث اغتباطى فى هذا اليوم الذى يحتفل المجمع فيه باستقبال من يستقبل من أعضائه الجدد أن يتفضل الأستاذ الكبير

السيد العقاد فيلقى كلمته بهذه المناسبة ، فإذا هى كلمة كريمة كان لها أبلغ أثر فى نفسى . وغير كثير من الأستاذ هذا التشجيع ، فقد مضى عليه زمن ليس بالقصير وهو ينشد تعزيز هذه الرابطة الروحية الجديدة بين أبناء الأقطار العربية ، ونحن فى العراق نعقد الآمال الجسام على تعزيز مثل هذه الروابط المعنوية ، ونرى من خلالها طلائع عصر جديد من عصور التعاون والإصلاح فى هذه الأقطار ، ولهذا لايسعنى إلا أن أشكر للسيد الأستاذ العقاد فضله ولطفه الجزيل .

إنى اسعيد حقاً بأن أشهد هذا المؤتمر فى دورة المجمع الحالية وأن أتجشم فى سبيله أول رحلة جوية بعيدة الشوط ، حاملا إليكم تحية عاطرة من العراق ، وإعجاباً عظيما من أبناء الرافدين بالأغراض النبيلة والمقاصد الجليلة التى تأسس من أجلها مجمع فؤاد الأول . وأى غرض أنبل من المحافظة على رواء الفصحى وتجديد شبابها بعد أن ألمت بها أدواء ، وانتابتها أوصاب ، وداهمتها أخطار فى جميع البلاد المأهولة بالناطقين بالضاد ؟ والواقع أن نهضة اللغة والأدب منثوراً ومنطوقاً من مقومات كل نهضة شاملة ولايستثنى من ذلك نهضتنا العربية الحديثة.

حضرات الأساتذة الأجلاء ،

للشعوب العربية فى هذه المرحلة من مراحل يقظتها مطالب ، ومن أحوج ماتحتاج إليه هذه الشعوب ائتلاف فى الأرواح وتقارب فى المشارب والأذواق وتجاوب بين العواطف والأفكار ، وهذا مطلب جليل لايتيسر لنا إلا إذا جمعتنا من لغة العرب جامعة أدبية كبرى ، وإلا إذا اعتصمنا من هذه الفصحى بحصن حصين وأوينا إلى ركن ركين . وجدير بهذا الأدب العربى الحديث أن يرى عاملا فعالا من عوامل الإنشاء والبناء ، وخليق به أن يتغلب على غيره من العوامل المفرقة الهدامة وهذا ما لاحظته مصر حكومة وشعباً فى أجيال متعاقبة ، وهذا ماوضعه مجمع فؤاد الأول نصب عينيه فى جيلنا الحاضر . ولست بحاجة إلى إيراد الشواهد الكثيرة ، ومتى احتاج النهار إلى دليل ؟ فحيا الله مصر والمصريين ، وجعل التوفيق حليف مجمعكم فى الاضطلاع بالأعباء الجسيمة والنهوض بالمهام الخطيرة التى نيطت به إن فى هذه الدورة أو فى الدورات المقبلة إن شاء الله وهو ولى التوفيق !

كلمة حضرة الدكتور منصور فهمى (كاتب سر المجمع)

فى استقبال حضرة العضو المحترم الأستاذ خليل السكاكينى

سيدى الرئيس ،

سادتى الزملاء ، حضرات أعضاء المجمع ،

سادتى :

فى المجمع صفوة من المتقصين فى البيان والأدب واللغة والعلم وأساليب التربية والتعليم ممن عرفوا الأستاذ خليل السكاكينى ، وقدروا نشاطه الثقافى الجم ومساهمته فى إنهاض الأدب العربى فى فلسطين وغيرها . وكلهم أقدر منى على إبراز الشائق من لطائفه الأدبية واللغوية وجهوده الإصلاحية ، وكلهم كان يسره أن يبسط ما للأستاذ من جهود فكرية ومحامد تمتد فى ماض بعيد مديد لمناسبة ضمه إلى زمالة المجمع فى مكان خلا بوفاة المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى انتقل إلى جوار ربه وهو يشغل أعلى منصب لمعهد عظيم ، ويرى فى أقدس مكانة تلحظ من ناحيتها أوفى رعاية للغة العرب .

ولعل فى عمل القدر حين يحل بالمجمع من أهل القدس عالم عربى فلسطينى محل الشيخ العظيم الأكبر إشارة ربانية تبشر بأن بركة فلسطين العربية وأثرها فى مجهود السكاكينى لخدمة اللغة العربية وإعلاء شأنها ستلتقى بآثار مباركة لسلف كانت آثاره وتوجيهاته وذكرياته العاطرة تملأ المجمع خيراً ونوراً . ومن تآزر الآثار والجهود السابقة واللاحقة سيكسب المجمع إن شاء الله كسباً كبيراً .

سيدى الأستاذ الرئيس :

كان من حظى أن أكون المتحدث عن السكاكينى لصداقة ربطتنى به من القديم . وإنك ياسيدى الرئيس ترعى فينا مايشيع بين أعضاء هذا المجمع من زمالة كريمة تنسجم فى بر الصداقة من مجاملات حميدة ، كما أنك تحرص كل الحرص على أن تبرز الحقائق المفيدة ودون أن يحيط بها لبس وإبهام . أما وأنا أتحدث عن صديقى السكاكينى فاسمح لى أن أتعمد الإبهام وأحيد عن خطة الوضوح وذلك لأن المختص به حذرنى — وأخشى تحذيره وبأسه — من الإشارة لأى ناحية من جهوده الأدبية الضاربة فى ماض بعيد ربما يستنتج منها مدى عمره المبارك المديد .

نهانى عن ذلك ، مهما يكن فى الإشارة مما يهيئ للتعريف به ويفيد فى إظهار فضله وفضائله ، وهذا لحكمة يراها وفلسفة حبيبة إليه سأذكرها .

فأنا الآن حائر بين مجاملة الصديق والنزول عند رغبته وبين إبراز ما أعلم من الحقائق فى إطارها الجدير بها من الوضوح والجلاء ، ومن ثم سيكون الإبهام وربما أغنت الإشارة

عن العبارة . فيروى والتبعة على الراوى أنه من عدة سنين ذهب الأستاذ السكاكينى ليحاضر فى مدينة حيفا وهناك لقيه أهلها فى حفاوة بالغة ، وكان بين مستقبليه أستاذ كهل وقور فأراد أن يحيى زميلنا بأبلغ مارأى أن يحيى به أستاذاً فى أدب اللغة عظيما وضيفاً كريماً فقال : لك الله يا أستاذنا السكاكينى لقد أدخلت إلى بيوتنا بحسن مسعاك وتربيتك أساليب الإسعاد والهناء بفضل ماهذبت به النفوس وكيفت به العقول ورضت به الألسنة من ضروب الفصاحة . فطالما سمعت عاطر الثناء على فضلك وعلمك من الأديبة الجليلة المرحومة حماتى وكانت صغرى تلميذاتك ونابغتهن فى دار المعلمات ؛ وقد انتقلت إلى جوار ربها من نحو ربع قرن مضى بين حسرات الأهل وزفرات الأحفاد . على أن زميلنا العزيز الذى بينه وبين الشيخوخة حرب وخصومة مستمرة تجعله يمقت الإشارة إليها فى أى صورة ولأية مناسبة عرف كيف ينتقم من محييه فقال له : شكراً شكراً يا أستاذوكفى ثناء ثم مال على أذن السيد المحيى هامساً قائلا : رحم الله حماتك إنها كانت تحرف . فزميلنا إذن معلم قدير للغابرين والحاضرين ومرب لحموات فضليات وفيات ،وهو من الرعيل المجاهد فى خدمة اللغة والتمكين لآدابها فى أجيال .

فلكم أيها السادة أن تستنتجوا إن شئتم سن الزميل الجليل الذى مازال بحمد الله يرتدى الملابس الخفيفة فى فصل الشتاء ولايزيدعليها ما اعتاد الشباب أو الشيوخ أن يتدثروا به فى الجو القارس . ولكم أن تتساءلوا عن حكمة الأستاذ السكاكينى فى إخفاء العمر وفى التنكر للسنين .

وهنا أيها السادة ، أعرفكم بالأستاذ الزميل عن طريق فلسفته المتأصلة فى أعماق نفسه والبادية فى شتى مظاهر حياته . فزميلنا يدين بفلسفة القوة فى كل أمر من الأمور : ينشد القوة فى الجسم وينشدها فى المنطق والتفكير وينشدها فى اللغة ، وعلى الجملة ينشدها فى كل مايراه أهلا للحياة والبقاء . ولذلك ناوأ الشيخوخة وناصبها العداء ، وكره أن يخالطها أو ينتمى إليها ، أو يذكرها ، أو يذكر بها ، لأنه يكره الضعف ويقاوم كل مظهر من المظاهر يجر إلى ضرب من ضروبه ونوع من أنواعه .

فإذا نظر الأستاذ السكاكينى من خلال فلسفته إلى اللغة فإنه لايروقه منها إلا ما اتسم بالقوة والسلامة . وإذن فقد كسب المجمع عضواً مؤمناً برسالة من يحرصون على سلامة اللغة ويعتزون بقوتها ومتانتها ويعلنون عن رفعة مكانتها بين اللغات .

لقد كتب السكاكينى كثيراً ، وحاضر كثيراً ، وعلم كثيراً ، وفى جميع ماكتبه وحاضر فيه وعلمه نلمس إكباره لمعنى القوة ودعوته لها وتبشيره بها

ففى كتبه الحديثة المعنونة « مطالعات فى الأدب » و« فلسطين بعد الحرب الكبرى » فى سنة ١٩٢٥ ، وفى كتابه المسمى « سرى »

وهو رسائل إلى ولده فى سنة ١٩٣٥ ، وفى تدوينه لأهم الأصول التى تراعى فى تعليم اللغة العربية فى سنة ١٩٣٨ ، وفى كتابه الذى عنوانه « لذكراك » وأودع فيه لونا من آلامه فى سنة ١٩٣٩ ، وفى مجاميعه التى أطلق عليها عنوان « ماتيسر » وضمنها القيم من المقالات الأدبية الرائعة والبحوث والرسائل فى سنة ١٩٤٣ ، وفيما أودعه حديثاً فى بطون المجلات والصحف كالمقتطف والهلال والجامعة والسفور والأهرام والسياسة وغيرها من صحف مصر والشام . أقول إننا فى كل هذا المجموع الأدبى نلمح الشخصية القوية . نلمح شخصية قوية لزميلنا تبدو فى جسمه ، وفى تفكيره وفى تعبيره ، وفى مسلكه ، وفى خلقه . وفى احتماله للآلام ، وصروف الزمن القاسية . فالزميل الكريم هو رجل قوى بواسع معنى القوة ، زاده الله قوة على قوة ، وفتوة على فتوة وأمد فى سنى عمره المبارك المديد المليء بالثمرات .

سادتى :

لو أن فى الوقت متسعاً لزدت تفصيلا فى دقائق الطابع الذى تتميز به فلسفة السكاكينى حين تستنبط من كتابته والطريف الأصيل من سيرته ومسلكه . على أن زميلنا الذى ترتفع قيمة القوة فى نظره . وفى لغته ، وفى كتابته وفى نشاطه ومظهره : إنما يحقق كمال القوة وجمالها عنده فيض من العواطف والصفات الكريمة ومظاهر الدعة والمرونة والبساطة واللين وعلى ذلك فهو إنسان يستريح إليه الناس جميعاً ويرغب فى وده كل من يعرفه .

والأستاذ السكاكينى الذى دون كثيراً قد علّم كثيراً فى معاهد عدة : فى معاهد المعلمين والمعلمات ، ومدرسة صلاح الدين بالقدس ، وزامله فيها الأستاذ المغربى ، وفى مدارس أنشأها على نظم مبتكرة كالمدرسة الدستورية وكلية النهضة وغير ذلك من المعاهد . وكان الزميل من أشد المكافحين من سبيل المدرسة فى جميع أبناء الطوائف المختلفة فى فلسطين حتى استطاع أن يجعل تعليم القرآن فى مدرسته عاماً بين المسيحيين والمسلمين . فزميلنا معلم مطبوع لايرضى عن مهنته بديلا ، لإيمانه بأن المدرسة هى خير أداة للإصلاح ، وخير عدة لرفعة شأن البلاد . وكان مما جعله نصب عينيه أن تكون اللغة العربية فى فلسطين لغة التعليم لجميع العلوم فى المعاهد التى أنشأها

ولهذه المناسبة يطيب لى أن أذكر عبارة له فى تقدير هذه اللغة حين كتب فقال : « لماذا يستسهل الناس لغاتهم على صعوبتها ، ولاتستسهل لغتنا على سهولتها بالنسبة إلى غيرها ؟ بل لماذا كنا نستسهلها فنبغ منا الشعراء والأدباء فصرنا نستصعبها ونتبرم بها فلا ينبغ منا أحد ووسائلنا اليوم تفوق وسائلنا قبله ؟ إذن لابد أن تكون هناك أسباب أخرى يجب أن نعمل على إزالتها قبل أن نعمل على تيسير قواعدنا وإلا فمهما بالغنا فى تيسيرها فلا نكفل الإقبال عليها .

« من تلك الأسباب أن أكثر طلابنا لايحبون اللغة العربية . بل لماذا لا أقول إن فريقاً كبيراً منا انسلخوا عنا وانتحلوا النزعات الأجنبية تقليداً . تدخل بيوت هذا الفريق فلا تسمع

إلا اللغة الإنجليزية أو الفرنسية ولاترى إلا تقليداً للإنجليز أو للفرنسيين . بل قد بلغت بهم النزعة الأجنبية أن يكتبوا على قبورموتاهم باللغة الإنجليزية أو الإفرنسية إذا تعلم هذا الفريق اللغة العربية فنى كره لاعن شهوة لهـا ومن تعلم شيئاً كارها استصعب السهل ، ومن تعـلم شيئاً مشتهياً استسهل الصعب وكان نفاذه فيه على قدر شهوته له كما قال الجاحظ. اللغة ليست معرفة وإنما اللغة حياة وتقاليد وعقائد وأخلاق ومقدسات . كل من يكتفى من اللغة العربية بمعرفة مفرداتها وتراكيبها وأحكامها وتاريخها وأدبها ليس عربياً ، وإنما صاحب اللغة من يعنى بها لنفسها . ومن يكتب ويخطب ويتكلم بها . من يحاول إعلاء شأنها ، من يتفخر بأنها لغته ، من يتأدب بآدابها ، من يفكر على أساليبها ، من ينظر إليها نظرة تقديس فكل كلمة فى لغته أجمل من كل كلمة ترادفها فى لغة أخرى . إذن قبل أن نعمل على تيسير قواعد لغتنا يجب أن نجعل طلابنا عربا وأن نحسن اختيار الأستاذ . يجب أن نسأل عن شخصيته قبل أن نسأل عن معرفته . »

سيدى الرئيس . سادتى .

حسبى ماقدمت للتعريف بزميلنا الجديد وسيزيدكم عمله فى المجمع وزمالته المباركة تعريفاً بفضله وفضائله

كلمة الأستاذ خليل السكاكينى

سيدى حضرة الرئيس الجليل ،

سادتى أعضاء مجمع فؤاد الأول للغةالعربية

بعد الاحترام الجزيل .

لى الشرف كل الشرف أن أكون عضواً فى مجمعكم الموقر وإن لم أكن من أكفائكم .

لى الشرف كل الشرف أن أكون أول من يمثل فلسطين العزيزة فى مجمعكم الموقر .

لى الشرف كل الشرف أن أشغل بعض الفراغ الذى تركه المرحوم مصطفى عبدالرازق وهيهات أن يملأه أحد من بعده

ولكم الفضل كل الفضل أنكم نظرتم إلى بعين الرضى فرفعتم قدرى . وإنى لكم لمن الشاكرين . وأشكر صديقى، من أحترمه كل الاحترام وأفخر بصداقته كل الفخر : الدكتور منصور فهمى على تفضله بتقديمى إليكم . ومن حقكم أن تعرفوا هذا الداخل الغريب ،مايومه ماقومه . ما أصله . مافعله . ويظهر أنه لم يكن بد من أن يتطرق إلى ذكر العمر . مع أن عمرى سر لايعلمه إلا الله . ولو عرفت أنكم تسألون عن العمر لاملّصت من ناديكم وسرت فى البلاد ونزلت بالمنزل الأقصى فتفتشون عنى فلا تجدوننى . لست أدرى مادخل العمر فى مجمعكم الموقر ؛ ولست أدرى كيف تقيسون العمر !

إذا كنتم تقيسونه بالسنين فقد بلغت من

الكبر عتيا ، وسئمت تكاليف الحياة وإن لم أروَ منها . وإذا كنتم تقيسونه بالأعمال فأنا لا أزال فى دور الطفولة. وإذا كنتم تقيسونه بما يلقاه المرء من الهناء والسرور فإنى أرجو ممن يهمهم الأمر أن يكتبوا على قبرى بعد عمر طويل إن شاء الله : « هذا ضريح العالم العلامة والبحر الفهامة عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية خليل السكاكينى وقد مات قبل أن يولد » .

* * *

لنرجع إلى موضوعنا .

سادتى :

لم أقف موقفى هذا مبكم لأعرفكم بمصطفى عبد الرازق ، فإنكم تعرفونه ، ولكننى وقفت لأقول : وأنا أيضاً ممن أسعدهم الحظ أن يعرفوه

كيف عرفته ؟

إذا أردت أن أعرف أحداً فهناك طرق كثيرة منها أن أختبره بنفسى : أقرأه إذا كتب أسمعه إذا تحدث أو خطب ، أزوره فى بيته ، آكل على مائدته ، أرافقه جيئة وذهوبا . وإذا تعذر ذلك فإنى أعتمد على اختبار غيرى ممن خالطوه فعرفوه وكانوا موضع ثقتى . وإذا تعذر أن أعرفه بهذه الطريق أو تلك فإنى أعتمد على فراستى . وقد تكون فراستى أصدق أنباء من اختبارى واختبار غيرى .

إذا قلت إنى عرفت مصطفى عبد الرازق فباختبارى وباختبار غيرى وبفراستى . ولكن هناك من الناس من لاتستطيع أن تعرفه فى حال : تؤاكله وتشاربه ، ترافعه وتخافضه ، فإذا حسبت أنك عرفته فلا تلبث أن تشعر أنك تجهله كأنه حرف لايقرأ ، أو كأنه الزئبق الرجراج تحاول أن تمسكه فيفر من خلال أصابعك . مثل هذا النوع من الناس لايدخل فى حسابنا ولاشأن لنا معه . فليكن كما يشاء .

متى عرفته ؟

قبل نحو ثلاثين سنة والحرب العالمية الأولى مستحرة مستمرة هبطت مصر من الصحراء ، أشعث أغبر ، وأنا فى زى أهل البادية أنفض عنى غبار الموت ، ولذلك قصة طويلة ليس هذا محل ذكرها . فأبى على صديقى الوفى الكريم أشيل السيقلى إلا أن أكون ضيفه على الرحب والسعة . وجعل يقيم الحفلات تلو الحفلات يدعو إليها أصدقاءه الكرام وكلهم من أصحاب الكفايات العالية فى العلم والأدب والفلسفة والاجتماع والسياسة مبالغة منه فى الحفاوة بى فكنت أسمع وأرى ماكنت أجله وأكبره وكان أول من عرفت منهم مصطفى عبدالرازق والدكتور منصور فهمى ، فحلا من قلبى محلا رفيعاً لم يكن حُل من قبل .

فيم عرفته ؟

الناس أجسام ونفوس وعقول . وإذا نظرتم وجدتم أن الأكثرين من الناس لاتتشاكل أجسامهم ونفوسهم وعقولهم . إذا ارتقى جانب انحط جانب . وقد تنبه لذلك العباس ابن مرداس فقال

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثوابه أسد مزيرُ
ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير

كأن الأكثرية من الناس خلقوا من عجل فوقع هذا التفاوت .

أما مصطفى عبد الرازق فقد رزق هذا التشاكل فى جسمه ونفسه وعقله أولا ، وكان من رتبة عالية فى جسمه ونفسه وعقله ثانياً ، كأنه خلق من تؤدة فجاء تحفة نادرة .

أما فى جسمه فقد كان تام الخلق سبط القوام لايشتكى قصر منه ولا طول ، وافر الحظ من الجمال والجلال . لايمر الا اغترق الأبصار وكان موضع الإعجاب والإكبار . وصاحب مثل هذا الجسم حقيق أن يمتع بشباب ناضر دائم ولو بلغ أقصى العمر ، ولكن من تتبع حياة مصطفى عبد الرازق وجد أنه اكتهل قبل اكتهال ؛ بل انتقل من الحداثة إلى الشيخوخة رأساً .

ولماذا ؟

لعله رأى أن أكبر زعماء عصره الذين كانوا يترددون على مجلس أبيه منهم الإمام محمد عبده لعله رأى أنهم شيوخ تعلو رؤوسهم عمائم كأنها تيجان ، يسود مجلسهم الوقار ، لايبحثون إلا فى العلم والأدب والدين والفلسفة ، لايشغل بالهم إلا حالة أمتهم . لايفكرون إلا فى إنهاضها وإسعادها ؛ لاتلوح على وجوههم إلا علائم الحزم والإخلاص ، ورأى كيف يدخلون فيتقدم الناس ، كيف يروحون ويجيئون فتنحنى لهم الهام إجلالا وإكباراً ، فوقع كل ذلك فى نفسه موقعاً جليلا . دار فى خلده أن الشيخوخة موضع الاحترام ومظنة الحكمة . فلماذا لايكون شيخاً صغيراً يلبس كما يلبس الشيوخ الكبار ويتكلم كما يتكلمون ويمشى وئيداً كما يمشون ؟ والتشبه بالكرام فلاح . إذن فالوداع أيها الشباب الجميل ، ومرحباً أيتها الشيخوخة الجميلة .

ومع أنه نشأ فى بيئة عالية ، ومع أنه طلب العلم فى أرقى المعاهد العلمية فى أوربا ، ومع أنه خالط الأوربيين وعايشهم وله بينهم أصدقاء كرام يحبهم ويحبونه ، يعجب بهم ويعجبون به ومع أنه بعد رجوعه إلى بلاده وقد استوفى حظه من الثقافة العربية لم تنقطع سفراته إلى أوربا عملا بقول الشاعر : اغترب تتجدد ، مع ذلك كله تمسك بشرقيته . وقد كانت شرقيته جميلة راقية .

لعله لم يمارس شيئاً من الألعاب الرياضية ؛ ولا عجب فقد أدرك زمانا كان الناس فيه يعتقدون أن اللعب مخالف للوقار ، وأنه خفة ورعونة ، وأنه إضاعة للوقت . فلما تقدم قليلا فى العمر عاجلته الشيخوخة . وهناك سبب آخر يحتمل كلاما طويلا أقتصر منه على ما يأتى :

الناس أنواع :

منهم نوع يقول : إنما الحياة لذة ؛ وأصحاب هذا المذهب فريقان : حسيون وعقليون . أما

الحسيون فيحسبون الحياة زقاً وقينة، وإذا فتشتم وجدتم أن أكثر الناس حسيون فى كل زمان ومكان .

وأما العقليون فإن أعظم اللذات عندهم المعرفة، وخير جليس عندهم الكتاب. فالفريقان متفقان فى طلب اللذة ولكنهما مختلفان فى طبيعة هذه اللذة . ومنهم نوع يقول: إنما الحياة مجد ، وأصحاب هذا المذهب فريقان : فريق يعرفون الخير فيعملونه فيمجدهم الناس لخيرهم وفريق لم يتفق لهم أن يعرفوا الخير . وإذا عرفوه فإنهم لم يرزقوا القدرة على احتمال المؤونة فيه ، إذن ليس لهم إلا أن ينغمسوا فى الشر ، ويطلقوا أيديهم فيه على رأى ذلك الشاعر الذى قال :

إذا أنت لم تنفع فضر

فيمجدهم الناس خوفاً من شرهم . ولكن يظهر أن أصحاب هذا المذهب يقلون شيئاً فشيئاً . إذا غاب منهم سيد لم يقم سيد . بل قد ينتقلون من الجانب الواحد إلى الجانب الآخر. فقد عرفت كثيرين منهم كانوا يفعلون الشر وهم يعلمون أنه شر ، وكانوا مع ذلك يفتخرون بشرهم ؛ فلقد سمعت بأذنى من يقول : اعتديت اغتصبت ، فعلت تركت ، ولا يخجل ، ثم ارتقوا قليلا فجعلوا يدعون أن الشر قوة فإذا افتخروا فبالقوة لا بالشر . ثم رأوا الناس يتحدثون بالخير فأمسكوا عن افتخارهم بشرهم حياء ؛ والحياء من علائم الخير ، وجعلوا يتكلفون الخير تكلفاً ويدعونه ادعاء اختلاساً لثقة الناس بهم، ثم لم يلبثوا أن خلصت نفوسهم من الشر وأصبحوا من أهل الخير برغم أنوفهم فإذا رأيتم أشراراً بعد اليوم فلا تقنطوا من رحمة الله .

ومنهم نوع يقول إنما الحياة واجب أصحاب هذا المذهب يحملون الدنيا على ظهورهم تظلم البصائر فينورونها . تتفرق الكلمة فيوحدونها . تفتر الهمم فيثيرونها . إذا رأوا اعوجاجاً قوموه ، وإذا رأوا استبداداً قاوموه . هذا الفريق من الناس هو الذى عناه الشاعر بقوله :

بهم النجاة من الأذى وعليهمُ
فى كل فادحة تصيب معوّل

قد يميل أصحاب اللذة إلى المجد والواجب وقد يميل أصحاب المجد إلى اللذة والواجب وقد يميل أصحاب الواجب إلى اللذة والمجد . فإذا تجاذبت الواحد منهم هذه الميول فصاحب اللذة يضحى بالمجد والواجب فى سبيل لذته . وصاحب المجد يضحى باللذة والواجب فى سبيل مجده . وصاحب الواجب يضحى بلذته ومجده بل هو على استعداد لأن يضحى بحياته فى سبيل واجبه . وقد كان مصطفى عبد الرازق من النوع الثالث وقد ضحى بشبابه بل بحياته فى سبيل واجبه . وكل شىء عند مراد النفس محتقر مبذول .

* * *

أما فى نفسه فكان كأنه الخليل بن أحمد الذى قيل فيه إنه صنع من مسك وذهب ، أو كأنه البحترى الذى قال : صنت نفسى عما يدنس نفسى .

أو كأنه المتنبي الذى قال :

ما أبعد العيب والنقصان من شرفى
أنا الثريا وذان الشيب والهـرم

أو كأنه القاضى الجرجانى الذى نزه نفسه عما يشينها وعن بعض مالايشينها . أو كأنه ذلك الذى قال فيه الشاعر :

خلقت مبرآ من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشـاء

* * *

أما فى عقله فقد عرفته أولا صاحب عقل علمى . إذا عالج موضوعاً حقق ودقق واستقرى واستقصى ورتب وبوب . ينكر الموجود إلا إذا قام الدليل على وجوده ويتجاهل المعروف إلا إذا قام الدليل على صحته ، لايقبل الرأى إلا مشفوعاً ببرهانه ولايعرض الرأى إلا مشفوعاً ببرهانه .

لو لم يسبقه الخليل بن أحمد لكان هو أول من وضع علم العروض ، ولولم يسبقه سيبويه لكان هو إمام النحاة غير منازع ، ولو لم يسبقه عبد الرحمن بن عيسى الهمدانى صاحب كتاب الألفاظ الكتابية لكان هو أول من جمع شذور العربية الجزلة فى أوراق يسيرة .

ولو لم يسبقه ابن خلدون لكان هو أول من وضع علم الاجتماع ، ولولم يسبقه أرسطو لكان هو أول من وضع علم المنطق، ولو فسح له فى الأجل لكشف القناع عن حقائق كثيرة مجهولة .

وعرفته ثانياً من أصحاب تلك العقول النادرة التى تميز وتحفز : تميز بين الحق والباطل وبين الخير والشر ، بين النافع والضار ، بين الجميل والقبيح . وتحفز صاحبها إلى إيثار الحق على الباطل وإيثار الخير على الشر وإيثار النافع على الضار وإيثار الجميل على القبيح . أى كان كسقراط لايعتمد إلا على عقله ، ولا يخضع فيما يصنع أو يدع إلا لحكمه . إذا قدر للإنسانية أن ترقى فبمثل هذه العقول على حين ترون الناس حتى الفلاسفة يخضعون لإراداتهم لا لعقولهم :

يعرفون أن الظلم مرتعه وخيم ، ومع ذلك يظلمون . يعرفون أن الحرب رديئة غال بردها برداها كما قال ابن الفارض فى وصف دمشق ومع ذلك يتحاربون .

يعرفون أن الحياة تعب وألم ومع ذلك يرغبون فى ازدياد ، يعرفون أن الحياة عبث لايشتاق إليها ولايؤسف عليها ، ومع ذلك يقبلون عليها كأنهم يعيشون أبدا .

لايقع خلاف بين عقولهم وإراداتهم إلا ألقوا عقولهم وخضعوا لإراداتهم، وربما كانت إراداتهم شراً .

عرفته فوق ذلك كله صاحب رسالة، ولاعجب فمن كان ذا جسم مثل جسمه وذا نفس مثل نفسه وذا عقل مثل عقله لجدير أن يكون من حملة الرسالات وأن يقتدى به . وأن يكثر مريدوه وأشياعه وأن يوفق فى أداء رسالته .

وماذا كانت رسالته ؟

لقد كان من الدعاة إلى الإصلاح ، وقد اقتفى فى ذلك آثار من تقدموه وعاصروه من دعاة الإصلاح ، منهم الأستاذ جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده . طُلاّب الإصلاح فريقان : فريق يؤثر الإصلاح العاجل وطريقه إليه الثورة ، وفريق يؤثر الإصلاح البطىء وطريقته إليه المدرسة .

وقد كان مصطفى عبد الرازق من الفريق الثانى . وعندى أن الإصلاح البطىء يتغلب على الإصلاح العاجل ، وأن المدرسة ستتغلب على الثورة .

وأما آثاره وآثار من تقدموه وعاصروه من دعاة الإصلاح فما تراه كل يوم من تمشى الإصلاح فى جسم الأمة العربية جمعاء تمشى البرء فى السقم. وسؤلنا أن تكون أسرته الكريمة على الدهر ينبوع نور يتدفق ، إذا غاب منها سيد قام سيد، قؤول لما قال الكرام فعول .

لاشك أنكم مجمعون على إكباره والإعجاب به . ولاشك إذا أردتم أن تقدموا نموذجا به يقتدى الإنسان الكامل أن ينعقد إجماعكم على انتخابه . ولاشك وأنتم الصفوة المختارة من أصدقائه حريصون على تخليد ذكراه على طريق من الطرق التى يخلد بها الناس ذكرى عظمائهم وهمتكم عالية إن شاء الله .

نعم لقد كان من حسن حظى أنى تشرفت بمعرفته واعتززت بصداقته ، لم أزر مصر إلا زارنى واستزارنى كأنى من ذوى قرابته ورحمه. ولكن من سوء حظى أن أجىء إلى مصر أفتش فى مكانه فلا أراه .

قرارات المجمع فى هذه الدورة

القرارات العلميــة

(١) القياس فى اللغة :

وافق المؤتمر على الأخذ بمبدأ القياس فى اللغة على نحو ما أقره المجمع سلفاً من قواعد ، وجواز الاجتهاد فيها متى توفرت شروطه كما أشار إلى ذلك حضرة العضو المحترم الدكتور أحمد أمين فى محاضرته « مدرسة القياس فى اللغة » (١) .

(٢) توهم أصالة الحرف :

عاد المؤتمر إلى بحث موضوع « توهم أصالة الحرف » حين ألقى حضرة العضو المحترم الشيخ عبد القادر المغربى محاضرة عنوانها « الشواهد على توهم أصالة الحرف » ، ذهب فيها إلى اتخاذ « توهم الأصالة » قاعدة فى الاشتقاق . وقد انتهى المؤتمر إلى الموافقة على إحالة هذا الاقتراح إلى لجنة الأصول(١) .

(١) ألقيت محاضرة الدكتور احمد امين فى الجلسة التاسعة للمؤتمر (٣ من يناير سنة ١٩٤٩) ونوقشت فى الجلسة نفسها . ثم ووفق على هذا القرار فى الجلسة الرابعة عشرة (١٧ من يناير سنة ١٩٤٩) . انظر نص المحاضرة فى هذا الجزء ص ٣٥١ وما بعدها .

(٢) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر (١٠ من يناير سنة ١٩٤٩) ، ونوقش فى هذه الجلسة والجلسة التالية لها (١٥ من يناير ١٩٤٩) ، ثم ووفق على إحالته إلى لجنة الأصول فى الجلسة الرابعة عشرة (١٧ من يناير ١٩٤٩) . ونص البحث فى هذا الجزء ص ٣٦١ وما بعدها . راجع ايضا ص ١٥٨ من هذا الجزء .

(٣) تعريف الكلمات العلمية :

قدم حضرة العضو المحترم الدكتور محمد شرف اقتراحاً إلى مؤتمر المجمع هذا نصه :

« تبعث اللجان المشرفة على وضع المعاجم الثلاثة إلى لجان العلوم الطبيعية والطبية بألفاظ لتحديد المراد بها طبقاً للمعارف الحديثة .

« وكثير من هذه الألفاظ يكون معرفاً تعريفاً لا يستساغ عقلا وبعضها له معان متناقضة .

« ويحسن أن يقرر المؤتمر قراراً يجيز :

(١) إهمال التعريفات غير المقبولة .

(٢) الإشارة بإهمال بعض المعانى المتناقضة »

وقد انتهى المؤتمر بعد مناقشة هذا الاقتراح إلى إجازة حذف بعض التفسيرات التى يظهر خطؤها أو تناقضها من مواد المعجم اللغوى الوسيط ، على ألا يجاز ذلك فى المعجم اللغوى الكبير ، الذى تثبت فيه النصوص القديمة مادام لها سند من تاريخ اللغة ، مضافاً إليها تعريف الكلمات تعريفاً علمياً صحيحاً (١) .

(١) الجلسة الثالثة عشرة للمؤتمر — لجنة عامة (١٥ من يناير ١٩٤٩) ، والجلسة الرابعة عشرة (١٧ من يناير ١٩٤٩) .

القرارات الإدارية والتنظيمية

(١) تنظيم أعمال المؤتمر :

وافق المجلس على تأليف لجنة لوضع منهاج مفصل لأعمال المؤتمر التى وافق على مجملها مؤتمر الدورة الماضية ، من حضرة كاتب سر المجمع الدكتور منصور فهمى وحضرات الأعضاء المحترمين : الدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، والدكتور أحمد أمين ، والدكتور أحمد زكى ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، والأستاذ على الجارم (١).

وقد ناقش المجلس مقترحات اللجنة ووافق على المنهاج الآتى :

أولا — موعد انعقاد المؤتمر :

يبدأ المؤتمر دورته الخامسة عشرة فى اليوم السابع من ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

ثانياً — جلسة الافتتاح .

١ — تعقد جلسة واحدة لافتتاح المؤتمر واستقبال العضوين الجديدين .

٢ — يقتصر برنامج حفلة الافتتاح على كلمات الرئيس ووزير المعارف وكاتب سر المجمع ، ويتلو ذلك كلمات استقبال العضوين الجديدين والرد عليه . فيتحدث الأستاذ عباس محمود العقاد عن الأستاذ محمد رضا الشبيبى ، والدكتور منصور فهمى عن الأستاذ خليل السكاكينى . ويكتب إلى حضرتى العضوين الجديدين بذلك ويطلب إلى كل منهما إعداد كلمة عن سلفه فى عضوية المجمع يلقيها فى حلسة الافتتاح .

٣ — إذا لم يتيسر حضور أحد العضوين الجديدين زيدت فى برنامج حفلة الافتتاح محاضرة فى « مسئولية الأديب » يلقيها الدكتور أحمد أمين .

٤ — يقتصر فى بطاقة الدعوة على صيغة توجيه الدعوة دون ذكر للبرنامج .

ثالثاً — أعمال المؤتمر :

ا — البحوث

١ — بحث تيسير قواعد الإملاء ولجنته مؤلفة من العام الماضى من حضرات :

الأستاذ على الجارم ،
الشيخ محمد الخضر حسين ،
الدكتور منصور فهمى ،
الأستاذ زكى المهندس ،
الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب (عند حضوره) ،
الأستاذ هـ . ا . ر . جب ،
الأستاذ خليل سكاكينى .

٢ — بحث فى المعجم الوسيط — وتؤلف لجنته من حضرات :

الأستاذ عباس محمود العقاد .
الأستاذ على الجارم .

(١) الجلسة الأولى للمجلس (٤ من اكتوبر ١٩٤٨) .

الدكتور أحمد أمين ،
الأستاذ محمد كرد على ،
الأستاذ هـ. ا. ر. جب ،
الأستاذ مصطفى نظيف .

ومهمة اللجنة المؤلفة هى الاطلاع على المعجم وقراءة نماذج منه وإبداء الرأى فيه وعرض المقترحات التى تراها كفيلة بإخراجه على أحسن وجه وعرض ذلك كله على المؤتمر.

٣ ـ بحث فى المعجم الكبير ، وتؤلف لجنته من حضرات :

الدكتور طه حسين ،
الدكتور إبراهيم مدكور ،
الأستاذ محمد فريد أبو حديد ،
الشيخ محمد الخضر حسين ،
الشيخ إبراهيم حمروش ،
الدكتور محمد شرف ،
الأستاذ ل. ماسينيون ،
الشيخ عبد القادر المغربى ،
الأستاذ ا. ثمان .

وعمل هذه اللجنة قريب من عمل اللجنة المؤلفة للمعجم الوسيط : قراءة النماذج وإبداء الرأى وعرض المقترحات على المؤتمر .

٤ ـ بحوث فى النحو العربى . وتؤلف لجنته من حضرات .

الأستاذ على الجارم .
الأستاد أحمد العوامرى .
الشيخ محمد الخضر حسين ،
الأستاذ خليل سكاكينى ،
الأستاذ عباس محمود العقاد ،
الشيخ محمود شلتوت .

٥ ـ بحث فى ألفاظ الحضارة الحديثة . وتؤلف لجنته من حضرات :

الأستاذ أحمد لطفى السيد ،
الشيخ عبد الوهاب خلاف ،
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ،
الدكتور محمد شرف ،
الدكتور إبراهيم بيومى مدكور ،
الأستاذ محمد فريد أبو حديد ،
الدكتور أحمد زكى ،
الأستاذ مصطفى نظيف .

ومهمة اللجنة أن تستعرض الألفاظ التى أتمتها لجنة ألفاظ الحضارة وأعمال المكتب المخصص لذلك وتبدى رأيها وملاحظاتها لهيئة المؤتمر .

٦ ـ يقدم إلى أعضاء المؤتمر مجموعة من المصطلحات العلمية المعرفة ليبدوا رأيهم فيها فى جلسة أو أكثر من جلسات المؤتمر.

ب ـ المحاضرات

١ ـ محاضرة للأستاذ ل. ماسينيون عن « التحسينات التى أدخلت على المعاجم الأوربية الحديثة ومدى استفادة المعاجم العربية منها ».
٢ ـ محاضرة للدكتور إبراهيم بيومى مدكور عن « المنطق والنحو العربى » .

٣ – محاضرة للأستاذ محمد رضا الشبيبى عن « النهضة الأدبية فى العراق » .

٤ – محاضرة للدكتور طه حسين عن « أهم النتائج التى انتهى إليها مؤتمر المستشرقين » .

٥ – محاضرة للأستاذ خليل السكاكيني عن « محاولات وتجارب فى تيسير النحو » .

وقد ووفق على أن يتبع النظام الآتى فى مناقشة المحاضرات والبحوث .

١ – تلقى المحاضرة فى جلسة وتوزع نسخ منها على حضرات الأعضاء فى اليوم نفسه ثم تناقش عقب تلاوتها أو فى جلسة أخرى لمن يريد ذلك .

٢ – توزع نتائج بحوث اللجان على الأعضاء قبل الجلسة المحددة لإلقائها بوقت كاف ثم يعرض مقرر اللجنة هذه النتائج فى الجلسة وتناقش عقب إلقائها [1] .

(٢) إحالة بحث الأستاذ ل . ماسينيون فى « المعاجم الأوربية الحديثة ومدى ماتستفيده المعاجم العربية منها » إلى لجنة المعجم الكبير :

وافق المؤتمر على إحالة محاضرة الأستاذ ل. ماسينيون « المعاجم الأوربية الحديثة ومدى ماتستفيده المعاجم العربية منها » إلى لجنة المعجم الكبير [1] . كما ووفق على أن يكلف الأستاذ عبد الحميد الدواخلى ، المحرر بالمجمع ؛ تلخيص بحث الأستاذ J. Cantineau الذى أشار إليه الأستاذ ل. ماسينيون فى محاضرته ؛ ليكون فى متناول لجنة المعجم الكبير [2] .

(٣) إرسال بعثة إلى جزيرة العرب وبادية سيناء والصحراء الغربية المصرية لدراسة الشجر والنبات :

بعد أن استمع مؤتمر المجمع إلى بحث الدكتور عبد الوهاب عزام « أسماء العشب والشجر فى بلاد العرب » وافق على ماجاء فى المحاضرة من اقتراح إرسال بعثة إلى جزيرة العرب وبادية سيناء والصحراء الغربية المصرية لدراسة الشجر والنبات ، وأن يتعاون المجمع وجامعة فؤاد الأول فى شأن هذه البعثة ، على أن يعرض الأمر على مكتب المجمع للنظر فى تحقيق ذلك واتخاذ الوسائل اللازمة له (٣).

(٤) بحث للأمير مصطفى الشهابى فى النسب إلى كلمة « كيمياء » :

ورد المجمع بحث للأمير مصطفى الشهابى

---

(١) الجلستان الثانية والثالثة للمجلس (١١ و ٢٥ من اكتوبر سنة ١٩٤٨) .

(١) الجلستان الثانية عشرة والرابعة عشرة للمؤتمر (١٠ و ١٧ من يناير سنة ١٩٤٩) . وانظر نص المحاضرة فى هذا الجزء من ص ٣٥٩ إلى ص ٣٦٠

(٢) الجلسة الثالثة عشرة للمؤتمر (١٥ من يناير سنة ١٩٤٩) .

(٣) الجلسة الثالثة عشرة للمؤتمر – لجنة عامة . (١٥ من يناير سنة ١٩٤٩) ، والجلسة الرابعة عشرة ١٧ من يناير سنة ١٩٤٩) .

عضو المجمع المراسل فى النسب إلى كلمة «كيمياء» عرض على مجلس المجمع فقرر إحالته إلى لجنة الأصول (١) .

وبعث سموه إلى المجمع بملاحظات على بعض المصطلحات التى نشرت فى الجزء الخامس من المجلة ، طالباً إحالتها إلى اللجان المختصة لدرسها ، فووفق على ذلك (٢).

(٥) الإفادة من عمل بعثة الجراد المصرية فى الحجاز :

كتب حضرة الدكتور عبد الوهاب عزام، عضو المجمع ووزير مصر المفوض لدى المملكة العربية السعودية . أن بعثة الجراد المصرية التى تكافح الجراد فى الحجاز منذ سنين قد جمعت ضروباً كثيرة من النبات ، وسجلت معها أسماءها العربية وحفظتها فى المتحف الزراعى . ورجا من حضرة الرئيس توجيه اللجان المختصة بالمجمع إلى الإفادة من هذه المجموعة فى تسمية النبات.

وقد عرض اقتراح حضرة العضو المحترم الدكتور عبد الوهاب عزام على مجلس المجمع ، فوافق المجلس على إحالته إلى لجنة الأحياء والزراعة لتنفيذه (٣) .

(٦) اتصال المجمع بلجنة دائرة المعارف الإسلامية :

ورد المجمع كتاب من وزارة الخارجية هذا نصه :

«حضرة صاحب السعادة مراقب عام مجمع فؤاد الأول للغة العربية .

«أتشرف بأن أنهى إلى علم حضرتكم أن سعادة سفير أسبانيا قد أبلغ هذه الوزارة أن المسيو Garcia Gomez المستشرق العربى المعروف قد تلقى دعوة من الأكاديمية الملكية فى هولندا للسفر إلى ليدن ليشترك فى وضع دائرة معارف إسلامية ، وأنه سيبدأ عمله فى أول أبريل المقبل، وأنه كذلك على استعداد لتلقى كل مايهم مصر من مقترحات فى هذا الشأن .

«كذلك أبلغ سفير أسبانيا أن الحكومة الأسبانية على استعداد لتلقى مقترحات مصر أو رغبتها لإبلاغها إلى الأستاذ المذكور .

«رجاء التفضل بالإفادة برأى مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى هذا الصدد .

«وتفضلوا حضرتكم بقبول فائق الاحترام.
وكيل الخارجية
عنه (توقيع)

وقد عرض هذا الكتاب على المجلس (١) . وأوضح بعض حضرات الأعضاء أن اللجنة

(١) الجلستان الثانية والعشرين والثالثة والعشرين للمجلس (٩ و ١٦ من مايو سنة ١٩٤٩) .

(٢) الجلسة الرابعة والعشرون للمجلس (٢٣ من مايو سنة ١٩٤٩) .

(٣) الجلسة المتمة العشرين للمجلس (١٨ من ابريل سنة ١٩٤٩) .

(١) الجلستان السابعة عشرة والثامنة عشرة للمجلس (٢٨ من مارس و ٤ من ابريل سنة ١٩٤٩) .

التى ذكرت فيه لاتقوم بوضع دائرة معارف إسلامية جديدة ، بل تعيد النظر فى دائرة المعارف الإسلامية القديمة ، وتعدل مايحتاج إلى تعديل فيها . ووافق المجلس على أن يكتب إلى كل من وزارتى الخارجية والمعارف وإلى اللجنة الدائمة لدائرة المعارف كتاب يتضمن مايلى :

١ — أنه يسر المجمع أن يتلقى من لجنة دائرة المعارف نشراتها ومناهجها فى تعديل الدائرة ؛

٢ — وأن تستعين اللجنة بالمختصين من علماء الأقطار الإسلامية فى تحرير مواد الدائرة ؛

٣ — وأن يختار ممثل لمصر فى لجنة التحرير الدائمة ؛

٤ — وأن تصدر الدائرة باللغة العربية بجانب اللغات الأخرى .

(٧) حكم المجمع فى المسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ :

قدمت لجنة الأدب قرارها فى شأن المسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ إلى المجلس ، وهذا نصه :

« استعرضت لجنة الأدب ماقدم إليها هذا العام من القصص والشعر والبحوث الأدبية ، ووجدت أنه لم تتوافر فيه درجة الامتياز التى تسوغ للجنة أن توصى بمنحه الجائزة » .

وقد وافق المجلس على هذا القرار بأغلبية الآراء ، ثم وافق على القرار الآتى :

« نظراً لأن المجمع لم يتح له إنفاق الجوائز المخصصة لتشجيع الإنتاج الأدبى فى إجازة شىء من الإنتاج الأدبى الحديث ، فقد قرر المجلس أن ينفق المبلغ المقدر للجوائز فى إحياء كتاب أو كتابين من الأدب العربى القديم على أن يقوم حضرتا الدكتورين طه حسين وأحمد أمين باختيار هذا الكتاب أو هذين الكتابين ويعرضا اسمه أو اسميهما على المجلس فى الجلسة القادمة للموافقة على الطبع والنشر عن طريق لجنة التأليف والترجمة والنشر(١) » .

ثم وافق المجلس — بناء على ما أشار به حضرتا العضوين المحترمين الدكتور طه حسين والدكتور أحمد أمين — على القرار الآتى :

« يصرف فى نشر المؤلفين العربيين الآتيين مبلغ الثمانمائة من الجنيهات الذى لم يستحقه أحد من المتبارين فى المسابقات الأدبية عام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ وهذان الكتابان هما :

أ — سر صناعة الإعراب لابن جنى
ويقوم بالعمل الفنى فيه حضرات الأساتذة إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، ومصطفى السقا .

ب — أنيس الجليس لزكريا بن المعافى
ويقوم بالعمل الفنى فيه حضرات الأساتذة عبد السلام محمد هارون ، والسيد أحمد صقر ، والطيب السراج .

---

(١) الجلسة الحادية عشرة للمجلس (١٤ من فبراير سنة ١٩٤٩) .

«على أن يخصص لحضرات الذين يقومون بالعمل فى كل كتاب على حدة مبلغ مائتى جنيه وعلى أن يخصص لطبع كل كتاب على حدة مبلغ مائتى جنيه .

«فإذا لم يكف مبلغ الثمانمائة من الجنيهات لإنجاز نشر هذين المؤلفين نظر فى إكمال ذلك من الميزانيات المقبلة ، إن أمكن ذلك .

«وتقوم لجنة التأليف والترجمة والنشر بطبع هذين الكتابين» .

كما ووفق على أن تطلب الإدارة إلى حضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم بيومى مدكور الإشراف على الإجراءات المالية الخاصة بتنفيذ هذا القرار (١) .

(٨) مسابقات تشجيع الإنتاج الأدبى لسنة ١٩٤٩ – ١٩٥٠

عرضت لجنة الأدب مقترحاتها فى شأن المسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٩ – ١٩٥٠ على المجلس ، فوافق عليها بعد مناقشة وتعديل (٢) وهذا نص القرارات كما وافق عليها المجلس :

قررت لجنة الأدب بجلسة ١٩٤٨/١٠/٢١ عرض القرارات الآتية على مجلس المجمع للموافقة عليها .

١ – رأت اللجنة ألا تعقد فى العام الجديد ١٩٤٩ – ١٩٥٠ مسابقات فى الشعر حتى تظهر فى آفاقه ألوان جديدة تستحق أن يجيزها المجمع .

ومن أجل ذلك قصرت جوائزها على البحوث الأدبية والقصة فقررت أن تقسم مبلغ الـ ٨٠٠ جنيه المرصدة لتشجيع الإنتاج الأدبى فى سنة ١٩٤٩ – ١٩٥٠ على النحو الآتى :

أ – ٦٠٠ جنيه توزع بالتساوى بين ثلاث جوائز لبحوث أدبية عينت اللجنة موضوعاتها فى إعلانها المعروض على المجمع مع هذه القرارات .

ب – ٢٠٠ جنيه تمنح أحسن قصة تدور حول موضوعات حددتها اللجنة فى إعلانها المذكور .

٢ – وقد رأت اللجنة وفقاً للائحتها الداخلية أن تجعل مباراة البحوث الأدبية فى موضوعاتها الثلاثة خاصة بأدباء وادى النيل وحدهم .

وأن تجعل مباراة القصة عامة بين أدباء العرب فى وادى النيل وغيره من الأقطار .

٣ – قررت اللجنة أن يكون نص الإعلان عن مسابقات البحوث الأدبية للمصريين فى سنة ١٩٤٩ – ١٩٥٠ مايلى :

---

(١) الجلسة الثانية عشرة للمجلس (٢١ من فبراير سنة ١٩٤٩) .

(٢) الجلسة الثالثة للمجلس (٢٥ من اكتوبر سنة ١٩٤٨) .

إعلان عن مسابقات مجمع فؤاد للغة العربية
لتشجيع الإنتاج الأدبى لأدباء وادى النيل
سنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع جوائزه لتشجيع الإنتاج الأدبى لأدباء وادى النيل على النحو الآتى :

تخصص مائتا جنيه لكل بحث من البحوث الآتية بشرط ألا يقل البحث عن مائتى صفحة من القطع المتوسط (الذى لاتنقص كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة) :

(١) أحسن تحقيق لكتاب عربى أدبى قديم وضع على أساليب النشر الحديثة سواء أطبع أم لم يطبع ، على ألا يكون تاريخ المطبوع منه سابقاً لينايرسنة ١٩٤٥

(٢) أحسن دراسة لرفاعة بك الطهطاوى أو أحمد فارس الشدياق أو محمد قدرى باشا وأثر كل منهم فى وضع المصطلحات الأدبية أو القانونية .

(٣) أحسن بحث فى نقد الشعر العربى فى الفترة التى تبدأ من النصف الثانى للقرن التاسع عشر إلى اليوم (ولاينقد شعر الأحياء) .

وعلى الراغبين فى الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع نسختين مطبوعتين أو مكتوبتين على الآلة الكاتبة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة فى موعد لايتجاوز أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ وسيحتفظ المجمع بنسختى الإنتاج الفائز .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة وعليهم أن يكتبوا عنوانهم واضحاً ويوقعوا على كل نسخة يقدمونها

ولايجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على إنتاج له فى فرع المسابقة المتقدم إليها ، ولا أن يعاد تقديم أى إنتاج أدبى سبق أن قدم للمجمع .

وترسل المطبوعات بعنوان « لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية شارع قصر العينى ١١١٠ — القاهرة .

(٤) كما قررت اللجنة أن يكون نص الإعلان عن مسابقة القصة لأدباء العرب فى مصر وغيرها من الأقطار سنة ١٩٤٩—١٩٥٠ مايلى .

إعلان عن مباراة مجمع فؤاد الأول للغة العربية
لأدباء العرب فى وادى النيل وغيره
سنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية منح مائتى جنيه أحسن قصة بالعربية الفصحى مخطوطة أو مطبوعة ، بشرط ألا يكون تاريخ المطبوع منها قبل ينايرسنة ١٩٤٧ . وعلى ألا تقل القصة المقدمة عن مائتى صفحة من القطع المتوسط (الذى لاتقل كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة) ويشترط أن يكون مدار القصة حول أحد الموضوعات الآتية .

١ – بحث مشكلة اجتماعية عربية من مشاكل العصر الحاضر .

٢ – حياة بطل من أبطال العرب .

٣ – موقف من مواقف العرب الحاسمة فى التاريخ .

وعلى الراغبين فى الحصول على هذه الجائزة أن يرسلوا إلى المجمع نسختين مطبوعتين أومكتوبتين على الآلة الكاتبة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة فى موعد لايتجاوز أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ وسيحتفظ المجمع بنسختى الإنتاج الفائز .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة ، وعليهم أن يكتبوا عنوانهم واضحاً ويوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولايجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على إنتاج له فى فرع المسابقة المتقدم إليها ، ولا أن يعاد تقديم أى إنتاج أدبى سبق أن قدم للمجمع .

وترسل الموضوعات بعنوان : «لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية شارع قصر العينى ١١٠ – القـاهرة .»

(٩) مسابقات تشجيع الإنتاج الأدبى لسنة ١٩٥٠ – ١٩٥١ :

وافق المجلس – فى الجلسة الختامية لهذه الدورة(١) – على مقترحات لجنة الأدب فى شأن المسابقات الأدبية لسنة ١٩٥٠ – ١٩٥١. وهذا نص الإعلان عنها كما أقره المجلس :

إعــــلان
عن مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية لتشجيع الإنتاج الأدبى سنة ١٩٥٠–١٩٥١

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع جوائزه لتشجيع الإنتاج الأدبى على النحو الآتى :

أولا : تخصص مائتا جنيه لكل فرع من الفروع الآتية على أن يكون المتسابق من أدباء وادى النيل وحدهم :

ا – قصة اجتماعية أو تاريخية ، جيدة الموضوع والأسلوب باللغة العربية الفصحى ، بحيث لايقل عدد صفحاتها عن مائتى صفحة من القطع المتوسط الذى لاتنقص كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

ب – إنتاج شعرى باللغة العربية الفصحى لايقل عن ١٠٠٠ بيت من الشعر فى موضوعات متنوعة فى الاجتماع أو وصف الطبيعة أوتحليل العواطف أو نحو ذلك .

جـ – بحث مستوفى مبتكر فى موضوع لغوى أو أدبى يسير على المنهج العلمى الحديث. وتظهر فيه شخصية الباحث ، ولايقل عدد صفحاته عن مائتى صفحة من القطع المتوسط الذى لاتنقص كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة .

ثانياً : تخصص لأدباء وادى النيل وغيره جائزة قدرها مائتا جنيه لمن يترجم لابن سينا ترجمة دقيقة تصور حياته ونواحيه الفلسفية

---

(١) الجلسة الخامسة والعشرون للمجلس (٣٠ من مايو سنة ١٩٤٩) .

والعلمية والأدبية فى أسلوب رائق ، بحيث لاينقص عدد الصفحات عن مائتى صفحةمن القطع المتوسط الذى لاتقل كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

وعلى الراغبين فى الحصول على هذهالجوائز أن يرسلوا إلى المجمع أربع نسخ مطبوعة أو مكتوبة على الآلة الكاتبة كتابة واضحة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة قبل أول أكتوبر سنة ١٩٥٠ .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة ، وعليهم أن يكتبوا عنواناتهم واضحة وأن يوقعوا على كل نسخة يقدمونها.

ولايجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على إنتاج له فى فرع المسابقة المتقدم إليه ، ولا أن يعاد تقديم أى إنتاج أدبى سبق أن قدم للمجمع أو لأية مباراة عامة فى غير المجمع ، أو لمناقشة عامة للحصول على لقب أو درجة علمية .

ويشترط فى الموضوع المقدم لكل هذه المسابقات ألا يكون قد طبع قبل سنة ١٩٤٥ . وسيحتفظ المجمع بنسخة من كل مايقدم إليه من الإنتاج الفائز وغيره . وترسل الموضوعات بعنوان لجنة الأدب . بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ؛ شارع قصر العينى ١١٠ القاهرة

(١٠) التنويه بمجموعة شعر الأستاذ عبدالمحسن الكاظمى :

كان مجلس المجمع قد وافق فى دورته الماضية (١) على تأليف لجنة فرعية من بين حضرات أعضاء لجنة الأدب لدراسة الكتب القيمة فى الثقافة الأدبية العليا والتنويه بما يراه المجمع نافعاً فى بابه من هذه الكتب، دالا على جهد وابتكار ، على أن تكون هذه الكتب مما ظهر منذ سنة ١٩٤٤ ، وأن يعلن عن ذلك فى الصحف .

وقد قدم إلى اللجنة واحد وخمسون كتاباً رغب مقدموها فى أن ينوه بها المجمع ،ووافق المجلس على القرار الآتى بناء على اقتراح مقدم من لجنة الأدب :

« قرر المجمع التنويه بمجموعة شعر المرحوم الأستاذ عبد المحسن الكاظمى تقديراً لمنزلته الشعرية الرفيعة (٢) » .

وعرض اقتراح بتأليف لجان دائمة من بين أعضاء المجمع لتقصى الحركة الأدبية وإرشاد المجمع إلى مايستحق التنويه من الآثار الأدبية التى تظهر فى عالم الأدب ، فوافق المجلس على أن يكون تتبع الحركة الأدبية فى العالم العربى والتنويه بأحسن الآثار الأدبية من عمل لجنة الأدب وحدها واختصاصها .

---

(١) الدورة الرابعة عشرة للمجلس . الجلسة السابعة عشرة (٨ من مارس ١٩٤٨) .

(٢) الجلسة الثانية عشرة للمجلس (٢١ من فبراير ١٩٤٩) .

(١١) تمثيل المجمع فى المؤتمر الطبى العربى التاسع عشر :

عرضت على مجلس المجمع المذكرة الآتية :

«١ — سبق أن وافق المجمع على ندب المرحوم الدكتور محمد شرف لتمثيل المجمع فى المؤتمر الطبى العربى التاسع عشر الذى كان محدداً له المدة من ٢٣ — ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٧ ، ثم تأجل موعد انعقاده إلى المدة من ١٦ — ١٨ فبراير سنة ١٩٤٩ ، وقد أخطرت الجمعية الملكية الطبية بذلك فى ١٧/١٠/١٩٤٨

«٢ — وبتاريخ ٢٣ يناير سنة ١٩٤٩ ورد من الجمعية الملكية الطبية المصرية مايفيد أن هذا المؤتمر قد تأجل انعقاده إلى أكتوبر سنة ١٩٤٩ (فى عيد الأضحى) .

«٣ — ونظراً لوفاة العضو المنتدب لتمثيل المجمع فى هذا المؤتمر ؛

«فالرجا التفضل باتخاذ مايلزم لندب أحد حضرات أعضاء المجمع لهذا الغرض .»

وقد ووفق على أن يمثل المجمع فى هذا المؤتمر حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد العوامرى عضو بلجنة المصطلحات الطبية (١) .

(١٢) فى لجنة الاقتصاد والقانون :

فى جلسة لم يشهدها حضرة الرئيس عرض على المجلس اقتراح من حضرة الدكتور عبد الحميد بدوى هذا نصه :

(١) الجلسة الثانية والعشرون للمجلس (٩ من مايو سنة ١٩٤٩)

«لاتجتمع لجنة الاقتصاد والقانون بانتظام نظراً للظروف الخاصة لأغلبية حضرات أعضائها ذوى الثقافة القانونية .

«لذلك ترجو اللجنة ضم حضرة صاحب المعالى أحمد لطفى السيد (باشا) رئيس المجمع إليها .

إمضاء : عبد الحميد بدوى»

وقد وافق المجلس بعد نقاش على ضم حضرة الأستاذ أحمد لطفى السيد رئيس المجمع إلى لجنة الاقتصاد والقانون على أن تنظر اللجنة فى زيادة عدد خبرائها (١) .

ثم طلب حضرة الرئيس إعفاءه من عضوية اللجنة معتذراً بأن حالته الصحية تمنعه من حضور جلساتها التى تعقد فى المساء . فوافق المجلس على إعفاء حضرته من هذه العضوية (٢) .

ثم اقترحت اللجنة أن يضم إليها حضرة الشيخ إبراهيم حمروش ، فوافق المجلس على ذلك (٣).

(١٣) ضم عضو إلى لجنة رسم الحروف العربية وآخر إلى معجم ألفاظ القرآن :

وافق المجلس على ضم حضرة الشيخ إبراهيم حمروش إلى لجنة رسم الحروف العربية ،

(١) الجلسة الأولى للمجلس (٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٨) .

(٢) الجلسة الثامنة للمجلس (٢٩ من نوفبر سنة ١٩٤٨)

(٣) الجلسة التاسعة للمجلس (٣١ من يناير سنة ١٩٤٨) .

وحضرة الشيخ عبد الوهاب خلاف إلى لجنة معجم ألفاظ القرآن ، خلفاً للمرحوم الأستاذ على الجارم فى عضوية اللجنتين [١] .

(١٤) ضم عضو إلى لجنة الألفاظ والأساليب :

وافق المجلس على ضم حضرة العضو المحترم الأستاذ عبد الوهاب خلاف إلى لجنة الألفاظ والأساليب فى المحل الذى خلا بوفاة المرحوم الأستاذ على الجارم[٢] .

(١٥) دعوة أحد حضرات أعضاء المؤتمر لشهود اجتماعات بعض اللجان :

وافق مجلس المجمع على مذكرة بدعوة حضرة العضو المحترم الأستاذ خليل السكاكينى عضو المؤتمر المقيم فى القاهرة ، إلى شهود جلسات لجنتى اللهجات ورسم الحروف العربية فى فترة انعقاد المجلس ، للإفادة من خبرته فى اللهجات العربية ورسم الحروف العربية فى فلسطين وسوريا ولبنان [٢].

١٦) جزازات معجم الدكتور فيشر :

عندما ورد للمجمع نعى المرحوم الدكتور أ. فيشر عضو المجمع السابق، من زميله وصديقه الدكتور أ. شاده ، وافق المجلس على القرارات الآتية :

أولا ــ أن يكتب إلى السيدة قرينة الدكتور أ. فيشر بوصول هذا النبأ إلى المجمع ومشاطرتها الأسف لوفاة الفقيد .

ثانياً ــ أن يكتب إلى السيدة قرينة الدكتور أ. فيشر كتاب آخر فى السؤال عن بقية مواد المعجم التى استصحبها الدكتور أ. فيشر فى آخر سفرة له من مصر ورغبة المجمع فى الحصول عليها .

ثالثاً ــ أن يكتب إلى الأستاذ أ. شاده جواب كتابه ومشاطرته الأسف لوفاة الفقيد ورغبة المجمع فى الاستعانة به للحصول على بقية مواد المعجم التى تركها الفقيد .

رابعاً ــ أن يطلب إلى المراقب الإدارى للمجمع والأستاذ إسماعيل مظهر بحث كل مايتعلق بمعجم الدكتور أ. فيشر وبيان مايلزم عمله ، وعرض ذلك على المجمع [١].

(١٧) طلب إنشاء مطبعة خاصة بالمجمع :

وافق المجلس على أن يطلب إلى وزارة المعارف إنشاء مطبعة خاصة بالمجمع ، وأن يكلف حضرة العضو المحترم الدكتور أحمد أمين السعى فى الوزارة لتنفيذ هذه الرغبة ، على أن يعد حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين مذكرة فى هذا الموضوع ترفع إلى الوزارة[٢].

---

١ الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٢٨ من مارس سنة ١٩٤٩) .

(٢) الجلسة التاسعة عشرة للمجلس (١١ من بريل سنة ١٩٤٩) .

(١) الجلسة السادسة عشرة للمجلس ــ لجنة عامة (٢١ من مارس سنة ١٩٤٩) ، والجلسة السابعة عشرة (٢٨ من مارس سنة ١٩٤٩) .

(٢) الجلسة الثامنة عشرة للمجلس (٤ من أبريل سنة ١٩٤٩) .

(١٨) انتخاب عضوين عاملين :

أجرى الانتخاب للكرسيين اللذين خلوا فى المجمع بوفاة المرحومين : الأستاذ أنطون الجميل والأستاذ على الجارم . وقد حصل على النصاب القانونى للأصوات حضرتا الأستاذين إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات ، وتقرر إبلاغ اسميهما إلى وزير المعـــارف لاستصدار المرسوم الملكى بتعيينهما عضوين فى المجمع (١) .

وقرر المجلس أن يكون الأستاذ أحمد حسن الزيات خلفاً للمرحوم الأستاذ أنطون الجميل والأستاذ إبراهيم مصطفى خلفاً للمرحوم الأستاذ على الجارم (٢) .

(١٩) طريقة الترشيح للكراسى التى تخلو بالمجمع :

لمناسبة خلو مكانى المرحومين الدكتور أ. فيشر والدكتور محمد شرف ، عرض المجلس لبحث نظام الترشيح للكراسى التى تخلو بالمجمع ، ووافق على أن يتباحث حضرة رئيس المجمع مع حضرة الدكتور عبد الحميد بدوى فى هذا الموضوع ويعرضا قرارهما على مجلس المجمع (٣) . وقد عرض هذا القرار على المجلس ، فوافق عليه ، ونصه :

« يعتبر باب الترشيح مفتوحاً عند إعلان خلو المحل وتقدم الترشيحات فى خلال الثلاثة الأشهر التالية ، فإذا انقضى الميعاد المذكور عرض الأمر على المجلس وللمجلس أن يقرر مباشرة الانتخاب فى جلسة تالية أو إطالة أجل الترشيح فترة أخرى يحددها (١) » .

(٢٠) اختيار أعضاء مراسلين :

وافق مجلس المجمع على اختيار حضرة الأستاذ على أصغر حكمت وزير الخارجية الإيرانية ، وحضرات الأساتذة : إيليا أبو ماضى ، وميخائيل نعيمة (من لبنان) وعادل جبرة (من فلسطين) أعضاء مراسلين للمجمع (٢).

(٢١) انتخاب عضو لمكتب المجمع :

أجرى الانتخاب لملء الكرسى الذى خلا فى مكتب المجمع بوفاة المرحوم الأستاذ على الجارم ، فنال حضرة الأستاذ زكى المهندس سبعة أصوات، وحضرة الأستاذ أحمد العوامرى ستة أصوات ، وأعلن حضرة الرئيس أنه سيرسل هذه النتيجة إلى حضرة وزير المعارف لاختيار أحد حضرتيهما وفقاً للمرسوم (٣).

---

(١) الجلسة الحادية والعشرون للمجلس (٢ من مايو سنة ١٩٤٩) .

(٢) الجلسة الخامسة والعشرون للمجلس (٣٠ من مايو سنة ١٩٤٩) .

(٣) الجلسة الرابعة والعشرون للمجلس (٢٣ من مايو سنة ١٩٤٩) .

(١) الجلسة الخامسة والعشرون للمجلس (٣٠ من مايو سنة ١٩٤٩) .

(٢) الجلسة المتممة العشرين للمجلس — لجنة عامة (٢٨ من ابريل سنة ١٩٤٩) والجلسة الحادية والعشرون (٢ من مايو سنة ١٩٤٩) .

(٣) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٨ من مارس سنة ١٩٤٩) .

دراسة اللهجات فى المجمع

تقرير لجنة اللهجات، وقرار لمؤتمر المجمع

قدمت لجنة اللهجات تقريراً عن أعمالها عرض على مؤتمر المجمع ، ونوقش مناقشة مستفيضة ، انتهى المؤتمر منها إلى الموافقة على القرار الآتى بأغلبية الآراء .

« قرر المؤتمر الموافقة على الخطة التى تقدمت بها لجنة اللهجات وتيسير الوسائل التى تؤدى إلى تحقيق الأغراض التى تقدمت ببيانها فى تقريرها الذى عرض على المؤتمر (*) ».

وفيما يلى نص تقرير اللجنة :

تقرير لجنة اللهجات

بدأت اللجنة فى عهدها الأخير عملها على ضوء ماقرره المؤتمر فى دورة انعقاده الماضية فاتجهت إلى رسم منهج تسير عليه فى دراستها وانتهت إلى تحديد أغراضها وهى تعرضها على حضراتكم لتروا فيها رأيا ، كما أنها بينت أمثلة من وسائل تحقيق هذه الأغراض وإن كانت الوسائل لايمكن تحديدها ابتداء .

والأغراض التى حددتها خمس :

أولا — استقراء الألفاظ والتراكيب الجارية على ألسنة أهل الأقطار العربية من الناحية الصوتية ومن ناحية المعنى وتدوين هذا فى معاجم وأطالس لغوية .

وستتوسل اللجنة إلى غايتها بما استطاعت من وسائل فمنها :

(١) مراجعة مانشر من بحوث فى اللهجات العربية المختلفة باللغة العربية واللغات الأجنبية واستخراج مايفيدها من ذلك وتصنيفه .

(٢) إعداد نشرات استفتائية لجمع كل مايمكن جمعه من بيانات عن اللهجات العربية فى البلاد المختلفة .

وقد أعدت نشرة من هذه النشرات للاستفتاء فى بعض الأفعال الثلاثية فأثبتت ما هو مستعمل منها مبدوءاً بحرف الباء مضبوطاً على لهجة القاهرة ليجيب أهل كل أقليم عن أسئلة معينة تبين وجوه الاتفاق والاختلاف فى استعمال هذه الأفعال عندها ، وليبين أهل كل أقليم ما هو مستعمل منها وما هو غير مستعمل منها عنده ويضيف إليها من الأفعال الثلاثية المبدوءة بحرف الباء ماهو مستعمل عندهم إذا كانت لاتوجد فى لهجة القاهرة .

فإذا اجتمعت هذه الأجوبة مضبوطة مفسرة المعنى مضت اللجنة فى إعداد طائفة أخرى من الأفعال وهكذا ، ثم تمضى فى المشتقات

(*) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (٨ من يناير سنة ١٩٤٩) .

والأسماء الجامدة على هذا النحو وتقرن ذلك بنشرات أخرى عن العبارات المستعملة لتستقرئ الفروق فى الأساليب .

وقد رأت اللجنة أن تتخذ لهجة القاهرة مقياساً لأن أكثر أعضائها الدائمين من أهل القاهرة .

(٣) والوسيلة الثالثة تكوين جمعيات صغيرة من الجاليات العربية ممن وصلوا إلى القطر المصرى ، فتنقل اللجنة عن هؤلاء وتستقرئ منهم ما يمكن نقله واستقراؤه مما يحقق أغراضها فتعرض عليهم مثلا نصاً من اللغة الفصحى يقرؤه كل منهم بصوت مسموع فتدون ملاحظاتها على الاختلافات الصوتية بما فى ذلك النبر ، ثم يختار نص آخر من اللغة العامية القاهرية ويطالب إلى كل جالية ترجمة ذلك النص بلهجتها العامية .

وهذا يبين للجنة مدى الاختلاف فى المفردات من ناحية اللفظ والدلالة ومن ناحية التركيب والأسلوب . وقد تطلب من الفرد أن يحدثها بلهجته العامية حديثاً مألوفاً فى بيئته لتتضح لها الفروق السابقة والخصائص اللغوية لهذه اللهجة .

واللجنة مع علمها بقصور هذا الاستقراء ترى البدء به ليستأنس به فى الاستقراء العلمى الصحيح الذى لا يكمل إلا بانتقال بعض الباحثين المتخصصين إلى البلاد العربية المختلفة والاختلاط بعوام شعوبها . ولا يستغنى فى هذا الاستقراء عن تسجيل نماذج من عملها على اسطوانات أو أشرطة، وقد اتخذ المؤتمر فى هذا قرارات سابقة .

على أن اللجنة تلاحظ أن الوصول إلى هذه الغاية يتطلب منها الاهتداء إلى رموز صوتية كفيلة بضبط النطق بالكلمات ليكون تدوينها للهجات العربية صحيحاً وافياً . والحروف العربية فى صورتها الحاضرة لا تتسع لذلك حتى أن العلماء المستشرقين الذين بدأوا بحوثهم فى اللهجات العربية لم يجدوا بداً من وضع رموز صوتية مستمدة من الحروف اللاتينية يعبرون بها عن الأصوات المختلفة فى اللهجات العربية. وهذه المحاولات وإن كانت مشكورة لا تكفل بلوغ الغاية المطلوبة من الدقة . ولذلك فإن اللجنة تود لو أتيح لها أن تستقر على رموز صوتية مشتقة من الحروف العربية . فإذا لم تستطع ذلك كان لا مفر لها من الأخذ بما يتهيأ لها من وسائل الضبط ولو كان ذلك بتأليف طريقة من طرق شتى .

ثانيا ــ والغرض الثانى الذى وضعته اللجنة هو خطوة تالية إذا ما أتمت خطوتها الأولى ، فهى ترجو أن تتاح لبعض المتخصصين فى الدراسات اللغوية والصوتية فرص القيام برحلات إلى البلاد العربية وتسجيل نماذج متعددة من اللهجات الحديثة سواء أكانت لهجات محلية لإقليم من الأقاليم أو لهجات اجتماعية لطبقة من الطبقات .

وترى اللجنة أن هذا يفتح لها ميداناً فسيحاً للبحث فى طرق تطور اللغة وتأثرها بالبيئة الجغرافية والمظاهر الاجتماعية .

ثالثاً — فإذا فرغت اللجنة من تحصيل قدر صالح من المفردات المستعملة فى الأقاليم والطبقات المختلفة وحصلت على النماذج الصوتية الكافية عمدت إلى دراسة مقارنة لتبين المظاهر الصوتية لكل قطر من الأقطار العربية، وهذه الدراسة تساعد على استجلاء العلاقة بين اللهجات العربية الحديثة واللهجات العربية القديمة وطريقة انتقال الأصوات من مجهورة إلى مهموسة أو العكس وطريقة انتقال الأصوات من شديدة إلى رخوة وغير ذلك مما تتناوله القوانين الصوتية .

وقد يكون فى استطاعتها عند ذلك أن تجمع مايصلح للبدء فى أطالس لغوية تبين فى وضوح تطور الأصوات واختلاف الألفاظ والمعانى فى مختلف الأقاليم وتحدد مواضع اللهجات المختلفة ، فتلقى ضوءاً جديداً على تاريخ المفردات وترشدنا إلى بحوث أخرى فى اللغة ولهجاتها على السواء وترسم لنا حدود كل لهجة من اللهجات ومناطق نفوذها، وقد تهدينا تلك الأطالس إلى حقائق تاريخية واجتماعية شتى ذات أثر عظيم فى كشف الحقائق اللغوية .

رابعاً — والغرض الرابع الذى وضعته اللجنة يقصد به المساعدة على بلوغ الغرض الثالث الذى سبق ذكره . وذلك هو استقراء الروايات التى وردت عن اللهجات العربية القديمة فى كتب اللغة والأدب والنحو والتاريخ.

وقد بدأت اللجنة هذا الاستقراء فوجهت عنايتها إلى مصدر من أكبر مصادر اللغة العربية وهو لسان العرب لتستخرج منه الروايات المنسوبة إلى القبائل المختلفة أو الألفاظ التى استعملت فى المناطق المتباينة فى شعر الشعراء أو الأمثال أو النصوص التى أوردها الرواة وهى حين تفرغ من هذا البحث وتبويبه تتقدم به إلى المجمع ليرى رأيه فيه . وستتبع مثل هذا فى أمهات الكتب العربية . وهذه الدراسة تفيد دراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها فائدة كبرى .

خامساً — وإلى جانب مثل هذا البحث ترى اللجنة أن تستعين فى دراستها بالأساتذة المتخصصين فى التاريخ الإسلامى لبحث تنقل القبائل وجلاء مايحيط به من الغموض . فإن دراسة تنقل القبائل العربية فى العصور المختلفة ذات أثر كبير فى لهجات الأقاليم وتطورها واختلافها لما ينشأ من مثل هذه التنقلات من صراع لغوى بين عناصر شتى تتجه باللهجات فى مسايل شتى .

هذا هو المنهج المبدئى الذى وضعته اللجنة نعرضه على حضراتكم لتروا فيه رأياً ، وهو بغير شك عرضة للكثير من التحوير والتغيير كلما أوغلت اللجنة فى بحوثها .

على أنه يتطلب توفير مساعدات شتى بعضها يحتاج إلى تدبير المال . فقد يحتاج البحث إلى شراء الكتب أو الاسطوانات ، بل لقد يحتاج إلى تدبير بعض الآلات الحديثة فى تسجيل الأصوات ودراستها . وقد ينتهى الأمر إلى الحاجة إلى إيفاد البعوث إلى الأقطار الأخرى كما سبقت الإشارة فيما قدمناه .

استفتاء فى بعض الأفعال الثلاثية فى العامية القاهرية

(باب البـاء)

تراجع الأفعال الثلاثية العامية فى لهجة القاهرة المرسلة إليكم ويجاب عن الأسئلة الآتية وترسل الإجابة باسم سكرتارية لجنة اللهجات :

١) هل هى مستعملة فى لغتكم العامية للدلالة على المعانى التى تدل عليها فى اللهجة القاهرية ؟ وإلا فما هو المعنى الآخر الذى تدل عليه فى لغتكم العامية ؟

٢) هل يتفق ضبطها فى لغتكم العامية مع ضبطها فى العامية القاهرية أو يختلف عنه ؟ وماهو الاختلاف إن وجد ؟

٣) هل فى لغتكم العامية أفعال ثلاثية غير هذه أولها حرف الباء ؟ وما ضبطها وما معناها إن وجدت ؟

٤) أى هذه الأفعال غير معروف فى لغتكم العامية ؟

• • •

باب البـاء

فى اللغة العـامية القـاهرية .

× (١) بَاتْ ــ يِبَاتْ (قضى الليلة)

× (٢) بَاحْ ــ يِبُوحْ (يقال باح بالسر إذا أفشاه) .

× (٣) بَاخْ ــ يِبُوخْ (يقال مثلا للقول إذا تكرر وأمل إنه باخ ، وكذلك لما لاطعم له من الطعام ويستعمل أحياناً للدلالة على السماجة أو الابتذال) .

× (٤) بَارْ ــ يِبُورْ (يستعمل للتجارة إذا كسدت أو الأرض إذا لم تفلح وتزرع ويستعمل أحياناً للفتاة التى لم تتزوج وفات أوان زواجها) .

× (٥) بَاسْ – يِبُوسْ (قبّـــل)

× (٦) بَاشْ – يِبُوشْ (يستعمل مثلا للسكر إذا ذاب فى الماء أو الطين إذا أصابه الماء) .

× (٧) بَاضْ – يِبِيضْ (باضت الدجاجة)

+ (٨) بَاظْ – يِبُوظْ (باظ الشيء إذا فسد وكذلك النظام إذا اضطرب) .

× (٩) بَاعْ – يِبِيعْ (باع الرجل قطنه فى السوق)

= (١٠) بَانْ – يِبَانْ (ظهـــــر) .

× (١١) بَتّ – يِبِتّ (بث فى الأمر)

= (١٢) بُجُحْ – يِبْجَحْ (بَجّح) (يقال لمن ساء أدبه ولم يخجل) .

× (١٣) بَحَتْ – يِبْحَتْ (بحث عن الشيء فوجده) .

= (١٤) بَحّ – يِبِحّ (بحيت صوتى من الصياح إذا عجزت عن النطق من أثر الصياح) .

= (١٥) بَخَسْ – يِبْخِسْ (بخست قيمة الشيء إذا قللتها) .

× (١٦) بِخِلْ – يِبْخَلْ (شح) .

+ (١٧) بَدَا – يِبْدِى (بدأ) .

= (١٨) بَدَرْ – يِبْدُرْ (بذر القمح فى الحقل مثلا) .

= (١٩) بَدَلْ – يِبْدِلْ (بدلت الشيء إذا غيرته فصار غير ماكان أو أحللت غيره محله) .

× (٢٠) بَرَى – يِبْرِى (برى القلم) .

× (٢١) بِرِدْ – يِبْرَدْ (أحس البرد) .

× (٢٢) بَرَدْ – يِبْرُدْ (حكه بالمبرد) .

× (٢٣) بَرّ – يِبِرّ (يستعمل فى بر الناس وأحياناً فى مثل قولنا على سبيل السخرية هو يبر نفسه بهذا الطعام ويقصد بذلك أنه معتاد التقتير على نفسه فى الطعام وأنه ينتهز فرصة هذا الطعام ليعوض ماضاع منه من قبل) .

+ (٢٤) بَرَشْ – يِبْرُشْ (جلس جلسة مبتذلة على الأرض)

× (٢٥) بَرَعْ – يِبْرَعْ (برع فى شيء أى نبغ)

× (٢٦) بَرَقْ – يِبْرُقْ (وينطق « برأ » لمع يقال للقرش الحديد إنه يبرق) .

= (٢٧) بَرَكْ – يِبْرُكْ (برك على الأرض للحمل مثلا) .

× (٢٨) بَرَمْ – يِبْرُمْ (فتل) .

= (٢٩) بَزَأ – يِبزَؤْ (بصق) .

= (٣٠) بَزْ – يبِزْ (تقول هو لايبز بالقرش لبخله أى لايصرفه) .

= (٣١) بَسَطْ – يِبْسُطْ (بسطه أى متعه وسره) .

× (٣٢) بَسَمْ – يِبْسِمْ (ضحك ضحكاً خفيفاً لإظهار الرضى مثلا) .

= (٣٣) بَسْ – يِبِسْ (بس الرقاق فى اللبن مثلا) .

× (٣٤) بَشَرْ – يِبْشُرْ (بشر النارنج مثلا إذا حكه لإزالة الزيت من قشره وبشر جوز الهند إذا حته دقيقاً) .

= (٣٥) بَشَمْ – يِبْشِمْ (بشم الحيوان إذا أطعمه كثيراً بطعام غليظ أفسد بطنه)

(٣٦) بصر – بصَر (إذا أراد إنسان أن يجمل قول آخر للدلالة على أنه كان يتكلم هراء كنى عن ذلك بقوله «إنه استمر يقول أبصر وما ادرك») .

= (٣٧) بَصْ – يِبُصْ (نظر أو التفت يقال «بص له»)

(٣٨) بَصَمْ – يِبْصِمْ (بصم بإصبعه على الخطاب إذا طبع علامة بطرف إصبعه بدل التوقيع باسمه) .

= (٣٩) بَطَا – يِبْطِى (أبطأ) .

= (٤٠) بَطَحْ – يِبْطَح (شج رأس شخص وفى الجبين خاصة) .

× (٤١) بِطِرْ – يِبْطَرْ (بطر إذا اصابته نعمة فلم يشكرها) .

+ (٤٢) بَطْ – يِبُطْ (إذا خذل إنسان آخر فى عمل كان مقبلا عليه فى حماسة قيل إنه «بطه» ويقال للتخذيل والتحقير «انبط ياشيخ»)

+ (٤٣) بَطَّطْ (يقال إن المرأة «تبطط» الرغيف إذا سطحته بعد العجن وفى المثل «اللى يحرته يبططه» ويقصد بذلك من يفعل الشىء ثم يأتى عليه فيفسده) .

× (٤٤) بِطِلْ – يِبْطَلْ (إذا أغفلت عادة كانت متبعة قيل إنها «بطلت» وكذلك يستعمل للشخص إذا تعب فيقال إنه بطل) .

= (٤٥) بَطَنْ – يِبْطِنْ (يقال هو يبطن الشر لفلان) .

= (٤٦) بَعَتْ – يِبْعَتْ («بعت برسالة إلى صاحبه» ويستعمل متعديا فيقال «بعت جواب لصاحبه») .

× (٤٧) بِعِدْ – يِبْعَدْ («بعد الشئ» ويقال «بعدت» الشىء إذا أبعدته .

× (٤٨) بَغَضْ – يِبْغُضْ (كره) .

× (٤٩) بَقَا يِبْقَى (وتنطق بآ يبأى) (أى بَقِىَ) .

× (٥٠) بَكَى – يِبْكِى (بكى الطفل ويستعمل المضارع متعدياً فيقال مثلا يبكينى منظره» .

+ (٥١) بَلَصْ – يِبْلِصْ (بلص فلاناً أعطاه رشوة) .

× (٥٢) بَلَعْ – يِبْلَعْ (بلع الشيء فى جوفه ويستعمل مجازاً فى مثل قولنا بلعت له كثيراً إذا تحملت منه الأذى صابراً) .

× (٥٣) بِلِغْ – يِبْلُغْ (بلغنى كذا ويستعمل المكسور العين فى قولنا بلغ الصبى إذا صار فتى) .

+ (٥٤) بَلَفْ – يِبْلِفْ (خــدع) .

= (٥٥) بَلّ – يِبِلّ (بل الشيء بالماء ويقال أيضاً « بل سكر » إذا أذاب السكر فصنع منه شراباً)

= (٥٦) بَلاَ – يِبْلِى (أى يصيب فيقال فى الدعاء مثلا « الله لايبليك بكيت »

× (٥٧) بَنَا – يِبْنِى (بنى البيت) .

= (٥٨) بَهَتْ – يِبْهَتْ (بهت لون الثوب إذا حال من أثر الشمس أو من الغسل)

= (٥٩) بَهَرْ – يِبْهِرْ (بهره المنظر أى خلب لبه) .

ملاحظات

١) من هذه الأفعال الثلاثية (٢٩) فعلا صحيحة الضبط فيما عدا كسر حرف المضارعة ومعانيها مطابقة للمعانى العربية القاموسية وقد علم أمامها بعلامة (×) .

٢) من هذه الأفعال (٢٤) فعلا محرفة فى حركة مضارعها أو بتغيير حرف من حروفها ومنها ماهو مستعمل فى معنى مخالف للمعنى الأصلى القاموسى وقد أشير إليها بعلامة (=) .

٣) من هذه الأفعال (٧) أفعال ليس لها أصل فى العربية القاموسية وقد أشير إليها بعلامة (+) .

مصطلحات طبية معرفة أقرها مؤتمر المجمع (١)

قناة — مجرى Aqueductus

اللانقطية (اللا استجمية) Astigmatism

« هى حالة البصر حين لاتكون سطوح طبقات العين سطوحاً كرية » .

أُذيْنَة — أُذُنَا القلب Auricula, Auricle

أذنا القلب : Cardiac Auricles

« تجويفان علويان يتلقيان الدم من الأوردة الرئيسية فيصبانه فى البطينين » .

الإبط Axilla

« باطن المنكب فى الإنسان والدواب وباطن الجناح فى الطير » .

ابيضاض — تبييض — قَصْر Blanching

« زوال اللون من الشىء أو إزالته حتى يبيض » .

صدمة — ارتجاج Commotion

ارتجاج مخى Concussion

« اختلال فى وظائف المخ من ضربة على الرأس أو هزة عنيفة، يتميز بغثيان ودوار يعقبهما سُبَات مع بطء فى التنفس وضعف فى النبض، ولايستلزم وجود تغيرات عضوية فى المخ وهو قابل للشفاء » .

الابتلاع Deglutition

« دخول شىء كالطعام أو الشراب من الفم إلى البلعوم فالمرىء فالمعدة » .

(١) تمدد — تمديد . (٢) اتساع — توسيع Dilatation

« هو اتساع تجويف أو قناة أو فتحة اتساعاً مرضياً أو عملياً » .

استرخاء القدم Drop foot

« شلل فى عضلات الساق الأمامية ينشأ عنه استرخاء » .

---

(١) عرضت هذه المصطلحات على مؤتمر المجمع فى الدورة الخامسة عشرة (١٩٤٨ — ١٩٤٩) .

استرخاء اليد — Drop wrist

« شلل فى عضلات اليد ينشأ عنه استرخاء » .

بؤرة العدسة — Focus of a lens

« ملتقى الأشعة المتوازية أو امتداداتها بعد نفوذها من العدسة » .

تحتانى — Inferior

« ما كان تحت غيره » .

ويقابله :

فوقانى — Superior

« ما كان فوق غيره » .

النحــــو

لحضرة العضو المحترم الأستاذ خليل السكاكيني*

ما النحو ؟ هو فن الإعراب والبناء .
وما فائدته ؟ قال النحاة : فائدته التحرر من الخطأ وقال ابن الوردى :

جمِّل المنطق بالنحو فمن
يحرم الإعراب بالنطق اختبل

أى أن فائدته ليست فى نفسه بل فى تجميل المنطق والتحرر من الخطأ ، وبعبارة أخرى فى إقامة ملكة العربية . ولكنهم تدرجوا فيه من العناية به إلى التخصص فيه إلى اعتباره غاية . فخصصوا له مدارس لايعلم فيها غيره منها المدرسة النحوية فى جوار المسجد الأقصى فى القدس . بل كان هو الغاية من كل دروس اللغة والأدب . وما من كتاب أوشعر أو مثل أو حديث شرحوه إلا عنوا بإعرابه وتطبيقه على قوانين النحو . بل ما من كتاب فى اللغة أو الشعر أو الأدب أو الأخبار أو التفسير أو غير ذلك حتى مما لاعلاقة له باللغة إلا وفيه نحو . بل قد نجد من دقائق النحو فى غير كتب النحو مالانجده فى أمهات كتبه . وما من علم شاعت اصطلاحاته وشواهده على ألسنة الناس حتى الأميين منهم مثل علم النحو . من ذلك أنهم إذا أرادوا أن يقولوا ليس إلى هذا الشىء حاجة قالوا : لامحل له من الإعراب ، وإذا أرادوا أن يقولوا فات الشىء قالوا أصبح فى خبر كان ، وإذا أرادوا أن يقولوا : وغير ذلك قالوا : وهلم جرا أو وقس عليه ما ورد . وقوانين النحو كانت فى أصلها قليلة على قدر مادعت إليه الحاجة فى إقامة الملكة . ثم توسعوا فى الاستنباط إلى ماتقتضيه الصناعة لا الحاجة . ثم خرجوا بها إلى مماحكات لاطائل تحتها ، مما أوشك به علم النحو بعد نضجه أن يحترق .

* * *

إن العناية بقوانين اللغة مذهب قديم أخذه المتأخرون عن المتقدمين على سبيل التقليد أو العدوى ، فالعرب أخذوه عن السريان والإفرنج نسجوا على منوال اللغتين اليونانية واللاتينية ، واقتبسوا اصطلاحاتها . فهى لاتزال غريبة عن لغاتهم إلى اليوم ، ولايفهمها تلميذهم إلا إذا ترجمت إلى لغته ، بل لايزال فى أحكام اللغات الإفرنجية الحديثة مالاينطبق عليها مثل حالات الاسم بين أن يكون مسنداً إليه Nominative أو مضافاً إليـه Possessive أو مجروراً أو مفعولا به Objective أو منادى Vocative وليس عندهم علامات إعرابية لتلك الحالات ولايتغير فى بعض هذه الحالات إلا الضمير . ومن العجب أنهم يسمون الحالة الأولى فى الإنكليزية رفعاً Upright

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثالثة للمؤتمر (١٣ من ديسمبر سنة ١٩٤٨) .

وماسواها خفضاً Falling حسب اصطلاح العرب . بل إن مصيبة الإفرنج أعظم فإن الأديب عندهم لايعول على أدبه إلا إذا درس مع لغته اللغتين اللاتينية واليونانية ، يتعلم ثلاث لغات ليكون أديباً فى واحدة .

ماكان أغنى المتأخرين من عرب وإفرنج عن تقليد المتقدمين من سريان وكلدان ولاتين ويونان فى التعلق بهذه القوانين على غير حاجة إليها . وماكان أحراهم إذا أرادوا إقامة ملكاتهم أن يقتبسوا عن أسلوب آخر .

منذ بضع سنوات أذاعت وزارة المعارف المصرية الجليلة تقريراً قالت فيه :

« بما أن الوزارة سبق لها أن عملت على تبسيط قواعد النحو والصرف والبلاغة فيما أخرجت من كتب وكان لهذا العمل نتيجة مرضية ، وبما أن هذه الخطوة التى خطتها الوزارة فى الماضى لم تكن كافية إذ أنه لوحظ أن صعوبة قواعد النحو والصرف والبلاغة لاتزال قائمة . وأن المعلمين والمتعلمين يبذلون جهداً كبيراً ووقتاً طويلا فى تعليمها وتعلمها ولايصلون بعد هذا كله إلى نتائج تتفق مع مايصرف من زمن وجهد ؛

«لذلك نرى تشكيل لجنة مهمتها البحث فى تيسير قواعد النحو والصرف وأن تقدم اقتراحها فى هذا الشأن مبينة مشروع التبسيط الجديد والأسس التى يقوم عليها . »

هذه هى المرة الثانية التى تدعو فيها الوزارة الجليلة إلى تيسير القواعد ولتسمح لى الوزارة الجليلة أن أقول إنها ستجد بعد حين أن هذه القواعد الميسرة عسيرة فيجب تيسيرها ثم تجد بعد حين أنها لاتزال عسيرة فيجب تيسيرها وقد يكون فى التيسير مايزيدها تعسيراً . ولذلك أرجو أن أعرض رأياً آخر ، وهو أن نلغى القواعد بجملتها . وليس هذا الرأى جديداً ، فإن لتعليم القواعد ثلاثة أساليب :

١ — الأندلسى وهو الأسلوب الذى يجمع بين القواعد والشواهد .

٢ — الأسلوب المغربى وهو الأسلوب الذى يقتصر على القواعد دون الشواهد وقد قال ابن خلدون فى هذا الأسلوب :

« إن العلم بقواعد الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل ، وليس هو نفس العمل. ولذلك نجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة فى صناعة العربية المحيطين بتلك القواعد إذا سئل فى كتابة سطرين إلى أخيه أو ذى مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصدوه أخطأ فيهما الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربى »

ويفهم من هذا أن هذا الأسلوب لا أثر له فى إحسان الملكة بل قد يفسدها ، ولا شك أن كثيرين من الأساتذة رأوا من آثار هذا الأسلوب مايؤيد ماقاله ابن خلدون .

٣ — الأسلوب الخلدونى . وهو الأسلوب الذى يقتصر على الشواهد دون القواعد .

أى يسار فيه من الشاهد إلى الاستعمال فيقاس الكلام بعضه على بعض لاعلى أحكام مجردة. تقول قال الرجلُ بالضم قياساً على قال النبى ، قال الأحنف ، قال المهلب : وتقول النهار جميل برفع الاثنين قياساً على قولهم : العلم زين. والصدق عز . والكذب خضوع .والخير عادة. والشر لحاجة . وإذا أخطأ الطالب أرشدناه أو قلنا لرفاقه :أرشدوا أخاكم فقد ضل . وعلى الجملة نعلم اللغة الصحيحة كما نعلم الطفل لغة أمه . فهو يسمعها ، ثم يألفها ثم يفهمها ، ثم يستعملها بدون أن تعلمه أمه قوانين اللغة ، وبدون أن تفسر له ألفاظها أو تترجمها . قد يخل بالأسلوب فى أول أمره ، كما قد يسىء التلفظ ببعض حروفه ، ولكنه لايلبث أن يهتدى إلى الصواب بحكم التقليد وبضرورة أن يكون مفهوماً ، بل كما يتعلم الطفل ابتسامات أمه وحركاتها وإشاراتها ، وكما يتعلم أن يلبس وأن يمشى وأن يغنى إلى غير ذلك مما يأخذه بالتقليد والتمرن.وهذه نفس الطريقة التى بها يتعلم كل أجنبى لغة أمه ، فهو يحسن ملكتها قبل أن يعرف شيئاً من أحكامها . وفى اللغات الأجنبية ماهى أصعب من اللغة العربية كثيراً مثل اللغة الألمانية واللغة الروسية فإن فيهما من التصاريف وتعدد الحالات على الاسم والشذوذ مالايذكر بجانبه مافى اللغة العربية منه . وإذا تعلم الأجنبى قوانين لغته فليس عن حاجة إليها ، ولكنه إنما يتعلمها تبعاً للعادة أو لما قد يكون فى درس هذه القوانين من ترويض للعقل . ولذلك سمى النحو فى اللغات الإفرنجية :منطق اللغة أو إقليدس اللغة . وقد قال ابن خلدون فى كلامه عن الأسلوب المغربى إن صناعة العربية أصبحت من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل . ولكن رياضة العقل فيما لا تدعو إليه الحاجة إسراف فى غير محله .

فأنتم ترون أن الاستغناء عن القواعد بجملتها ليس رأياً جديداً ويظهر أن هناك نزعة حتى فى اللغات الغربية إلى هذا الأسلوب .

خذوا اللغة الإنكليزية مثلا فإن هناك ثلاثة أساليب فى تعليمها :

الأول — أن تعلم اللغة الإنكليزية على أصول اللغة اللاتينية على حين أن اللغة الانكليزية شىء ، وأن اللغة اللاتينية شىء آخر .

الثانى — أن تعلم اللغة الإنكليزية على أصول تقتضيها اللغة الإنكليزية نفسها لا اللغة اللاتينية.

الثالث — أن تعلم اللغة الإنكليزية بدون قواعد .

وقد أثبت الاختبار فى أميركا أن الطلاب الذين يتعلمون اللغة بدون قواعد أصح ملكة من الطلاب الذين يتعلمون القواعد .

* * *

كم نبغ فى اللغة العربية قبل وضع علم النحو من الشعراء والخطباء ومنهم من لم يعرف القراءة والكتابة مثل المتلمس والفرزدق وذى الرمة وغيرهم ، وهم هم الذين من أقوالهم استخرج النحاة أحكام النحو وبأقوالهم لايزالون يحتجون .

وكم نبغ فيها من الشعراء والأدباء بعد وضع علم النحو من قديم الزمان إلى اليوم من لم يكونوا يحسنون إعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المخفوض ، ولاشيئاً من قوانين صناعة العربية ، وبينهم من لم يكونوا فى أول نشأتهم من أهل الأدب ، فمنهم من كان خزافاً ومنهم من كان رفاء ، ومنهم من كان سقاء ، ومنهم من كان أجير عطار ، ومنهم من كان دلال بطيخ ، ومنهم من كان بزازاً ، ومنهم من كان من أجلاف البادية أو صعاليك العرب وهم كثر .

وكم نبغ فى اللغات الأخرى القديمة والحديثة من لم يتعلموا شيئاً من القواعد فهذا أفلاطون رب البلاغة لم يكن يعرف من قواعد اللغة اليونانية شيئاً . وهذا شكسپير معجزة الدهر لم يكن يعرف من قواعد اللغة الإنكليزية شيئاً .

ومن الذين جروا على هذه الطريقة فى عصرنا هذا الذى كدنا نصبح فيه غرباء عن اللغة العربية محمود سامى البارودى الذى قيل فيه إنه متنبى عصره . فقد كان من أولئك الذين تعلموا على الأسلوب الخلدونى ومثله كثيرون . بل لعـــل أكثر الذين يحسنون الملكة من كتابنا وأدبائنا وشعرائنا لا يحسنون الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المخفوض وقد لوحظ أن الذين يشتغلون بتمثيل الروايات الموضوعة باللغة العربية الصحيحة قد أصبح الإعراب فيهم ملكة مع أن أكثرهم أميون .

* * *

إذا أردنا إقامة الملكة العربية بدون أن نتعلم القواعد فماذا نعمل ؟ الجواب يحتمل كلاماً كثيراً لا تكفى فيه محاضرة أومحاضرتان أو أكثر وغاية ما أرجوه أن تعيروه جانب اهتمامكم . لا أكلفكم أن تتعجلوا فى قبوله . ولكن أرجو أن لاتتعجلوا فى رفضه .

١ — أن تكون اللغة العربية الصحيحة لغة التعليم.

إذا كانت كذلك فهى لا تنحصر فى مكان لا تتعداه من حدود الدروس . ولكنها تدخل فى كل درس ولا ينفرد بها أستاذ دون آخر ولكن يشترك فيها جميع الأساتذة . فكل درس مهما كان موضوعه لا يمكن أن يجرد عن أن يكون درساً فى اللغة ، وكل أستاذ مهما كان موضوعه لا يمكن إلا أن يكون أستاذاً للغة ، وبعبارة أخرى كل أستاذ مسئول عن اللغة . ولذلك يجب أن يكون الأستاذ مهذب اللغة عارفاً بتراكيبها . لا يستعمل فعلا فى محل فعـــل آخر ، أو حرف جر فى محل حرف آخر . ولا يسكن المتحرك أو يحرك الساكن . ولا يتوكأ على اللغة العامية فى حال . فإن الطالب أسرع إلى تقليد لغة أستاذه منه إلى تقليد لغة كتابه . لأن اللغة تؤخذ عن طريق السماع والاستعمال أكثر مما تؤخذ عن طريق آخر . وإلا فكيف تصح ملكة الطلاب فى اللغة إذا كان الأستاذ الواحد يحاول جهده إصلاحها على حين أن غيره لا يبالى أن يفســـدها ؟

٢ — أن تكون اللغة العربية الصحيحة لغة التخاطب إذ كانت أحسن الطرق لاكتساب ملكة اللغة هى مشافهة أهلها أو معايشتهم

وإذا لم يكن هذا العصر عصر فصاحة فلا بد أن يمثل الأستاذ بنفسه الأمة العربية فى عهــد فصاحتها . ليس شيء أضر باللغة وأدعى لفساد الملكة من الأستاذ العيي الذى يعلم قوانين اللغة وأصول الفصاحة والبلاغة وهو عامى اللفظ يرمى الكلام على عواهنه .

إذا أردت أن تكلف تلميذك القيام أو القعود أو القراءة أو الكتـــابة . فقل له : قم . اقعد . افتح الكتاب . اقرأ السطر الأول . اكتب . امح اللوح . أمسك القلم . فيتعلم الأمر من قام وقعد وقرأ وكتب ومحا وأمسك، ويتعلم أن ينصب المفعول به فى افتح الكتاب . اقرأ السطر . امح اللوح . أمسك القلم ، من فوره وبدون عناء . ويقيس أمثالها عليها . ولا يفيده شيئاً أن يعرف قاعدة بناء الأمر من الصحيح والمضاعف والمثال والأجوف والناقص واللفيف المفروق واللفيف المقرون والمهموز من الثلاثى والرباعى والخماسى والسداسى . ولا يفيده شيئاً أن يعرف أحكام المفعول به بحذافيرها . وإنما يفيده أن يسمع غيره يستعمل اللغة على الوجه الصحيح فيقلده. وكذلك يجب على الأستاذ أن يكلف تلاميذه ألا يتكلموا إلا باللغة الصحيحة وهم إذا سمعوها فألفوها ففهموها هان عليهم أن يستعملوها .

النهضـــة الأدبيـــة فى العراق

لحضرة العضو المحترم السيد محمد رضا الشبيبى(*)

ياحضرة الرئيس ،

أيها الأساتذة الأجلاء ،

لا أدرى ، وقد طلب إلى أن أتحدث فى هذا المؤتمر عن النهضة الأدبية العربية فى العراق هل كان يقصد أن أتحدث عن تاريخ الأدب أم لا . وعلى كل فقد فضلت اعتماداً على لطفكم أن أتحدث بحديث أدنى إلى التاريخ منه إلى أى شىء آخر وأن أتجنب الرواية وإيراد النصوص ، وأن أتحاشى على الأكثر ذكر كثير ممن هم على قيد الحياة من علماء وشعراء وأدباء عراقيين مد الله أعماركم وأعمارهم أجمعين .

راجعت مامعى من مذكرات ومن أصول تتعلق بهذا الحديث ، فوجدت فيها مايعزز رأيى فى الأخذ بناحية التاريخ وتفضيلها على ناحية النقد الأدبى ، وذلك عندما طلب إلى يوماً ما ببغداد أن أتحدث عن الأدب العصرى فى العراق ، ويحلو لى فى هذا الصدد أن أشير إلى ذلك ، فقد قلت ماهذا نصه نقلا عن تلك المذكرات :

« تعالم عدد غير قليل من الأدباء بأننى سأتناول فى حديث لى أدبنا العصرى وهذا موضوع ينبغى أن أتحامى الخوض فيه ، فما من شك أن نقد الأدب العصرى يزج الناقد فى مأزق حرج فكيف إذا كان لدى ذلك الناقد مايزيد على حاجته من مآزق حرجة كثيرة .

« إنى مثلا أريد أن أستكثر من الأصدقاء ، ولاسيما من طبقة الشعراء والأدباء ، وقد دلتنى التجربة على أن قول الحق والجهر بالحقيقة لايبقى باقية من الصداقة ، وأنا أيضاً على شىء من سلامة القلب وحسن القصد ولكنى لست من سلامة القلب وحسن القصد إلى حد أن أضع نفسى بين شقى الرحى أو بين أشداق السباع ، فإن خصومة الأدباء وعداوة الشعراء بئس المقتنى ، تبعاً لإمام الشعراء أبى الطيب المتنبى فى قوله :

ومكايد السفهاء واقعـــة بهم
وعداوة الشعراء بئس المقتنى

« فى وسع الباحث ، أو الناقد ، أن يكتب عن الماضين من أعلام الأدب بدون عناء ، وليس الأمر كذلك إذا تناول ببحثه أو نقده أحداً من المعاصرين له .

« إنك مهما حاولت الإنصاف فى إصدار الحكم على معاصريك فأنت محمول من ناحية القوم على الغرض ، أو متأثر فى حكمك بشتى المؤثرات .

(*) بحث ألقى فى مؤتمر المجمع (الجلسة الخامسة ٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٤٨) .

« إذا خصصت أديباً من معاصريك بشىء من الإكبار ، أو الإعجاب جاز أن يكون للعاطفة دخل فى ذلك ، وهكذا الأمر فى النقد والتمحيص ، فليس من السهل أن تتجرد عند الحكم على لداتك وأبناء عصرك من أثر العاطفة عاطفة الحب أو عاطفة البغض . فالهوى إله معبود والناس عبيد الشهوات

« ليس من الغريب انفعال أبناء العصر الواحد وتأثرهم فيما بينهم بالأهواء فإن ذلك معدود فى جملة الأمور الطبيعية المألوفة ؛ ومرده إلى تصادم المصالح وتضارب الأغراض والعقائد. أضف إلى ذلك مايمكن فى أطواء الحيـاة نفسها من شرور وأحقاد ، إلى هذا ونحوه مما كان ولم يزل عاملا من أقوى العوامل فى تشويه الحقائق ومسخ التاريخ .

« إن العذر الذى أنتحله فى إحجامى عن معالجة هذا الموضوع قد اتضح للإخوان . ولكنْ لبعضهم مذهب آخر ففيهم من يقول: نريد أن نقف على رأيك فى طبقة شعرائنا وأدبائنا الآن وأين مكانهم من المتنبى وطبقة المتنبى مثلا ؟

« ولهؤلاء أقول : إن لدينا لا شك عدداً غير قليل من الشعراء المجيدين ولكنْ بينهم وبين المتنبى وطبقة المتنبى بون شاسع وستمضى على العرب أجيال إلى أن يظهر من يجارى أبا الطيب فى بلاغته وجزالته وفى أصالة رأيه وصرامته واستبطانه لخفيات الأمور وأسرار الحيـــاة .

« هذا البون الشاسع بين طبقة المتنبى وبين هذه الطبقة المعاصرة من شعرائنا هو كالبون الشاسع بين عصر المتنبى وعصر المعرى وأبى فراس من جهة وبين عصر شوقى وحافظ والرصافى من جهة أخرى ؛ أو هو كالبون الشاسع بين حياة الأمة العربية فى القرن الرابع وحياتها فى القرن الرابع عشر . والإنسان وليد البيئة والنشأة ، لايسعه الانفكاك عنهما فى الصعود والهبوط .

« عشرة قرون وعشرات من الأجيال تحولت فيها أحوال الأمم فانقلبت رأساً على عقب ، وعثّر الحظ بما عثّر بهما ؛ واستوى من استوى قائماً على قدميه ، سنة الله العامة التى تسير بموجبها هذه الكائنات ناهضة طوراً ومنحدرة تارة إلى الحضيض

« فى هذه العصور المديدة تقدمت أمم متأخرة وتأخرت أمم متقدمة . وفيها ولدت حضارات واندثرت حضارات ؛ ولقد كان العرب والمسلمون فى عصر أبى الطيب قدوة البشر ومثلهم الأعلى فى نظمهم الاجتماعية وغيرها وأسعد الأمم فى تلك العصور من قلد أمة المتنبى فى مظاهر حياتها وحضارتها فأين مكاننا اليوم من تلك المكانة ؟ وما أبعد الفرق بين الخلف والسلف :

أيا دارها بالخيف إن مزارها
قريب ولكن دون ذلك أهوالُ »

بهذا القدر أكتفى مما ورد فى تلك المذكرات. والآن أنتقل إلى حديثى عن تاريخ الأدب العراقى الجديد

لاشك بوجود نهضة أدبية عصرية فى العراق قطعت إلى الآن عدة مراحل مختلفة .

وقد يلاحظ من يعنى بتاريخ الأدب فى عصرنا وحود رابطة وثيقة بين هذه الحركة الأدبية العصرية وبين النهضة السياسية العامة التى بدأت بإعلان الدستور فى بلاد الدولة العثمانية سنة ١٣٢٦ ﻫ (١٩٠٨ م) إذ لاينكر ما لهذا الانقلاب السياسى من أثر فى ذلك التجديد الأدبى، فهو إذن أولى المراحل التى قطعتها هذه الحركة . ولهذا لايسع مؤرخ الأدب العراقى إغفال العامل المذكور متى أراد أن يتطرق إلى هذا الموضوع .

قوبل إعلان النظام الدستورى الجديد بالتهليل والتكبير فى العراق وعمرت الجمهور موجة من السرور ليس لها مثيل كما غمرت غيرهم من رعايا الدولة ، لأنه دستور كمل فيما كفل لنا من الحقوق العامة حرية الرأى وحرية القول والنشر ، فكان العراقيون من أكثر الأقوام غبطة بهذا الدستور الجديد لأنهم من أشد الناس تأثراً بمساوئ الاستبداد وهكذا دخلت البلاد إجمالا فى دور من أدوار اليقظة الفكرية وإن انكشف لنا بعد ذلك فشل الأخذ بهذا النظام فى مرحلة التطبيق

ليس معنى ماتقدم أن بلادنا لم تشهد حركة أدبية قبل العصر المذكور . فإن تاريخ البلاد فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يشهدان شهادة قاطعة بخلاف ذلك . ففيهما تكونت طبقات عدة لاطبقة واحدة من أدباء العراق وشعرائه الفحول .

كانت للأدب دولة فى عصر بعض الوزراء من المماليك الذين تمردوا على الباب العالى واستأثروا بالحكم فى العراق . ويعد عصر الوزير (داود باشا) من عصور الأدب الزاهية فى بغداد . وكان الوزير نفسه ملماً بآداب اللغة العربية وله آثار عمرانية وأدبية معروفة فى العراق ، وعصره هو عصر الشيخ صالح التميمى شاعر العراق غير مدافع فى زمانه ؛ وقد نشر له ديوان شعر فى السنة الماضية .

ومن أدباء هذا العصر وشعرائه المجيدين آل الأزرى والشاوى . وجاءت من بعدهم طبقة هى طبقة عبد الباقى العمرى الشاعر المتفنن الرقيق وآل الآلوسى والأخرس البغدادى وغير هؤلاء .

وهذا العصر هو أيضاً عصر النهضة الأدبية الكبيرة التى تمخضت عنها حواضر الفرات الأوسط كالنجف والحلة فى مستهل القرن التاسع عشر ، وكان قوام النهضة فى هذه الحواضر الفراتية طبقة كبيرة من أدباء وشعراء وعلماء تركوا لنا كتباً ومؤلفات ودواوين أو مجاميع شعرية كثيرة . وقد عاشت هذه النهضة الأدبية برعاية رهط من زعماء الفرات

ومن أعلامها السيد المهدى الطباطبائى والشيخ جعفر الكبير ، ومنهم السيد الفحام وآل النحوى والأعسم وآخرون من هذه الطبقة

وقد تبعتها طبقات الواحدة بعد الأخرى إلى نهاية القرن التاسع عشر . من أشهرها

طبقة السيد حيدر الحلى أشهر شعراء الحلة المتأخرين ، وديوانه معروف ، ومثله الشيخ محسن الخضرى نشر له ديوان فى السنة الماضية والسيد محمد سعيد الحبوبى أبلغ شعراء هذه الطبقة وأرقهم ديباجة وله شعر غنائى سارت به الركبان وكان من نوادر عصره فى البلاغة وفى فقه اللغة العربية ، وله ديوان مشهور .

وقد جاءت بعد ذلك طبقة أخرى هى طبقة السيد جعفر الحلى والسيد إبراهيم الطباطبائى والجواد الشبيبى وأبى المحاسن الحائرى وهم أشهر شعرائنا المتأخرين ودواوينهم متداولة مشهورة .

أما مميزات هذا الأدب فهى مميزات الأدب القديم فى بعض عصوره لافى عصوره كلها : جزالة عربية فى الألفاظ ومحاكاة للقدماء وجمود على تلك الفنون الشعرية المألوفة . وقل أن تجد فى هذا الأدب عمقاً فى التفكير أو ابتكاراً فى المعانى أو تجديداً فى الأغراض . ومما يلاحظ أيضاً أن الأدب كان يستمد قوته ونشاطه من العاطفة الدينية فى بعض هـذه الأدوار .

ومما لاشك فيه على كل حال أن الفصحى انتفعت بما فى هذا الأدب من بيان أصيل وأساليب بليغة مستساغة إلى هذا اليوم . وأنا فى غنى عن إيراد الشواهد والنصوص فى هذا المقام إذ يمكن الرجوع فى ذلك إلى مانشر من دواوين هؤلاء الشعراء ، وإلى كتب المؤرخين فى هذا الموضوع .

هذا وقد بدأ بعصر الدستور كما قلت سابقاً عصر من عصور الانتقال فى السياسة كما بدأ به عصر من عصور الانتقال فى الأدب ، وهو أدب يختلف بطبيعته ومميزاته عن أدب العصر السابق تبعاً لاختلاف العصرين ، ومن خصائص هذا الأدب العراقى الحديث أنه أقرب إلى الأدب الواقعى الصادق وأبعد عن الأدب الخيالى الكاذب . فى عصرنا هذا نشبت حروب عامة لم يشهد الكون لها مثيلا وفيه دالت دول وقامت على أنقاضها دول أخرى ، وزالت نظم قديمة مألوفة فى الحكم والثقافة وحلت محلها نظم حديثة ، وماعصرنا هذا إلا فترة السلم القصيرة الواقعة بين حربين طاحنتين ، فهو عصر اليقظة الفكرية والوعى القومى فلذلك جاء الشعر فى هـذا العصر ترجماناً لما يجيش فى أعماق النفوس وقرارات القلوب وسجلا للكوائن والأحداث وما وقع فى العراق والمجتمع العربى من أفراح وأتراح . وقد وفق الشعراء فيه إلى شىء من الإبداع والابتكار وعرضوا بنات أفكارهم على موازين جديدة من منطق وفلسفة وحقائق علمية .

وفى هذا الضرب من الشعر العصرى فى العراق نجد دعوة قوية إلى التجدد أو التطور وجرأة بالغة فى التحامل على القديم . ولقد تخطى من تخطى من شعراء عصرنا شيئا من الحدود ، وحاول بعضهم التحلل من القيود ونسب إليهم مانسب من تمرد واندفاع .

وقد يحتج من يحتج لهذه الثورة الأدبية ومافيها من عنف وإفراط بأنها نتيجة من نتائج التفريط والتقصير ، ورغبة فى أن تسلك الأمة كل طريق للنجاة ، ولا تخلو الآراء من تضارب فى هذا الشأن .

هذه بعض مميزات الأدب والشعر فى هذا العصر من ناحية المعنى . وأما مميزاته من ناحية اللفظ فهى تتجلى فى رصانة مبانيه وقوالبه الشعرية : ديباجة فى غاية الصفاء وبيان فى منتهى الإشراق فى كثير من الأحيان .

وكانت هذه المميزات ظاهرة ظهوراً بيناً فى شعر الرصافى الشاعر العراقى المشهور ، ومن بعده فى شعر الزهاوى وطبقتهما فى هذا العصر ، وفى شعراء الشباب من العراقيين من ينسجون على هذا المنوال فى البلاغة وحسن الأداء . هذا وقد انبعثت بعد مضى مدة يسيرة على إعلان الدستور حركة أدبية فى العراق مركزها مدينة البصرة ، وكان انبعاثها على يد السيد طالب النقيب ، وقد اتجهت هذه الحركة البصرية إلى مناوأة غلاة الأتراك . وتعدا الحركة المذكورة إحدى نتائج الغلو والإفراط فى النعرات العنصرية التى عرف بها فريق من شباب الأتراك فى ذلك الحين ، وكانت لهؤلاء الغلاة فى بخس حقوق العرب سياسة معروفة.

وقد استطاع السيد طالب النقيب أن يجتذب إلى مدينة البصرة عدداً غير قليل من شعراء العراق وكتابه وشبابه الواعى . وأنشأ فى البصرة صحافة عربية جريئة عاشت مدة بعد ذلك .

وقد عرف السيد طالب بجرأته النادرة وبمطامحه البعيدة وكانت مساعيه متجهة إلى إنشاء دولة عراقية قاعدتها البصرة والغرض منها تحرير البلاد من سياسة الغلاة المتطرفين من الحكام على أن ترتبط بحلف سياسى مع الإمارات العربية الواقعة على شط العرب والخليج وفى داخل الجزيرة .

وكانت لبعض المحافل والأندية الأدبية العاملة فى بغداد والآستانة صلة وثيقة بالحركة المذكورة . وقع ذلك كله بعد خيبة الآمال بالعهد الجديد .

نشأت الصحافة العراقية فى مستهل هذا العصر فى أحوال لاتحسد عليها ، فقد كانت الأمية شاملة وموارد الصحف المالية ضئيلة والخبرة الفنية محدودة ولهذا كانت الصحف تتوارى بعد صدورها بمدة يسيرة .

ولا أنسى فى هذا الباب أن الصحف المصرية ومن بعدها صحف الشام استقبلت صحفنا الناشئة بكثير من الانتقاد ، واستهجنت تلك اللكنة التى ارتضخها بعض العراقيين ، ونادت بركاكة التعابير وعجمة الأساليب

والواقع أن العراقيين معذورون ومن السهل تعليل ضعفهم فى هذا الفن ، وهل أبناء العراق إلا أمة ناشئة عاشت فى ظل حكامها المستبدين عصوراً طويلة محرومة من النور ومن جميع عوامل التقدم والنهوض ؟

ومما هو جدير بالذكر أن فريقا من الأحرار العاملين وعدداً من الكتاب والشعراء المجيدين فى العراق اتخذوا من بعض الصحف والمجلات المصرية والسورية الصادرة فى مستهل هذا القرن مجالا لأقلامهم . ينشرون فيها مالا سبيل

إلى نشره فى العراق . وبعض هذه الصحف تعد مرآة للأدب العراق الحديث . ومن أراد أن يطلع على صفحة من صفحات الأدب المذكور فليتصفح بعض تلك الصحف والمجلات من مصرية وشامية ففيها جولات صادقة لطبقة من أدبائنا المعاصرين ، وفى طليعتهم : السيد محمود شكرى الألوسى العالم المصنف المشهور وهو صاحب مدرسة تخرج فيها عدد من خيرة أساتذة اللغة والأدب فى مدارس بغداد . ومنهم أشهر مشاهير شعرائنا المعاصرين : الكاظمى والزهاوى والرصافى وغيرهم من الشعراء . ومنهم اللغوى المحقق أنستاس مارى الكرملى الذى فقد مجمعنا بفقده عضواً عاملا متفانياً فى خدمة لغة العرب غير مكترث بما لحقه فى هذه السبيل من عنت وإرهاق ، وهو ناشر مجلة « لغة العرب » . وكانت للكرملى فى مكتبته ندوة ينتدى إليها طبقة راقية من أدباء بغداد لمناسمة الأمالى والأحاديث فى اللغة والآداب ، وقد امتازت هذه الندوة بنشاطها فى ذلك الحين .

ومن هذه الطبقة السيد عبد اللطيف ثنيان له فصول جيدة فى اللغة والتاريخ ؛ والسيد طه الراوى من الثقات فى الأدب وفى رواية النصوص إلى طبقة أخرى من شعراء وكتاب ولغويين .

ولا نبالغ إذا قلنا إن عدداً من الكتاب والصحفيين العراقيين على قلتهم فى هذه الفترة ما كانوا بدون أمثالهم من الصحفيين المصريين والشاميين .

ولابد لى من القول أيضاً بأن الصحافة العراقية اليومية عادت فقطعت الآن مرحلة أخرى من مراحل تطورها بعد تلك المرحلة السابقة ، فهى الآن أرقى مظهراً وأغزر مادة من صحف الفترة السابقة .

يتضح لنا مما تقدم أن فجر القرن العشرين تمخض عن نهضة أدبية لايستهان بها فى العراق وبالرغم مما اعترض سبيل هذه النهضة من مثبطات متنوعة مادية ومعنوية فإنها تدرجت فى النشوء إلى أن تخلى الأتراك تماماً عن البلاد ، وانتقلت مقاليد الحكم إلى أيدى العراقيين بعد سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) . وقد توقعنا للعربية مستقبلا زاهياً فى هذا العصر إلا أن النتيجة جاءت على خلاف ذلك ، وهذا من الغرابة بمكان . والحقيقة أن العراق قطع بعد استقلاله بمدة يسيرة مرحلة عصيبة توالت فيها الاضطرابات والأزمات الداخلية ، وأخيراً وقعت الحرب العالمية الثانية وما لابسها من الأحداث المعروفة فى العراق ، فاستقل كل عراقى بنفسه وشئونه الخاصة . فما هذه الفترة المشار إليها إلا فترة السلم القصيرة بين حربين طاحنتين كما قلنا سابقاً ؛ ومن مميزاتها الظاهرة أن السياسة الداخلية استبدت بنشاط أبناء العراق على اختلاف طبقاتهم : فأهمل جانب كبير من المرافق العامة مادياً ومعنوياً وهكذا كانت هذه المرحلة التاريخية كارثة على الأدب فأخذ بالتضاؤل والانكماش كما وكيفا . ولنا أن نسمى هذا العصر عصر الركود والفتور فى سير الحركة الأدبية فى العراق .

ومن رأينا أن علة العلل فيما منى به الأدب أخيراً فى العراق ليست فى الأحداث المشار إليها وحدها بل فى شىء آخر أبعد وأدق من ذلك ، ألا وهو فقدان خطة عامة مرسومة للنهوض بالثقافة وباللغة العربية وبالأدب وتشجيع الإنتاج الأدبى فى البلاد . ولو رسمت فى هذا الشأن وطبقت مثل هذه الخطة لما استطاعت تلك الأحداث أن تعصف بحياة الأدب فى البلاد . وإنما قصّر من قصر وأهمل هذه الخطة من أهملها ونحن الآن نعانى مغبة ذلك الإهمال والتقصير من تشتت وتوزع فى القوى الأدبية يخشى بعصهم أن يتطور إلى بلبلة وفوضى فكرية بل نحن نواجه فى هذا الصدد مشكلات اجتماعية عويصة قلما واجهها مجتمع عربى الآن . فقد انفرحت وتباعدت الشقة بين جيلنا الماضى والنشء الحاضر وأصبح حل هذه المشكلة بالتوفيق بين الجيلين شغل المفكرين الشاغل ، وقد واجهت مصر مشكلة من هذا القبيل بلاشك ولكنها لم تبلغ حد المشكلة التى نواجهها فى العراق وبعض البلاد العربية الأخرى . لأن النهضة فى مصر مرت منذ عهد محمد على إلى اليوم فى مراحل تدريجية تبعاً لخطة رسمها قادة الرأى فى مصر روعى فيها الاعتدال والتوازن فى الانتقال من القديم إلى الحديد . فأدى ذلك إلى نوع من الاستقرار الفكرى والأدبى تغبطون عليه الآن . وهذه مزية لمصر تمتاز بها على غيرها من البلاد العربية .

أما النهضة فى العراق فلم تكن تدريجية خاضعة لخطة مرسومة . بل كانت اندفاعاً سريعاً إلى الأمام . على أن فى العراق بالرغم من ذلك كله طبقة من رجال العلم وأخرى من رجال الأدب والشعر ، أما شعراء العصر وشعراء الشباب فى العراق ومثلهم على ما أظن شعراء العصر فى مصر والشام فهم فريقان : فريق يترسم خطى شعراء الجيل فى الماضى القريب ، ويجرى على سننهم المعروف فى المذاهب والأساليب مع شىء من التجديد . وقد نشرت لعدد من هؤلاء الشعراء دواوين لطيفة ومنهم السيد أحمد الصافى والسيد محمود الحبوبى واليعقوبى والسيد مهدى الجواهرى والمقلد والسيد على الخطيب وصالح الجعفرى وشعراء الرابطة العلمية الأدبية المعروفة فى النجف. ولولا هذه الطبقة الناهضة من شعراء الجيل وأدباء الشباب لخيل لنا أن القريض العربى قد مات ، وأن البيان الحر مقضى عليه بالزوال وأما الفريق الآخر من شعراء الشباب فهو يميل إلى مجاراة الغربيين ويحاول أن يتعاطى النظم على طريقتهم المعروفة ، وعددهم قليل .

وقد مالت طبقة تضم بعض حملة الشهادات الجامعية العالية وغيرهم من الأدباء إلى فن من فنون الأدب الحديث وهو فن القصة ، فراحوا يخرجون القصص ترجمة وتأليفاً ولايزال هذا الفن فى دور النشوء وكثير من كتابه مقلدون .

وللأدب العراق الحديث فى مرحلته هذه مميزات من أظهرها جنوحه إلى التشاؤم والشكوى ووصف مظاهر البؤس والحرمان فى كثير من الأحيان . ومن مميزاته نزوع ظاهر إلى العنف فى مقاضاة الطبقة الحاكمة والدفاع عن حقوق الطبقة المحكومة .

وفى البلاد عدد من العلماء ومن الباحثين المنقطعين للدراسات على اختلاف مواضيعها وكثرتهم فى بغداد والموصل والنجف وفى حواضر عراقية أخرى ، يدرسون ويؤلفون ويقومون بنشر المخطوطات القديمة ولهم أبحاث تنشر فى بعض المجلات المصرية والسورية والعراقية وقد ظهرت لعدد منهم تصانيف ومؤلفات ، نذكر منهم السيد منير القاضى والسيد محمد بهجت الأثرى والدكتور مصطفى جواد والسيد يوسف غنيمة والسيد عباس العزاوى والدكتور داود الجلبى والسيدصادق كمونة والدكتور جواد على والدكتور أحمد سوسة وكوركيس عواد وغير هؤلاء .

هذا هو شطر من تاريخ الأدب العراقى أو تاريخ النهضة الأدبية العصرية وما إليها فى العراق ، وإنى لأستشف من إلقائى هذا الحديث وتفضل هذه الطبقة المختارة بالإصغاء إليه أننا مقبلون على عصر لامناص لنا فيه من تعزيز الصلات الأدبية القائمة بين مصر والعراق ، فقد شرع الفريقان من عراقيين ومصريين بذلك لحسن الحظ والشواهد عليه كثيرة من أحداث هذه السنين ، وفضلا عن هذه المؤتمرات السنوية التى يعقدها المجمع وفيها تمثل هذه الأقطار العربية ، وفضلا عمن يزور العراق من الأساتذة المصريين للتدريس فى معاهدنا العلمية كل عام — ولابد لى أن أقول بهذه المناسبة إن الأساتذة المصريين يتمتعون بسمعة طيبة ويحاطون بكل ترحيب وإعزاز — فقد تم بعد ذلك تنظيم العلاقات الثقافية بين البلدين بموجب معاهدة معروفة سميت بالمعاهدة الثقافية ، وقد مضى على التوقيع عليها أربع سنوات فكان ذلك بمثابة الخطوة الأولى ، وأرجو أن تقترن بخطوة ثانية وهى خطوة التنفيذ إن شاء الله .

وهو ولى التوفيق .

منطق أرسطو والنحو العربى

لحضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم بيومى مدكور(*)

لم يصادف نحو من العناية ماصادفه النحو العربى . نشأ فى الثلث الأخير من القرن الأول للهجرة ، وبقى ينمو ويتكون خلال القرون التسعة التالية . فبحث عن الرواة ورجال البادية لتؤخذ عنهم الأساليب الصحيحة والتعبيرات المستقيمة ويستشهد بنقلهم وروايتهم . وتوالت المدارس بعضها على أثر بعض ، بين بصرية وكوفية أو بغدادية وأندلسية ، تتلاقى أحياناً وتتعارض أخرى ، أو تتوسط ، فتسلك مسلك الجمع والتوفيق . ووضعت الرسائل الصغيرة فى بعض الموضوعات الفرعية ، كالمقصور والممدود والمذكر والمؤنث ، أو الكتب الجامعة ، نثراً أو نظماً ، كالكتاب لسيبويه والمفصل للزمخشرى والكافية لابن الحاجب والألفية لابن مالك والمغنى لابن هشام . وخلط النحو باللغة والأدب ، ثم فصل عنهما ليصطبغ بصبغة معينة ويعتمد على مصطلحاته الخاصة . وشرحت النصوص والشواهد ، وجمعت الشواذ والغرائب ، وأحصيت أوجه الخلاف بين نحوى ونحوى ، أو بين مدرسة وأخرى .. وترجم للنحاة ورتبوا طبقة بعد طبقة . وقد تشعبت الدراسات النحوية بحيث استوعبت معظم نشاط المثقفين فى القرون الستة الأخيرة . وفى اختصار يمكننا أن نقول مع دى بور « إن علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربى لما فيه من دقة فى الملاحظة ونشاط فى جمع ما تفرق . وهو بهذا يحمل المتأمل فيه على تقديره ، ويحق للعرب أن يفخروا به ».

وإذا قارنا النحو العربى بعلوم النحو القديمة والحديثة وجدنا أن أحداً منها لم يصادف ماصادفه من درس وعناية ؛ فللإغريقية واللاتينية نحوهما ، ولبعض اللغات الشرقية القديمة نحو معروف كالسريانية والعبرية ، غير أنه لم يصل نحو من هذه إلى ما وصل إليه النحو العربى من عمق البحث وسعة الدراسة وتشعب الآراء . أما اللغات الحديثة فقد احتزلت — فى كثير منها — نحوها واختصرته فى أضيق الحدود الممكنة .

ولم يكن غريباً أن يعنى المسلمون بالنحو هذه العناية ، فهو أداة من أدوات فهم الكتاب والسنة ، ووسيلة ضرورية لمن شاء أن يعالج العلوم الدينية ، وخاصة من الموالى والأعاجم الذين ليست العربية فطرتهم ولا الفصحى سليقتهم . وقد جاء فى مقدمة ابن خلدون أن من أراد الشريعة فلابد له من معرفة علوم اللسان العربى ، وهى أربعة : لغة ونحو وبيان وأدب . وأهمها النحو لأنه يبين أصول المقاصد بالدلالات . ولولاه لجهل أصل الإفادة واحتل التفاهم جملة .

(*) بحث ألقى فى مؤتمر المجمع (الجلسة السابعة ٢٧ من ديسمبر سنة ١٩٤٨) .

بيد أنه لايزال فى النحو العربى جوانب غامضة ، أخصها ما اتصل بنشأته والعوامل التى أثرت فى تكوينه . وعندى أن هذه العوامل كثيرة ومتنوعة ، بين داخلية وخارجية وعربية وأجنبية . وسأقصر كلمتى هذه على منطق أرسطو وأثره فى النحو العربى .

ولاشك فى أن المنطق الأرسطى قد صادف فى القرون الوسطى المسيحية والإسلامية نجاحاً لم يصادفه أى جزء آخر من فلسفة المعلم الأول فعرف أرسطو المنطقى قبل أن يعرف أرسطو الميتافيزيقى ، وترجم الأرجانون قبل أن يترجم كتاب الطبيعة أو كتاب الحيوان. وللأرجانون فى العالم العربى منزلة خاصة ، فكانت أجزاؤه الأولى أول ماترجم من الكتب الفلسفية إلى اللغة العربية ، ثم ألحقت بها الأجزاء الأخرى فترجمت وشرحت واختصرت . وتوالى البحث فى المنطق لدى المدارس الإسلامية المختلفة ، عند الفلاسفة والمتكلمين ، بل وعند الفقهاء .

والغزالى فى حملته على الفلسفة والفلاسفة يضع المنطق جانباً لأنه إنما ينصب على قوانين الاستدلال العقلى بصرف النظر عن موضوعه ، ويذهب إلى أبعد من هذا مقرراً أن المنطق ليس خاصاً بالفلاسفة وحدهم ، بل هو متصل أيضاً بالمتكلمين الذين يسمونه علم الجدل أو علم النظر . وقد استخدم الفقهاء كثيراً من المصطلحات المنطقية فى بحوثهم الأصولية ، فتحدثوا عن الجنس والنوع ، والكلى والجزئى والعام والخاص . واعتبروا القياس أصلا من أصول التشريع الأربعة ، ورسموا قواعده ونظموا طرقه محاكين صنيع أرسطو فى قياسه المنطقى . ونعود مرة أخرى إلى الغزالى فنجده يقول فى مقدمة كتابه معيار العلم « إن النظر فى الفقهيات لايباين النظر فى العقليات فى ترتيبه وشروطه وعياره » ويضيف إلى هذا أنه مادامت الهمم فى عصره متجهة نحو البحث الفقهى فإنه سيقدم فى هذا الكتاب المنطقى أمثلة فقهية كى يعم النفع . وفى كتاب آخر له أصولى — وهو المستصفى — يرى لزاماً عليه أن يقدم له بمقدمة منطقية خالصة يعتبرها ضرورية ومتممة لعلم أصول الفقه .

* * *

ولم يقف الأمر — فيما نعتقد — عند الفقه والكلام والفلسفة ، بل امتد إلى دراسات أخرى من بينها النحو ، وقد أثر فيه المنطق الأرسطى من جانبين : أحدهما موضوعى ، والآخر منهجى . فتأثر النحو العربى عن قرب أو عن بعد بما ورد على لسان أرسطو فى كتبه المنطقية من قواعد نحوية ، وأريد بالقياس النحوى أن يحدد ويوضع على نحو ماحدد القياس المنطقى .

وقد يقال : ماللنحو والمنطق ، واللغة فى أساسها اصطلاح كثيراً مايعصى قوانين العقل والمنطق ؟ ولكن لانزاع فى أن منطق أرسطو قد اشتمل على مبادئ نحوية . ففى المقولات وهو الجزء الأول من كتبه المنطقية يعرض للألفاظ ، ثم يتناول فى الجزء الثانى — كتاب العبارة — الجمل ويفصل القول فيها ،

وهذه أمور فى ظاهرها نحوية . ولم تخل كتبه المنطقية الأخرى من قواعد الأجرومية اليونانية.

ونود أن نلقى نظرة عاجلة على بعض هذه القواعد لنتبين ما يمكن أن يلحظ من شبه بينها وبين أول ما عرف من قواعد النحو العربى ، ورائدنا فى هذا الأرجانون من جانب وكتاب سيبويه من جانب آخر . فى مقدمة كتاب العبارة يقسم أرسطو الكلمة إلى إسم وفعل معرفاً الأول بأنما دل على معنى وليس الزمن جزءاً منه ، ومعرفاً الثانى بأنه ما دل على معنى وعلى زمن . ثم يشير فى كتاب منطقى آخر — هو طوبيقا أو الجدل — إلى قسم ثالث من أقسام الكلمة يسميه الأداة . وهنا ننتقل إلى كتاب سيبويه فنجده يبدأ بتقسيم الكلم إلى إسم وفعل وحرف ويعرفها الواحد تلو الآخر تعريفاً يحاكى من بعض النواحى التعريف الأرسطى . ومن الغريب أن ما يسميه سيبويه حرفاً يسميه الكوفيون الأداة ، وكأنهم شاءوا أن يحتفظوا بالمصطلحات المنطقية احتفاظاً تاماً .

وندع جانباً ما ورد على لسان أرسطو من حديث عن النوع والكم ، أو بعبارة أخرى عن التذكير والتأنيث والإفراد والجمع ، وما عرض له من توضيح الإثبات والنفى ، والطلب والاستفهام مما له بالنحو صلة وثيقة . ونكتفى بأن نشير إلى مثل آخر له شأنه ، وهو أساس تكوين الجمل فعلية كانت أو اسمية ، ونعنى به الإسناد . وذلك أن أرسطو عرض بإسهاب لنظرية الإسناد فى كتابى المقولات والعبارة ، ففى الأول يحاول أن يحصر أنواع المحمولات العامة الممكنة ، وفى الثانى يوضح الصلة بين المحمول والموضوع ويعرف الجملة التعريف النحوى الصحيح . وهنا نعود إلى سيبويه ، فنجده يتحدث فى « الكتاب » عن المسند والمسند إليه ، وفى مكان آخر يعقد الفصل الآتى : « المبتدأ والمبنى عليه » وكأنه يريد أن يقول الموضوع والمحمول عليه . وواضح أن الإسناد دعامة كل نحو عربياً كان أو غير عربى .

وقد يتساءل : ما لسيبويه الفارسى أصلا العربى تربية والمنطق أرسطو ولم يعرف له ولوع بالفلسفة والمنطق ؟ وما أحوجنا إن شئنا أن نجيب على هذا السؤال إجابة واضحة أن نعرض لشىء من تاريخ الترجمة فى الإسلام . وقد سبق أن حدثتكم عن أثر الترجمة والمترجمين فى نشأة المصطلحات العلمية والفلسفية ، وأعتقد أن نشأة كثير من العلوم الإسلامية تتصل بهؤلاء المترجمين . ومن الثابت أن كتب أرسطو المنطقية الثلاثة الأولى (المقولات ، والعبارة ، وأنالوطيقا الأولى أو التحاليل الأولى) كانت معروفة لدى السريان وقد ترجمت إلى لغتهم الأولى قبل الإسلام ، ويقال أيضاً إنها نقلت إلى الفارسية . والمهم أنها ترجمت إلى اللغة العربية منذ النصف الأول للقرن الثانى الهجرى ، ترجمها عبد الله بن المقفع عن الفارسية أو ابنه محمد عن السريانية على خلاف فى ذلك . فهى إذن ثروة جديدة نقلت إلى العالم العربى ، ولا بد أنها قوبلت بما تستحق من تقدير ، إن من سيبويه أو من

سبقه ممن اشتغلوا بالمسائل النحوية ، وقد كان النحاة يحاولون — شأن كل باحث — أن يستعينوا على ماهم بصدده بما يعرفون من لغات أو دراسات أخرى .

على أن هناك عملا مشابها تم على مقربة من نحاة العرب الأول ، وهو وضع النحو السرياني بمدرسة نصيبين فى القرن السادس الميلادى . ولا شك فى أن هذا النحو قد تأثر بالنحو اليونانى ومنطق أرسطو ، ومن بين واضعيه والمشتغلين به مترجمون اتصلوا بالعرب ونحاتهم وعاشوا معهم . فيعقوب الرهاوى له شأنه فى وضع النحو السريانى وهو معروف فى الأوساط العربية ، وحنين بن إسحق مترجم آخر معاصر للخليل وسيبويه ، بل وصديق للخليل ، وقد تعلم العربية فى سن متقدمة وعانى منها ماعانى ومن اليسير أن نتصور أنه قد تبادل فيما تبادل مع الخليل بعض القواعد النحوية ، خصوصاً وهو يعزى إليه أنه ترجم بعض كتب الأجرومية اليونانية وأتم مع ابنه إسحق البقية الباقية من كتب أرسطو المنطقية

وفى وسعنا أن نقرر بعد كل هذا أن المترجمين فى تعلمهم للعربية وفيما نقلوا من كتب أجنبية قد بدأوا فى القرن الثانى للهجرة فأثاروا جواً حول المشاكل النحوية ولأرسطو فى هذا الجو نصيب ملحوظ . ولايصح أن نغفل ما لهذا الجو من أثر على نحاة العرب الذين عاشوا فيه وتغذوا بغذائه المادى والمعنوى . ووجه الشبه بين المنطق والنحو قديم ، فصناعة المنطق من العقل والمعقولات كصناعة النحو من اللسان والألفاظ ، وهذا ماأشار إليه صاحب السلم بقوله :

(وبعد) فالمنطق للجنان   نسبته كالنحو للسان

ولأمر ماسمى نحاة البصرة بأهل المنطق ، ولهذه التسمية ما لها من دلالة .

ولعل فى هذا مايفسر تلك المفاجأة التى أحدثها كتاب سيبويه ، بظهوره فى تلك الصورة الجامعة ، دون أن تصل إلينا سوابق ممهدة له الأمر الذى دفع صاحب « طبقات الأمم » أن يقول إنه لايعرف كتاباً ألف فى علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بدقائقه ، غير كتب ثلاثة : المجسطى فى الفلك ، والأرجانون فى المنطق ، وكتاب سيبويه فى النحو . وفى هذه الدعوى تسامح ظاهر وجهل بالتاريخ . وإذا تركنا الفلك والمنطق جانباً ، وجدنا أنه عرفت مؤلفات فى النحو العربى قبل كتاب سيبويه ، وإن كانت لم تصلنا . وقد مهدت له دون شك ، وإن كانت أقل منه مستوى ، كما مهدت له البحوث الأدبية واللغوية السابقة والمعاصرة التى اضطلع بها أمثال عيسى بن عمر الثقفى وأبو عمرو بن العلاء . ولسنا فى حاجة أن نلاحظ أنه مزيج من الأدب والنحو واللغة . هذا إلى أنه أشبه مايكون بتوجيه لبعض التعبيرات والاستعمالات ، منه بتقنين القوانين ووضع المبادئ ، فهو لم يقعد قطعاً قواعد النحو على الصورة التى قعدت بها فيما بعد . وقد مهد له أخيراً تلك البحوث النحوية التى نقلها المترجمون عن نحو السريانية أو عن منطق

أرسطو ، ويبدو على سيبويه نفسه أنه لم يكن مغمض العينين عن أمثال تلك المؤثرات ، ويكفى أن نشير إلى ذلك الفصل الذى عقده فى الجزء الثانى من الكتاب وعنوانه « باب اطراد الإبدال فى الفارسية » .

ولقد سبق لبعض المستشرقين أن أثاروا هذه النقطة ، وإن كانوا لم يقفوا عندها طويلا ، ونذكر من بينهم بروكلمان ودى بور وزميلنا الأستاذ ليتمان . ولايضير النحو العربى فى شىء أن تتضافر عوامل شتى على تكوينه ، أو أن يساهم منطق أرسطو فى التوجيه إليه . وهناك ناحية أخرى من نواحى الصلة بين هذا المنطق والنحو العربى ونعنى بها تلك الناحية المنهجية التى أشرنا إليها من قبل . والتى لم توضح بعد التوضيح الكافى .

* * *

وكلنا يعلم ماللقياس من أهمية فى نشأة النحو العربى وعزارة مادته واستخلاص قواعده وضبط أحكامه . ذهب إليه النحاة الأول بحكم فطرتهم وسجيتهم ، مقارنين بين الأشباه والنظائر ومستنبطين منها الأوصاف المشتركة التى تلتقى فيها . وتوسع فيه من جاءوا بعدهم ؛ فجعلوه منهجا ذا قواعد ثابتة ومعالم محدودة واعتبروه مبعاً رئيسياً تستمد منه القواعد النحوية . وربما حكموه فى لغات العرب ورواياتهم . فيقولون إن لغة أقيس من أخرى وإن تمسراً ما يجيزه القياس وإن لم يرد به السماع وكأنما يشرعون فى النحو كما شرع الفقهاء فى المعاملات . وهاهو ذا ابن جنى يقول : « إذا بطل أن يكون النحو رواية ونقلا ، وجب أن يكون قياساً وعقلا . » ويقرر من بعده ابن الأنبارى : « إن إنكار القياس فى النحو لايتحقق ، لأن النحو قياس كله ، فمن أنكره فقد أنكر النحو » ، ولايعلم أحد من العلماء ينكره . ويعزى إلى الكسائى ذلك البيت المشهور :

إنمـا النحو قيـاس يتبـع
وبه فى كل أمر ينتفـــع

وقد استخدم القياس فى النحو منذ المراحل الأولى ، فعالجه عبدالله الحضرمى المتوفى سنة ١١٧ هـ ، وأخذ يقيس ويعلل الأقيسة. ونماه الخليل بن أحمد ودعمه ، وتوسع فيه سيبويه أيما توسع ، وفى « الكتاب » أقيسة عدة واعتداد بالقياس فى مناسبات مختلفة لترجيح رأى على آخر . وقد لايقف عند استقراء الأمر الواقع ، بل يفترض فروضاً نظرية ويعطيها أحكاماً خاصة . وإذا كان نحو البصرة قد سبق نحو الكوفة بطبقتين كاملتين أو بما يقرب من مائة سنة ؛ فإن البصريين يعتبرون واضعى دعائم القياس فى النحو العربى. على أن الكوفيين أيضاً لم يترددوا فى استخدام القياس والتعويل عليه . وربما اكتفوا بالشاهد الواحد فاستنبطوا منه قاعدة عامة ، وبالغوا فى الأقيسة النظرية والعلل العقلية . وهانحن أولاء نقيس حتى اليوم . وللمجمع قرارات سابقة تتصل ببعض الأقيسة النحوية . كالنسبة إلى جمع التكسير ، واستعمال وزن مفعلة للمكان .

ومهما يكن من أمر الخلاف بين مدرستى البصرة والكوفة ، فإن مما يلفت النظر أن القياس النحوى نبت ونما فى العراق حيث نبت ونما القياس الفقهى ولم يجئ ذلك عبثاً، وإنما كان وليد الاعتداد بالرأى والتأثر بالثقافات الأجنبية ، ومن بينها منطق أرسطو. وهنا نقطة ينبغى توضيحها . نتحدث عن قياس فقهى وآخر نحوى ومن الخطأ أن يظن أن الأمر فيهما كما هو فى القياس الأرسطى ذلك لأن هذا الأخير يقوم فى أساسه على سير من الكلى إلى الجزئى ، أما قياسنا النحوى وزميله الفقهى فعلى عكس ذلك يسيران من الجزئى إلى الكلى . ولكن ينبغى أن نلاحظ فوراً أن أرسطو لم يهمل هذا النوع من الاستدلال ، فقد عرض فى لواحق قياسه لضربين من الاستدلال هما الاستقراء والتمثيل . وإذا كان لم يعتد بهما كل الاعتداد ، فقد قدرلها أن يستخدما فى البحوث والدراسات العلمية التى جاءت بعد ، وعلى الاستقراء بوجه خاص يعتمد البحث العلمى الحديث .

فالقياس النحوى تمثيل إن استنبطت القاعدة من شاهد واحد — الأمر الذى كان يبغضه نحاة البصرة — أو استقراء ناقص إن استخلصت القاعدة من عدة حالات فردية . وهو على كل حال فطرى فى صورته الأولى التى تتلخص فى تتبع الأشياء المتشابهة والبحث عن أسبابها وعللها . وليس لأحد أن يدعى أن هذا القدر الفطرى من صنع أرسطو أو أى فيلسوف آخر ولكن يوم أن تتحول الفطرة إلى فن وصناعة ينبغى البحث عن عوامل هذا التحول . ولم يقف القياس النحوى عند تلك الصورة الفطرية التى أشرنا إليها ، بل فلسفه النحاة وافتنوا فيه إلى درجة كبيرة .

فحثوا عن أركانه ، وقالوا كما قال الفقهاء إنها أربعة : أصل وهو المقيس عليه ، وفرع وهو المقيس ، وحكم قد يتنوع كما تتنوع الأحكام الفقهية فيكون واجباً أو ممنوعاً أو حسناً أو قبيحاً ، وأخيراً علة وهى دعامة القياس . ثم حاولوا بعد هذا أن يحددوا شرائط القياس النحوى الصحيح كما حدد أرسطو شرائط إنتاج قياسه المنطقى وإذا كانت هذه الشرائط لم تصلنا على شكل كامل وفى صورة مهذبة فإنا نجد منها شذرات هنا وهناك فى « الخصائص » لابن جنى ، وفى «أصول النحو» و«الإنصاف» لابن الأنبارى ، وفى « الاقتراح فى أصول النحو » للسيوطى .

ودون أن نتتبع مبادئ القياس النحوى ، نكتفى بأن نشير إلى أمثلة منها ، فيقال : يحمل الأقل الأندر على الأعم الأكثر لا العكس ، والحمل على ماله نظير أولى من الحمل على ما لانظير له ، وماجاء على أصله لايسأل عن علته ، والقياس على الفاسد فاسد ، وإن أجازوا القياس على ماورد فى ضرورة الشعر بشرط أن يستعمل فى هذه الضرورة أيضاً . وفى هذه المبادئ وأمثالها مايدل على أن نحاة العرب أرادوا أن يضعوا لقياسهم أصولا تحاكى تلك الأصول التى وضعها الفقهاء . وأصول القياس النحوى كأصول القياس الفقهى تلتقى فى أنها ترسم خطى القياس المنطقى .

ومثل واحد من بين هذه الأصول كاف فى توضيح ذلك ، ألا وهو مبدأ العلية ، وقد كان لهذا المبدأ شأن فى النحو العربى لايقل عن شأنه فى المنطق الأرسطى ، ذلك لأن العلة هى الدعامة التى يقام عليها القياس النحوى والمنطقى . وما نظرية العامل النحوية إلا وليدة مبدأ العلية الفلسفى . وإذا قلنا نظرية العامل فإنما نلخص النحو فى جملته ، وقديماً قالوا : « النحو أثر يجلبه العامل » . وقد وضع أبو على الفارسى كتاباً سماه « العوامل » استوعب فيه النحو جميعه ، كما وضع عبد القاهر الجرجانى كتاباً آخر اسمه « العوامل المائة » فيه خلاصة نحوية مستوفاة .

والعوامل ظاهرة ومضمرة ، وقوية وضعيفة ، ومجموعة العوامل المتشابهة تكون أسرة واحدة . وهناك كلمات تعمل بنفسها وأخرى لمشابهتها لغيرها ، فالأصل فى العمل للأفعال . وتلحق بها الأسماء إذا شابهتها . وتكون الكلمة عاملا حينا ومعمولا حيناً آخر ولايمكن أن تكونهما فى آن واحد . والبحث عن العوامل بيان وتوضيح لعلل الإعراب ، وقد عرفت علل الإعراب أو علل النحو قبل أن تعرف نظرية العامل فى ثوبها الكامل ، ويعتبر « كتاب » سيبويه أول بحث جامع للعلل النحوية .

فمن أين استمد النحاة فكرة العلل أونظرية العامل هذه ؟

يذهب فريق إلى أنهم تأثروا فيها بالفلسفة الكلامية ، وإذا كان لكل حادث محدث فلكل معمول عامل . ويقول الإمام الرضى إذ . « النحاة يجررون عوامل النحو كالمؤثرات الحقيقية » . ويذهب فريق آخر إلى أنهم تأثروا بالبحوث الفقهية ، ذلك لأن القياس النحوى شبيه كل الشبه بالقياس الفقهى . يقول ابن جنى فى « خصائصه » : « اعلم أن أصحابنا انتزعوا العلل من كتب محمد بن الحسن ، جمعوها منها بالملاطفة والرفق . » ويشير الزمخشرى إلى شىء شبيه بهذا فى مقدمة « مفصله » ، ويضع السيوطى كتابه « الاقتراح فى أصول النحو » على ترتيب يحاكى — فيما يرى — أصول الفقه فى الأبواب والفصول والتراجم . ولكن ابن جنى يعود فيقرر أن علل حذاق النحاة أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل الفقهاء ، لأنها أكثر مجاراة للطبع .

وسواء أكانت العلل النحوية أشبه بالعلل الكلامية أم بالعلل الفقهية ، فإن كلا الفرضين لايحل الموقف تمام الحل . ذلك لأن علل الإعراب عرفت فى أوائل القرن الثانى للهجرة قبل أن تذاع وتعرف علل المتكلمين والفقهاء وإذا صدق كلام ابن جنى والزمخشرى على القرن الرابع والخامس ، فإنه ليس من السهل أن توضح به أحداث القرن الثانى . على أن فكرة العلية عند المتكلمين والفقهاء أنفسهم قد تأثرت بأصل أرسطى .

وذلك أن الفيلسوف اليونانى عرض لمبدأ العلية فى كتبه الطبيعية والميتافيزيقية والمنطقية ، ويعنينا الآن الجانب المنطقى لهذا المبدأ . ففى « التحاليل الثانية » يشرح أرسطو العلل الأربع المادية ، والصورية ، والفاعلية ، والغائية ، ويبين مدى استخدامها فى التعريف والبرهان

فالتعريف الصحيح هو الذى يوضح مادة الشىء وصورته ، أو يكشف عن باعثه وغايته. والقياس العلمى الدقيق هو الذى يستخلص النتيجة من عللها الحقيقية ، وكلما كان الحد الأوسط أحد العلل الأربع كان الاستنتاج سهلا يسيراً والاستدلال واضحاً قوياً .

ولم يعمل النحاة شيئاً أكثر من أنهم حاولوا أن يدعموا قياسهم بمبدأ العلية ، كما فعل أرسطو من قبل . فتلمسوا عللا لما قرءوا وما سمعوا ، وقاسوا عليه كل مايشترك معه فى علته . وتنوعت العلل عندهم كما تنوعت عند الفيلسوف اليونانى ، فلديهم علة تشبيه كبناء الاسم لمشابهته للحرف وإعراب المضارع لمشابهته للاسم ، وعلة استثقال كحذف واو يعد استثقالا لوقوعها بين ياء وكسرة ، أو علة تغليب مثل وكانت من القانتين . وقد غلوا فى هذه العلل إلى حد أفقدها كثيراً من قيمتها ، ومن أمثلة المتعلمين : «العلة النحوية كالوردة تشم ولا يضعط عليها .» وإذا كان ابن جنى والسيوطى قد تصديا للدفاع عن العلل النحوية ، فما ذاك إلا لما أخذ عليها من ضعف ووجه إليها من نقد .

* * *

هذه هى آثار منطق أرسطو فى النحو العربى وجه إلى بعض قواعده ؛ وساهم فى تكوين بنيانه ، وأعان على رسم منهجه ، وكان عاملا قويا من عوامل عزارة مادته واتساع أبوابه ولكنه من ناحيــة أخرى أصابه — فيما يظهر — بشىء من العقم والصورية التى بلى بها المنطق الأرسطى نفسه فعنى بالصور والأشكال أكثر مما عنى بالدلالات والمعانى . وأكثر من القوانين والضوابط فأثقل على العلماء والمتعلمين، وغلا فى القواعد بحيث أصبحت جوفاء لاتصدق إلا على حال أو أحوال محدودة ، ومع ذلك لم تخل من شذوذ واستثناء ، وأسرف فى التمارين غير العملية التى جاءت وليدة تشبيه وفروض وهمية لا أساس لها . ومن يقرأ شرح السيرافى على «كتاب» سيبويه أو شرح أبى حيان على التسهيل يلمس أن النحاة كثيراً ما أفسدوا النحو بما وضعوا من فروع وعلل وأصول وأقيسة ومسائل غير عملية .

وفوق هذا فتح مبدأ العلية على النحاة باب فلسفة مفرطة وثقيلة أحياناً ، فهناك علل أول وثوان وثوالث ، وقد يكون للمعلوم الواحد أكثر من علة يتأولها كل نحوى كما يتراءى له. وفى باب الممنوع من الصرف أمثلة من تلك العلل المتهافتة ، وفى باب الاشتغال ولا النافية أمثلة أخرى من تلك الاعتبارات الفلسفية غير المقبولة . وكثيراً ماورد فى المسألة قولان أو أقوال ، واستخدمت العلة الواحدة فى إثبات الشىء وضده .

وكان من نتائج هذا أن اختلف النحاة فيما بينهم اختلافاً بينا ، اختلفوا مدارس كما اختلفوا أفراداً . وجد كل فريق فى الدفاع عن رأيه والتدليل على وجهة نظره ، واعتبرت التوجيهات النحوية ضرباً من النشاط الذهنى الذى افتن فيه أيما افتنان . فكانت مثار جدل طويل لم يعدم أرسطو الحيلة فى أن يعديه بوسائله الجدلية الكثيرة ومن الغريب أن الخلاف فيما يصح أن نسميه فلسفة النحو أشد من الخلاف فى النحو نفسه . ونظرة إلى «كتاب الإنصاف»

لابن الأنبارى تكفى لتوضيح ذلك ، فالبصريون والكوفيون مجمعون على رفع المبتدأ ، والخلاف بينهم فى علة الرفع : هل هى الابتداء أو الخبر؟ والنحاة متفقون على نصب المفعول معه ، وإنما يختلفون فى علة هذا النصب فالجمهور يراها ماتقدمه من فعل ، والجرجانى الواو المقارنة لهذا المفعول ، والزجاج يضمر لذلك فعلا خاصاً ، والكوفيون يقولون بعامل معنوى هو الخلاف . ولا أظننى أبيح لنفسى أن أثقل عليكم بسرد أدلة كل رأى من هذه الآراء .

ولو وقف الأمر فى هذا كله عند الخاصة والمتفرغين ، لقلنا لهم شأنهم وليسلكوا من سبل البحث مايشاءون . أما أن يفرض على شباب المتعلمين جميعاً ، فهذا تكليف بما لاطاقة عليه ، وإجهاد فى غير طائل . ولعل هذا هو الذى دفع ابن مضاء الأندلسى إلى القول بإلغاء نظرية العامل ورفض القياس والعلل النحوية ، فوق ماكان لديه من اعتبارات أخرى نظرية . ولاشك فى أن نظمنا التعليمية خطت خطوات فسيحة فى إعفاء شباب المتعلمين من هذه الفلسفات العقيمة والخلافات غير المجدية ، ولكن لاتزال دعوة تيسير النحو قائمة . وما أحوجنا أن نصنفه تصنيفا جديداً ، فنحذف منه مالا لزوم له — وما أكثره — ونستغنى عن التأويل والتقدير فى الصيغ والعبارات ، ونقرب نحونا من روح العصر ومقتضيات الحياة الحاضرة ، ونراعى فيه تطور النحو فى اللغات الأخرى .

وإذا كانت لجنة الأحوال الشخصية ، بل والبرلمان قد يسرا للناس كثيراً من أمر حقوق الأسر ، فلن يعز علينا أن نيسر لهم قواعد لغتهم التى يتخاطبون بها ويكتبون قبل أن يتقاضوا ويختصموا .

الجملة الفعلية أساس التعبير فى اللغة العربية

لحضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم (*)

تقتضى العقلية العربية أن تكون الجملة الفعلية الأصل والغالب الكثير فى التعبير ، لأن العربى جرت سليقته ودفعته فطرته إلى الاهتمام بالحدث فى الأحوال العادية الكثيرة وهى التى لايريد فيها أن ينبه السامع إلى الاهتمام بمن وقع منه الحدث أو التى لايهتم هو فيها بمن وقع منه الحدث ، فالأساس عنده فى الإخبار أن يبدأ بالفعل فيقول : عدا الفرس ورعت الماشية ، وعاد المسافر . وقد يلتجئ العربى إلى الجملة الإسمية إذا كان القصد إلى الفاعل وإلى الإسراع بإزالة الشك فيمن صدر منه الفعل ، فيبدأ بذكره أولا قبل أن يذكر الفعل لكى يخصصه به أو لكى يبعد الشبهة عن السامع ويمنعه أن يظن به الغلط أو التزيد. قال صاحب دلائل الإعجاز : «... فإذا عمدت إلى الذى أردت أن تحدث عنه بفعل فقدمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه فقلت : زيد قد فعل وأنا فعلت وأنت فعلت ، اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل . إلا أن المعنى فى هذا القصد ينقسم قسمين : أحدهما جلى لايشكل وهو أن يكون الفعل فعلا قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر أو دون كل أحد . ومثال ذلك أن تقول : أنا كتبت فى معنىّ فلان وأنا شفعت فى بابه ، تريد أن تدعى الانفراد بذلك والاستبداد به وتزيل الاشتباه فيه وترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك أو أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت . ومن البين فى ذلك قولهم فى المثل : أتعلمنى بضب أنا حرشته ؟

«والقسم الثانى ألا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل وتمنعه من الشك ، فأنت لذلك تبدأ بذكره وتوقعه أولا ومن قبل أن تذكر الفعل فى نفسه ، لكى تباعده بذلك من الشبهة وتمنعه من الإنكار ، أو من أن يظن بك الغلط أو التزيد ، ومثاله قولك : هو يعطى الجزيل وهو يحب الثناء : لاتريد أن تزعم أنه ليس ههنا من يعطى الجزيل ويحب الثناء غيره ، ولا أن تعرض بإنسان وتحطه عنه وتجعله لايعطى كما يعطى ولايرغب كما يرغب ، ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه ، وأن تمكن ذلك فى نفسه ... » قال عبد القاهر : ومما يحسن ذلك فيه ويكثر ، الوعد والضمان كقول الرجل : أنا أعطيك ، أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر ... وكذلك يكثر فى المدح والفخر نحو :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى
لاترى الآدب فينـــا ينتقر

(دلائل الإعجاز ص ٩٩)

(*) بحث ألقى فى مؤتمر المجمع (الجلسة الثامنة أول يناير سنة ١٩٤٩) .

ثم انتقل عبد القاهر إلى الحديث فى عادة العربى بالتعبير بالجملة الفعلية إذا لم يوجد مقتض للاهتمام بالفاعل فقال : « ويزيدك بياناً أنه إذا كان الفعل مما لايشك فيه ولاينكر بحال لم يكد يجيء على هذا الوجه ، ولكن يؤتى به غير مبنى على اسم ، فإذا أخبرت بالخروج مثلا عن رجل من عادته أن يخرج فى كل غداة قلت : قد خرج ، ولم تحتج إلى أن تقول : هو قد خرج . ذلك لأنه ليس بشيء يشك فيه السامع فتحتاج أن تحققه وإلى أن تقدم فيه ذكر المحدث عنه . وكذلك إذا علم السامع من حال رجل أنه على نية الركوب والمضى إلى موضع ولم يكن شك وتردد أنه يركب أو لا يركب ، كان خبرك فيه أن تقول : قد ركب ، ولاتقول : هو قد ركب . »

يتضح من هذا أن من طبيعة العربى تقديم مايهتم به ، فهو مطبوع بشعوره الخاص على أن يبدأ الكلام بما يرى أن السامع فى حاجة إلى تقديمه ، فإذا قال : « سبقت فرسى » فإنه يرى أن السامع يتطلع أولا إلى وقوع الحدث وهو السبق ، ثم يأتى صدور السبق من الفرس ثانياً . وعلى هذا النمط يجرى فى أكثر أخباره . ولكن إذا كانت الفرس معروفة بالبلادة والبطء وكان السامع لايتوقع سبقها عدل عن الجملة الفعلية وقال : « فرسى سبقت » للإسراع بما يقتضى الدهشة والعجب .

ومما يستأنس به فى هذا الباب ماجاء فى دلائل الإعجاز من الكلام عن التقديم والتأخير بين الفاعل والمفعول به :

« واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه (أى فى التقديم والتأخير) شيئاً يجرى مجرى الأصل غير العناية والاهتمام . قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول : كأنهم يقدمون الذى بيانه أهم لهم وهم بشأنه أعنى وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم . ولم يذكر فى ذلك مثالا . وقال النحويون : إن معنى ذلك أنه قد يكون من أغراض الناس فى فعل ما أن يقع بإنسان بعينه ولايبالون من أوقعه ، كمثل مايعلم من حالهم فى حال الخارجى يخرج فيعيث ويفسد ويكثر به الأذى ، أنهم يريدون قتله ولايبالون من كان القتل منه ولا يعنيهم منه شيء ، فإذا قتل وأراد مريد الإخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجى فيقول : قتل الخارجىَّ زيد ولايقول قتل زيد الخارجى ، لأنه يعلم أن ليس للناس فى أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة فيعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم ، ويعلم من حالهم أن الذى هم متوقعون له ومتطلعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجى المفسد وأنهم قد كفوا شره وتخلصوا منه

« ثم قالوا : فإن كان رجل ليس له بأس ولايقدر فيه أنه يقتل فقتل رجلا وأراد المخبر أن يخبر بذلك فإنه يقدم ذكر القاتل فيقول : قتل زيد رجلا : ذلك لأن الذى يعنيه ويعنى الناس من شأن هذا القتل طرافته وموضع الندرة فيه وبعده كان من الظن . ومعلوم أنه لم يكن نادراً وبعيداً من حيث كان واقعاً بالذى وقع به ولكن من حيث كان واقعاً من

الذى وقع منه . فهذا جيد بالغ إلا أن الشأن فى أنه ينبغى أن يعرف فى كل شىء قدم فى موضع من الكلام مثل هذا المعنى ويفسر وجه العناية فيه هذا التفسير . » انتهى كلام عبد القاهر .

ومما يؤكد طبيعة العربى فى تقديم مايهتم به ماجرى عليه فى الاستفهام . فإن هناك فرقاً بين أن يقول العربى « أفعلت ؟ » وبين أن يقول « أأنت فعلت ؟ » فهو يسأل فى الصورة الأولى عن صدور الفعل لأنه يشك فى صدوره ولذلك قدمه . أما فى الصورة الثانية فهو لا يشك فى الفعل ولكنه يشك فيمن فعله . ويأتى النفى على هذا النحو فقولك : « ماكتبت » غير أن تقول : « ما أنا كتبت » لأنك فى الأولى نفيت عنك كتابة لم يثبت وقوعها أما فى الثانية فقد صدرت الكتابة ، ولكنك تنفى صدورها منك . وإذا قلت « ما أكلت الطعام » فإن هذا لا يحتم أن يكون الطعام أكل ، ويجوز أن يكون أكل وأن آكله غيرك .

وتقديم الفعل على الفاعل هو الأصل ، فالمرء يهتم بالحدث أولا ، ثم يتجه إلى محدثه لأن الحدث هو الأمر الجديد الذى يعنيه شأنه ولذلك يمكن أن ندعى أن الأسلوب العربى هو الأسلوب الجارى على الأصل ، كلما خطر بذهن متكلم وقوع حدث من فاعله فهو يندفع أولا إلى ذكر الحدث ثم ينسبه إلى من صدر منه .

ودليل أهمية الحدث فى طبيعة المتكلمين أن اللغات تكتفى كثيراً ببناء الفعل للمجهول وتهمل فاعله ، لأن لحصول الفعل عندها المرتبة الأولى ، نعم أنهم ذكروا لإهمال الفاعل أسبابا كثيرة ولكن من أكثر أسباب البناء للمجهول عدم الاهتمام بالفاعل نفسه وحصر الإخبار فى وقوع الفعل من شخص ما .

وقد يحتج علينا محتج بأن منطق الأشياء كان يقتضى العكس ، وهو أن يقدم الفاعل على الفعل ، لأن ذكر الفعل قبل فاعله ذكر للأثر قبل المؤثر . وعلى ذلك جرت لغات أهل الغرب ، وعلى ذلك جرى العامة فى مصر وغيرها من الأقطار العربية ، ولكنا نجيب بأن المسألة ليست مسألة منطق ، وإنما هى مسألة شعور العربى بما يرى نفسه مندفعاً إلى الإسراع بالتعبير عنه .

ولعل أساس ميل العرب إلى البداءة بالفعل أنهم كانوا يعيشون عيشة بداوة تحيط بها المخاوف ويكتنفها التوجس ، وتكثر فيها المفاجآت فكان يهمهم أن يسرع المتكلم بذكر الحدث قبل من وقع منه الحدث ، فتقول مثلا . سطا الذئب ، وأغارت قبيلة بنى فلان ونضبت البئر ، إلى غير ذلك .

ثم إن الفعل فى نظر العربى يتضمن فوق الحدث الذى يفيده نوع الفاعل على شىء ما من الإجمال . فإذا قيل مثلا : « عدا » فإنه يفهم قبل أن يذكر فاعل العدو أن الفاعل لابد أن يكون حيواناً ، وأن يكون حيواناً خاصاً مما يصح أن يعدو . ويتضح الأمر أكثر من هذا إذا قيل : « اجترّ » مثلا ، فإن الفاعل ينحصر

فى أنواع قليلة من الحيوان . فهو إذا قدم الفاعل استفاد أمرين : معنى الحدث ، ثم نوع الفاعل على الإجمال . وقد يدل الفعل على فاعل بعينه نحو : نقت الضفادع وماء القط الخ ...

والفعل يتضمن حدثاً وزمناً ، أو بعبارة أخرى يتضمن معنيين فى آن : فالعربى يسرع بتقديمه بدل أن يقدم من صدر منه الفعل لأنه لايفيد إلا معنى واحداً .

ثم إن العربى ميال بفطرته إلى الإيجاز وتجنب الفضول . فهو يقول : جاء الرجل ولايقول الرجل جاء ، لأن الثانية تتضمن تكرار الإسناد لامحالة . وهو لايلجأ إلى تكرار الإسناد إلا لغرض بلاغى . حقاً إن الكوفيين أجازوا تقديم الفاعل على الفعل ، وأن مثل قولك : « الرجل قام » لايتضمن الفعل فيه ضميراً على رأيهم وإنه كقولك « قام الرجل » تماماً . ولكنى أرى أن نحيزة العربى ألا يخلى فعلا من فاعله ، سواء أكان هذا الفاعل ظاهراً أم ضميراً بارزاً أم مستتراً ، وأن ذوقه العام يقتضيه أن يقدم الفعل على الفاعل كما نراه فى الكلام الكثير من لغة العرب . ولو كان العربى يجيز تقديم الفاعل على الفعل لقال : « أنا قام » و « أنت قام » ، ولكنه يقول : « أنا قمتُ » و « أنت قمتَ » ولو ادعى مدع أن التاء فى قمتُ وقمتَ حرف للتكلم أو الخطاب فى هذه الأمثلة ، فماذا يقول فى قول القائل : « قمت لفلان » ؟ أيدعى أن هذه الجملة بلا فاعل ، أم ماذا يقول ؟

أما إذا أراد العربى أن يخبر عن اسم باسم، فقد يكون الخبر اسما جامداً وقد يكون وصفاً أى اسماً مشتقاً يدل على ذات متصفة بحدث، وهذا هو الكثيرُ الغالب وهو فى هذه الحال يقدم المخبر عنه على الخبر إذا لم تدفعه لفتة بلاغية .

ذلك لأنه يعد الخبر صفة للإسم الأول ، ومن طبيعته أن يقدم الموصوف على الصفة . فهو يقول : الرجل قائم ، كما يقول : رأيت رجلا قائماً . وليس من عادة العربى أن يعدل عن هذا النمط إلا لأغراض تقتضى العناية بالخبر فيقدمه .

مدرسة القياس فى اللغة

لحضرة العضو المحترم الدكتور أحمد أمين (*)

من طبيعة الأشياء أن يكون فى كل جماعة بلغت شأوا ما من الرقى ، طائفة من المحافظين وطائفة من الأحرار .

فالمحافظون بطبيعتهم ميالون إلى السير على القديم من غير تفكير فى تغييره ولا الخروج عليه ، ويدعوهم إلى ذلك : إما خمودهم الذهنى وفقدان النشاط العقلى الذى يبعث على التفكير ويدعو إلى التغيير وإما حب السلامة وعدم تنغيص الحياة بما يستوجبه التجديد من الاضطراب والتعرض للنقد ، وإما منفعتهم الشخصية من النظام القديم على وجه ما ، وإما إخلاصهم للقديم وإجلالهم له لما أسبغ عليه من تقديس .

والأحرار ميالون إلى التجديد يدعوهم إلى ذلك نشاط دهنهم ومايرونه فى القديم من عيوب تدعوهم إلى نقدها وتغييرها ولهم من الشجاعة والغيرة مايحملهم على مجابهة القديم والدعوة إلى الجديد .

هذا هو الشأن دائماً فى تاريخ الحياة الإنسانية وقد كان هذا عند العرب كما كان عند غيرهم . فالدعوة إلى الإسلام نفسه دعوة إلى التجديد وكان فى الصحابة أنفسهم محافظون وأحرار قد يمثلهم جميعاً عمر بن الخطاب وابنه عبد الله .

وجد هؤلاء الأحرار والمحافظون فى الفقه فكان أهل الحديث الذين يقفون عند جمعه واستنباط الأحكام منه ، وأهل الرأى أو أهل القياس ، وهم الذين يقيسون مالم يرد فيه نص على ماورد فيه نص ، وهذا هو الشأن فى كل جماعة يشتغلون بكل علم : منهم من يقف عند ماقرره العلماء ، ومنهم من يبتكر ويستنبط ويبين خطأ من قبله ويصححه .

وكذلك الشأن فى اللغـــة حتى بين الأدباء فمن الشعراء والأدباء من كان يلتزم ما ورد فى اللغة ولايخرج عنه بحال من الأحوال ، ومنهم من كان يجيز لنفسه أن يجدد . فيحكون عن العجاج وابنه رؤبة أنهما كانا يصوغان ألفاظاً لم يسبقا إليها . ويروى عن بشار أنه كان يقيس مالم يرد على ماورد : فرأى العرب تصوغ فَعَلَى من الفعل للدلالة على السرعة فقالوا جمزى لسرعة السير فقاس عليها وقال :

والآن أقصر عن سمية باطلى
وأشار بالوَجَلى على مشيرُ

وقال :

على الغَزَلى منى السلام فربما
لهوت بها فى ظل مخضلة زهر

وعابه المحافظون على ذلك فقالوا لم يسمع من العرب وجلى ولا غزلى .

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة التاسعة للمؤتمر (٣ من يناير سنة ١٩٤٩) ، وانتهى المؤتمر بعد مناقشته إلى قرار فى الأخذ بمبدأ القياس (انظر القرار الأول من القرارات العلمية لهذه الدورة)

وأنشد الخليلَ رجلٌ فقال :

« ترافع العــزّ بنا فارفنععا »

قال الخليل : فقلت هذا لايكون . فقال : كيف جاز للعجاج أن يقول :

« تقاعس العزّ بنا فاقعنسسا »

على كل حال ، بدأ العلماء يجمعون اللغة من أفواه العرب سواء فى ألفاظها وأساليبها وقد بذلوا فى ذلك جهداً مشكوراً وتحملوا فى ذلك من العذاب مالايستطيعه إلا أولو العزم وفضلوا أن يأخذوا عن العرب العرباء الذين لم تفسدهم الحضارة ولا الاختلاط وعدوا أصح من تؤخذ عنهم اللغة ، وهم قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يأخذوا عن غيرهم من سائر قبائلهم كما لم يأخذوا عن حضرى ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم .

ولكن يؤخذ عليهم أنهم ساروا فى الجمع حيثما اتفق فلم يفردوا كل قبيلة بما أخذ عنها ولو فعلوا ذلك لأفادونا فائدة كبرى . وفى رأيى أن كثيراً من الاضطراب فى اللغة كالذى نراه فى أوزان جموع التكسير المختلفة ، وجمع الكلمة على أشكال عدة مثل جموع ناقة وعبد ، سببه اختلاف لغات القبائل وأن كل لغة كان لها موازينها القياسية المطردة غالباً ، وكذلك اختلاف أوزان الأفعال الثلاثية كثير منها كان سببه هذا ، وكذلك تعدد المصادر للفعل الواحد ففعل لقى مثلا له أكثر من عشرة مصادر وما أظن أن قوما عقلاء يجعلون للغتهم مصادر أكثر من عشرة لكلمة واحدة . وهذا ماجعل اللغة العربية تنوء بالمترادفات . فلو أن جامعى اللغة جمعوها على نمط منظم لأفردوا كل لغة بمجموعة وكان هذا يفيدنا كثيراً فى تنظيم لغتنا وحذف مايحذف وإثبات مايثبت .

كما يؤخذ عليهم أنهم لم يفرقوا فى جمعهم بين اختلاف الكلمات الواحدة من حيث مادتها وبين الكلمات المختلفة بحسب اللهجات فقد تكون الكلمة واحدة فى الأصل ولكن اختلفت لهجات القبائل فى وضع حرف مكان حرف أو تقديم حرف وتأخيره مثل أن تقول قبيلة : نكف عن الشىء وقبيلة كنف ومثل عاث يعيث وعثا يعثو والشىء الشائع والشىء الشاعى وبضا بالمكان وباض أى أقام ومثل كدر وكدل وكدن إلى كثير من أمثال ذلك . والمعاجم مملوءة بها وبتعدادها ، مع أن الواضح فيها أن أصل المادة شئ واحد واختلفت فيها اللهجات ، فلماجاء أصحاب المعاجم جمعوا هذا حيثما اتفق أيضاً . وكان الواجب أن يكون بعد هذا الجمع الترتيب والتبويب والغربلة والدراسة كما هو الشأن فى كل علم تجمع مادته الخاصة حيثما اتفق ثم تفحص وترتب حسبما يدل عليه العلم ، فمثلا : جمع المشتغلون بالحيوان أصناف حيوانات البحر وسموها سمكا اعتماداً على سكنى الماء وتماثل الصورة وجعلوا صنفاً يسمى الوهيل من السمك لهذه الشواهد الظاهرية فلما عنى علماء الحيوان بالبحث وجدوه من ذوات الثدى فألحقوه بالخيل والبقر وأخرجوه من دائرة الأسماك .

وعد الأقدمون الأجرام السماوية من ذوات النفوس لما شاهدوا فى حياتهم الأرضية من أن المتحرك من غير محرك محسوس لا يكون إلا

ذا نفس وإرادة فجعلوا للنجوم نفوساً وإرادات وعدوها أرقى من الإنسان لأنها فى السماء وهم فى الأرض . فلما اكتشف قانون الجذب ، وتقدم العلم تبين أنها ليست بذات أنفس وإرادات وإنما هى مادة جامدة كالأرض إلى كثير من هذه الأمثلة .

وقد قصّر أصحاب المعاجم فى بحثهم المستقصى عن النمط العلمى .

وكان هذا الجمع هو المادة الخامة للغويين والنحويين . فأما النحويون والصرفيون فقد برعوا فى القياس إلى أقصى حد ، فكل علمهم قياس . نظروا إلى الأعم الأغلب فجعلوه قاعدة وجعلوا ماجاء على خلافها شاذاً لايصح لنا الإتيان بمثله . فالعرب لم تلتزم مثلا نصب اسم إن ولا رفع خبرها ولاعطف المرفوع على المرفوع والمنصوب على المنصوب وهكذا بل ورد فى القرآن رفع اسم إن فى قوله تعالى « إن هذان لساحران » وجاء فيه . « والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » . وقوله « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى » . فقعدوا قواعدهم على الكثير الغالب . وكذلك الصرفيون فى قواعد الإعلال والإبدال واشتقاق صيغ اسم الفاعل والمفعول والزمان والمكان الخ فضبطوا بذلك اللغة فى اختصاصهم ، وكل هذا عن طريق القياس .

أما اللغويون فسادت عليهم المحافظة وقلت فيهم الحرية . وليس الاختلاف فى أن اللغة توقيفية أو غير توقيفية إلا مظهراً من مظاهر المحافظة والحرية فمن قال بأنها توقيفية أو بعبارة أخرى من وضع الله أسبغ عليها حلة من التقديس والتزمها من غير تصرف فيها . ومن قال إنها غير توقيفية أو بعبارة أخرى من وضع البشر كان أكثر حرية فى التصرف فيها.

على كل حال نرى كثيراً من اللغويين وقفوا عندما ورد وكانوا محافظين ومن هؤلاء . جامعوا اللغة كالأصمعى وابن الأعرابى وأبى زيد فلم يكونوا يستبيحون لأنفسهم أن يقولوا كلمة أو يشتقوا اشتقاقاً إلا عن سماع ، ومن هؤلاء أيضاً أصحاب المعاجم كالجوهرى والفيروزابادى وابن منظور فلم يقيسوا على مارووا ، وإن اختلف بعضهم عن بعض فى زيادة الكمية المروية أو نقصها ، وكثرة الاستشهاد وقلته ، وذكر أسماء البلاد والأعلام أو عدمه ، ونحو ذلك

وبجانب ذلك قلة من القياسيين أو بعبارة أخرى مدرسة القياس وربما كان من أعلام هذه المدرسة أبو على الفارسى وتلميذه ابن جنى .

فأما أبو على الفارسى ففارسى الأب عربى الأم . مات ببغداد سنة ٣٧٧ فى أيام الطائع لله عن نيف وتسعين سنة طوف كثيراً فى بلاد الشام وأقام بحلب مدة وخدم سيف الدولة ابن حمدان ثم رجع إلى بغداد وخدم عضد الدولة وبقى بها إلى أن مات

وقد كان معاصراً لأبى سعيد السيرافى وكان أبو سعيد هذا أكثر من الفارسى رواية وكان الفارسى أكثر منه قياساً حتى لقد قال أبو على

الفارسى : « لأن أخطئ فى خمسين مسألة ممابابه الرواية أحب إلى من أن أخطئ فى مسألةواحدة قياسية . وقد قال فيه بعض تلاميذه : « أحسب أن أبا على قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ماوقع لجميع أصحابنا » . وما العلل إلا مقدمة القياس .

وكان يقول : ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . فإذا عربت لفظةأعجمية أجريت عليها أحكام الأعراب وعددتها من كلام العرب ، وأجيز الاشتقاق منها : كما عرب العرب لفظة الدرهم واشتقوا منه دَرْهَمَت الخبّازى أى صارت كالدراهم وقالوا رجل مُدرهَم ، أى كثرت دراهمه .

وكان يقول : لو شاء شاعر أو ساجع أو متسع أن يبنى بإلحاق لام الكلمة اسماً أو فعلا أوصفة لجاز له ولكان ذلك من كلام العرب . وذلك نحو قولك : خرجج أكرم من دخلل وضربب زيد عمراً ، ومررت برجل ضربب وكرمم ونحو ذلك . فقال له تلميذه ابن جنى أفترتجل اللغة ارتجالا ؟ قال ليس بارتجال ، لكنه مقيس على كلامهم فهو إذن من كلامهم ثم قال : ألا ترى أنك تقول : طاب الخشكنان فتجعله من كلام العرب وإن لم تكن العرب تكلمت به هكذا . قال : فرفعك إياه كرفعها ماصار لذلك محمولا على كلامها ومنسوباً إلى لغتها .

وكان جريئاً إلى حد لم نصل إليه إلى اليوم فكان من رأيه أن الألف اللينة فى الكلمة الثلاثية تكتب ألفاً مطلقاً سواء أكان أصلها واواً أم ياءً وقد علل ذلك بحمل الخط على اللفظ .

وأما ابن جنى فهو من أب رومى وكان من أمهر العلماء فى التصريف . مات فى سنة ٣٩٢ فى خلافة القادر . اجتمع بالمتنبى فى بلاط سيف الدولة وكان المتنبى يقول فيه : « هذا رجل لايعرف قدره كثير من الناس » وكتابه الخصائص نحا فيه منحى جديداً طريفاً يدل على تذوقه للغة وتعمقه فى فهم أسرارها ومحاولة فلسفتها . وقد صحب أبا على الفارسى أستاذه أربعين سنة واستوعب علمه وزاده تفصيلا وتعليلا وتدليلا . وقد رأى الفقهاء وضعوا للفقه أصولا والمتكلمين وضعوا للعقائد أصولا فأراد أن يضع للغة والنحو كذلك أصولا فكان بذلك واضع علم جديد يقول فيه : « إنه من أشرف ماصنف فيه من علم العرب وأذهبه فى طريق القياس والنظروأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة . » ووصف ماكان يعانى فى ذلك الباب من إمعان النظر وطول التفكير ومقارنة الأشياء بالأشياء وموازنة النظائر بالنظائر فكان له من ذلك كله اكتشاف كثير من حقائق اللغة . وسر الوضع ، ورسم مناهج القياس

وكان له فصل كبير فيما سمى الاشتقاق الكبير وهو الذى سماه بهذا الاسم . وقد تنبه إليه أستاذه أبو على الفارسى . قال ابن جنى : « إن أبا على — رحمه الله — كان يستعين به ويخلد إليه لكنه مع ذلك لم يسمه وإنما كان

يعتاده عند الضرورة ويستروح إليه.» فجاء ابن جنى فوسعه ونماه وسماه ، وسمى الاشتقاق المعروف فى أيدى الناس بالاشتقاق الصغير كأن نشتق من كتب : يكتب وأكتب وكاتب ومكتوب ومكتب وكتاب ...الخ ... أما الاشتقاق الكبير فيعنون به حصر أصول الكلمة وتقليبها على وجوهها المختلفة وأن تستخرج منها التباديل والتوافيق وتقرن بينها كأن تأخذ كلمة كلم وتحولها إلى ك م ل ، م ك ل ، م ل ك ، ل ك م ، ل م ك . وتمعن النظر فيها لتنظر هل هذه الحروف إذا جمعت كلها على نحو ما دلت على شيء واحد يتنوع بتنوع تركيب هذه الحروف : فتستخرج مثلا أن هذه الحروف الثلاثة إذا اجتمعت دلت على القوة وتستخرج معنى القوة من كل مادلت عليه فى أشكالها المختلفة وهذا باب عظيم من أبواب أصول اللغة تفوق فيه ابن جنى .

ومما يؤسف له أن مدرسة القياس هذه لم تستمر فى سيرها حتى تؤتى ثمارها فإن النكبة التى أصيب بها المعتزلة نكبة أصيب بها العلم العربى كله . فقد كانت الحرب بين المعتزلة والمحدثين حرباً أيضاً بين منهجين للعلم : منهج تحكيم العقل مع المحافظة على أصل الدين — وهو الذى دعا إليه المعتزلة — وهو منهج البحث والتجربة والاستدلال العقلى والشك والقياس وما إلى ذلك كما يظهر فى منهج النظام والجاحظ وأشباههما ، ومنهج الذين يقتصرون على الرواية والجمع والتجريح والتعديل وما إلى ذلك وهو منهج المحدثين . فلما نصر المتوكل المحدثين ونكل بالمعتزلة سادت طريقة المحدثين المؤسسة على الرواية وانكمشت طريقة المعتزلة المؤسسة على العقل والقياس وأثر ذلك فى وقوف جميع العلوم ومنها اللغة .

وقد كان للمعتزلة أثر كبير فى القياس فى اللغة يظهر فى قولهم بأن اللغة اصطلاحية من وضع البشر لاتوقيفية ، كما يظهر فى تحرر الجاحظ وأمثاله من المعتزلة فى تشقيقهم الكلام واستعمالهم للمولد من الألفاظ بل والأعجمى ، وكما يظهر أيضاً فى أن زعيمى مدرسة القياس وهما أبو على الفارسى وابن جنى كانا من المعتزلة ، وكما يظهر فى البحوث اللغوية الطريفة التى حققها الزمخشرى فى كتبه وتفريقه بين دلالة الألفاظ عن طريق الحقيقة ودلالتها عن طريق المجاز وهو معتزلى أيضاً . فلما ذهبت دولتهم غلبت دولة المحافظين فى اللغة كما هو الشأن فى كل علم . فإن قلت إن العلم العربى وقف عند نكبة المعتزلة أو بعدهم بقليل — لأن أثرهم لم يمح مرة واحدة بل طل قرناً أو أكثر يعمل بحكم دفعتهم القوية — وقلت : إن العلم أصبح فى الأعم الأغلب جمعاً ورواية وتأليفاً لمفترق وتفريقاً لمجتمع من غير نظر عقلى قوى أو ابتكار ، لم تكن بعيداً عن الصواب .

ونحن إذا أيدنا القول بالقياس فى اللغة ودعونا إليه فما الذى نريده ؟ وما الذى نستفيد منه فى مثل موقفنا ؟

يمكننا أن نستفيد من القول بالقياس فى اللغة فوائد كثيرة من أهمها فى نظرنا :

(١) أننا نجد كتب اللغة كثيراً ما تذكر المصادر ولا تذكر أفعالها أو العكس ، أو يذكر الفعل ولا يذكر من أى باب هو ، فالقول بالقياس يمكننا من تكميل هذا النقص بحمل المجهول على المعلوم . فمتى رأيناهم يكثرون من المصادر على وزن خاص إذا كان الفعل على وزن خاص فى الأعم الأغلب أمكننا أن نقيس مالم يذكروا على ماذكروا وأن نعده من كلام العرب وهكذا . وهذا الباب يكمل نقصاً كبيراً فى المعاجم .

(٢) أننا إذا وجدناهم يشتقون وزناخاصاً ويستعملونه للدلالة على شيء خاص أمكننا أن نقيس عليه مالم يذكروا . فإذا وجدناهم مثلا يصوغون « فعّال » للدلالة على محترف الحرفة أو المهنة كنجار وحداد وقفال أمكننا أن نقيس عليه من أسماء أصحاب المهن والحرف مالم يذكروه .

(٣) الاعتراف بالمولد والدخيل وعده عربياً وإدخاله فى معاجمنا مادام يجرى على الصيغ العربية ويسير على نمط العرب فى وضعهم أو اشتقاقهم ، مثل كلمة الوزائع وقد استعملها ابن خلدون بمعنى الضرائب التى يوزعها الحاكم على الرعية . ومثل « تندر إذا جاء بالنادرة وتنادر عليه إذا جعله موضع نادرته وقد استعملها صاحب الأغانى ، ومثل : المقيدة وهى الدفتر الذى يكتب فيه الرجل مايمر به تذكرة لنفسه . ومثل تفرج بمعنى اطلع على الشيء ليتسلى به ؛ ومثل مئات الكلمات التى استعملت فى العصور المختلفة للدلالة على معان جديدة من مثل ما أثبته دوزى فى معجمه فما بالنا لانثبته فى معاجمنا قياساً على مافعل العرب؟

(٤) أننا نجد العرب أحياناً يلحظون فى الشيء معنى من المعانى فيسمونه باسم مشتق من الكلمة التى تدل عليه ، فقد سموا القارورة قارورة لأنهم لحظوا أن الشيء يقر فيها وسموا الدار داراً لأنه يكثر فيها الدوران ، فلماذا لانستعمل هذا الباب فيما يقابلنا من كثير من ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية الكثيرة التى نقف أمامها حائرين ولانشتق من الكلمات العربية كلمات تدل عليها ملاحظين مانلمحه من معنى فيها ؟

(٥) وهناك باب أخطر من ذلك وأجرأ وهو التفهم فى عمق وأناة . كيف وضع العرب لغتهم ؟ فنرى مثلا أن العرب كان لها ذوق مرهف فى وضع الكلمات استناداً على محاكاة الأصوات تارة بتقليد الأصوات كما سموا صوت الماء خريراً وصوت الحجر صكاً وصوت الريح هبوباً والضفدع نقيقاً واللبن دراً والمريض أنيناً الخ ... محاكاة للأصوات التى يسمعونها أو يتخيلونها من صوت هذه الأشياء . ثم صاغوا من هذه الأسماء أفعالا ثم توسعوا فى الاشتقاق منها للدلالة على مايشبهها ومايقرب منها . فاللغة عند حدوثها الأول كانت أصواتاً يحدثها المتكلم حاكياً للأصوات المسموعة ، ثم صارت تلك الأصوات المحكية علامة لما يسمع بالأذن أو يبصر بالعين أو يلمس باليد أو يشم بالأنف أو يعقل بالعقل شأنها فى ذلك شأن الخط . كان عند حدوثه تصويراً للمحسات فالباء للبيت والعين للعين

ثم صارت علامة للأصوات المسموعة ، ولكن عادة يكون صوت الحاكى أقصر من المحكى فيكتفى فى الحكاية بالرمز أما فى النحت والتصوير فتكون الحكاية كاملة .

والأمر فى دلالة الكلمات على الأصوات أدق مما يتصور ، وكثيراً ماتعتمد الكلمة فى حكاية الصوت على حرف يدل عليه وتكمل بقية الحروف لخدمته ، فحرف السين أساسى فى كلمة التنفس والحس واللمس لأنه يتخيل فى مدلولها صوت السين عند الاحتكاك ، وحرف الراء هو الأساسى فى البحر والنشر والفجر والنحر والبذر والقر لأنه يتخيل فى هذه الأشياء كلها صوت الراء ، وحرف النون هو الأساسى فى الظن والرن والغن، وحرف القاف فى الدق والشق والطرق وهكذا.

وعند تحرى هذا الباب نراهم يحاكون أولا صوت المسموع بالأذن ثم ينقلونه إلى المبصر بالعين ثم ينقلونه إلى المحسوس بباقى الحواس الخارجية ثم إلى المعقول بالعقل. فمثلا لو نظرنا إلى كلمة حس وتتبعناها وجدنا أن المصدر الأصلى لحس كان صوتاً سينياً تخيلوا أنه يسمع عند الحس أى عند المس باليد ثم انتقلوا من الإحساس باليد إلى الإحساس بغيرها فسموا كل مايشعر به محسوساً وسموا الآلات التى يحس بها حواس ثم أطلقوها على العلم الحادث من الحواس وعلى اليقين الحاصل من العلم بها واشتقوا أحس بالشىء إذا أدركه بحاسته ونقلوه إلى أحسست بالشىء أى أيقنت به ، ولو تتبعت المادة لوجدتها كلها من هذا القبيل متدرجة على نحو ظريف. ثم نوعوا هذا الصوت السينى فجعلوه مرة حسا ومرة لمسا ومرة مسا ... ولو تقصينا هذا الباب على هذا النمط لأفادنا فائدة كبرى ولدلنا على أن مصادر اللغة التى تحاكى الأصوات فى منبعها الأول كانت مصادر محصورة تعد بالعشرات فإن توسعنا قليلا قلنا بالمئات ، ثم تضخمت هذه المصادر بالاشتقاق الصغير والاشتقاق الكبير على مدى الأزمان وعلى حسب مايجد من المعانى وما يقرب من المصادر الأصلية ، وهو باب يفيدنا عندما يفسر أصحاب المعاجم أو المفسرون للقرآن والحديث والنصوص الأدبية اللفظ بتفسيرات مختلفة فنستطيع به أن نرجح قولا على قول ورأيا على رأى ، كما نستفيد منه استكشاف بعض الأغلاط التى وردت فى معاجم اللغة ومنشؤها خطأ فى النقل أو تصحيف فى الكتابة أو نقل عن ألثغ أو نحو ذلك ، وهذا باب عظيم يحتاج الكلام فيه إلى أكثر من محاضرة وإذا كان ابن جنى قد سمى ما اكتشفه الاشتقاق الكبير فيصح أن نسمى هذا الضرب الاشتقاق الأكبر .

وتارة كانوا يلحظون مابين الحرف والمعنى من مناسبة فيلحظون فى الحاء إذا أتت فى آخر الكلمة دلالة على الاتساع والانتشار مثل ساح وباح وصاح وشرح ومرح . والكلمة المبدوءة بالشين على التشتت والتفرق مثل شتت وشطر وشعث وشع الخ ... والكلمات المبدوءة بالغين على الغموض مثل غمض وغابت الشمس وغبش الليل وغار الماء وغطى الشىء الخ ... وقد فطن بعض كبار اللغويين إلى هذا الأمر ونبهوا عليه كما يفعل الزمخشرى كثيراً فى تفسيره .

وهذا الأمر وإن لم يصرح العرب به ، فقد كان مركوزاً فى طبيعتهم مندساً فى أذواقهم يعتمدون عليه فى وضع الكلمات والاشتقاق منها ، فمن بلغ من قوة الحس مبلغهم ومن دقة الملاحظة دقتهم ، كان له بمقتضى القياس مثل ما لهم .

ولكن من الذى يجوز له هذا ؟ إننا إذا قلنا بجوازه لكل فرد كان الأمر فوضى وتعرضت اللغة للاضطراب ولكنا نقول كما قال الفقهاء ونحذو حذوهم ، فنى عصورهم الزاهية كان الاجتهاد وكان البحث فى المجتهد والقول فى شروطه ، وحصروا قياس الأحكام وتقويم العدالة وصحة الحكم فى يد المجتهدين ، وشرطوا للمجتهد شروطاً تتلخص فى أن يكون محيطاً بمدارك الشرع متمكناً من وسائل النظر فيها والاستنباط منها ، وعلى الجملة يكون فضلا عن مواهبه الذهنية مثقفاً ثقافة شرعية ومايلزمها من ثقافة لغوية ونحوية الخ .. وعلى هذا القياس يجب أن نقول فى المجتهد اللغوى ، فلابد أن يكون مثقفاً ثقافة لغوية وأدبية واسعة متمكناً من النحو والصرف لأنهما وسائل من وسائل إتقان اللغة وفوق ذلك أن يكون له ذوق قد أرهف بكثرة القراءة اللغوية والأدبية ومعرفة بسر الوضع على النحو الذى أبنّا ، حتى يستطيع أن يدرك بحسه الذى كونته الثقافة وعلمه العميق الجيد من الردىء وما يصح وما لايصح ونحو ذلك . كما يستطيع بهذه المؤهلات كلها أن يتخير اللفظ المناسب للمعنى المناسب إما بوضع جديد أو اشتقاق من لفظ قديم ، فإذا بلغ هذا المبلغ كان له الاجتهاد اللغوى كما كان لنظيره الاجتهاد الفقهى .

وكما أن للهيئات القضائية مركزاً هاماً يستند إليه فيما يصدر عنه من أحكام ويستأنس بما وصل إليه فى القضايا المعروضة من اجتهاد فكذلك يجب أن يكون الشأن فى اللغة — فى الاجتهاد وشروط المجتهد والجمعيات اللغوية التى تتمثل فى المجامع وأشباهها . لايمكن أن تحيا أمة حياة صحيحة الا بالاجتهاد . الاجتهاد فى التشريع والاجتهاد فى كل علم من العلوم والاجتهاد فى اللغة . ودعامة الاجتهاد التى يرتكز عليها هى القياس .

والله الموفق .

المعاجم الأوربية الحديثة ومدى ماتستفيده المعاجم العربية منها

لحضرة العضو المحترم الأستاذ ل. ماسينيون (*)

إذا رجعنا إلى المعاجم الأوربية الحديثة وجدنا فيها مما تستفيده المعاجم العربية صنفين:

الأول : المعاجم الأوربية المختصة بالعربية مثل معجم W.Marçais فى لهجات تكرونة ومعجم فيشر الموجودة بعض جزازاته بالمجمع ومعجم فيشر لشواهد النحويين وعددها ١٠٢٤

الثانى : البرامج الحديثة التى بدئ النظر فيها بجميع اللغات على مقتضى نظرية علم الصوتيات لمؤسسها Troubetzkoy و ميز بين علم الصوتيات وهو Phonologie وبين علم الأصوات وهو Phonétique . فعلم الصوتيات تركيبى ، وعلم الأصوات تحليلى . وأهمية نظرية علم الصوتيات هى بحث الأشياء جملة كما هى فى الحياة لاتفصيلا كما فى علم التشريح.

ونحن نذكر سبعة من المصطلحات الحديثة فى فن الصوتيات لابد من ترجمتها إلى العربية وهى تدل على مايجب أن نتجه إليه من فائدة للمعاجم العربية :

الكلمة الأولى : Hapax فى اليونانية ومعناها الشاهد الأحادى (وهو مقابل : «أخبار الآحاد» فى مصطلح الحديث) . وعلى نظرية علم الصوتيات لايمكن أن نذكر فى معجم ما الشواهد الأحادية إلا برمز يشير إلى أنها طريقة حارقة للعرف المستعمل ، حشية أن تكون من أغاليط السمع .

الكلمة الثانية : Locution Remarquable فى الفرنسية ، ومعناها التراكيب المشهورة — مثل «مكارم الأخلاق» ، فلا بد من ذكر مثلها فى المعاجم ، لأنها من خصائص الآداب ولابد من بيان أول نقل ثقة لها فى النظم أو النثر . وهذا مايستفيده معجمنا الكبير من جزازات معجم فيشر . ومثلا مكارم الأخلاق أول ورود لها فى الديوان المنسوب لامرئ القيس. ولنا أن نذكر الطبعة والصحيفة فى المعجم .

الكلمة الثالثة : Fréquence أو Récurrence وهذا يدل فى الفرنسية على معنى «الورود» ، وقد أشار القلقشندى فى صبح الأعشى ج٩ ص ٢٣٢ إلى ترتيب ورود الحروف ٢٨ فى المتون العربية وله رمز (أ ل م ى و ن هـ) للدلالة على تدرج ورود هذه الأحرف كثرة وقلة . ولابد أن نذكر فى المعجم تحت كل حرف مفرد وروده ، لأن هذا من خصائص اللغة العربية بين اللغات السامية ، بل بين اللغات جميعاً . ولنا أن نذكر تحت كل حرف مفرد ورود هذا الحرف فى المصحف ، مثلا الظاء أقل الأحرف وروداً . وعدد مرات ذكره ٨٤٢ ، وأما الألف فعلى حساب ابن

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر ووروفق على إحالته إلى لجنة المعجم اللغوى الكبير (انظر القرار الثانى من «القرارات الادارية والتنظيمية» فى هذه الدورة) .

مجاهد ٤٨٨٩٢ ، ويطبق مثل ذلك على الحركات أيضاً لبيان امتياز ورودها فى اللغات السامية ، وهذا مما لاغناء عنه فى المعاجم . مثلا الكسرة عند العبرانية ١٧٠٪ وفى العربية ٧ ٪ وفى السريانية ٦ ٪ وهذا عظيم الشأن فى قياس علم تركيبى مثل علم الصوتيات .

الكلمة الرابعة : Incompatibles ومعناها الحروف المتنافرة ، وهذا بحث تولاه اللغويون من ناحية والبلاغيون من ناحية أخرى . ولابد من أن يذكر فى المعجم مراتب الأصول الثلاثية التى لايمكن النطق بها لاشتمالها على حروف متنافرة .

الكلمة الخامسة : الحروف Opposées ومعناها المتباعدة ، أعنى أن الفرق الثابت بين الحروف المتناسبة أبعد مخرجاً فى النطق، مثلا هناك تباعد بين الفاء والباء والميم ، وهذا التباعد ثابت يميزها ويمنع الاشتباه بغيرها ومن المشهور أيضاً التباعد بين الضاد واللام مثل قضب وقلب ، وضغط ولغط . والتباعد بين الهمزة والعين ، مثل آهل وعاهل . وللمؤلف اللغوى Cantineau كتاب جديد طبع فى باريس فى أهمية بحث الأصول الثلاثية التى لها حروف متباعدة فى المعاجم ، وقال لابد أن يذكر فى المعاجم تحت الضاد أنه متباعد بالنسبة للام ، وكذلك فى اللام والضاد ، والعين والهمزة . وهذا التميز مقبول أيضاً بين الكلمات أسماء وصفات كما هو فى الحروف. يقول علماء الصوتيات إنما الإنسان إذا فكر فى مادة عامة كاللون ، ففكرة الأسود كامنة فى ضميره إذا ذكر الأبيض ، لأن الفكر تركيبى ، وفكرة اللون تجمع النقيضين ، فالقطبان هما حدان يشيران إلى منتهى التباعد ، وأحدهما ملازم للآخر فى التصور الذهنى وفى الاصطلاح النطقى . وهذا الأصل اللغوى حجر الزاوية فى نظرية علم الصوتيات من حيث هو علم تركيبى . ويجوز أن نستخرج من هذا المذهب نتائج مهمة فى استعمال أصول ثلاثية مثل غفر فمن معانيها التوبة ومن معانيها الرجوع إلى الذنب .

الكلمة السادسة : الكلمات Homonymes أى المتواردات ، وهذا راجع إلى الاسم المشترك . فلا بد من ذكرها فى المعجم مع أشباهها المسماة Paronymes وقد كتب فيها لغويو العرب كتبا وتناولوا فيما تناولوه التصحيفات الخفيفة ، ولابد من ذكرها بين قوسين فى مادة الكلمة . وكذلك المترادفات ، لابد من ذكرها فى جدول خاص فى أول المادة .

الكلمة السابعة : القيمة الوظيفية للحرف مفرداً Valeur Fonctionnelle وقد أشار مارسيي إلى النقصان فى المعاجم المشهورة فى تنظيم تنوع القيمة الوظيفية للحروف المفردة كاللام ، فإنها تجىء للابتداء والتأكيد والبعد والجحود والاستحقاق والتعجب ...الخ. ويمكن على أساس نظرية علم الصوتيات أن ننظم ذلك فى المعجم .

الشواهد على قاعدة توهم أصالة الحرف

لحضرة العضو المحترم الشيخ عبد القادر المغربى (*)

كنت ألقيت على مسامع الإخوان فى ختام الدورة الماضية بحثاً جعلت عنوانه : « بين اللغة والنحو » وقد شرحت فيه قاعدتين فى تسهيل أمر اللغة العربية . ولعلى كنت أول من انتبه إلى هاتين القاعدتين ولزوم الاستفادة منهما ، مذ وضعت لهما اسمين وأصلتهما ، وجمعت شمل مسائلهما ، ولممت شوارد الأمثلة والشواهد عليهما .

سميت الأولى (قاعدة توهم الأصالة) أى توهم أصالة الحرف الزائد أو المتحوّل .

وسميت الثانية (قاعدة توهم الزيادة) أى توهم زيادة الحرف الأصلى أو المتحوّل .

ولم يعلق بكفى من الشواهد على القاعدة الثانية إلا القليل . ولذا لم يسجل مؤتمركم يومئذ قراراً بشأن هذه القاعدة مادامت فى بدء تكونها ومستهل تطورها ، بخلاف القاعدة الأولى التى موضوعها (توهم الأصالة) فإن بيدى من الشواهد عليها مايعد بالعشرات من الكلمات التى عدل بها فى جمعها أو فى فعلها عن القياس إلى غير القياس ، وقد كنت ذكرت للمؤتمر بعض تلك الشواهد على سبيل المثال ، فقبل المؤتمر هذه القاعدة (قاعدة توهم الأصالة) مبدئياً لما تبين من فائدتها فى التيسير والتسهيل وأرجأ تسجيل القرار القطعى بشأنها إلى هذه الدورة ريثما أكون جهزت الشواهد عليها . فأعرضها عليكم ملخصاً بيان وجهة نظرى فيها .

وأول هذه الشواهد أو هو الأساس الذى شيدت عليه قاعدة (توهم أصالة الحرف) ما قرأته فى كتاب الأغانى عن « عمارة بن عقيل » فقد كان عمارة هذا من شعراء البادية فى القرن الثالث للهجرة . وكان يطرأ على الحضر فتؤخذ عنه اللغة . واشتهر بالفصاحة حتى قالوا فيه (إن الفصاحة ختمت به فى شعراء المحدثين) . قال صاحب الأغانى : أنشد عمارة هذا قصيدة من شعره وقع فيها لفظ (أرياح) جمعاً لريح فاعترضه إمام اللغة أبو حاتم السجستانى قائلا : « هذا لايجوز إنما هو الأرواح بالواو . فقال عمارة معتذراً : لقد جذبنى إليها — أى إلى أرياح — طبعى أما تسمعهم يقولون (رياح) بالياء أيضاً ؟ فقال أبو حاتم : هذا خلاف ذاك قال عمارة صدقت . ورجع إلى الصواب . فلم يعد من يومئذ يجمع ريح على أرياح بل على (أرواح) إذ لاداعى لقلب الواو ياء فى (أرواح) بخلاف (رياح) التى أصلها (رواح) فإنه يجب قلب واوها ياء لوقوعها إثر كسرة .

ألا ترون أيها السادة أن عمارة كان معذوراً فى توهمه وانجذاب طبعه وماوقع له يقع لغيره فهاعن أولاء نكثر من استعمال كلمة (حيلة) بالياء (واحتيال) بالياء فإذا تذاكرنا الحيلة

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر (١٠ من يناير سنة ١٩٤٩) وانتهى المؤتمر إلى قرار فيه (انظر القرار الثانى من « القرارات العلمية » فى هذه الدورة) .

وأرباب الحيل مثلا وتكررت على مسامعنا هذه اللفظة ونطقناها مراراً كثيرة ثم تساءلنا أى الرجلين زيد أو عمرو يتفوق على رفيقه فى الحيلة لاجرم أن يكون جوابنا : زيد مثلا أحيل من عمرو . نقول أحيل وهو خطأ فى القياس وصوابه أحول لأن فعله واوى فكما نقول من مصدر خيفة أخوف كذلك وجب أن نقول من مصدر حيلة أحول لكن (خيفة) لاتتردد على الأفواه كتردد (حيلة) ولذلك نستوحى منها أفعل التفضيل (أحيل) من حيث لانشعر وماهو إلا التوهم وانجذاب الطبع الذى اعتذر به (عمارة بن عقيل) مذ قال (أرياح) فى جمع (ريح) .

ومن مواقع العجب أيها السادة أن (عمارة) رجع عن غلطته إلى صواب ماقاله علماء العربية أما علماء العربية أنفسهم فإنهم فكروا فى غلطته هذه فرأوا لها نظائر كثيرة فى أقوال الخلص من أهل اللسان ، ولاحظوا أن العامل الأصلى فيها هو انجذاب الطبع إليها انجذاباً لاتمكن مقاومته ، فهو إذن سر من أسرار تكون اللغة ، وعامل من عوامل نموها . فإن كانت بداوة (عمارة بن عقيل) أو سذاجته لم تساعده على الاحتجاج بأن انجذاب طبعه علة مؤثرة فى نمو اللغة وتكاثر مشتقاتها فخضع واستكان لاعتراض أبى حاتم السجستانى ، فإن أبا حاتم أو نقول شيعته من أهل اللغة عادوا فافترضوا غلطته وأقروها ودونوها فى المعاجم مع غيرها مما يشبه غلط الطبع أو غلط اللسان . وهو فى الحقيقة ناموس طبيعى فى نمو اللغة عبر عنه عمارة بانجذاب الطبع . أما هم أى اللغويون أو أرباب المعاجم فقد تناسوا كلمة (انجذاب الطبع) ، واستعاضوا عنها بكلمة (توهم) أحياناً وأحياناً يقولون قولا يلمح منه معنى التوهم الذى سميت به القاعدة. ومع هذا وذاك فإنهم رحمهم الله لم يثبتوا الغلط ولا انجذاب الطبع ولا التوهم كقاعدة لغوية أو صرفية مستقلة ، وإنما هم يعبرون عن ذلك بالشذوذ كما فعل صاحب اللسان فإنه قال فى كلمة (ريح) وجموعها (وحكى فى جمع ريح أرياح بالياء وهو شاذ) .

وهذا الشذوذ الذى صرح به صاحب اللسان يتبرم به ويشكو منه الشداة من طلاب العربية فتزيل شكواهم يجعل هذا الشذوذ قاعدة نحوية مطردة لما توفر من الشواهد عليها ، ومعظم الشواهد التى سأذكرها ألفاظ قاموسية دونت فى المعاجم وعللت مخالفتها للقياس بالتوهم تصريحاً أو تلميحاً . أما بقية الشواهد التى سأذكرها فليست قاموسية ولم يعرفها الفصحاء وإنما هى من كلام المولدين وقد استعملوها متأثرين بالتوهم المذكور .

وقد عثرت على الشواهد عرضاً ومن دون تعمل ولم أتعمد تتبعها وتقصيها فى كتب اللغة ، ولو فعلت لكان لنا من الشواهد فوق ماجمعت ولممت ، وبالأمس وأنا أتصفح نماذج المعجم الكبير وجدت فيه فعل «تأيَّبَ» وكلمة «أيبة» فذكرت لكم أنهما يصلحان لأن يكونا من جملة الشواهد على قاعدة توهم أصالة الحرف . فمن شواهد هذا الباب التى وقع التوهم فيها على نمط التوهم فى ريح وأرياح قولهم (عيد وأعياد) : أصل عيدٍ عِوْدٌ من العَوْد فالواجب أن يقال فى جمعه (أعواد)

فلم يقولوه وإنما قالوا أعياد وعللوا ذلك بالتفرقة بين أعياد بمعنى المواسم و(أعواد) بمعنى الأخشاب ، والتعليل الصحيح ماعلل به بعضهم وهو لزوم الياء فى عيد. أقول : وهذا اللزوم هو الذى جعلهم يتوهمون أن الياء فيه أصلية كياء جيد وفيل وميل ، فبنوا جمعه أى جمع عيد على اعتبار أصالة يائه فقالوا أعياد كما قالوا أجياد وأفيال وأميال . وسرى هذا التوهم فى عيد إلى غير الجمع : سرى إلى التصغير فقالوا عُييد وإلى الفعل فقالوا عيدوا تعييداً .

وعلى هذا النمط (زير) يقال فلان زير نساء بمعنى أنه يزورهن كثيراً فأصله (زور) وإذا جمعوه قالوا أزوار بالواو على القياس ، وعلى (أزيار) بالياء على توهم أصالة الياء فى زير ، ونظير ذلك قولهم (مياسم) فى جمع ميسم بمعنى آلة الوسم وبمعنى أثر الوسم ، توهموا ياء ميسم أصلية فجمعوها على (مياسم) كثيراً ، وعلى (مواسم) قليلا مع أن المواسم هو القياس

ونظيره من المصادر (مياثق ومياثيق) فى جمع (ميثاق) من (وثق) قال صاحب التاج (مواثيق على الأصل ومياثيق على اللفظ) وليس معنى هذا إلا أنهم اعتبروا ظاهر اللفظ متوهمين أصالة يائه . وأنشد الفراء . . .

ولا نســأل الأقوام عقد المياثقِ

ومما يؤيد قاعدة التوهم أنهم جعلوا (مياثق) جمعاً لميثاق لا لموثق وذلك لأن جمع موثق مواثق ولا ياء فيه تحمل على التوهم بخلاف ميثاق الذى فيه الياء .

وأكثر ما يخالف فيه القياس بسبب التوهم ألفاظ مبدوءات بميم مصادر أو أوصاف أو أسماء أمكنة أو أسماء آلات ونسميها الميميات ، منها كلمة (المنطقة) وهى ما يشد فى الوسط : ميمه للآلة أو لشبه الآلة مشتقة من النطاق وفعلها القياسى تنطّق أى شد النطاق أو المنطقة على وسطه ، لكنهم يقولون أيضاً (تمنطق) لكثرة ما استعملوا (منطقة) حتى توهموا ميمها أصيلة كدال (دحرجة) التى فعلها دحرج .

(المدرعة) هى الدرّاعة كساء من صوف فعله القياسى (تدرّع) وقالوا أيضاً (تمدرع) على توهم أصالة الميم . (المكحلة) فعله القياسى تكحل وقالوا أيضاً (تمكحل) كما فى مختار الصحاح . (المرفقة) المخدة وقد (تمرفق) إذا أخذ مرفقة والقياس (ترّفق) ، وهل منه يا ترى قول شوقى فى شعره الذى يتغنى به

حتى ترفق ساعدى فطواه

ولو قال تمرفق لساغ لغة لا فناً ولما تمت له التورية . (المنديل) مشتق من ندلت يده وسخت . فيمه للآلة وفعله القياسى (تندّل) ، وقالوا أيضاً (تمندل) على توهم أصالة ميم منديل .

جاء رجل سفيان الثورى فقال له : (تمسك هذه الدنانير وتنتفع بها ؟) فأجابه (اسكت فلولاها لتمندلتنا هؤلاء الملوك ، ولكن من كان فى يده منها شىء فليصلحه فإنه زمان من احتاج فيه كان أول مايبذل دينه) . وقول

سفيان هذا يذكر بقول (المقدام بن معد يكرب الصحابي) كانت له جارية تبيع اللبن ويقبض هو الثمن . فقيل له فى ذلك ؟ فقال وما بأس بذلك ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليأتين على الناس زمان لاينفع فيه إلا الدراهم » .

ونظير المناديل (المخاريق) تلعب بها الصبيان وشبهت بها السيوف . قال عمرو بن كلثوم .

كأن سيوفنا منا ومنهم
مخاريق بأيدى لاعبينا

وواحد المخاريق مخراق . وقد توهموا ميم مخراق أصلية فاشتقوا منها فعلا وقالوا مخرق مخرقة إذا كذب وهو ممخرق والقياس فى فعله خرق وخرّق وأخرق وتخرّق ، وكلها بمعنى أكثر من الكذب .

ومن الميميات كلمة (مسكين) من السكون. وقياس فعله تسكن كما يقال فى معطير تعطّر لكنهم توهموا أصالة ميم (مسكين) لكثرة دورانها فأقحموها فى الفعل وقالوا (تمسكن) وبنوا مصدره على الميم أيضاً فقالوا مسكنة .

ونظيره (مسلم) اسم فاعل من أسلم . قالوا فى فعله (تمسلم) أى دخل فى الإسلام كما قالوا (أسلم) . وفعل (تمسلم) ذكروه فى المعاجم وكأنه كان شائع الاستعمال قديماً ، لكننا لم نر له أثراً فى لهجة أهل بلادنا ولا فى كلام كتابنا وشعرائنا .

ومن أمثلة الميم الزائدة فى المصادر (المذهب) قالوا فى فعله (تمذهب) بمذهب كذا إذا ذهب إليه واتبعه . وكان القياس أن يقال (تذهّب) . ونظيره (المولى) مراداً به سيد القوم فقد توهموا ميمه أصلية حتى قالوا فى فعله (ماكان فلان بمولى ولقد تمولى) وكان القياس تولّى .

ومن أمثلة الميميات المتوهمات فى أسماء المكان كلمة (المكان) نفسها فإنها مفعل من الكون بمعنى الوجود والحصول فقياس جمعه مكاون كما قالوا مكامن ومطارح ، غير أن كثرة استعمال لفظ (مكان) جعلهم يتوهمون ميمها أصلية وأن وزنها (فعال) لا (مفعل) فجمعوها على أمكنة كما جمعوا (قذال) على أقذلة ، وجمعوا (مكان) أيضاً على (أمكن) كما جمعوا (عناق) على أعنق ، وصاغوا له أيضاً جمع جمع فقالوا (أماكن) كل ذلك على التوهم بل أوغلوا فى هذا التوهم حتى اشتقوا منه أى من (مكان) فعلا فقالوا مكّنهم فى الأرض وتمكنوا فيها ، وقيل فى اشتقاق مكن غير ماذكرنا وتفصيله فى المطولات .

ومثل المكان كلمة (مسيل) اسم مكان من سال الماء يسيل فمسيل مفعل مكان سيلانه. وقياس جمعه (مسايل) ثم شاعت كلمة (مسيل) حتى توهموا ميمها أصلية كراء رغيف وأن وزنه (فعيل) لامفعل فجمعوه على أمسلة ومسلان كما جمعوا رعيف على أرغفة ورغفان غير أن القاموس وشرحه جعلا المسيل من مادة (مسل) وهو الشق فى الأرض وعزوه إلى ابن دريد ، قال التاج وزعم بعضهم أن المسيل من سال الماء وميمه زائدة ثم قال مانصه : (قال الأزهرى : وهذه الجموع

لمسيل وهى «أمسلة ومُسُل ومسلان» على توهم ثبوت الميم أصلية فى المسيل، كما جمعوا المكان على أمكنة وأصله مفعل من فعل كان اهـ) وهذا نص صريح عزاه التاج إلى الأزهرى صاحب التهذيب وناهيكم به حجة وشاهداً على أن فى اللغة شيئاً يسمونه (توهم الأصالة) وهو الذى استندت إليه فى تحقيق موضوعى هذا وتسميته .

ومثل (المسيل) حذوك النعل بالنعل كلمة (المصير) أصل معناه المرجع وجمعه مصاير ثم سمى المعى مصيراً لأن الطعام بعد استقراره فى المعدة يصير إليه . ولم يجمعوه على مصاير بل توهموا ميمه أصلية كراء رغيف وأن وزنه فعيل لامفعل فكما جمعوا رغيف على أرغفة ورغفان جمعوا (مصير) بمعنى المعى على أمصرة ومصران ثم جمعوا (مصران) على مصارين كما جمعوا ثعبان على ثعابين . وهكذا أيها السادة ترون أن التوهم لعب دوراً مهماً فى خدمة التوسع أو التسامح اللغوى .

من لطيف التوهم ماوقع فى ميم (مأونة) ووزنها فى الأصل مفعلة من الأين أو الأون وهما يرجعان إلى معنى الشدة والتعب . وكذلك المأونة فإن رب العائلة يتكلفها ويتعب فى تداركها وكثرت كلمة (المأونة) حتى توهموا ميمها أصلية وأن وزنها فعولة لا مفعلة واشتقوا منها فعلا ثلاثياً فقالوا مأنه يمؤنه وحفموه إلى مانه يمونه وكان القيـــاس أن يقـــال إن عياله يئينهم أو يؤونهم

ومن التوهم فى ميم اسم المفعول قولهم فى الشيء إذا أصابته ريح إنه (مَريح) قياسه (مَرُوح) بالواو . وينبغى أن يخرج (مريح) على توهم أصالة الياء فى ريح يقال غصن مريح وأنشد أبو زيد الأنصارى فى نوادره :

ودرست غير رماد مكفور
مكتئب اللون مريح ممطور

وفى التاج (شجرة مروحة ومريحة صفقتها الريح فألقت ورقها) .

ومثل غصن مروح ومريح قولهم لبن مشوب (ومشيب) الفعل واوى شاب يشوب فاسم مفعوله القياسى مشوب ، فقولهم مشيب باليـــاء خالفوا فيه القيـــاس . وقد نطق به العرب قال السليك بن السلكة : (وماء قُدورٍ فى القصـــاع مشيب) يريد أنه مخـــلوط بالتوابل . قال التـــاج : وقوله مشيب إنمـــا بناه (على شيب) الذى لم يسم فاعله .) وليس معنى هـــذا من سليك إلا لتوهمه أن ياء (شيب) المجهول أصلية . ويقول التاج فى تعليل (مريح) بالياء ماقاله فى تعليل (مشيب) من أن قولهم (غدير مريح) إذا ضربته الريح إنما بنوه على فعل (ريح) الذى لم يسم فاعله وعلى هذا فالتوهم فى (مريح) إما أن يكون منشؤه (الياء) فى كلمة (ريح) الاسم وهو الذى أرجحه أو الياء فى (ريح) الفعل المجهول وهو ما اعتمده صاحب التاج . ومن الكلمات التى جرى فيها توهم وهى مدلوءة بميم لكن ميمها أصلية كلمة (مأق) بمعنى موق العين وهذا نص ماقاله صاحب الصحاح بتأنها (ومأق العين لغة فى موق

العين وهو فعلى وليس بمفعل لأن الميم من نفس الكلمة . وإنما زيد فى آخره الياء للإلحاق فلم يجدوا له نظيراً يلحقونه به ، لأن فعلى بكسر اللام نادرة لا أخت لها فألحق بمفعل فلهذا جمعوه على ما أتى على التوهم كما جمعوا مسيل الماء على أمسلة ومسلان والمصير على مصران تشبيهاً لهما بفعيل على التوهم) فكأنه يقول إنه لايوجد فى اللغة ألفاظ بوزن فعلى إلا ما أتى فينبغى أن يكون جمعها ماأتيات على وزن فعليات مادامت الميم أصلية لكنهم جمعوها على ما أتى لتوهمهم أن مفرده ماأتى على وزن مفعل وهذا نص آخر من قول الجوهرى دل على استعمالهم للفظ (التوهم) واعتباره أصلا يرجع إليه فى تعليل بعض الألفاظ التى خالفت القياس فى جمعها .

* * *

بقيت كلمة من الميميات لم أجدها فى المعاجم لكنى ظفرت بها منذ عهد قريب فى كتاب أدب هو (شرح أمالى أبى على القالى للبكري جزء ١ ص ٥٢٣) فقد زيف البكرى بيتاً من الشعر لبشار فقال : (وهذا لايمعنى) قال ناشر الكتاب الأديب المعاصر الراجكوتى الهندى فى تفسير (لايمعنى) أى لايتجه له معنى . والبكرى هذا هو أبو عبيد صاحب (معجم ما استعجم) الذى توفى سنة ٤٨٧هـ . ولاندرى ماالذى جعل البكرى يقول (لايمعنى) أسبقه إليها سابق أو أنه انجذب إليها طبعه كما انجذب طبع أهل العصور الأولى فقالوا : (من تمنطق فقد تزندق) متوهمين أن ميم (منطق) وهو اسم للعلم المشهور أصلية فاشتقوا منه فعلا وقالوا (تمنطق) فانظروا أيها السادة إلى أى حد بلغت سيطرة (التوهم) وخصوصاً فى هذه الكلمات الميميات . وإذا كان هذا التوهم لم ينج منه أهل اللسان وفرسان البيان فكيف ننجو من تأثيره نحن وقد استحكمت العجمة فينا وملكت علينا أمرنا فقلنا تمشيخ فلان أى صار شيخا كما قالوا هم (تمولى) إذا صار مولى توهماً أن الميم فى (مشيخة) وهى مصدر أو جمع — أصلية ، وأرى أن ميم (مشايخ) هى التى أوقعتنا فى هذا التوهم فإن لفظة مشايخ أكثر دوراناً على الألسنة واستعمالا فى الحديث للدلالة على رؤساء الدين باعتبار أنهم طائفة ممتازة فى علمها وفضلها وتقاليدها الخاصة بها ، حتى قال بعض الظرفاء مداعباً مفاكهاً :

إن المشايخ لاتنسى فضائلهم
عن وصفهم قصرت كل الأراجيز
إن يسمعوا ياقتى بالرز فى جبل
شدوا النعال ودقوا بالعكاكيز

ومر أن الأقدمين قالوا : تمسكن مسكنة متوهمين أصالة ميم مسكين فجاريناهم وقلنا من مسخرة (تمسخر عليه) متوهمين أن ميم (مسخرة) أصلية . ومسخرة تأنيث مسخر مصدر سخر منه وقياس تمسخر تسخر كما أن قياس تمسكن تسكن وكذ استعمال لفظ الملعون وجمعه الملاعين حتى توهمنا ميمها أصلية وأقحمناها فى صيغة فعلها وقلنا أخذ فلان يتملعن وفلان ماكان ملعوناً ولكنه عادفتملعن وإنما قياسه تلعّن . و(المسمار) كثير الاستعمال جدا إذ هو آلة التسمير والتثبيت فتوهمنا ميمه

أصلية وهى زائدة . وقلنا فى فعله (مسمره) كدحرجه وتمسمر فلان فى مكانه إذا ثبت ولم يتحلحل ، وقولنا هذا لاينفى فصاحة استعمال سمر وتسمر كما لا يخفى . وفى الميميات الحديثات العهد فى لهجتنا الحاضرة فعل (تمركز) أخذناه من لفظ (مركز) اسم مكان من ركزه فى الأرض أثبته . ومراكز الأسنان منابتها توهمنا ميمها أصلية كما توهموا ميم (مكان) فقالوا هم (تمكن) فى المكان وقلنا نحن (تمركز) فى المركز ، الحسى أو المعنوى قال الفارابى :

محيط السماوات أولى بنـــــا
فمـــاذا التنــــازع فى المركز

ومن الميميات المولدة (مرجوحة) الصبيان نقولها فى الشام ولانعلم إن كان المصريون يقولونها وفصيحها (أرجوحة) بهمزة فى أولها قلبها العامة إلى ميم وتوهموها أصلية ثم اشتقوا منها فعلا فقالوا (تمرجح) ثم انتبه بعض الصحفيين إلى أن الأصل أرجوحة فجعلوا يقولون تأرجح توهماً أن الهمزة أصلية وهو خطأ ثان إذ لايقال من ألعوبة (تألعب) وإنما يقال تلعب ولامن أمنية تأمنى وإنما يقال تمنى فالفصيح إذن (ترجح) لاتمرجح ولا تأرجح . ومن الميميات الحديثات وهى من كلمات الفن كلمة (الملغم) من ألغم الذهب إذا خلطه بالزاووق وهو الزئبق فحصل منه طلاء هو المسمى الملغم وإذ كانت الكلمة الأعجمية الأصلية خالية من الميم كانت الميم فى ملغم زائدة ومع هذا نتوهمها أصلية فنقول ملغم المعدن بالملغم فتملغم وهو مملغم أو متملغم وكان القياس لعمناه فتلغم وهو ملغم أو متلغم . وبعد أن كتبت هذا تذكرت أن مجمعنا هذا فى دوراته الأولى كان قرر فى استعمال (ملغم) شيئاً فرجعت إلى محاضره فإذا هى تقول مانصه .

الجلسة الـ ٣١ من الدورة الثانية ٣١مارس سنة ١٩٣٥ .

الإلغام Amalgamated (أمالكاماتيد)

حضرة العضو المحترم الأب أنستاس : الإلغام أصله إلغام بالعربية ولفظة Amalgam (آمالكام) لفظة عربية الأصل .

العضو المحترم الأستاذ فيشر : كلمة Amalgam يونانية الأصل .

العضو المحترم الأستاذ جب . هناك شك فى كونها يونانية وقد رأت اللجنة أن تميز بين Amalgam و Amalgamated فوضعت للأولى ملغم وللثانية ملتغم .

حضرة الرئيس : هـــل توافقون على إلغام . وملغم . وملتغم .

موافقة (انتهى) .

فعلى قول المرحوم الكرملى من أن الإلغام عربى الأصل تكون ميم ملغم ليست من مادته الأصلية فإقحامها فى مشتقاته ملغم وتملغم هو من جزئيات قاعدة التوهم التى أثبتناها .

ومن الميميات العصريات ماشاع استعماله فى عهد قيام مهدى السودان مد جعلت الصحف تسميه (المتمهدىّ) نسبة إلى (المتمهدى) اسم

فاعل لفعل (تمهدى) أى ادعى المهدوية اشتقاقاً من (مهدىّ) على توهم أن ميمه أصلية وصوابه تَهدى ويشبهه قول الناس فى الشام ولا أعلم إن كان المصريون يقولونه (مدراء) فى جمع (مدير) (اسم فاعل من أدار المديرية تولى شؤونها فهم مديرون لكنهم توهموا ميم (مدير) أصلية فقالوا (مدراء) (كما نقول فى جمع كريم كرماء وظريف ظرفاء لكنه توهم لامسوغ له لأن ميم مدير مضمومة لامفتوحة حتى يجمع على فعلاء. وآخر الميميات تولدا فعل (تمجمع) من كلمة (المجمع) الشائعة الاستعمال فى المدة الأخيرة. فى السنة الماضية ذكرت بعض المجلات خبر انتخاب زميلنا الأستاذ المازنى عضواً لمجمع فؤاد الأول فقالوا (تمجمع الأستاذ المازنى) توهماً أن ميم (مجمع) أصلية على معنى أنه دخل فى المجمع كما قال الأولون (تمذهب) فلان على معنى أنه دخل فى المذهب.

و(المختار) شيخ الحارة أو شيخ القرية تاؤه زائدة. ومثله إنما يجمع جمع تكسير على مفاعيل بعد حذف حروف الزيادة فجمع مختار فى القياس مخايير، لكنهم أى رجال الحكومة فى معاملاتهم الرسمية جمعوه على مخاتير بإثبات التاء بل ربما قالوا (مختروه) كما قال أوائلنـا دهقنوه كل ذلك على توهم أن تاء مختار أصلية.

وتشبه مختار كلمة (مناطيد) وهى من مواليد العصر الأخير واحدة (منطاد) اسم فاعل لفعل انطاد من باب انكسر ومعناه ذهب فى الهواء صعداً. فالسبيل فى جمعه أن تحذف نونه الزائدة ويقال (مطاود) لكن من ولد الكلمة وسيرها بيننا جمعها على (مناطيد) توهما أن النون فى (منطاد) أصلية كما وقع فى توهم تاء (مختار)، ونسمع الحذاق فى علوم اللغة يعللون الإبقاء على النون والتاء فى أمثال مناطيد ومخاتير بقولهم إننا أبقينا عليهما (توفية للمعنى وحراسة له ودلالة عليه) فهل يعتبر مجمعنا بقولهم هـذا فى أوضـاعه؟

ومن التـوهم فى غير الميميـات كلمـة (تخمة) الطعام أصلها وخمة توهموا تاءها أصلية وإنما هى منقلبة عن واو من الوخامة فقالوا فى فعلها (أتخمه الطعام) مكان أوخمه، وهذا الطعام (متخمة) مكان (موخمـة) وقالوا فى التفضيل (أتخم من فصيل) مكان أوخم ومثلها أختها (تهمة) أصلها وهمة توهموا فقالوا: أتهمه الحاكم مكان أوهمه وفى أمثالهم: (شدة الحذر متهمة) أى توقع فى التهمة. ومما نحن فيه وهو قاموسى فعل (اتقى) من الوقاية وأصله (اوتقى) توهموا تاء الافتعال أصلية إلى حـد أن تناسوها فى جميع المشتقات تقريباً وبنوا عليها فعلا ثلاثياً فقالوا تَقى يتقى كقضى يقضى تقاءً وتقى وتقوى وفعل الأمر (تَقِ)

قال الشعبى.

تق الله لاتنظر إليهن يافتى
وماخلتى فى الحج ملتمساً وصلا

ومثله فعل (اتخذ) أصله ائتخذ فتاؤه منقلبة عن همزة فتوهموها أصلية حتى اشتقوا منه فعلا ثلاثيا فقالوا: تخذ زيداً صديقاً تخذاً كتيب تعباً وذهب بعضهم إلى أن تاء (تخذ)

أصلية لامتوهمة وهذا كما اختلفوا فى تاء (تالد وتليد وتلاد) أهي أصلية أو منقلبة عن واو ، راجع التاج والمخصص مجلد ١٢ ص ٢٧٢ .

ومن توهم التاء لكنه غير قاموسى ماكان فى كلمة (اختيار) بمعنى الشيخ الهرم ، توهمنا تاءها أصلية فاشتققنا منها فعل (اختتر)الرجل إذا تهدم وشاخ . ولايعرف هذا أهل اللسان وإنما جاءنا من الأتراك الذين يطلقون(الاختيار) على المسن بمعنى أنه فى صدد اختيار الله له ودعوته إلى جواره ، كما يعبرون عن العجوز أحياناً بقولهم إنها (حق الجنة) أى مستحقةلها وكان القياس فى (أختتر الرجل) أن يقال (ختير الرجل) أو (أخار) على معنى أنه وقعت عليه الخيرة . ومما له علاقة بفعل اختار وهو من باب التوهم القاموسى قولهم (اختار من القوم زيداً واختار القومَ زيداً) فالمشهور عند النحاة أنه من باب نزع الخافض أما علماء اللغة فعللوا حذف (من) من المفعول بتعاليل منها ماقاله صاحب التاج وهذه عبارته « أنه مأخوذ من قولك هؤلاء خير القوم وخير من القوم فلما جاءت الإضافة مكان (من) ولم يتغير المعنى استجازوا أن يقولوا اخترتكم رجلا واخترت منكم رجلا » اه . أليس معنى هذا أن حذف (من) فى قولهم (خير القوم) جعلهم يتوهمون جواز حذفها بعد فعل(اختار) وجعل الفرزدق يقول :

منا الذى اختير الرحال سماحة .

ولا أدل على فصاحة هذا التوهم من آية (واختار موسى قومه) .

ومن التوهم ماذكره صاحب التاج فى تفسير كلمة (عفريت) فقال : هو الكثير الخبث والشيطنة . لاجرم أن تكون الشيطنة مصدراً لفعل شيطن وتشيطن وهذا الفعل مشتق من وصف (شيطان) فقد توهموا فيه أن نونه أصلية مع أنها زائدة بناء على أن شيطان مشتق من فعل (شاط) إذا احترق . ففعل شيطن شيطنة وتشيطن يمكن عده من الكلمات القاموسية استناداً إلى استعمال التاج لكلمة شيطنة ويكون شاهداً من شواهد قاعدة الأصالة والقياس فيه تشيط . أما من جعل شيطان مشتقاً من الشطون وهو البعد فلاشاهد فيه . وأشهر من شيطنة وتشيطن قولهم المستفيض سلطنة وتسلطن وهو اشتقاق من كلمة(سلطان) وأصلها مصدر كالسلطة توهموا أن نونها أصلية مع أنها زائدة وقياس الفعل تسلط . ومثلها (رهبان) جمعا لراهب فإن نونه زائدة لكنهم توهموها أصلية وأقحموها فى الفعل فقالوا (ترهبن) كما قالوا فى الفصيح (ترهب) . واستعمال فعل (ترهبن) قليل فى لهجاتنا الكتابية والكلامية ولعله شائع فى بلاد اليمن فقد قرأت فى كتاب (طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب) لملك اليمن أبى حفص (عمر بن رسول) فى كلامه على أحد ملوك المنادرة فقال (إنه ترهبن). ومهما يكن فإن أفعال (تسلطن) و (ترهبن) و (تشيطن) لانجرؤ على عدها فى القاموسيات أو اللغويات وإنما هى من كلام المتأخرين المتأثرين بقاعدة توهم أصالة الحرف . ومن التوهم تثنية فتى (فتوان) بالواو وجمعه على (فتوّة) والقياس (فتيان) و (فتية) بالياء لأن فعله فتى يفتى على حد بلى يبلى وفنى يفنى فهو من الناقص اليائى . فمن

أين جاءت الواو إلى (فتوان) مثنى ، و (فتوة) جمعا ؟ أجاب سيبويه : (إن إبدال الواو فيهما شذوذ) ولماذا لا نقول إنه جاء من توهمهم أصالة الواو فى (فُتوّة) مصدراً والواو فيه منقلبة عن ياء فأصل فتوّة (فُتُويَة) على حد أخواتها : طفولة ورجولة ومروءة فأعلّت بقلب الياء واواً وإدغامها بالواو التى قبلها . وكثر استعمال كلمة (الفتوة) لاسيما فى العهد العباسى ونشوء جماعات الفتيان من الشطار فتوهموا الواو أصلية فى فتوة وقالوا (فتوان) و (فتوة) وزد عليهما (فتوات) للشواب من النساء مكان فتيات .

وجمع (نائم ونائمة) نوّام ونوّم بالواو لأن أصله نَاوِم من النوم الواوى . لكنهم قالوا أيضاً (نيام) و (نيم) قال صاحب مية :

ألا طرقتنا مية ابنة منـــذر
فما أرّق النيام إلا ســـلامها

فمن أين جاءت الياء فى نيّام ونيّم ؟ لم أسمع لهم فى ذلك جواباً وأرى أن يطبق وجود الياء على توهم أصالة الياء فى قولهم فلان نايم وفلانة نايمة . يسهلون الهمزة إلى ياء ، بل الأولى أن نقول إنهم توهموا أصالة الياء فى لفظ (نيام) وهو جمع كثير الاستعمال : (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) فسرى التوهم إلى الجمعين الآخرين وهما : (نيام) و (نيم) ونظيره قولهم فى مبالغة صائغ (صيَّاغ) وفصيحه القياسى (صواغ) بالواو كجوال وقوال . وعلل ابن جنى قلب الواو ياء فى (صياغ) بكراهة التقاء الواوين فى صواغ ولكن لماذا لم يكرهوا التقاء الساكنين فى قوال وجوال وبوال فيقولوا قيال وجيال وبيال ؟ أرى أنه لما كثر استعمال قولهم (صايغ) بالياء اللينة توهمت الياء فيه أصلية ، أو أن التوهم جاء من قولهم فى المصدر (صياغة) فقالوا صياغ بالياء . ومن الكلم التى تعاورها التوهم وألح عليها كلمة (سنة) أصلها سنو حذفوا واوها وعوضوها تاء يوقف عليها بالهاء فإذا جمعناها أو اتخذنا منها فعلا كان القياس أن نرجع إلى مادتها الأصلية ولكن كثرة استعمال الناس لكلمة السنة فى ضروب معاملاتهم ومعاقداتهم ووقوعها فى أحاديثهم عن أعمارهم وما يقع لهم فى أخبارهم وأطوار حياتهم جعلهم يتوهمون أن تاءها الموقوف عليها هاء هى الأصل . وكان توهمهم حائراً متردداً بين التاء وبين الهاء فتارة يذهب وهلهم إلى التاء فيشتقون من كلمة (السنة) أسنتَ القوم إذا أجدبوا مريدين بالسنة معنى الجدب والقحط وفلان الشيخ الهرم الموسر تسنّت فلانة الشابة الحسناء أى أنه افترص قلة مالها وعسر أهلها فى سنة الجدب فتزوجها وليس من أكفائها وكان القياس فى أسنت وتسنت أسنى القوم وتسنى فلان فلانة . وتارة يذهب وهلهم إلى هاء سنة من كثرة ما يقفون عليها بالهاء فقالوا فى جمعها سنهات كما قالوا سنوات . وقالوا فى الفعل سانهه مسانهة أى عامله بالسنة لا بالشهر ولا باليوم كما قالوا ساناه على القياس . ولم يقف بهم الوهم عند هذا التخم بل تخطاه إلى نون سنين فتوهموها أصلية واشتقوا منها التسنن وفسروه بالإنتان وتغير الرائحة فى قوله تعالى : (فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه) أصله يتسنن بثلاث نونات قلبت الثالثة ألفا كما فى تظنى أصله تظنن وتقضى البازى أصله تقضض . ثم دخل على (يتسنى)

الحازم وهاء السكت كما دخلت فى آية (فبهداهموا اقتده) فقيل (لم يتسنه) أى لم يتغير بمرور السنين عليه . فالتسنن إذن فعل مشتق من سنين على توهم أصالة النون ، ومنه (حمأمسنون) وهو المتغير المنتن ، مما أتت عليه السنون . وقيل إن مادة (السنن) بنونين تدل على معنى التغير والإنتان . وعندى أن فيه نظرا بسطته فى التعليقات التى أشرت إليها فى أول المحاضرة .

ومن قبيل توهم أصالة هاء سنة توهمهم أصالة هاء (شية) التى أصلها (وَشْى) كما أن أصل عدة (وَعْد) والوشى علامات ونقوش على الثوب . وأصل الشية علامة من الألوان فى الحيوان تخالف لونه و (والثور الأشيه) الذى فيه شية ، قليل بياض إذا كان أسود أو قليل سواد إذا كان أبيض ، وكانت بقرة بنى إسرائيل (لاشية فيها) — إذن (الأشيه) من الشية والشية من الوشى فكان القياس أن يقال (ثور أوشى) لكن كثرة استئناسهم بهاء شية الموقوف عليها بالإسكان كثيراً جعلهم يتوهمونها أصله ويقولون فى الوصف منها ثور أشيه كما قالوا كبش أملح وكلب أبقع . ومن هذا القبيل كلمة (هنة) التى يكنى بها عن الشىء القليل أو الحقير أصلها (هَنَو) أعلت كما أعلت سنة أى بحذف واوها وتعويض التاء ؛ فإذا صغروها قالوا (هنيّة) على الأصل ، لكنهم مع هذا يقولون أحياناً (هنيهة) بإثبات هاء بعد ياء التصغير ؛ لاجرم أن يكون ذلك ناشئاً عن توهمهم هاء هنة أصلية من طول مايقفون عليها بالهاء . وهذا التوهم فى الكلمات القاموسية قلما نسمع علماء اللغة وأرباب المعاجم يصرحون به وإنما يلمحون إليه تلميحاً كما قلنا ، من ذلك اسم المفعول من فعل جفا يجفو فإن قياسه مجفوّ لكنهم يقولون (مجفىّ) بالياء . قال الراجز : (ما أنا بالجافى ولاالمجفىّ) وعلله الفراء بقوله « مجفىّ مبنى على فعل جفى المجهول فلما انقلبت الواو ياء فيما لم يسم فاعله (أى فى جفى) بنى اسم المفعول عليه » هذا قول الفراء . وتخريجه (مجفىّ) على هذا الشكل يرجع فى الحقيقة إلى ماقررناه من (قاعدة توهم الأصالة) غير أن الفراء لم يلفظ التوهم إنما ألمع إليه . ومما جرى فى فعله التوهم قولهم : « زيّر البيطار جحملة الفرس ليذل فيتمكن من بيطرته » وقياس زير أن يقال (زور) بالواو وآلة التزوير تسمى (الزيّار) وهى خشبتان يضغط بهما البيطار على شفة الفرس . فقد توهموا ياء (زيار) أصلية فقالوا فى فعله (زير) بالياء بناء على هذا التوهم .

ومثله فعل (تحيز) من (الحيّز) وهو المكان الذى يحوز مافى ضمنه ، ففعله واوى وأصله (حَيْوِز) وقياس فعله (تحوّز) ولكنهم قالوا (تحيز) بالياء بناء على توهمهم أصالة الياء فى حيز . ويشبه (تحيز) فى لهجتنا الدارجة فعل (تريض) وفصيحه (تروض) بالواو لكننا توهمنا أصالة الياء فى كلمة رياضة المتفشية على الألسن فسرى التوهم إلى فعلها وقلنا (تريض) ، ولماذا لانعذر فى هذا التوهم ويسمح لنا بهذا الاستعمال قياساً على قولهم (تحيز) و (زير) وهما قاموسيتان ؟

ومن هذا القبيل وهو مما ذكرته المعاجم

كلمة (عيال) وهم الذين ينفق عليهم الرجل ويقوم بمؤونتهم ، أصلها (عوالد) بالواو إذ يقال فى فعله عالهم وأعولهم بالواو على الأصل كما يقولون أعيلهم بالياء على خلاف الأصل وليس هذا إلا لتوهمهم أصالة الياء فى (عيال) وساعد هذا الاستعمال التوهمى أن فعل (أعول) من العيلة يشتبه بفعل أعول من الإعوال بمعنى رفع الصوت بالبكاء . فكان أعيل بالياء أسلم وأقوم . ومن التوهم فعل (خنثاه) يخنثيه إذا صيره كالخنثى . وألف خنثى زائدة فهى كألف حبلى لكن لزوم الألف فيها أى فى خنثى جعلهم يتوهمون أصالتها ويكسعون بها الفعل . قال أبو الطيب المتنبي :

خنثى الفحول من الكماة بصبغه
ما يلبسون من الحديد معصفراً

أى أن ممدوحه صير فحول الكماة خناثى مذ صبغ دروعهم بعصفر الدم . والعصفر الأصفر (وهو الورس) مما يختضب به النساء فكانت تلك الفحول خناثى لارجالا .

ومن غريب توهمهم فى الخروج عن القياس جمعهم ساق على (سؤق) بالهمزة وإنما قياسه (سوق) بالواو ولا داعى لقلبها همزة . وقد عللوا ذلك بقولهم : إن الناطقين بسوق توهموا أن ضمة السين واقعة على الواو التى بعدها فهمزوها تخففاً من ثقل الضم . وروى الفارسى أن أبا حية النميرى كان يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة . فيقول فى حوت حؤت وفى ثوم ثؤم وفى موس مؤس وهكذا . وللعرب توهم آخر عكس الأول ، فإنهم إن كانوا فى (سوق) توهموا أن حركة السين واقعة على الواو بعدها ، فإنهم فى (كَمْأَة ومَرْأة) توهموا فتحة الهمزتين واقعتين على الميم والراء الساكنتين الواقعتين قبلهما وانهما ساكنتان لا متحركتان فأصبحتا كَمَـأْة ومَرَأْة . والقاعدة فى مثلهما جواز التسهيل فسهلنا كماة ومراة . قال ابن سيده صاحب المخصص : (وهذا التعليل من أدق النحو وأظرف اللغة) أقول : وما استطرفه ابن سيده لا ينبغى أن يستهجنه أحد. ومما ينطوى تحت هذه القاعدة أى قاعدة توهم أصالة الحرف جمعهم قَيل على أقيال . والقيل عند الحميريين بمنزلة البِرنس عند الإفرنج وهو مشتق من القول لأنه يقول ما شاء فينفذ قوله وأصله (قَيْوِل) كما أن أصل (ميْت) بالتخفيف (ميوت) وقياس جمعه (أقوال) كما قالوا فى جمع ميت أموات لكنهم جمعوه أيضاً على (أقيال) وذلك من كثرة ما سمعوا لفظ (قيل) المخفف فتوهموا ياءه أصلية وفعلوا مافعلوا. ومن هنا ننتقل إلى جمع كثر النزاع حوله وعدوه من عثرات الأقلام فأطبقه على قاعدة توهم الأصالة وهو (أسياد) فى جمع سيد . فعلماء اللغة يجمعون سيد على سادة وسادات وسيائد ولم ينقلوا إلينا جمعه على (أسياد) الذى اشتهر بيننا فى العصور الأخيرة شهرة لا مزيد عليها . وقد أنكره العلامة الشيخ إبراهيم اليازجى وأثبته الشرتونى فى معجمه (أقرب الموارد) ولم يعلله. ولو علله لقال هو من الشواذ كما يقول علماء النحو فى تعاليلهم .

أما وقد أسسنا قاعدة توهم الأصالة فلنلجأ إليها ونقول إن أسياد ليست جمعاً لسيد المشدد وإنما هو جمع لسيْد المخفف جاء فى مزهر السيوطى (جزء ٢ ص١٧٣) من طبعة الرافعى

نقلا عن الصحاح مانصه: «يقال فى سيّد سيْد كما يقال فى هيّن هيْن ولين لين وميت ميت» وسيد بالتخفيف كثير الاستعمال على ألسنتنا لكننا نكسر سينه ونقول (سيدى) وغلب هذا الاستعمال بكثرة فى لهجة إخواننا المغاربة إذ يقولون سيدى خليل سيدى جنون سيدى ابن زروق سيدى ابن عاشور ويخصون (مولى) بالملوك فيقولون مولاى عبد الحفيظ. و(سيد) هذه المخففة من سيد هى التى جمعناها على (أسياد) كما جمع الذين من قبلنا (قيل) على (أقيال) بناء على قاعدة التوهم. وكثرة استعمال اللفظ هى التى تجعل التوهم يعمل عمله فسيد وقيل كثر استعمالها فجمعا توهما على (أسياد) و (أقيال) أما ميت المخفف فلم يشتهر استعماله اشتهار ميت المشدد (إنك ميت وإنهم ميتون) ولذا لم نرهم جمعوه على أميات مع أن الثلاثة واويات ساد يسود وقال يقول ومات يموت فلاك التوهم إذن كثرة الاستعمال. وهذه الكثرة تختلف باختلاف الأقوام والأمكنة والأزمان. وقد أورد بعضهم قول النمر بن تولب شاهداً على ورود (أسياد) فى كلام العرب وهو :

(أبقى الحوادث والأيام من نمر
أسياد سـيف كريم أثره بادى)

فأجبت بأنه لا يصلح شاهداً لإمكان أن تكون (أسياد) محرفة عن أسيار جمع سير بمعنى حمائل السيف أو أسباد بالباء والدال بمعنى بقايا. وبحث (أسياد) جمعاً يحتمل كلاماً أكثر مما قلنا وقد أثبتناه فى تعليقاتنا الخاصة على قاعدة التوهم. ثم إن التوهم كما طبقناه فى جمع سيد على أسياد نطبقه على فعله فنقول تسيّد فلان بالياء إذا صار سيداً على قومه كما قالوا تمولى إذا صار مولى لهم أما فعله القياسى فهو (تسود) بالواو لأن أصل سيد (سيود) واشتقاقه من فعل ساد يسود الواوى كما مر. ولم ينقل إلينا فعل (تسيد) بالياء إنما نقل (تحيز) فلماذا لا يطاوعنى الرفاق فنقول تسيد بناء على التوهم ونخص تسود بالشىء الذى صار أسود ؟ وإنا لنسمع الناس يستسهلون أن يقولوا تسيد فى معنى السيادة ولا يفهمون من (تسود) إلا معنى الاسوداد. وهنا ملاحظات يجدر بى أن آتى على ذكرها قبل لف الموضوع.

الملاحظة الأولى : كنت فى الشواهد التى سردتها أعتمد على توهم واقعى متابعة لعبارة ابن عقيل الذى بنى توهمه فى جمع (أرياح) على وجود لفظ (ريح) المستعمل فى اللغة. وهكذا الألفاظ الأخرى سواء أكانت مما ورد فى معاجم اللغة أو مما لحته من أقوالنا فى لهجتنا الحديثة. وهناك كلمتان وردتا فى معاجم اللغة خالفتا القياس فى صيغتهما وسمعناهم يعللون المخالفة فيهما بالتوهم لكنه توهم لا مستند له ولا هو واقعى ثابت فى الخارج وهما كلمة (مُسْتَرّ) الواردة فى المثل العربى (كل مجر فى الخلاء مسر) أى مسرور. يضربونه مثلا لمن يحمد ما فى نفسه ولا يدرى ما عند غيره من الفضائل. قال صاحب اللسان والتاج : (كل مجر فى الخلاء مسر) قال ابن سيده هكذا حكاه أفّار بن لقيط إنما جاء على توهم (أسر) أى إنما جاء (مسر) اسماً للمفعول فى فعل أسر الذى توهموه توهما وهم (أى العرب)

لم ينطقوا به قط كما نطقت كلمات (ريح) و (عيد) و (منطقة) و (مشيخة) إلى آخر ماسردنا من الألفاظ الوجودية التى استندوا واستندنا إليها فى التوهم . و (أسره) التى قال (ابن سيده) إنهم توهموها ليست كذلك . ومثل هذا التوهم الذى لامستند له توهمهم فى كلمة أخرى هى كلمة (منبوت) اسم مفعول ورد فى شعر وهو :

وبلد يغضى على النعوت
يغضى كإغضاء الرُّوى المثبوت

لا قيمة لهذا البيت من حيث ثبوته ومعناه وإنما القيمة فيما قاله صاحب اللسان تعليقاً عليه وهذا نص عبارته : « قوله (المثبوت) أراد (المُثبت) فتوهم ثَبَتَه كما أراد الآخر المسرور (فى المثل السابق) فتوهم (أسره) . » فكلمة التوهم وردت فى تخريج (مسر ومشوت) وجرت على لسان (ابن سيده) ثم على لسان كل من (ابن مسطور) و (الزبيدى) فأنا أقبل منهم كلمة (توهم) وأرحب بها لكنى لا أرحب بتصحيح كلمتى (مسر ومثبوت) بناء على التوهم ، إذ أن التوهم فيهما لا مستند له فى اللغة . على حد مايفعله الفقهاء فإنهم لايعولون على اجتهاد لامستند له فى الشرع .

تقولون أيها السادة : وبماذا نسمى خروج (مسر ومنبوت) عن القياس ؟ أسميه شذوذاً وهى التسمية التى اصطلح عليها النحاة فى كل ماخرج عن القاعدة وخالف القياس فكما قالوا فى (أسعده) فهو مسعود شاذ أقول فى أنبته فهو منبوت شاذ . إذن الخروج عن القاعدة قسمان : قسم من الألفاظ يستند فى مخالفته إلى شىء وجودى أو واقعى وهو الذى يدخل تحت قاعدتنا توهم الأصالة . وقسم من الألفاظ لايستند إلى شىء وجودى أو واقعى فنسميه شاذاً كما يفعل النحاة أثابهم الله .

اسمحوا لى أيها الإخوان وقد بلغت النهاية من بحثى هذا أن آتى على شىء له علاقة كبرى بالموضوع ، وهما كلمتان أعجميتان جعلهما صاحب (أقرب الموارد) من التوهم وأرى أن لايجعلا منه ولايذكرا فى شواهده : الأولى فعل (همّن) يهمّن فإن الشرتونى بعد أن ذكر الهميان وفسره ونقل عن الأزهرى أنه دخيل معرب قال أى الشرتونى « وفعله همن الشىء جعله فى الهميان وهو مبنى من الهميان على التوهم » انتهى . وقد عنى بالتوهم توهم أصالة النون فى هميان وإنما هى زائدة إذ أن مادته هى لاهمن وأنا لا أرى هذا مقبولا ولامعقولا مادامت الكلمة أعجمية نجهل النطق بحروفها وطريقة اشتقاقها فى لغتها الأصلية ، وقاعدتنا فى التوهم إنما تبنى على معرفتنا الحرف المتوهم وتحقق أصالته أوزيادته أو تحوله وهذا غير متيسر لنا فى الكلمات الأعجمية . والكلمة الثانية فعل (تبلّر) مشتقاً من كلمة (البلور) قال الفاضل الشرتونى فى ذيل معجمه : (تبلور الشىء صار بلورا أو شبيهاً به نقله من لاثقة به وعلى فرض صحته فقياسه تبلر كتمجس إذا صار مجوسياً) فقوله هذا يشعر بأن الواو زائدة فى (بلور) فتوهموها أصلية وأقحموها فى فعله وقالوا (تبلور) بناء على هذا التوهم . وأقول فيه ماقلته فى سابقه فعل (همّن) فإن لفظ (البلّور) أعجمى فى غالب الظن ، وهذا الجوهرى أهمله وأبو عمرو الزاهد دكره ولم يدكر أصله . فواوه أصلية أوزائدة — أمر مجهول لما ذكرنا ، وسواء أقلنا فى فعله تبلّر أو تبلور لايمكن القطع بأن أحدهما جاء على القياس والآخر على التوهم . فالألفاظ سواء أكانت أفعالا أو أسماء لاتجرى قاعدة التوهم فى اشتقاقها وتحولاتها مالم تكن عربية وإلا فإن صيغ الكلمات الأعجمية موضع اشتباه ولاعلم لنا إلا ماعلمنا الله .

أسماء العشب والشجر فى بوادى العرب

لحضرة العضو المحترم الدكتور عبد الوهاب عزام (*)

لا أقصد بكلمتى هذه إلى أن أزيد علماء النبات أو اللغويين معرفة بأعشاب البلادالعربية وأشجارها ، ولا أريد إيضاح ماذكره اللغويون مجملا أو مبهما ، ولاتسمية مالم‌يعرف له اسم عربى من أنواع النبات ، ولكنى أريد التنبيه إلى ماعسى أن يستفاد من البحث فى البوادى ، فى إكمال معاجم النبات العربية أو توضيحها أو تصحيحها ، والتعريف بأن العرب فى بواديهم لايزالون يتكلمون بما تكلم به آباؤهم من قبل فى تسمية الأعشاب والأشجار وصنوف النبات ، وأن زمان الاستفادة من البوادى فى هذا الشأن لم يمض.

ذهبت لسياحة فى جزيرة سيناء مع جماعة من أساتذة كلية الآداب وطلابها شتاء سنة ١٩٤٠ م . وكان من همى فى هذه السياحة أن ألقى الأعراب وأتحدث اليهم على قدر مايتسع الوقت فى هذه السياحة القصيرة .

وكان أول من تحدثت إليه أعرابياً اسمه مطير من قبيلة اسمها القرارشة فسألته عن نبات صغير تنبت أغصانه من جذوره مستقيمة دقيقة وله ورق مستطيل دقيق ، فقال : هذا الرِّتَم . فذكرت قصة أبى الطيب المتنبى حين فارق مصر إلى العراق وارتاب فى الطريق بأحد عبيده فضربه بالسيف فخر على رتمة . وذكرت قول الراجز :

نظرت والعين مبينة التهم
إلى سنا نار وقودها الرِّتَم
شُبت بأعلى عانِدَين من إضم

وسألت من بعد اعرابياً اسمه حُميد ركبت جمله إلى جبل موسى :

قلت : أهنا ثمام ؟ قال : لا . فى وادى كذا ثمام كثير . قلت : نحن نقرأ فى كلام العرب قولهم : هذا الشىء على أطراف الثمام . قال : نعم كذلك نقول إذا كان الشىء كثيراً قريباً لأن الثمام قصير .

وسرت يوماً على ظهر جمل اسمه هِدَيّان واسم صاحبه فرحان وكان معى أحد الطلاب على جمل آخر اسمه صبيح .

وكان معنا صبى فطن لقن اسمه سعد دون العاشرة تطوع لصحبتنا . وسمعنى سعد أسأل عن أسماء النبات . فكان لايمر بنات إلا سماه وقلعه أو قطع فرعاً منه وناولنى إياه .

ناولنى شيحة . فقلت : أهنا قيصوم ؟ فأسرع بعد قليل إلى شجيرة فقلعها وأتى بها وقال . هذه قيصومة وهى تشبه الشيح لا يميز بينهما إلا الخبير بالأعشاب .

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثالثة عشرة للمؤتمر (١٥ من يناير سنة ١٩٤٩) . انظر القرار الثالث من « القرارات الادارية والتنظيمية » فى هذه الدورة .

ثم مررنا بنبات صغير لاطئ بالأرض له عصارة لزجة فقال سعد : وهذه لُبَيْدة . ورأى شجرة شوك كبيرة فقال هذه سِلّة . ثم سمى من ضروب النبات الذى مررنا به الوَرّاقة والكَبّاث وهويشبه السلة ولكنه أضعف شوكاً وكان جملنا هديان إذا مر بكباثة أبى إلا أن يميل إليها ليأكل منها . والكباث فى معاجم اللغة ثمر الأراك . وهو غير هذا .

ومما رأينا الخِيَرْماع . وهو نبات له أصل مستقيم كالعصا وفروع قصيرة رأيت واحدة منها يابسة فأشرت إلى سعد فجرى إليها وحاول قلعها فاستعصت عليه فناديته أن اتركها فأبى وما زال يقوم بها ويقعد حتى قلعها .

وأرانى سعد من النبات النعمان وأصابع العجوز والمَرْوَرة والبِرْكان والدَّهْمى وكلها من النبات الضعيف الصغير .

ورأيت الزعتر والعُثيران . قال سعد : هو نبات الحمير .

ولما اجتزنا وادى فاران فى رجوعنا لقيت صبياً اسمه ربيع يرعى غنما فسألته عن نبات ضعيف يشبه البصل قال : بَرْوَق .

أقول . البروق معروف فى أمثال العرب . قالوا : أشكر من بروق لأنه يعيش بأدنى ندى يقع على الأرض . وقالوا . أضعف من بروقة.

ثم سألت ربيعاً عن نبت آخر فقال هو الرِّمث قلت رأيت حطب الرمث فى العراق وهو أطول من هذا وذكرت قول أبى الطيب يذكر ناقته فى قصيدته التى مدح بها ابن العميد :

تركتْ دخان الرمث فى أوطانها
طلباً لقــوم يوقدون العنـــبرا

وتوقفنا فى مسيرنا من بعد عند جبل يسمى جبل الزمرد فسألت أعرابياً هناك عن عشب ضعيف له زهر بنفسجى قال هو البَهْك ينبت بعد المطر ، ثم سألته عن نبت له ثمر مستدير ذو شوك فقال السعدان . قلت أهو هذا ؟ وتذكرت حسك السعدان وقول العرب : مرعى ولا كالسعدان .

وأكثر هذه الشجيرات مذكور فى كتب اللغة باسمه المعروف اليوم وبعضها يذكر باسم قريب . وبعضها لم أعثر عليه فى المعاجم مثل اللُّبيدة والخرماع . وفى معجم أحمد عيسى أم لُبيدة ولعلها اللبيدة التى ذكرت .

* * *

وفى هذه السنة رأيت فى جزيرة العرب شجراً ونباتاً أسماؤها كما نعرف فى كتب اللغة والأدب ، وعرفت تمييز العرب بين فصائل من الشجر متشابهة لايفرق الناظر غير الخبير بينها مثل السَّلَم والطَّلْع والسَّمُر والعَوْسَج وهى كثيرة فى أرجاء الجزيرة .

ورأيت المَرْخ كثيراً وفى المثل العربى : لكل شجر نار واستَمجد المرخ والعفار.

وكنت على مقربة من بدر فرأيت شجرة

حسبتها أراكاً ، ولكن دليلنا « عايداً » تأمل فيها وقال : هذا تَنْضُب . وفى القاموس « والتنضب شجر حجازى شوكه كشوك العوسج » وفى اللسان « والتنضُب شجر ينبت بالحجاز وليس بنجد منه شىء إلا جزْعة واحدة بطرف ذقان عند النقيدة . وهو ينبت ضخماً على هيئة السرح وعيدانه بيض ضخمة » .

وقال أبو نصر : « التنضب شجر له شوك قصار وليس من شجر الشواهق . » والذى رأيته شجرة لها أغصان ذات أنابيب متواصلة وليس له ورق . فما أدرى أهو تنضبة صغيرة أو ضرب آخر كما يؤخذ من كلام أبى نصر .

ورأيت عايداً يقلع نباتا فيضعه تحت عجل السيارة وقد ساخت فى الرمل فقلت ماهذا قال : عرفج . قلت : رأيت العرفج فى نجد وهو غير هذا . قال : ذاك النبات الأبيض ؟ نعم : يسمى فى نجد عرفجاً .

قلت إن اختلاف الروايات فى كتب اللغة تنشأ أحياناً من مثل هذا أعنى اختلاف التسمية باختلاف البقاع .

وفى الطريق بين مدينة الرياض والخرج وهو قرى ومزارع على ٨٥ ميلا من الرياض إلى الجنوب والشرق وقفنا السيارة فى روضة فيها ضروب العشب والشجر . وكان سواقنا من قبيلة الدواسر وهى تنزل على واد يسمى باسمها يهبط من اليمين إلى الشمال الشرقى ، وكان على معرفة بنبات البادية ولكن الحارسين اللذين رافقانا كانا أبلغ معرفة لم يجهلا شيئاً مما سألناهما عنه . وقد سألتهما ، فعرفانى بالأنواع الآتية فأخذت أصولا منها وفروعاً ، وهى :

الخُزامى والحَمْض والحَوْذان والنَّمَل والقَيْصُوم والثُّمام والعُنْصُل . والبُعَيْثران والعِشْرِق والسَّنا والعَرْفَج والحَطْمِىّ .

وكلها معروفة فى شعر العرب وكتب اللغة إلا العيثران لم أجده فى المعاجم اللغوية ولكن وجدت العَبَيْثَران والعَبَوْثَران . ولاأدرى أأخطأت السماع أم تغير الاسم وفى معجم النبات للدكتور أحمد عيسى البُعيثران .

وقد ذكرنى الحوذان والنفل بقول أبى الطيب فى قصيدة يمدح بها عضد الدولة :

سُبُلٌ تطول المكرمات بهـــا
والمجد لاالحَوْذان والنَّفَــــل

وقد سألت أحد الحارسين عن شجرة حنظل فقال هذا الشرّى . والمعروف فى كتب اللغة الشَّرْى بسكون الراء ولكن البدوى يصعب عليه النطق بالحرف ساكنا قبل آخر الكلمة لالتقاء الساكنين . وسألته عن حنظلة صغيرة قلت : ألا تسمى الهَبيد ؟ قال كله هبيد . وفهمت من كلامه أن الهبيد لب الحنظل أو شحمه كما يقول اللغويون .

وذكرت قول المعرى فى اللزوميات :

كذاك نعام القفر يخشى من الردى
وقوتاه مرو بالفلا وهبيـــدُ

وقوله :

وكم ظالم يلتذ شهـــداً كأنه
ظليم قراه بالفلاة هبيـــدُ

ومن الأسماء التى سمعتها من رفيقىّ ولم أعرفها من قبل :

القرقاص ، والذنابى ، والمكّر والنّقد والرمارم . وقال محدثى إن الرمارم نافع فى عضة الثعبان .

ولم أجد فى كتب اللغة القرقاص ووجدت الذنابى باسم الذّنبان والمكر فى اللسان بسكون الكاف والرّمارم بلفظ الرمرام . ويقول صاحب القاموس : يأخذه الناس يسقون منه من العقرب .

ورأينا فى نجد عائدين من الرياض القتاد وهو شجيرات صغار لها أغصان يكسوها شوك صلب حاد . ولهذا قال العرب فى الأمر البعيد : « دون ذا خرط القتاد » .

وقصارى القول أن فى بوادى العرب ضروباً كثيرة من النبات لها أسماء تعرفها البادية وهذه الأسماء تتناول الأجناس والأنواع والفصائل وتميز بين الأشباه .

معظم هذه الأسماء معروف فى الأدب القديم ومعاجم العربية ، وقليل منه لا يلقى فى المعاجم .

فذهاب طائفة من علماء النبات واللغة إلى تلك البوادى وبحثهم عن ضروب النبات وأسمائها ووصفها وتصويرها حرى أن يؤدى إلى هذه النتائج :

١ — تحقيق الأسماء القديمة ومعرفة مسمياتها معرفة بينة .

٢ — والفصل فى الروايات المختلفة فى مدلول اسم من أسماء النبات بمعرفة مدلول الاسم فى هذا العصر وتصويره وبيان أن بعض الروايات التى فى المعاجم غير صحيحة أو أن المسمى يختلف باختلاف البقاع أحياناً .

٣ — وتسمية مالم يعرف له اسم عربى من أصناف النبات التى يعرفها النباتيون بأوصافها دون أسمائها أو يعرفونها بأسمائها اللاتينية . فعالم النبات يعرف النبتة حين يراها فى البرية فيسأل عنها فيسميها بالاسم الذى يسمعه .

وهذا أيسر على الباحثين وأقرب إلى التحقيق وأوثق فى التسمية من تعريب الاسم الأعجمى أو ترجمته أو ارتجال اسم للنبات .

* * *

فأقترح أن يتعاون مجمع اللغة العربية وجامعة فؤاد الأول على إرسال بعثة إلى جزيرة العرب أو إلى ماهو أقرب منها كبادية سيناء والصحراء الغربية المصرية . لتبدأ العمل فى هذا فترى الشجر والنبات وتصفهما وتصورهما ثم تعرض على المجمع نماذج من عملها ليتخذ الوسائل الكفيلة بالمضى فى العمل إلى غايته . وبهذا يتسنى وضع معجم للنبات عربى يكون عمدة للباحثين ومرجعاً لطلاب الأدب واللغة الذين يعانون اليوم مايعانون فى الاستعانة بمعاجم اللغة لمعرفة مايرد من النبات فى الأدب والتاريخ وفنون أخرى .

الأطلس اللغوى

للدكتور خليل عساكر خبير بلجنة اللهجات (*)

الأطلس اللغوى من أحدث وسائل البحث فى علم اللغات وفقهها ، وله وظيفة ذات أثر بالغ فى للدراسات اللغوية فى العصر الحديث وتلك هى تسجيل الواقع اللغوى للغات واللهجات على خرائط يجمعها آخر الأمر أطلس لغوى عام ، وتختص كل خريطة بكلمة فتسجل عليها الاختلافات الممكنة للكلمة الواحدة ، سواء أكانت هذه الاختلافات صوتية أى خاصة بأصوات اللفظ وحركاته ونبره وطريقة النطق به ، أم كانت صرفية تتناول صيغة اللفظ وبنيته . كما تسجل على الخريطة المترادفات الواردة للمعنى الواحد الذى قد يعبر عنه بلفظ خاص يختلف باختلاف القرى والمدن والأقاليم . فإذا تمت خرائط على هذا النحو فى قطر من الأقطار أو أقليم من الأقاليم وكانت كل خريطة تحتوى على خمسمائة جهة مثلا مابين قرية وبلدة ومدينة ، اتضح آخر الأمر مدى انتشار هذه المترادفات وتلك الأصوات والصيغ المختلفة للفظ الواحد ، وأصبح ممكنا تقسيم القطر أو الأقليم على هذا الأساس إلى مناطق لغوية متميز بعضها عن بعض ، كما يمكن معرفة ماعسى أن يكون فيه مما يسمونه « الجزر اللغوية » .

ويعتبر الأطلس اللغوى نوعاً من العرض الجغرافى للغة ممثلة فى لهجاتها المختلفة . ولاشك فى أن التشابه الذى يوجد بين عدة بلاد أو عدة مناطق فى طريقة حديثها ، وفى ألفاظها وتعبيراتها ، لم يأت عفواً ولكنه يشير إلى ماض مشترك ، وإلى مراحل تاريخية واحدة مرت على هذه البلاد المتشابهة لغة وتعبيراً .

وتسجيل اللهجات العربية الحديثة تسجيلا جغرافياً على خرائط يعين إلى حد كبير على دراسة هذه اللهجات فى ذاتها أولا وعلى دراسة اللغة العربية ثانياً . ويعين ثالثاً على معرفة مايمت من اللهجات العربية إلى الفصحى بسبب وماهو متوغل فى القدم منها أو حديث عهد بحياتنا اللغوية ، كما يعين أخيراً على دراسة سائر اللغات السامية دراسة مقارنة . وقد أبان الأستاذ شتيجر Steiger العالم السويسرى الذى له بهذا الموضوع عناية خاصة ، عن قيمة الأطلس اللغوى وأهميته للغة العربية بقوله من تقرير له : « وبالنسبة للغة العربية نقول: إن القيام بعمل أطلس لغوى لها سيحدث ثورة فى كل الدراسات الخاصة بفقه اللغات السامية لأنه سيكمل من غير شك الدراسات التى تعتمد على النصوص القديمة بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشعبية العصرية . وسيكون لهذا الأطلس الفضل فى إطلاعنا على تاريخ علم الأصوات والتغيرات التى أصابت اللغة العربية فى الأماكن المختلفة التى غزتها وعن مدى انتشارها وتأثرها بالمراكز

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (٨ من يناير سنة ١٩٤٩) .

الثقافية وتنوع مفرداتها إلى غير ذلك من المكتشفات التى لايمكن أن تتم إلا إذا جمعت هذه المواد . إنه سيكون عملا ثقافياً من الطراز الأول وسيكون تحقيقه عنوان مجد وفخار فى تاريخ الثقافة العالمية . »

وليس الأمر مقصوراً على الناحية اللغوية والصوتية بل يستعان بالأطالس اللغوية على الدراسات الاجتماعية والتاريخية على أساس أمتن وأشمل . وفى هذا يقول الأستاذ يود Jud وهو أستاذ سويسرى متخصص فى اللغات الرومانية : الفرنسية والأسبانية والإيطالية : « من المستحيل أن يكتب تاريخ صحيح للشعب الفرنسى أو الإيطالى أو الأسبانى إلا إذاعرفت اللغات المحلية فى تلك البلاد ، ودرست دراسة عميقة . تلك حقيقة خطيرة أصبحت مقررة معروفة . »

* * *

أما الفكرة فى عمل الأطالس اللغوية فقد بدأت فى النصف الثانى من القرن الماضى . وكان رائدا هذا النوع من الدراسة ، التى اعترف علماء اللغات بمالها فى حل المشكلات اللغوية من نفع وقيمة وخطر ، هما : فنكر Wenker الألمانى ، وجيرون Gilliéron الفرنسى . وقد قام كل منهما بعمل أطلس لبلاده ، ظهر أحدهما وهو الأطلس الفرنسى ولم يقدر للآخر الظهور حتى اليوم . ولعل السبب فى ذلك أن الخريطة فى الأطلس الفرنسى تمثل من القرى والبلاد والمدن مابين ثلثمائة خمسة وستمائة وأربعين جهة . على حين تمثل الخريطة فى الأطلس الألمانى خمسين ألف جهة أى أن النقط فى الأطلس الألمانى أشد كثافة منها فى الأطلس الآخر .

وقد أخذت فكرة عمل الأطالس تتسع منذ ظهور الأطلس الفرنسى سنة ١٩٠٦ ، ثم هى تنتشر الآن انتشاراً واضحاً يوماً بعد يوم . وسويسرا هى البلد الذى يحتضن الآن هذه الدراسة حيث ينهض بها ويقوم عليها الأســتاذان : يابرج Jaberg ويود Jud اللذان قاما بعمل أطلس لغوى لإيطاليا وجنوب سويسرا وكذلك الأستاذان : هوتسنكيرلى Hotzenkoeherle وبومجارتنر Baumgartner اللذان يقومان الآن بعمل أطلس لغوى للقسم الألمانى من سويسرا .

أما الأطالس التى تم طبعها والتى لاتزال تطبع ، وكذلك التى تعد أو أعدت فعلا وتنتظر الطبع فهى :

١ ـــ الأطلس اللغوى لفرنسا . نشره الأستاذ جيرون سنة ١٩٠٦ .

٢ ـــ الأطلس اللغوى للبلاد الألمانية والنمساوية وقد قام بعمله فنكر ثم فرده Wrede ونشرا منه حوالى أربعين خريطة لبعض أقاليم ألمانيا. أما الأطلس الشامل لكل البلاد الألمانية فلم يطبع حتى الآن .

٣ ـــ الأطلس اللغوى لإيطاليا وجنوب سويسرا نشره الأستاذان يابرج ويود سنة ١٩٢٨ ويقع فى ثمانية مجلدات .

٤ ــ أطلس لغوى لرومانيا . طبع منه ثلاثة أجزاء قبل بدء الحرب الماضية .

٥ ــ أطلس لغوى لقطلونيا . وهومطبوع .

٦ ــ أطلس لغوى ممتاز للبلاد الهولندية (مطبوع).

٧ ــ أطلس لغوى لكورسيكا . أوشك طبعه أن يتم .

٨ ــ أطلس لغوى لأمريكا الشمالية . صدرمنه الجزء الأول الخاص بولاية نيوإنجلند .

٩ ــ أطلس لغوى صغير لسوريا ولبنان وفلسطين . نشره الأستاذ المستشرق برجشتريسر Bergstrasser سنة ١٩١٥ .

١٠ ــ أطلس لغوى للقسم الألمانى من سويسرا ، يوالى العمل فيه ويعده الآن للطبع الأستاذان : هوتسنكيرلى وبوبجارتنر .

هذا وقد نبتت فكرة عمل الأطالس اللغوية فى بعض البلاد الأخرى كالسويد والنرويج والبرتغال وإنجلترا . أى أنها قد شملت معظم بلاد أوربا بل تعدتها إلى أمريكا وبعض البلاد الشرقية .

* * *

طرق عمل الأطلس اللغوى :

هناك طريقتان إحداهما ألمانية والأخرى فرنسية .

أما الطريقة الألمانية فقد ابتكرها وقام بتنفيذها ڤنكر وخلاصتها أنه ألف أربعين جملة تمثل أهم مايجرى على ألسنة الناس كل يوم فى بلاده ، وطبعها على شكل استمارة بها بيانات خاصة على النحو الآتى بعد تعديلها بما يوافق اللهجات العربية . أما الجمل فقد أوردنا نماذج منها مترجمة بنصها عن الأصل الألمانى :

صحيفة أسئلة لغوية خاصة باللهجات العربية الحديثة

الجهة التى سمعت فيها اللهجة العربية وسجلت : .... المركز : .... المديرية : ....

الراوى اللغوى الذى نقلت عنه اللهجة	المسجل اللغوى الذى سمع اللهجة ودونها
الاسم :	الاسم :
السن :	السن :
المهنة :	المهنة :
محل الميلاد :	محل الميلاد :

الجملة فى اللغة العربية الفصحى	الجملة فى اللهجة العربية الحديثة
١) تسقط أوراق الشجر فى الشتاء وتتناثر فى الهواء .	
٢) ضع شيئاً من الفحم فى الفرن حتى يغلى اللبن	
٣) كانت النار قوية حتى لقد احترق الفطير واسود من شدة الاحتراق .	
٤) إنه يأكل البيض دائماً بغير ملح أو فلفل	
٥) تؤلمنى قدماى ألما شديداً ، والظاهر أنى سرت أكثر مما يجب .	
٦) نحن ظماء متعبون .	
٧) ألا يمكنكم الانتظار لحظة حتى نذهب معكم ؟	
٨) لقد خرجت الكلمة من قلبه .	
إلى آخر الجمل الأربعين	

وقد أرسلت نسخ من هذه الصحيفة اللغوية المشتملة على الجمل الأربعين إلى جهات ألمانية ظلت تزداد شيئاً فشيئاً حتى بلغت فى النهاية خمسين ألف جهة ، وكان إرسالها على نفقة الدولة وبصفة رسمية ، أما المسجلون الذين سمعوا اللهجات من أفواه الرواة ودونوها فكانوا فى معظم الأحيان من معلمى المدارس الأولية نظراً لمعرفتهم بأحوال القرى التى ينزلون فيها واتصالهم بأهلها عن كثب ، ثم لثقافتهم التى أهلتهم لتسجيل النطق وتصويره كتابياً لا أقول تصويراً دقيقاً محكماً ، بل تصويراً قائماً على أساس وإحساس لغويين لابأس بهما ولاغبار عليهما فى معظم الحالات .

وبعد أن تجمع هذه الإجابات يبدأ بعمل خريطة لكل لفظ على حدة . وذلك بأن تفرغ أولا صور اللفظ وصيغه ومترادفاته على خرائط تفصيلية تشتمل على بلاد الإقليم جميعها ثم تحدد عليها المناطق اللغوية المختلفة . وبعد هذا ترسم الخريطة العامة على ضوء الخرائط المفصلة بل على أساسها . ويبين على هذه الخريطة العامة الحدود النهائية للمناطق اللغوية على وجه الإجمال .

وأما الطريقة الفرنسية — وهى الطريقة السائدة الآن فى عمل الأطالس — فخلاصتها أن تعمل خريطة للأقليم المراد عمل أطلس له وتنتخب منه قرى وبلاد يلاحظ فى كل منها أن تمثل إلى حد البيئة اللغوية التى توجد البلدة أو القرية فيها . وقد بلغ مجموع هذه البلاد فى أطلس إيطاليا حوالى أربعمائة بلدة .

ثم يؤلف كتاب خاص يعرف بكتاب الأسئلة : (Fragebuch) يحتوى على ألفى سؤال أو على ألفين وخمسمائة . يتوخى فيها أن تكون شاملة لأهم الأشياء التى تشاهد فى الريف وفى المدينة ولأكثر الألفاظ شيوعاً فى الحياة اليومية كما يتوخى فيها أن تكون الإجابة على كل سؤال منها كلمة واحدة فى غالب الأحيان . ويكون ترتيب هذه الأسئلة موضوعياً بحيث يختص كل جزء من الأطلس بموضوع أو بعدة موضوعات . ومن أمثلة ذلك فى الأطلس اللغوى لإيطاليا :

أسماء الأهل وذوى القربى كالعم والخال والأخ والأخت وغيرهم — أطوار العمر والميلاد والزواج والموت ومايتعلق بذلك — جسم الإنسان وصفات الجسم من طول وقصر وبدانة ونحافة — أسماء الصناعات والصناع — النقود والتجارة والأعداد — الوقت وأقسامه وظروف الزمان وظروف المكان — الأرض والمعادن — الأجرام السماوية والظواهر الجوية الأشجار والشجيرات والأزهار — الملابس والأقمشة والغزل والنسج والحياكة والغسل والتنظيف إلى غير ذلك مما ليس هنا مكان تفصيله .

وتأليف كتاب الأسئلة هذا من أهم الأشياء التى يجب مراعاتها فى هذا العمل .

بعد هذا تعمل من الكتاب طائفة من النسخ تعطى لرواد لغويين مدربين تدريباً كاملا من الناحيتين اللغوية والصوتية فيذهب الرائد إلى القرية أو المدينة ويقضى بها أربعة أيام أو خمسة يسأل أثناءها أحد ثقاتها عن كل ماورد فى كتاب الأسئلة مستوضحاً إياه مايحتاج إلى إيضاح وواقفاً منه على التعبير الدقيق لكل مايُراد معرفته والإجابة عنه فى الكتاب المذكور .

أما الشخص الذى توجه إليه الأسئلة ، وأظن أنه لا بأس من أن نسميه « الراوى اللغوى » فيجب أن تراعى فيه أمور كثيرة منها : أن يكون من صميم أبناء البلدة التى يعيش فيها ، وألا يكون قد نزح عنها إلى بلاد غيرها ثم عاد إليها وذلك لكيلا تتأثر لهجته الخاصة بمؤثرات خارجية ، وأن يكون صريحاً صادقاً مخلصاً فى الإجابة على مايوجه إليه من أسئلة لايداور السائل ولايطوى عنه شيئاً ، وأن تكون مخارج حروفه سليمة ما أمكن ، وأن يكون تام القدرة على فهم السؤال والتعبير عن نفسه وعلى إدراك المراد إدراك يقظ خبير فطن .

وبذلك كله يستطيع مثل هذا الراوى أن يمثل بلدته أو قريته تمثيلا لغوياً هو أدنى مايكون إلى الصواب . وعلى الرائد أن يصور على قدر الإمكان مايراه غريباً غير مألوف فى البلاد التى يزورها من مختلف أنواع الملابس والأزياء والأدوات المنزلية والآلات الزراعية والصناعية وأن يسجل أسماءها المختلفة ، لأن كثيراً من هذه الأشياء فى تغير مستمر ، ومنها مايمضى قدماً فى طريق التقدم ومنها ما يمضى حثيثاً فى طريق الفناء .

فإذا تم ارتياد المدن والقرى المعينة على الخريطة التى وضعت أساساً للعمل جمعت صيغ اللفظ ومرادفاته فى البلاد المختلفة وأخذ فى دراستها وترتيبها تمهيداً لوضعها فى شكلها النهائى وصورتها الأخيرة على الخريطة ويكون ذلك بكتابة اللفظ مكان القرية أو البلدة التى نبت اللفظ فيها وعلى ألسنة أهلها يجرى ويتداول .

والفرق بين الطريقتين فى عمل الأطلس أن الطريقة الألمانية تمتاز بالشمول لأنها لا تترك جهة إلا ذكرت رواية اللفظ فيها ، على حين تمتاز الطريقة الفرنسية بالدقة لأن الرواد الذين يقومون بجمع مادة الأطلس قد دربوا التدريب الكافى فى الناحيتين اللغوية والصوتية وبذلك يعتبرون ثقة فيما يدونون عن الرواة اللغويين .

ويلاحظ على الطريقتين كذلك أن الفرنسية طريقة مباشرة وأن الأخرى طريقة غير مباشرة فكانت أقل دقة من الأولى .

* * *

وبعد فإن الأطلس اللغوى يقدم لكثير من الباحثين مادة للبحث قيمة فيها خصب وفيها غناء .

نعى المرحوم الدكتور أوجست فيشر

نعى إلى المجمع فى هذه الدورة المستشرق الجليل الدكتور أوجست فيشر ، عضو المجمع وصاحب المعجم اللغوى التاريخى الكبير الذى عنى المجمع بأمره . وتكفلت وزارة المعارف بطبعه . توفى فى الرابع عشر من شهر فبراير سنة ١٩٤٩ م فى مدينة ليبسج . بعد أن انقطع عن المجمع سنوات طويلة وقفت فيها الحرب العالمية والمصاعب التى أعقبتها حائلا دون عودته إلى مصر . فأصبح فراقه أبدياً . وقد نعاه إلى المجمع تلميذه الدكتور أ. شاده ، فكان لنعيه صدى من الأسف العميق . وقرر المجلس إبلاغ أسمه وتعزيته إلى قرينته . ثم أعلن السيد الرئيس خلو مكانه وفقاً للائحة الداخلية للمجمع[1] .

تأبين المرحوم الاستاذ على الجارم

اغتالت يد المنون الشاعر الناثر . والأديب الكبير . عضو المجمع منذ إنشائه ، المرحوم الأستاذ على الجارم .

وقد دعا المجمع إلى حفل لتأبين الفقيد الكريم فى ذكرى الأربعين من وفاته ، مساء يوم الأحد ٢٠ من مارس سنة ١٩٤٩م، بدار الجمعية الجغرافية الملكية ، فلبى الدعوة جمع كبير من أعضاء المجمع ورجالات العلم والأدب وافتتح الحفل السيد الدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع نائباً عن السيد الرئيس . فنوّه بما للفقيد من منزلة عالية فى الأدب . وجهد مثمر فى اللغة . وأثر ظاهر فى المجمع ثم ألقى السيد العضو المحترم الأستاذ أحمد العوامرى كلمة فى تاريخ حياة الفقيد وتحليل آثاره العلمية والأدبية ، وأعقبه الأستاذ محمد شوقى أمين المحرر بالمجمع فألقى قصيدة السيد العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد فى رثاء الفقيد . وانتهى الحفـل بكلمة من السيد الدكتور فارس نمر أكبر أعضاء المجمع سنا ، ترحم فيها على الفقيد ، وذكر ماله فى قلوب إخوانه من مكانة علية . وذكرى غالية .

وفيما يلى نص كلمة السيد الأستاذ أحمـد العوامرى وقصيدة السيد الأستاذ عباس محمود العقاد :

---

[1] ( ) الجلستان السادسة عشرة والحادية والعشرون للمجلس ٢٨ من مارس و٢ مايو سنة ١٩٤٩م).

كلمة السيد العضو المحترم الأستاذ أحمد العوامرى

إنى ليحزننى أن أقف الليلة ، لأؤبن تلميذى وصديقى الجليل ، الأستاذ على الجارم . نعم ، إنه لموقف هائل حقاً . أن يمر على خاطرى الآن . كرجع الطرف ، حقبة من الزمن ، تربى على أربعين عاماً . شهدناها معا ، وعملنا فيها معا . حقبة حافلة بذكريات الشباب والكهولة . مليئة بالأحداث الجسام . ولاسيما تلك التى لابست التعليم فى وزارة المعارف . منذ أن كان بدائياً ، ملتوياً ، قليل الغناء ، إلى أن تطور وازدهر ؛ وتفرع وتخصص .

كان أول عهدى بالفقيد العزيز . عندما رجعت من انجلترا عام ١٩٠٧ م ، وأسند إلى تدريس التربية وعلم النفس بدار العلوم . وكان هو بالسنة الرابعة — أو النهائية — بهذه المدرسة . وكان بتلك السنة نحو ستة عشر طالباً . على ما أذكر .

فجعلت أتفحص عنهم . وأسبر غورهم ، فلم ألبث حتى تبينت من بينهم طالبين ، امتازا بسعة الأفق . ودقة الحس . وكمال الاستعداد الأدبى — كان هذان الطالبان على الجارم . وأحمد ضيف — الدكتور أحمد ضيف — رحمه الله .

كان على الجارم زعيم هذا الفصل علما وذكاء ولسنا . حاضر البديهة . قوى المنطق . حتى لقد كنت أعهد إليه أحيانا — وأنا مطمئن النفس — فى أن يلقى بعض دروسى وأنا حاضر بعد أن أكون قد دفعتها إليه من قبل ، مذكرات مكتوبة على عجل . فكان يعدها إعداد الفطن ويلقيها إلقاء من درب بالتدريس . ولم يكن الجارم بعد قد مارس منه شيئاً ، اللهم إلا ما كان على سبيل التمرين فى المدارس الابتدائية .

وبهرنى من الجارم أول مابهرنى ، شباب رائع . كأتم ما يكون الشباب بهاء وروعة ، ثم حيوية فائقة يزينها مرح ، ودعابة عذبة هذبتها طبيعة سليمة . حتى لقد كان يبعث فى مجلسه وبين أقرانه . بل فى الدرس نفسه ، من فكاهاته ومداعباته . مايجلو عن النفس صدأ الملل .

وغريب أن يلازمه هذا المرح طول عمره : مارأيته مرة مطرقاً . ولا واجما ، ولامكتئباً ولا ساهما . اللهم إلا حين ثكل ابنه البكر . فاستسرّ عنا حينا . ثم جاءنا ونحن فى بعض لجان المجمع . فأقبل علينا يحيينا ويداعبنا ، كأن لم يكن قد طرقه بالأمس . ذلك الطارق الأليم . ثم مضى معا فى شأننا كعادته .

وغريب أيضاً أن المرض نفسه لم ينل من تلك الروح المتفائلة المستبشرة . فظل يطرفنا بملحه فى جلسات المجمع . ويرفه عنا . ويذود عنا سأم الجدل . وعنت المناقشة . حتى آخر جلسة . قبل وفاته بيوم واحد .

عاد الجارم من انجلترا ، وعين بمدرسة التجارة بالقاهرة . ثم نقل إلى دار العلوم سنة ١٩١٤م ، وهى ميدانه الذى تأهل له،ومعهده الذى نبت فيه ، ومن أجله تخصص فى التربية وعلم النفس .

ولم يكن للتربية وعلم النفس إذ ذاك كتب بالعربية ، يتداولها الطلاب ، غير كتاب كان قد صنفه عالم من أبناء دار العلوم ، هو حسن توفيق العدل — رحمه الله — فى أواخر القرن التاسع عشر ، وغير كتاب وجيز فى التربية وحدها ، للعلامة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش رحمه الله .

ألف حسن توفيق كتابه هذا فى جزأين ، لما كان بألمانيا ، أستاذاً للغة العربية ، بمدرسة اللغات الشرقية ببرلين . وأرسله إلى وزارة المعارف . فطبع بالمطبعة الأميرية . وهو أول كتاب بالعربية فى موضوعه — على ما أعلم — متين العبارة ، نقى الأسلوب ، جمع بين آراء كبار المربين من الأوربيين فى ذلك العصر ، وآراء جلة علماء العرب ، ممن تصدوا لمعالجة مشاكل التربية والتعليم . ثم مزج كل ذلك بما ورد فى هذا الموضوع من الآثار الإسلامية الصحيحة .

ظل طلبة دار العلوم يتدارسون هذا الكتاب ردحاً طويلا من الزمن ، إلى جانب ما يلقيه عليهم أساتذتهم من محاضرات ، حتى جاء الجارم ، فرأى أن قد حان الوقت ، لأن يكون بأيدى الطلاب كتاب يلم بأطراف الجديد من « علم النفس » ، مطبقاً على الحديث من نظريات التعليم ، مما انتهى إليه البحث إذ ذاك . فعكف مع الأستاذ مصطفى أمين ، فأنجزا كتاب « علم النفس وأثره فى التربية والتعليم » . فكان الطليعة فى هذا الميدان .

وكان حسن توفيق — رحمه الله — قد جهد فى وضع بعض مصطلحات علم النفس ، أو ترجمتها أو اقتباسها ممن تكلموا فى الأخلاق والفلسفة : كالغزالى وابن مسكويه ، وابن حزم وغيرهم . وجاء الجارم وصاحبه فى كتابهما هذا ، فقطعا فى هذه السبيل شوطاً موفقاً . حتى لقد أفاد المؤلفون بعدهما فى هذا العلم ، من ثمرة جهودهما . ثم واصلوا البحث على غرارهما . فكان من كل ذلك ثروة صالحة من مصطلحات علم النفس .

نشط الجارم إذاً فى دار العلوم ، واستغل حيويته وشبابه ، وماحصله من خبرة وتجربة فى نفع طلابه . فتخرج عليه فى السنوات الثلاث ، التى قضاها هناك ، طائفة صالحة من المعلمين . برز منهم — فيما بعد — صفوة يفخر بها . ولم يطل لبثه بدار العلوم . فنقل سنة ١٩١٧ م إلى وزارة المعارف مفتشاً للغة العربية .

ورجل كالجارم لايقنع بدورة التفتيش الآلية ، ولا يشبع مطامعه عمل كهذا . بل هو رجل همه الدءوب والإتقان ، وإنه بصدد خدمة اللغة ، وتخليصها من شوائبها . وماعلق بها من العامى والدخيل .

وتلك هى سنة سنها العالم اللغوى المحقق ،

الشيخ حمزة فتح الله – رحمه الله – حين كان كبير مفتشى اللغة العربية ، فى نحو الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن الحالى .

وكانت اللغة العربية إذ ذاك لاتزال تتعثر فيما خلفته لها العصور الغابرة ، من سقم وضعف ، فهو أول من نبه المعلمين على المراجعة ، والبحث فى دواوين اللغة ومعجماتها . وكانت مهملة منسية ، وكان السجع ومحسنات البديع ، لاتزال تجد سبيلها إلى كراسات التلاميذ . فنهض – رحمه الله – باللغة نهضة قوية ، بما أسداه للمعلمين من إرشاد ، موقناً أن ذلك هو مبدأ الإصلاح ، وأن المدارس هى الحقل الأول بعد المنزل الصالح لاستنبات اللغة الصحيحة التى لاتقوم حضارة إلا عليها .

نحا الجارم إذاً هذا النحو ، وسار على ذلك الدرب ، وساعفته ملكة عربية سليمة ، وولوع بالبحث والاطلاع . وكان له فى هذا الباب وغيره جولات موفقة ، فى مجلة المجمع والصحف والمجلات : وعلى منبر المذياع .

ثم نظر نظرة فى النحو والبلاغة فى المدارس ومايقوم فى سبيل تعليمهما من عقبات شداد كلنا أحسها ، وكلنا كابدها ، ولا يزال أبناؤنا حتى الآن يتعثرون فى بقاياها ، برغم ما بذل فى تذليلها من جهود . وما أنفق من وقت .

وكان بأيدى الطلاب حينذاك (كتاب قواعد اللغة العربية) الذى ألفه حفنى ناصف – رحمه الله – مع آخرين . وهو كتاب جيد التأليف ، ولكنه مدمج مجمل ، فى حاجة شديدة إلى تفصيل وتبسيط ، وإلى أمثلة مما يسيغه التلميذ ، ويدخل فى معلوماته وتجاربه .

ولقد تحدثت أنا والجارم كثيراً فى هذا الموضوع ، وفيما كانت عليه مناهج اللغة العربية من تعقيد وتراكيب ، وما كانت تشمله من أبواب لا طاقة للطلبة بها . ولم نك نملك من أمر تغيير المناهج شيئاً ، ولا أن نحذف منها ما يجب حذفه ، أو نضيف إليها ما ينبغى إضافته . وما كنا نملك إلا إرشاد المدرسين إلى تبسيط الموضوعات وتذليلها جهد الطاقة . حتى تعود أسلس قياداً . وأيسر جماحاً .

ومضينا فى سبيلنا على مضض ، حتى قال لى الجارم يوماً إنه اعتزم أن يضع مع صديقه مصطفى أمين ، كتاباً يسهل بعض الصعب . وييسر بعض العسر ، فشجعته . فعكفا على العمل . فكان كتاب (النحو الواضح) فى ثلاثة أجزاء للمدارس الابتدائية ثم تلاه (النحو الواضح) للمدارس الثانوية ، فى أربعة أجزاء . وصدر بعدهما (البلاغة الواضحة) فى جزء واحد كبير . كل ذلك على نفس المنهج القائم إذ ذاك ، لم يتغير فيه شىء ولم يتبدل ، ولم ينقص منه شىء ، ولم يزد عليه .

وأقبل المدرسون والطلاب على هذه الكتب أيما إقبال ، لما فيها من وضوح فى الصوغ . وجمال فى الوضع . وتجديد فى الأمثلة . حتى لقد يمكن الطالب أن يخلو إليها من تلقاء ذاته . ويراجعها فى غير استكراه .

على أن هذه الكتب لم تحقق الغرض كله . إذ بقيت بعض الأبواب والمسائل المعقدة فى النحو والصرف والبلاغة على حالها .

وهى أبواب ومسائل كلنا يعرفها ، وكلنا يشعر أن طلبة المدارس الابتدائية والثانوية ، لا يسيغونها مطلقاً ، وما يضيرهم ألا يعرفوها .

ودرج الزمن ، واقتنعت وزارة المعارف ، على تعاقب الأيام ، أن الحاجة ملحة إلى إعادة النظر فى هذه المناهج ، فغيرت وعدلت مرة بعد أخرى ، وكان من نتائج هذا أن ألغى النحو الواضح ، والبلاغة الواضحة ، من المقررات .

إذاً فقد خدم الجارم التعليم ، وخدم العربية ، وظل عهده بالوزارة ، عضواً عاملا بارزاً ، مرموقاً بالتجلة ، لمكانته فى العلم ، وحصافته فى الرأى ، وجلده على العمل .

وكان بين المعلمين نبراساً ، يفزعون إليه فى المشكلات ، ويلجئون إليه فيما انبهم عليهم من المسألة . لايترفع ، ولايستعلى ، أخ لهم وصديق وأستاذ . وكان بين التلاميذ أباً عطوفاً ، ومرشداً رءوفاً ، لايعنف ولا يتسخط متحدب فى امتحانهم متلطف . لاتفارقه الابتسامة العذبة ، ولا البشاشة المؤنسة ، والقول اللين ، والدعابة الحلوة .

فقد ضرب للمعلمين المثل الحى فيما ينبغى أن يكون عليه الأستاذ من صفات ، تربط بينه وبين تلميذه ، وتحكم بينهما أواصر الإلف .

ولم يكن الجارم فى كل أولئك بمتعمل ولا متكلف . بل كانت هكذا فطرته . فالذين عاشروه من غير المعلمين والمتعلمين ، يرون فيه الإنسان الوادع السلس ، الذى لايريد أن يعقد حبل الحياة ، ولا أن يخلق المشاكل ، أو يثير الخصومة .

* * *

ولقد أتيح للجارم فى المجمع اللغوى نوع آخر من الحياة ، وتهيأ له فيه جو متسع من التفكير .

كان عضواً ناشطاً فى مؤتمر المجمع ومجلسه ولجانه ، قوى الحجة ، ساطع البرهان ، تسعفه ذلاقة لسان ، وقوة بديهة ، وشدة عارضة . وتزينه تؤدة فى القول ، ورزانة عند الجدل ، وهدوء فى النقاش .

وكان رحمه الله من دعائم (لجنة الأصول) وهى اللجنة التى زودت المجمع — ولاسيما فى عهده الأول — بالقواعد التى يقوم عليها التعريب والاشتقاق ، والتضمين والنحت والقياس ، إلى غير ذلك . وأعضاء هذه اللجنة يتوفرون على دراسة كتب الأئمة ، وأقوال المجتهدين فى اللغة ، ويستخلصون منها ما ييسر عمل اللجان الأخرى ، كلجنة الطب ، ولجنة الطبيعة ، ولجنة الكيمياء الخ ...

وكل ذلك يقتضى عناء ، ويقتضى سهراً ومراجعة دقيقة . وكم كان للجارم فى هذه اللجنة ، وحول تلك المباحث والأصول ، فى جلسات المجمع ، من أخذ ورد . وكم كان

له فيها من محاورات ممتعة ومناقشات شائقة ، فلم يكن من أصل إلا له فيه دراسة . ولا قاعدة إلا له فيها كلام .

والمتتبع لمحاضر المجمع منذ إنشائه . يعجب مما للجارم فيه من نشاط متصل، وما له من جهد دائب ، فى كل ما تناوله من بحوث . وما انتهى إليه من قرارات .

وبينما كان العضو المحترم الأستاذ عبد العزيز فهمى يعرض على المجمع مقترحه المشهور فى تيسير القراءة والكتابة ، إذا الجارم يطلع بمقترح آخر فى التيسير ؛ وكانت له فيه دراسة سابقة . وقد أبقى فيه على الحروف العربية كما هى ، وعلى ما لها من اتصال وانفصال فى الكتابة . إلا أنه أضاف إليها علامات متصلة بها . تقوم مقام الشكل . وهى طريقة سهلة المتناول ، قريبة المأخذ . لاتبعد كثيراً عن الكتابة الحاضرة .

فانظر كيف كان — رحمه الله — حريصاً على أن يطرق كل باب يرى فيه نفعاً للفصحى ودعماً لبنيانها .

ثم تيسير الإملاء — هذا الموضوع الخطير المعروض الآن على المجمع — كيف جاهد فيه وصابر ، وكيف كان يعد له العدة بعد العدة ليقيه عوائل الإخفاق التى غالته من قبل فى المجمع .

ولو ذهبت أحصى بحوثه واقتراحاته ، وأعرض لها واحداً واحداً ؛ ولما بذله معنا من جهد فى إخراج مجلة المجمع ومحاضر جلساته لأبى علىّ الوقت .

وفى ذاكرتى الآن ، لقرب العهد ، بحثه الطريف الذى ألقاه فى مؤتمر المجمع الأخير ، وعنوانه : (الجملة الفعلية أساس التعبير) وقد استظهر فيه فيما استظهر . أن ميل العرب إلى البداءة بالفعل . إنما كان لما يكتنفهم من التوجس . والمفاجآت والمخاوف . فكانوا يندفعون لذلك إلى ذكر الحــدث قبل من وقع منه الحدث — وكل البحث غرر ، جمع فيه بين آراء القدماء من علماء البلاغة ورأيه هو.

* * *

وهذا الرجل المرهق بالعمل ، المحلق ليلا ونهاراً فى شعره وقصيده . يخرج علينا فى الأعوام الستة الأخيرة — وهو أحوج ما يكون إلى الراحة والجمام — بثمانى روايات ، هى من مفاخر ما كتب فى القصص التاريخى بالعربية .

وقد قصد فى كل رواية إلى قطعة بارزة من التاريخ العربى أو المصرى فدرسها وبلغ إلى أعماقها ؛ وتغلغل فى طبائع أشخاصها وبيئاتهم ، حتى إذا اكتملت فى نفسه هذه العناصر واستقام له سنَنها ؛ عمد لها فحاكها من غير تكلف ولا معــاناة : فى لفظ مترقرق ، وسرد محكم ، وتصوير بارع .

والعجب من الجارم الذى لاعهد لنا به من قبل قصاصاً ؛ كيف استوت له هذه الملكة فى كهولته ، وكيف حذق أن ينسج من خيوط التاريخ الجافة هذا النسيج البديع :

وإنى لعلى ثقة أنه لو أفسح لنفسه الوقت ولم

يعجل ولم يتقيد بصفحات معدودات ، وأطلق قلمه على سجيته لجاءت هذه القصص أعظم شأناً ، وأبلغ بياناً وأدق نسجاً .

وقلت له مرة : لماذا — وقد أوتيت هذه الموهبة — لا تحاول الشعر التمثيلي كما فعل شوقي — رحمه الله — فى أخريات أيامه ؟ هات لنا شيئاً من ذلك فإنه فن ناشىء عندنا ، يفتقر إلى بيان كبيانك . فسكت . وبدا عليه شيء من التفكير ولم يجب .

وللجارم قبل عهده القصصي — بل وفى أثنائه — جولات فى التأليف واسعة المدى . فقد حقق وشرح مع الأستاذ أحمد أمين «كتاب المكافأة » لأبى جعفر أحمد بن يوسف الكاتب وأخرج مع أحمد العوامرى «كتاب البخلاء » للجاحظ مشروحاً مضبوطاً محققاً .

وكان منذ سنوات يعمل مع الأستاذ شفيق معروف ، فى شرح ديوان البارودى ، وقد نجز منه جزءان ؛ وفى سنة ١٩٤٤م ترجم كتاب « قصة العرب فى أسبانيا » عن الإنجليزية لاستانلى لين بول . دفعه إلى ترجمته غيرته على مجد العرب بالأندلس فدرسه وأعجب بما فيه من بحث محقق . وقد قال فى مقدمة الترجمة : وهذا كتاب « نفح الطيب » — وهو خير كتاب ألف فى تاريخ الأندلس — كله اضطراب واستطراد وتكرار . والتواء وتشتت ... ثم قال : فأحسست بدافع نفسى يلح بوجوب ترجمته إلى لغة العرب وشعرت بأن النكول عن هـذه الرعة عقوق لحسبي وقومى وتاريخى ...الخ .

وقد فرغ من قصة ابن زيدون قبيل وفاته وستنشر قريباً . وسمعت أنه كان يوشك أن يشرح ديوان ابن سناء الملك . ويحققه وينشره . وقد طبع من ديوانه ثلاثة أجزاء مشروحة مضبوطة . وأعتقد أن ما بقى من شعره قد يقع فى ثلاثة أجزاء أخرى أو نحوها .

وإذا أنا تحدثت عن الجارم الشاعر . فما أنا بموفيه حقه فى كلمة كهذه . ولا أنا بقائل بعض ما ينبغى أن يقال فى شعره . وإذا أنا قلت شيئاً . فإنما هو مما علق بنفسى وتأثرت به عاطفتى واهتزت له جوانحى .

فإنما الشعر روحانية . ونور يفيض على القلب ، ويغمر المشاعر . وما الألفاظ وحدها بمغنية . ولا التراكيب الجزلة ولا الاستعارات البليغة . ولا التشبيهات الرائعة : كل أولئك قد يكون فى النظم تقرؤه ؛ ثم لا تهتز له ولا تطرب .

وإنما يكون الشاعر بصفاء الطبع ، ونضج القريحة . واستكمال الأداة اللغوية . واستحكام الملكة البيانية . بسعة الاطلاع على آثار الفصحاء والبلغاء وتعرف مواطن الجمال فى الأساليب ؛ ومواطنه فى الألفاظ والتراكيب : وفيما تتركه فى الأعماق من رنين وهزة يكون عنها الطرب للنفس . والبهجة للروح .

بهذا كان الجارم الشاعر الصائغ الملهم ؛ وبهذا عرفناه ونعمنا بفنه الرفيع واستمتعنا ببيانه المشرق .

وقد انعقد إجماع المثقفين فى الشرق العربى على شاعريته الفذة ؛ وتناقلوا شعره فى أنديتهم وسوامرهم ، وتدارسوه فى مجامعهم ومحافلهم وعنيت به المجلات وكتب الأدب الحديث . فأفردت الفصول لنقده : والفحص عن خصائصه والاستشهاد بنوادره .

ويبهرك من الجارم عمق معانيه وصفاء ديباجته فى فخامة وجزالة وفحولة — تقرؤه فكأنما تقرأ لمهيار وعلى بن الجهم والبحترى وأضرابهم من أمراء الشعر ، فى العصور المزدهرة بالعلم والأدب .

ولاغرو فقد آثر الجارم هؤلاء . وتوفر عليهم ، وأشرب فى قلبه فنهم . فتأثر بأساليبهم فى القول ومناحيهم فى تصريف المعانى .

فجاء نتاجه على غرارهم . فمدح وتغزل ، ووصف ورثى . وأتى بالحكمة الباهرة ، وضرب الأمثال البارعة : كل ذلك على سننهم ومنهجهم . فلم نر فى شعره — على كثرته وتعدد فنونه — نزوعاً لما يسمونه الآن بالتجديد فى أى صورة من صوره ، وأى مظهر من مظاهره .

وإنما كنا نود حقاً لو أنه قد أتيح له أن يقبس من أدب الغرب فى بعض شعره ، وهو الذى حذق الإنجليزية ، وتخرج فى بلادها ، ولو أنه أتحف العربية ، بروائع من قصص القوم أو شعرهم ، إذاً لرأينا فى مرآته الصافية صوراً من تفكيرهم ، وقبساً من أخيلتهم وتصورهم للحياة .

ولعله كان يضمر شيئاً من هذا ، فيما أضمر من آماله الكبار فى خدمة العربية ورفع منارها .

وإنى إذ أختتم كلمتى هذه أستعير من الجارم فى رثاء شوقى قوله :

أيها الراحل الكريم لقد كنـ
ـت سواد العيون أو إنسانه

نم قريرا فى جنة الخلد وانعم
برضا الله ، واغتنم غفـــرانه

قصيدة السيد العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد

فجعت مصر يوم نعى علىّ
بالأديب الفهامة الألمعىّ
شاعر لازم القريض إلى أن
كان يوم الفراق حرف روى
وقضى واجبين يوم قضى نحـ
ـبا وأعظم بالواجب المقضى
واجب الشعر ، والوفاء مدى العـ
ـمر ، فطوبى لشاعر ووفى
إن جهد الرثاء لوعة راث
فى مضامين شعره مرثى

* * *

لست أوفيه وصفه ، إن وصفا
لعلى يغنى غناء السمى
علم فى الديار ، صناجة فى الحفـ
ـل ، ركن فى المجمع اللغوى
وسراج فى مفرق الرأى هاد
وجمال وبهجة فى الندى
وزميل سمح الزمالة بر
وأخ بالإخاء جد حفى
ذلك الشاعر الذى ثكلته
مصر فى يوم مأتم وطنى
لم تزل تسمع المراثى حتى
سمعت فى الرثاء صوت نعى
تتنزى على زعيم أمين
وأديب جزل البيان سرى

* * *

لست أوفيه حقه ، إنه حق بيا
ن عن البيان غنى
وارث الأصمعى فى لغة الضا
د ، وفى الشعر وارث البحترى
والأديب الذى له فطنة المصـ
ـرى زانت سليقة البدوى
والمربى الذى تعهد جيلا
عهد علم منه وعهد رقى
ومعيد التاريخ وهو حلور
شجراً مثمراً بكل جنى
وأخو النشأتين شرقاً وغرباً
من قديم باق ومن عصرى
كم شهدناه فى شواهد نص
ورأيناه فى معارض رأى
وسطا بين ممعن فى وقوف
عند ماض ، وممعن فى مضى
قائلا ناقلا سميعاً مجيباً
حسن تبيانه كحسن الصفى

* * *

ياعليًّا له مكان على
بين دان من جيله وقصى
إن شعرا سمعته يوم ودعـ
ـت سيملى وداع حى فحى
سوف يبقى مستشهداً بمعـ
ـانيه وفاء لكل حر أبى
ولك القول حيث قلت غذاء
ودواء شاف لقلب الشجى
سوف يبقى لمنشد وطروب
وفخور ، وناصح ، ونجى
سوف يبقى مجدداً لك ذكراً
حيث يروى فى العالم العربى
أنت أحييته تراثا على الدهـ
ـر : فعش فى تراثه الأبدى

تأبين المرحوم الدكتور محمد شرف

لم تكد تنقضى أيام معدودات على ذكرى الأربعين لوفاة فقيد المجمع المرحوم الأستاذ على الجارم حتى فجع المجمع بفقد عضو آخر من أعضائه العاملين ، وعالم من خيرة العلماء المجتهدين : الطبيب اللغوى الكبير الدكتور محمد شرف .

وقد أقام المجمع حفلا لتأبينه فى الساعة الخامسة من مساء يوم الأحد ١٥ من مايو سنة ١٩٤٩ م . وقبيل الموعد أقبل على قاعة الاجتماع السيد أحمد لطفى السيد رئيس المجمع وكثير من أعضاء المجمع ، وطائفة من الأطباء والعلماء ورجال التعليم والصحفيين .

وفى تمام الساعة الخامسة صعد إلى المنصة السيد العضو المحترم الدكتور على توفيق شوشة فألقى كلمة التأبين ، واستغرق إلقاؤها نحو نصف ساعة . ولما انتهى من إلقائها انصرف المجتمعون ذاكرين للفقيد جليل أثره فى خدمة العلم واللغة ، داعين الله أن ينزله منازل الرضوان فى دار البقاء .

وتيلو هذا كلمة التأبين :

كلمة السيد العضو المحترم الدكتور على توفيق شوشة

أسرع الموت فى أعضاء لجنة المصطلحات الطبية ، فتخطف أربعة من أعضائها : ثلاثة من الأطباء النابهين وشاعراً من علية أهل الأدب ، هم على ترتيب وفاتهم المغفور لهم الدكتور عبد الواحد الوكيل والدكتور على إبراهيم والأستاذ على الجارم والدكتور محمد شرف .

فتذكرت بموتهم أبياتاً لزميل قديم : هو ابن الشبلى البغدادى المتطبب الفيلسوف فى رثاء أخيه . منها قوله :

إنما نحن بين ظفر وناب
من خطوب أسودهن ضراء

نتمنى وفى المنى قصر العمـ
ـر فنغدو بما نسر نساء

صحة المرء للسقام طريق
وطريق الفناء هذا البقاء

بالذى نغتذى نموت ونحيا
أقتل الداء للنفوس الدواء

ولقد كان زميلنا الدكتور شرف عميا جسيما جم النشاط ، فلحقته وعكة ظنناها تمر بسلام ، فإذا بها تتطور إلى موت زؤام . رحمه الله .

ولد الفقيد فى ٢٢ يوليه سنة ١٨٩٠م فى شبرا بتوش من أعمال مركز تلا من أسرة من

أسر المنوفية العريقة ، وقد سلك به والده الطريق الذى كان يسلكه أعيان القرى فى ذلك الحين فى تعليم أبنائهم ، فأسلمه إلى معلم كتاب القرية ليحفظ القرآن الكريم وليتعلم مبادئ القراءة والكتابة .

ولقد كانت أسرة شرف مجاورة لأسرتين كبيرتين ذواتى ثراء عظيم وجاه عريض ودالة على الحكام . ولما لاحظ ذلك أحد كبار الموظفين وعرف أن محمد شرف الطالب بالمدرسة الأولية تبدو عليه مخايل الذكاء والفطنة . أشار على والده أن يتجه بتعليم هذا الناشئ اتجاهاً مدنياً فيدخله المدارس الابتدائية ثم الثانوية ثم العليا حتى يكون فى المستقبل ردءاً لأسرته تعتز وتفاخر به .

وسرعان ما أنفذ والده هذه الفكرة فحصل الفقيد على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٣م والثانوية سنة ١٩٠٨م .

وفى سنة ١٩٠٨م التحق بكلية الطب وقضى بها ثلاث سنوات كان فيها مثال الجد والرجولة الكاملة والمحافظة على الكرامة ، ونال بين زملائه منزلة رفيعة حتى استطاع أن يدعو زملاءه سنة ١٩٠٩م للاكتتاب فى مساعدة صحيفة العلم التى حلت محل اللواء بعد وفاة المغفور له مصطفى باشا كامل . وقد أحفظ عمله هذا عميد كلية الطب فطوى أحشاءه على كراهة هذا الشاب الوطنى الغيور . ولما كان شرف أول زملائه فى مادة علم التشريح فقد أحبه أستاذ هـــذه المادة الدكتور مهجت وهيي وصار يتعهده ويوجهه . ولما كان الدكتور مهجت قد أدرك أن عميد الكلية يبيت الشر لهذا الشاب لسبب موقفه الوطنى المشرف فقد أشار على والده أن يتقى شر من لا قبل لأحد بدفع شره فيخرج ابنه من كلية الطب المصرية ويوفده إلى انجلترا ليتمم دروس الطب فى الكلية التى كان قد تعلم فيها هذا الأستاذ ، فوافق والده على ذلك وهناك ظهر نبوغ الشاب وتفوقه وانكبابه على الدرس والتحصيل وتوفره على ذلك توفراً تاماً مما جعل مستشفى سانت جورج بلندن — الذى كان يتمرن فيه أثناء دراسته — يوفده ممثلا له فى جمعية الصليب الأحمر فى حرب البلقان سنة ١٩١٢م وقد حصل من هذه الكلية على شهادة سنة ١٩١٤م ، ولما عاد إلى مصر عرضت عليه حكومة تركيا وظيفة من الوظائف الكبرى . ولكنه آثر أن يخدم بلاده والتحق فى سنة ١٩١٥م بالمستشفى العباسى .

لقد رزق الفقيد الكريم حمية للعمل وغيرة على اللغة وفيضا من الصبر على التحصيل والتنقيب والتحقيق وتوقانا إلى التجويد والإتقان . إلى حافظة رحبة وإدراك سليم .

أجل : لقد كان فقيدنا سخيًّا بوقته وماله وراحته وصحته فى سبيل مطمحه الأسمى وهدفه البعيد . وتعلمون أن مطمحه وهـــدفه كانا تعريب المصطلحات الطبية والعلمية .

أيها السادة :

هناك وجوه شبه كثيرة بين فقيدنا وبين نقلة العلوم عن الإغريقية إلى العربية فى العصر العباسى

ونقلة العلوم الحديثة إلى لغة الضاد فى عصر محمد على . ولطالما تخيلته واحداً من هؤلاء أو هؤلاء ، مع فارق أوجبه نظام التعليم فى الجيل الذى أنجبه . ذلك أن النقلة فى العصرين درسوا اللغة العربية وعلومها وتمهروا فيها قبل دراسة اللغة التى نقلوا عنها وقبل دراسة الطب وتحصيل علومه . أما الدكتور شرف فدرس الإنجليزية وحصل بها علوم الطب ثم تجرد للتبحر فى العربية والإغريقية واللاتينية . وقد اكتفى بتعريب المصطلحات على حين أن القدامى من النقلة ترجموا عيون الكتب الطبية . وما كان يسعه غير الذى فعل . فالعلوم الطبية التى استوعبتها كتب الأغارقة أقل من العلوم الطبية الحديثة لعهد محمد على فى أوائل القرن التاسع عشر ، وما مضت سنوات من القرن العشرين حتى بلغت المصطلحات الطبية والعلمية الآلاف عداً ، أما العلوم الحديثة من طب وغيره مما يتصل به فتعددت واتسعت آفاقها وتضاعفت مصطلحاتها حتى بلغت الملايين ، وإنها لتزيد على كر الأيام ، ولن يستطيع رجل فرد تحصيل علوم الطب والتمهر فيها فضلا عن ترجمتها إلا أن يعمر مئات السنين ، وهو لو مد فى عمره إلى هذا المقدار حرىّ أن يفوته منها الكثير ، ذلك أن الكشوف العلمية تتلاحق منهمرة كالمطر الدافق ، والحقائق الجديدة لا ينقطع فيضها كل يوم بل كل آن .

لكن ما الذى حفز الفقيد إلى نقل المصطلحات الطبية ؟

حفزته إلى ذلك عوامل عدة :

انحدر الدكتور شرف من أسرة وردت مناهل العلوم الأزهرية ، تخرج منها فى هذه الجامعة العريقة عدة من العلماء ، فهو من هذا الوجه قد ورث التوقان إلى حذق العربية والتعصب لها ، ولم يغب عنه بعد أن تخرج من جامعة لندن أن الطب كان فى العصور الوسطى عربيا ، نقله إلى اللاتينية أشتات من طلبة تلقوا علومهم الطبية فى جامعة قرطبة وأشبيلية والقاهرة وبغداد ؛ فاللغة العربية إذن وعاء صالح لكافة العلوم .

ينضاف إلى ما أسلفنا أن الفقيد ألحق بعد عودته من الخارج بمستشفى عباس (الآن مستشفى الملك) وجعل جراحا مساعداً لشيخ الجراحة فى وقته المرحوم الحاج على لبيب وزميلا للدكتور أحمد عيسى ، وكلا الرجلين تعلم الطب بالعربية فى مدرسة قصر العينى ، وثانيهما ترجم إلى العربية فى سنة ١٩١٠م عن الفرنسية مرجعا كبيراً عن أمراض النساء والولادة لأستاذ ثقة ثبت ، ووضع قاموسا لمصطلحات النبات وألف ذيلا لكتاب طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ترجم فيه للأطباء العرب حتى وقتنا هذا وله بحث جليل عن البيمارستان المنصورى أو بيمارستان قلاوون . فالمرحوم قد عاش حياته العلمية فى بيئة صالحة لهويته صالحة لنزعته .

هذا فوق أن الصيحة لإحياء العلوم العربية كانت قد أثمرت ، فاستطاع سعد زغلول ناظر المعارف وقتذاك أن يرغم المسئولين فى الوزارة على تدريس بعض العلوم بالعربية بدلا من الإنكليزية . وكان أن فتحت الجامعة

المصرية الأهليـــة أبوابها للطلاب واستعانت ببعض المستشرقين الذين ألقوا محـــاضرات نفيسة عن نهضة العلم عند العرب ، وكذلك نشرت المجـــلة الطبية المصرية فى سنة ١٩١٧م باللغة العربية وجعلت لسان حال الجمعية الطبية المصرية . هـــذه العوامل مجتمعة هى التى حفزت الفقيد إلى مكابدة وضع المصطلحات باللغة العربية .

وفى الحق كانت مغامرة جريئة لا يرجى من ورائها غير إثراء اللغة العربية وخـــدمة النهضة التى هدفت إلى نقـــل العلوم إلى لغة الضاد .

وإنه لمجهود ضخم وعمل جبار أن يتمرد شخص بتعريب المصطلحات الطبية ؛ والطبية هنا تنسحب على علوم عدة ، ذلك أنه اضطر إلى النظر فى أهم ما نقله العرب وألفوه فى العصر العباسى وما بعده إلى أن خبـــا سراج العلم فى القاهرة وقرطبة فى القرن السادس عشر ، ومراجعـــة ما نقله جهابذة عصر محمد على وما ألفه أطبـــاء عصر إسماعيل ، كما اقتضاه الأمر البحث والتنقيب فى المـــراجع اللغوية العربية والإنكليزية والإغريقية واللاتينية .

عشر سنوات عكف فيها الفقيد دائباً كادحاً فى إعـــداد قاموسه المعروف . والغريب أنه لم ينقطع عن ممارسة الجراحة فى المستشفى وفى عيادته الخاصة ، وأغرب من ذلك أنه استقل بالعمل وحده لم يشرك معه غير بعض أساتذة اللغة العربية أعانوه على فهم أسرارها ودلوه على كنورها وساعدوه فى تصحيح ألفـــاظ قاموسه حين طبعه .

ومما تجدر الإشارة إليه أن قاموس شرف لم يكتب له الرواج أول ظهوره فلم يتمكن من سد البقية من تكاليفه وما اقترضه للنفقة عليه فحجر على عيادته وعلى داره .

أثار قاموس شرف ضجة ــ حبذه قوم وقالوا . جهد مشكور ، وقال أناس : نواة صالحة ، وعابه البعض أو قل عابوا جانباً مما ورد فيه . والحق أن عمـــلا كهذا كان حرياً بالتشجيع وهو ما فعلته لجنة توحيد المصطلحات فى أحد مؤتمرات الجمعيـــة الطبية المصرية بوحى من الدكتور المغفور له على إبراهيم الذى أشار باتخاذ هذا القاموس مرجعاً فى سائر البـــلاد العربية إلى أن يأذن الله بتوحيد المصطلحات الطبية ــ أو بعبارة أخرى : إلى أن يراجع ويتفق الرأى فى بلاد العروبة على المصطلحات النهائية .

وأصابت فى قرارها اللجنـــة التى شكلتها وزارة المعـــارف وكان من أعضائها زميلنا العوامرى للحكم على القاموس فقد قالت إنه جدير بأن يضعه مجمع . وقد كان ــ كان أن ألفت لجنة المصطلحات الطبيـــة بمجمع فؤاد للغة العربية ونيطت بها هذه المهمة

أيها السادة :

إن العلم لا يتحيز ولا يغمط ولا يحابى ، والمخطئ فى العلم كالمخطئ فى الاجتهاد له ثوابه

ويا رب خطأ فى البحث جر إلى صواب ، وكم من غلطة أثمرت خيراً كثيراً .

اعتزل الدكتور شرف مهنة الطب وألقى مشرط الجراح بعد ربع قرن تقريباً إلى أن اختير عضواً فى مجمعنا الموقر ضمن عشرة اختارهم وزير المعارف بناء على طلب أستاذنا الرئيس أحمد لطفى السيد. وسيذكر المجمع للفقيد بحثين قيمين عن مادة «أبد» وعن «الحلق والحلقوم» وسيذكره زملاؤه أعضاء لجان المجمع بما عرفوه فيه من همة وغيرة وحماسة لا تبارى .

إن شخصية الدكتور شرف ترد مزاياها ومميزاتها عند التحليل إلى خصلة أو غريزة واحدة هى حب الاستطلاع . كانت هويته فى صباه إلى جانب التحصيل : هى الصيد . ونحن لا نصيد شهوة للقتل ولكن للمعرفة ، فلما صار طبيباً اختار الجراحة . وهى نوع من الصيد يتخذ فيه الجراح مبضعه لاستطلاع الآفات واستئصال العلل . وكما تعلمون أن الجسم المريض كالأجمة : كلاهما غامض وكلاهما مجهول ، وقد أتاحت له رحلاته فى صحبة السيدين : يوسف كمال والمغفور له كمال الدين حسين فرصاً أعانته على دراسة أشتات من النبات والحيوان . شاهدها فى مواطنها وعرف الكثير عنها ودون أسماءها فى بلادها ليقارنها بالأسماء العلمية وما يقابلها بالعربية ، فقد رافق السيد يوسف كمال فى رحلته إلى الهند وبلاد التبت وهى أصقاع اشتهرت بغرائب النبات والحيوان ، ولأهلها باع فى الطب ومعرفة بما يستعمل فى المداواة والعلاج ، ولا يخلو الأقرباذين العربى من أسماء نباتات الهند وطرق تحضيرها للتطبيب .

ثم جاس معه أواسط إفريقية وهى بلاد آجام وأدغال وغابات تؤوى صنوفاً من الحيوان دقيقها وكبيرها .

كذلك أفادته رحلتاه فى ركاب المغفور له كمال الدين حسين إلى الصحراء الكبرى ثم إلى شرق إفريقية وجنوبها . أقول أفادته رحلتاه أيما فائدة وبصرتاه بما يتعذر دركه من المراجع .

ولا أراكم إلا موافقىّ على أن التنقيب فى قانون ابن سينا والحاوى للعزازى ومفردات ابن البيطار ، وأقرباذين الرشيدى ، وأشباهها من التواليف إنما هو ضرب من الصيد ، صيد الأوابد والشوارد . ولا جدال فى أن البحث فى مجاهل المراجع اللغوية صيد محفوف بالمخاطر لا يؤمن معه العثار .

ذلكم هو فقيدنا وزميلنا ، رجل كدح للعربية فأثراها وخدم النهضة فأغناها ، فجزاه الله خير ما يُجزى العاملون .

تأبين المرحوم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى

روّع المجمع فى أثناء عطلته الصيفية بفقد الأديب الكبير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المـــازنى عضو المجمع . اختطفه الموت المفاجئ وهو فى القمة من نشاطه الأدبى ، ففقدت العربية بفقده منهلا عذباً ومورداً ثراً لم يكن يزداد على الأيام إلا صفاء وحلاوة وغنى . وكان لفقده من صادق الأسف ولاعج الحسرة ماكان . وقد دعا المجمع إلى حفل يقام لتأبينه بدار الجمعية الجغرافية الملكية فى الساعة السادسة عن مساء يوم الاثنين ٢٦ من ذى القعدة سنة ١٣٦٨ هـ . (الموافق ١٩ من سبتمبر ســـنة ١٩٤٩م) . وفى الموعد المضروب توافد إلى قاعة الاحتفال كثير من أعضاء المجمع ورجالات العروبة وأولى الفضل والأدب ، وألقى كلمة التأبين السيد العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد . وفيما يلى نصها :

كلمة السيد العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد

رحم الله أخانا المازنى وعوض الأدب والبلاغة خيرا فيه . لقد كان منذورا للأدب بكل ما نفهمه اليوم من معنى هذه الكلمة . وقد كان الأقدمون إذا قيل لهم عن أحد من الناس إنه منذور لهذا المعبد أو هذا الحرم فهموا من ذلك أنه قائم فى خدمة معبده طول حياته وأنه لا يملك أن ينحرف عن خدمته باختياره . لأن أرواح المعبد وجنوده ترده إليه إذا انصرفت وجهته عنه . فلا تبقى من نفسه بقية لغير الوفاء بنذره .

وهكذا كانت صلة المازنى بالأدب صلة نذر وقسمة . علم منذ صباه الباكر أنه يهوى الكتابة وصناعة القلم . ولكنه علم كذلك أنها صناعة لا تجدى على صاحبها شيئا فى معيشته . فخيل إليه أن يعطى مطالب المعيشة حقها .

فلم يلبث غير قليل حتى تبين له أنه للأدب وحده وأن الأدب يلاحقه أينما ذهب فلا يتركه حتى يعيده إلى جواره .

تخرج من المدرسة الثانوية فتطلع إلى صناعة الطب وهى صناعة لها نصيب واف من أسرته وبنى عمومته . فما هو إلا أن شهد درساً واحدا فى التشريح حتى أقصاه الطب عنه ، أو جذبه الأدب إليه . تولاه غثيان شديد فى حجرة التشريح ، فترك المدرسة ونصح له أساتذتها بارتياد غيرها ، فولى وجهه نحو مدرسة الحقوق . وكانت يومئذ أشهر المدارس العليا صوتا وأكبرها شأنا . وفيها لصاحب القلم متسع . وبين طلابها كثير ممن يكتبون وغير قليل ممن ينظمون أو يطربون للمظوم .

ولكن أرواح المعبد وجنوده تجتذب أديبا

إليها وهو على أبواب المدرسة . فقد زيدت مصروفاتها فى تلك السنة من خمسة عشر جنيها إلى ثلاثين جنيها لكثرة الإقبال عليها ، ورغبة ولاة الأمر فى الاختيار . ولم يكن أديبنا فى يسر من رزقه . فعدل عن مدرسة الحقوق إلى مدرسة المعلمين .

كانوا فى مدرسة المعلمين العليا — لذلك العهد — لا يخصصون الدراسات كما يخصصونها اليوم ، وكان أكبر همّ القائمين عليها أن يدبروا للمدارس الابتدائية والمدارس الثانوية أكبر عدد مستطاع من المعلمين الأكفاء لتدريس المواد باللغة العربية . فكان الطالب فى تلك المدرسة يستعد لتدريس الرياضة والجغرافية أو التاريخ فى الوقت الواحد . فأوحت سليقة الأدب إلى هذا الطالب الجديد على المدرسة أن يهدى أساتذتها إلى التفرقة بين ملكات العلوم وملكات الآداب ، فقد أضرب عن تعلم الرياضة ... بل أضرب — كما قال لى — عن فهمها ومذاكرتها . وذهب مع زملائه مرة فى زيارة من زيارات التدريب التى تمتحن فيها خبرة المعلم الناشيء وبضاعته فكان زملاؤه يختارون درسا فى الحساب أو درسا فى الجبر أو درسا فى تقويم البلدان . وأبى هو إلا أن يختار لدرسه أبياتا من الشعر العربى يشرحها على طريقته ويتكلم عن ناظمها ويبين فى سياق شرحها مزايا الشعر العربى بالقياس إلى أشعار الأمم الأخرى .

ويشاء القدر أن يكون على نظارة المدرسة يومئذ رجل من أفاضل العلماء المطلعين على الآداب الأوربية . هو الدكتور "دلبنى" فتعهد طلابه بالمطالعات النافعة وهداهم إلى الكتب القيمة ، ووالاهم بالسؤال والمراجعة . فتخرج على يديه نخبة من أدباء الجيل وفضلائه وفى طليعتهم عبد الرحمن شكرى والمازنى ومحمد جلال رحمه الله .

على أن هداية الطبع قد أفادت أديبنا كما أفادته هداية التعليم . فاستعان بإرشاد أستاذه على اختيار أحسن الكتب الأدبية فى اللغة الإنجليزية ، ولكنه اهتدى بسليقته إلى أحسن الكتب العربية التى تشحذ القريحة وتصحح اللغة وتصقل الذوق وتشحذ الملكة . فلم يكن له معين فى اختيارها غير تبادل الرأى بينه وبين زملائه ، فهم جميعاً بين هاد ومهتد وسابق هنا ولاحق هناك .

ولم أعرف من أحاديثى معه رحمه الله ما يدل على تعثر فى الاختيار أو استقامة فى الطريق بعد انحراف سوى ما كان منه باختياره حبا للاطلاع وتوسعا فى الإحاطة بصنوف الشعر والنثر فى مختلف العهود والأدوار

كان من مطالعاته الأوربية فى هذه الفترة دواوين "بيرون" و "شلى" وشعراء البحيرة عدا "شكسبير" الغنى عن الذكر فى هذا المقام وكان يقرأ مع الشعر نقد الشعر وتاريخ الأدب فى كتب النقاد الممتازين والمؤرخين المأثورين ، وأحبهم إليه " هازليت " و " أرنولد " و "ماكولى" و "سنتسبرى" وطائفة من كتاب المقالة الأدبية والعجالة النقدية الاجتماعية أمثال "لى هنت" و "شارلز لام" و "سويفت" و "أديسون" وإخوان هذا الطراز ، وأحب الروائيين إليه نخبة من فحول فن الرواية "كوالتر سكوت" و "ديكنز" و "ثاكرى" و "كنجزلى" .

أما مطالعاته العربية فقد كان آثرها لديه فى الشعر دواوين الشريف الرضى وابن الرومى والمتنبى ، وكان آثرها لديه فى البلاغة المنثورة كتب الجاحظ والجرجانى والأصفهانى مع مراجعة متكررة لأمهات الأدب الكبرى كالأمالى والكامل والبيان والتبيين والعقد الفريد والأغانى ونهج البلاغة وما جرى مجراها فى موضوعها وإن لم يبلغ مبلغها فى حجمها وطبقتها .

ولقيته رحمه الله فى هذه الفترة ولقيت الأستاذ عبد الرحمن شكرى بعد ذلك بشهور قليلة على أثر عودته من البلاد الإنجليزية . فمن عجيب التوفيق أن يكون شكرى فى الاسكندرية وأن يكون المازنى فى القاهرة وأن أكون أنا فى أسوان . ثم نلتقى على قدر وعلى اتفاق فيما قرأناه وفيما نحب أن نقرأه ، مع اختلاف فى حواشى الموضوعات من غير اختلاف على جوهرها ، وكل ما هنالك زيادة عند بعضنا فى إيثار القصة أو زيادة فى إيثار الشعر أو زيادة فى إيثار الفكريات والتأملات . وقد يتغير الدور والترتيب أحيانا فى هذه الزيادات

وكان المازنى أكثرنا ولعا بالقصة والمقالة الوصفية وكنا نلتقى فى ناحية واحدة من نواحى القصة على الخصوص وهى القصة الروسية وأحسب أن القصة الروسية من أقوى المؤثرات فى نزعته التى جنح إليها بقوته كلها بعد ذلك فيما نسميه بفلسفة الحياة .

لقيته وقد مضت سنتان على تخرجه فى مدرسة المعلمين العليا (سنة ١٩٠٩ م) وكان متقدما فى ترتيبه ، فعينته وزارة المعارف للتدريس فى مدارسها الثانوية ، واختار هو مادتى الترجمة والتاريخ بعد حوار طويل مع رؤسائه ، فنهض بلغة البرامج المدرسية فى مادة التاريخ وجعل أسلوب هذه المادة من أساليب الكتابة الأدبية ، وعنى بانتقاء قطع الترجمة من المأثورات التى تحفظ فى اللغتين العربية والانجليزية . واتفق فى ذلك الحين أن الأساتذة الإنجليز فى المدارس الثانوية فرضت عليهم معرفة اللغة العربية وإتقان قراءتها على القواعد النحوية . فاعتمد عليه زملاؤه من أولئك الأساتذة فى ترجمة فصول من كتاب كليلة ودمنة ، لأنه كان أهم الكتب المقررة عليهم للمطالعة ، فترجم لهم فصولا كثيرة من النص العربى غير معتمد على الترجمة الإنجليزية . ورأيته مرات وهو « يحضر » لهم درسهم على عادته قبيل الموعد بسويعات . فوددت لو أتم ترجمة الكتاب كله فإنها ولاريب كانت تقرن بأحسن الترجمات لهذا الكتاب فى اللغات الأوربية .

وقد كان مع اشتغاله بالتدريس يشتغل بالأدب ويتوسع فى الاطلاع وينظم الشعر معارضة لقصائد الشعراء المبرزين من أمثال ابن الرومى والشريف . ويكتب فى نقد شعراء العصر تطبيقاً للآراء التى استفادها من مطالعاته الكثيرة . فأزعجت حملاته فى النقد أنصار القديم . وكان من جرائها أنه أحس الحرج فى وظيفته الحكومية ؛ لأنه أغضب رؤساءه الذين كانوا يحوطون أولئك الشعراء برعايتهم ومودتهم فاستقال من عمله بالمدارس الأميرية ، وعمل زمناً بالمدارس الأهلية ، إلى ماقبل انتهاء الحرب العالمية الأولى . ثم انتقل إلى العمل فى الصحافة ولم ينقطع عنه بقية حياته .

لقد كان خروجه من الوظيفة الحكومية لذلك السبب مصادفة فى ظاهر الأمر . ولكنه فى الحقيقة كان أمراً مقضيا لهذا السبب أو لغيره . فقد كنت أعهده شديد السخط على الوظائف وتكاليفها . وما كان بقاؤه فيها إلا مطاولة ومحاولة. فإن لم يفارقها من جراء الحرج الذى قاده إليه نقده لشعراء عصره لقد كان فراقه إياها حتما لزاماً بعد ذلك بزمن غير طويل.

هـذه الفترة – فترة الحرب العالمية على التقريب – كانت فى حياة المازنى «نقطة تحول» ومحنة عقل وسريرة . وإخال أنها شملتنا جميعاً بهذه المحنة الأليمة، فنفضها شكرى عنه بقصائده العابسة فى ديوانيه الثالث والرابع . ونفضتها عنى بقصيدتى التى نظمتها على نمط الملاحم وسميتها بترجمة شيطان . وراضها المازنى كما راضته . فاستراح إليها غاية ما استطاع من راحة . وعالجها يومئذ – ولم يزل يعالجها بعد ذلك – بنزعة الاستخفاف وقلة الاكتراث.

ونزعة الاستخفاف هذه – وكل نزعة من قبيلها تملك صاحبها وتلازمه على الدوام – لن تنشأ فجأة ولن ترجع إلى علة واحـدة . بل لابد لها من علل شتى يكمن بعضها فى الطبع ويأتى بعضهـا من عراك الحوادث ووحى المطالعة والتفكير .

وكذلك نشأت تلك النزعة أو تمكنت من صديقنا رحمه الله . فإنه قد درج منذ طفولته على حب للدعابة يسرى عن النفس ولا يضير أحداً ممن يمسه بتلك الدعابة . وقد فوجئت يوماً ببادرة من بوادرها ونحن نركب الترام لأول مرة إلى ظاهر المدينة فقد وقف الترام فى إحدى محطاته، فإذا بصديقنا يلتفت إلى رجل واقف فى تلك المحطة : رجل يغرى منظره بالمشاكسة والحق يقال . . . فحياه وألح فى تحيته وما زال يعيد التحية والترام يتحرك ويبتعد ، والرجل يشفق – كلما ابتعد الترام على مايظهر – أن تكون به نَسبة وأن يتعرض من أجلها لمعتبة . فاستخار الله أخيراً وتغلب على شكه ورد التحية . فما فعلها حتى أومأ إليه صديقنا بلسانه إيماءة ساخرة ولكنها غير جارحة . وجعل يقول: والله إنه لرجل ظريف والله إنه (جنتلمان) .

هذا هو جانب الطبع فيما استقر فى نفس المازنى من نزعة الدعابة والاستخفاف حين قارب الثلاثين .

أما جانب التجربة فمنه النفسانى الذى خامره من إرساله الشعر خاصة بغير صدى يتلقاه ممن يعنيهم بشعره .

ومنه آلام الصدمات المتعاقبات، ولا جرم تثقل هـذه الصدمات على من يعانيها من كوارث الحرب العظمى ومن مزاولة الشدائد والمضنيات فى بيئة الأدب . وبيئة التعليم . وبيئة الصحافة مجتمعات، فيخفف ثقلتها بما استكن فى طبيعته من نوازع الاستخفاف .

أما الجانب الذى أوحت به المطالعة فأحسبه راجعاً على الأرجح إلى كتابين من القصص الروسى : أحدهما قصة «سانين» لمؤلفها (أرتزيباشف) والآخر قصة «الآباء والأبناء»

(لتورجنيف) . وكلتاهما تخلق الاستخفاف على الأقل حين قراءتها لمن لا عهد له بالاستخفاف. ولست أنسى هزة وجدانه بأفاعيل «سانين» بطل القصة الأولى . مع إنكاره منه لتلك الحيوانية المجبوج التى مثله بها مؤلف القصة . وقد بلغ من رضاه عنها أنه ترجمها باسم (ابن الطبيعة) وأنه كان يردد بعض «لوازم» سانين فى كلامه بعد قراءتها بسنوات .

* * *

إلا أننا نحب أن نصف هنا هذا الاستخفاف بأصدق صفاته . لأن المستخف قد يبدى قلة الاكتراث لسببين نقيضين : قد يبديها لقلة إحساسه . وقد يبديها لفرط إحساسه .

وقد كان فرط الإحساس هو الينبوع الذى يصدر عنه استخفاف المازنى الذى يبدو على ظاهر كلامه . ولو شئت لاكتفيت بما أعرف من طويته . فإننى لم أعرف فيمن عرفت غير قليلين جدا يحسون كإحساسه بالألم والفكاهة على السواء .

ولكننى لا أكتفى بما أعرف وفى كل صفحة من صفحاته شاهد يرجع إليه من رآه ومن لم يره قط فى غير كتبه .

انظروا مثلا إلى كلمة الإهداء التى قدم بها كتابه (فى الطريق) إلى بنته التى فقدها طفلة إذ يقول :

«فى بعض الأحيان أكون جالساً إلى مكتبى قبل طلوع الشمس . وأمامى الآلة الكاتبة أدق عليها وأرمى بورقة إثر ورقة . وإلى جانبى فنجان القهوة أرشف منه وأذهل عنه . فأحس راحتيك الصغيرتين على كتفى ، فأدير وجهى إليك . وأرفع وجهى لأصبح على بستان وجهك . وأستمد من عينيك النجلاوين وافترار ثغرك النضيد ما أفتقر إليه من الجلد والشجاعة . وأدفع يدى فأطوقك بلذراعى وألمك فى حجرى وأضمك على صدرى . وألثم خدك الصابح وأمسح على شعرك الأثيث المرسل على ظهرك وجانب محياك الوضيء وأتملى بحسنك وأنشر فى كهف صدرى المظلم نور البشر والطلاقة ، فتدفعين ذراعك وتتناولين ببنانك الدقيقة ورقة مما كتبت وترفعينها أمام عينيك وتروين ما بينهما وتتخذين هيئة الجد الصارم وتفيضين على نفسك السمحة العطوف — وأنت مضطجعة على ذراعى — سمتا وأبهة يغريان بالابتسام . وأنا أنظر إليك وفى قلبى سكينة ، وجوى من قربك معطر بمثل أنفاس الروضة الأنف فى البكرة الندية . وألمح شفتيك الرقيقتين تختلجان وعينيك تلمعان فتطيب نفسى بسرورك الصامت . ثم أسمع ضحكتك الفضية وأراك تغطين وجهك الحلو بالورقة فيستطيرنى الفرح ويستخفنى الجذل ، ولكنى أتظاهر بالخوف على الورقة التى لا قيمة لها أن يمزقها أنفك الجميل . فترمين رأسك على ذراعى وينسدل شعرك الذهبى المتموج كالستار ، وتصافح سمعى من ضحكاتك العذبة موجات لينة . ثم تعتدلين على ساقى وتدفعين ذراعيك فتطوقين بها عنقى . وتجذبين وجهى إليك ولكنك تشفقين على رقة شفتيك من خشونة خدى فتلثمين أذنى

الطويلة ... وتعضينها أيضاً . فأصرخ . فتثبين إلى قلميك خفيفة مرحة وتخرجين بعد أن خلقت فى صدرى انشراحاً ، وفى قلبى رضى ، وفى روحى خفة ، وفى نفسى شفوفاً ، وفى عقلى قوة ، وفى أملى بسطة واتساعاً ، وفى خيالى نشاطاً . فأضطجع مرتاحاً وأغمض عينى القريرة بحبك ثم أفتحها على :

صيد حرمناه على إغراقنا
فى النزع والحرمان فى الإغراق

إى والله . لولا الإغراق ماكان الحرمان . وهل هو إلا الشعور به من الإسراف فى الرغبة واللجاجة فى الطلب ؟

بل أفتح العين على جثة صغيرة حملتها بيدى هاتين إلى قبرها وأنزلتها فيه . ووسدتها التراب بعد أن سويته لها بكفى ورفعت من بينه الحصى الدقاق . ثم انكفأت إلى بيتى جامد العين . وعلى شفتى ابتسامة متكلفة : وفى فمى يدور قول ابن الرومى :

لم يخلق الدمع لامرئ عبثاً
الله أدرى بلوعة الحزن

وتدخل علىّ زوجتى لتحيينى تحية الصباح فأتلقاها بالبشر والبشاشة . وأهم بأن أحدثها بما كبر فى وهمى قبل لحظة . ولكنى أزجر نفسى وأردها عن التعزى باللغط . ولو أنى شرعت أحدثها بشىء من ذلك لما فرغت . فما أخلو بنفسى قط إلا رأيتنى أستطيب أن أتخيل فتاتى على كل صورة وكل هيئة وفى كل حالة . . . ويحلو لى أن أفشى بينى وبينها أحاديث فى كل موضوع من جد وهزل . ويسرنى أن أسمع نكتها وأرانى أستملح فكاهتها وأنتحلها فيما أكتب وأضحك أحياناً بصوت عال . بل أقهقه غير محتشم ، فإذا تعجب لى داخل متطفل علىّ فى هذه الخلوة المحببة إلى نفسى رفعت له وجها كالدرهم المسيح وهربت بالتباله من الجواب الذى يطلبه بعينه أو لسانه وتركته يظن بعقلى ما يشاء وماذا أقول له ؟ فى وسعى أن أكذب فما لباب الكذب مفتاح . ولكن الكذب ينغص على المتعة التى استفدتها من الحوار الذى كان يدور بينى وبين حياة ... »

هذه الكلمة مثل من أمثلة الشجو الذى يسلس له وصفه ببساطة سهلة ترتفع إلى الذروة من البلاغة ، لأنها بساطة الأستاذية التى نطالعها فى آثار الأقدمين ، وهى على بساطتها أصدق صورة للعاطفة التى تمليها ، وكل تعقيب عليها يغض منها .

وفى صفحة أخرى من صفحات هذه النفس الغنية بالخواطر والخداع تعبر بالفكاهة المرحة كما عبرت بهذا الشجو الأليم ، ومن أمثلتها حديثه مع من أزعجه بالطلب خطأ فى التلفون . ومنه يقول . « لم يكن أكفل بإزعاجى وإثارة غضبى وسخطى وإفساد صحتى من أن اضطر إلى القيام من النوم مثلا على دق التلفون فإذا المطلوب غيرى وإذا بالرقم المراد غير رقمى . ولكن هذا الخطأ هو الذى أستمد منه الآن التسرية والترفيه . . . كنت مرة فى الحمام ولم يكن فى البيت أحد سواى وكان الوقت شتاء . . . وإنى لأنعم بحرارة الماء وإذا بالتلفون يدق ويدق ويصرخ . وأيقنت وأنا أسمعه أن هناك خطأ وأن الدق

لغيرى فقد ألفت ألا يقع الغلط إلا فى مثل هذه الأحوال المحرجة ، وتصورت وثبى من الماء الدافئ وإسراعى إلى الالتفاف بشىء وإسراعى إلى التلفون .. ومع ذلك راقنى الأمر وما هى إلا ثوان حتى كانت السماعة على أذنى فكان ماتوقعت ووجدت رجلا يتوهم أن بيتى (جراج) فابتسمت وقلت : أتسألنى هل عندى تاكسى ، ماأغربه من سؤال ... ياسيدى إن عندى مدرسة كاملة . معملا تاماً .. أتحب أن يكون من طراز « فيات » ؟ أم تؤثر أن يكون « رينو » ؟ ... ما ذا ؟ ... تريده حالا ؟ آه . هذه هى العقدة ، آسف ! لأننى لا أستطيع أن أرسله حالا كما تطلب ... ما السبب ؟ السبب بسيط جداً ! ... ليس عندى سوى ولدين أحدهما رضيع ، والثانى فى المدرسة الآن .. بل سمعتك جيداً ! ! .. كلا . لم يحصل خطأ . أنا فاهم ماتقول .. اسمع أنت . يمكننى أن أرسله إليك بالبريد فيكون عندك غداً صباحاً .. كلا . لست مجنوناً .. ولا أنت أيضاً ؟ .. المجنون غيرنا . حسن .. فلنتكلم فى شىء آخر .. صحتك جيدة على ما أرى ... من قوة حنجرتك .. آسف جدا . لم يسعدنى الحظ برؤية وجهك إلا فى التلفون .. » إلى آخر الحديث المطرد على هذا النحو الذى يخيل إلينا أنه يسبق الآذان ويربط بعضه ببعض من غير تأليف .

فالنفس التى يخامرها حزن كذلك الحزن وتعمرها فكاهة كتلك الفكاهة لا يأتى استخفافها من قلة حس بل من فرط حس وشعور وتخيل . وهى تستخف لتنجو من حسها ولا تستخف لأنها من الحس بمنجاة . بل يوشك من فرط حسها وشعورها وتخيلها أن تخاف مما يسر خوفها مما يسوء كما قال من أبيات :

ويروعنى يأسى ويفــزعنى
أملى وأفرق من لقاء غــد

ولرب جوهرة ظفرت بها
فنفضت منها كف مرتعد

ورجعت أنظر هل بها أثر
منها يظل يهيف فى جلدى

ولقد كانت ملكات المازنى أول ما تناوله باستخفافه وكان الشعر أول ماتناوله من تلك الملكات . ولكن استخفافه بشعره من قبيل استخفافه بكل شىء . فرط إحساس لا قلة إحساس . ومن كان الشعر عرضاً فى حياته لا يحس بلاعجه مسلطاً على سريرته كما كان يحسه رحمه الله .

بعثت إليه من أسوان بقصيدة ضمنتها تحية من ابن شقيقتى الصغير إلى ابنه محمد : فأجابنى بقصيدة من وزنها وقافيتها يقول فيها :

لا مال أخشى منه إتلافــه
عباس . فى المقبل من عمره

* * *

ولست أخشى أن أراه فتى
قد وســع العالم من شره

لكننى أشــفق ياصــاحبى
من أن يجيش الشعر فى صدره

من يشترى شعرى على حبه
براحــة الغافل عن دهره

من يشترى تغريدتى موهناً
بغطة الذاهل عن فجره
من يشترى دمعا يحس الفتى
جولته لا القيض من قطره
من يشترى نفساً وآلامها
بثقلة المأفوك فى فكره
من يشترى هذا سوى مائق
يسعى برجليه إلى ضره

كلا . ماهكذا يعتلج الشعور بالشعر فى السريرة إلا أن يكون كأنه سلطان مارد متحكم فيها متغلغل فى أطوائها يسومها شططا ويعييها الفكاك منه والخروج عليه . ولو لم يكن المازنى متجنياً على ملكاته — ومنها بل أولها الشعر — لكان فى سريرته عارضاً لايباليه ولم يكن فيها ذلك اللاعج الذى يخشاه على نفسه وعلى بنيه .

قال يواسى والدته فى غاشية من غواشى الضنك والأسى :

يا أم لا تجزعى مما يحيق بنا
من الخطوب ولاتأسى لما فاتا
تمضى المقادير فينا الحكم عادلة
ويقسم الله أرزاقاً وأقواتا
وكل ضائقة تغدو إلى فرج
وإن لليسر مثل العسر ميقاتا
ضل الذى يرتجى تأخير قسمته
قدمات كالكبش إسماعيل قد ماتا

هذه الأبيات قد أودعت نفس المازنى كلها : نفس المازنى الشاعر الذى لاتجديه براءته من الشعر ، نفس المازنى العطوف الذى يؤلمه الحزن فى نفس أمه ، ولا يشغله عنه حزنه وألمه وهما أشد وأقسى . نفس المازنى القدرى الذى أسلم دنياه لقضاء الله . نفس المازنى الذى طرقت أبواب خلده حكمة الاستخفاف وقلة المبالاة . ومانفع المبالاة ؟ . . إن إسماعيل المفدى قد مات كما مات الكبش الذى فداه !

* * *

وإنه لمن الحظ السيء للشرق العربى أنه لم يأخذ من المازنى كل ماكان قادراً على أن يعطيه من طفوة ملكاته وليست كلها مقصورة على الشعر ونقده .

فإن المازنى قد امتاز بملكة أخرى كاد أن يتفرد بها فى الآداب العالمية وهى ملكة الترجمة المطبوعة أو مايصح أن نسميه بعبقرية الترجمة . لأنه استطاع بترجمته أن يرد الكلام أصيلا كأنه لم يكتب قبل ذلك بلغة أخرى ولم يصدر عن قريحة سابقة . فقد كان يترجم الكلام فى سليقته شعوراً قبل أن يترجمه لفظاً ومعنى فيجيش به كما جاش به صاحبه ويعبر عنه بعد ذلك كأنه ينقل قطعة من حسه وخياله . ويصنع ذلك بالكلام المنظوم كما يصنع بالكلام المنثور فإذا به قد نقل روحه وطلاوته وموسيقاه ومايتخلل عباراته من ظلال المعانى المستترة وخفاياه المضمونة . حتى ليحرج النظم واضحاً فى موضع الوضوح قوياً فى موضع القوة مكنياً عنه فى موضع الكناية . ويظهر لنا فضله فى هذا المجال بالمقابلة بينه وبين « فتزجيرالد » مترجم « عمر الخيام » وهو من كبار الشعراء

المترجمين المعدودين . فإنه تصرف فى عبارات الخيام حتى تيسر له أن يفرغها فى قوالبه الشعرية . أما المازنى فإنه لم يتصرف قط فى عبارات «فتزجيرالد» . وأوشك أن يلتزم فيها الترتيب وفواصل السطور إلا ماتتعذر المضاهاة فيه بين اللغتين . . . وقد ذكرت فى مقام سابق شواهد من ترجمته للرباعيات وأذكر فى هذا المقام شاهداً آخر من الشعر الانجليزى من قصيدة النهر المتعب للشاعر مورس . وهى كما ترجمها :

ماض عـلى غلوائه يجرى
أبدا إلى بحر بـلا عبر
مترقرق لا شىء يحبسـه
متزاحم كتزاحم الشعر
متضـاحك سلس وآونة
متوثب عن نزوة الشر
زجـل له لحن يذكرنا
همس المنى فى ريّق العمر
ومزمجـر طورا كأن له
رعد الجحيم تثور بالحجر
كم قـد أقل عبابه سفنا
وأجن من غرق ومن كسر
ورمى بكل غـير متئد
فى قعر يم هـائل القعـر
سيظل هـذا النهر منجرداً
يهوى براكبه - إلى البحر
حتى يمـل الدهر دورته
وتنام عينا الشمس والبـدر
ويلى عليـه وويل راكبه
منه . ومن نحر الردى القفر

فكيف يخطر لمن يقرأ هذه الأبيات ولم يقرأها من قبل فى أصلها أنها نبتت فى لغة غير لغة الضاد وأن بيتاً منها نقل من سطور إلى سطور ؟ ... هذا مع الدقة التى تستغرب فى الكلام المنثور فما بالك بالمنظوم المقيد بالقوافى والأوزان ؟

إن ملكة كهذه الملكة أو عبقرية كهذه العبقرية لو تهيأ للشرق العربى أن يقيمها على رأس عمل من الترجمة الأدبية والثقافية لزودت لغتنا بأدب أصيل من هذا الأدب الدخيل عليها ولجعلت نسختنا العربية — مع هذا — نموذجا بين نسخ التراجم فى جميع اللغات .

وقد ترجم المازنى نبذا صالحة من الآداب الأجنبية وكان من أفضاله فى هذا الباب أنه أعاد الثقة بالعربية إلى أهلها . وأزال ما كان معتقدا فيها من أنها لا تقبل المعانى الحديثة إلا فى لفظ مقسور وأسلوب مستكره قياسا على ما شاع من الترجمات فى بواكيرها . ولكن فضله هذا كان خليقاً أن يضاعف أضعافا كثيرة ، لو وضع فى موضعه وأقيم على العمل الذى خلق له ولم يخلق له فى زماننا من يفوقه فيه .

إن هذا لمن الحظ السيء للآداب العربية .

إلا أنه من الحظ الحسن لها أنها قد استبقت لأدبينا مجال القصة والمقالة الوصفية . وهو مجال قد استعد له بخير ما يحتاج إليه من دقة الملاحظة وحسن التخيل وسرعة الخاطر وسهولة التعبير . فقضى السنوات الأخيرة من حياته

وهو يوالى قرّاءه فى الأمم العربية بالقصة تارة وبالمقالة تارة أخرى . ويغتنم الفرصة كلما سنحت لتزويدهم بالرواية الكبيرة إلى جانب القصص الصغيرة . فأخذوا من غيثه وهم على شاطئ بحره . ولكنه الغيث الذى يضمر بحارَ آخرين . . . فإذا بكوه فليبكوه لما أخذوه ولما حرموه .

فارق الدنيا ومحبوه يستزيدون أيامه لو وسعهم أن يزيدوها إلى غاية المدى . ولكنه رحمه الله قد تعجل يومه قبل نيف وثلاثين سنة فرثى نفسه وهو يحسب أنه لن يجد من يحفل برثائه ، وقال على مذهبه المعهود فى النظر إلى الحياة والأحياء :

قضى غير مأسوف عليه من الورى
فتى غره فى العيش نظم القصائد

* * *

وقد كان مجنونا تضاحكه المنى
وفى ريقها سم الضلال الشوارد

فعاش وما واساه فى العيش واحد
ومات ولم يحفل به غير واحد

أراد خلود الذكر فى الأرض ضلةً
فأورده النسيان مر الموارد

ولم يبكه إذ مات إلا أجيرة
لها زفرة لولا اللهى لم تصاعد

فلا دمع يروى يوم ولى ترابه
وكيف يروّى تربه غير واجد ؟

فلا تندبوه إنه ليس بالأسى
حقيقاً ولا أهل الهموم العوائد

كلا أيها الصديق .

إن الدنيا قد أخلفت ظنك بالأمس على غير حق . وإنها لتخلف ظنك اليوم وهى على حق . فما أنت ممن ينسى وبين أبناء العربية ذاكرون ، وما أنت ممن يحسن إليه الناس بذكره : وإنما يحسنون إلى أنفسهم كلما ذكروك .